

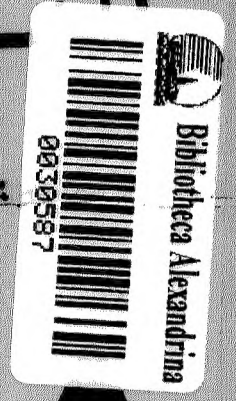
مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

أوراق مصطفى كامل



التتالات

د. يواقيم رزق مرقص



المكتبة العشرية العامة للكتاب

أوراق مصطفیٰ کامل المقالات

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

أوراق
مُصطفى كامل

المقالات

الكتاب الأول

من ١٨٩٣ - ١٨٩٩

تحقيق وإشراف

دكتور يواقيم رزق مرقص



الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٨٦

أعد المادة وشارك في التحقيق:

- خلف عبد العظيم سيد الميرى
- أمال الفيومي
- أستيرة غالى تاوضروس
- عفاف محمد خيرى
- سامية عبد المعطى ثابت

الاخراج الفنى : انعام صالح

تصدير

عندما تناول مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر نشر نراث الزعيم الخالد (مصطفى كامل) لم يكن غرضه احياء ذكراه ، فذكراه حية في قلب مصر المعاصرة دائما ، وانما تقديم أعماله بعد جمع شتاتها في شكل علمي يخدم الباحثين في مجال تاريخ مصر الحديث والمعاصر ، فبدأ بتقديم الجزء الأول وهو « المراسلات » وتلاه الجزء الثاني وهو « الخطب » وها هو ذا يقدم « المقالات » .

ولما كانت مقالات الزعيم من الكثرة يمكن ، فانها ستظهر تباعا في أجزاء ثلاثة ، يفصل بين كل منها فاصل تاريخي واضح .

فيبدأ الجزء الأول من هذه المقالات - وهو ما بين أيدينا - منذ باكورة كتابته في مجلته « المدرسة » التي أصدرها ، وهو بعد طالب في مدرسة الحقوق ، حتى ١٨٩٩ ، وهي السنة التي بدأ يفكر فيها في انشاء صحيفة خاصة بمجموعته .

ويبدأ الجزء الثاني منذ انشائه صحيفته (اللواء) في عام ١٩٠٠ حتى الاتفاق النثائي بين فرنسا وانجلترا في ١٩٠٤ وقد صادف منتصف الطريق الى النهاية ، حيث تغيرت بعد ذلك السياسة الفرنسية تجاه الشرق عامة ومصر على وجه الخصوص .

ثم الجزء الثالث الذي يبدأ من ١٩٠٤ الى نهاية حياته في ١٩٠٨

وهكذا يغطي باحثو المركز مساحة كبيرة من التاريخ المسجل في صحائف جهاد مصر ضد وطأة الاحتلال البريطاني الذي بدأ يجثم على صدرها منذ عام ١٨٨٢ .

والله ولي التوفيق ،

مركز

وثائق وتاريخ مصر المعاصر

مؤمنا بالنشر على أساس أنهم قوام المستقبل ، فكتب لهم لتكون كتابته سدا
يحول دون تسرب اليأس - الذى أحاط بالكبار - الى قلوبهم (١) .

ثم تلقفته الصحف قلما تاريا ، وطنيا ، فالتقى بقرائه من خلال الأهرام
والمؤيد .

قرأ المصريون له فى السياسة والوطنية على صفحات الأهرام ، ولم يكن
بين الصديقين من خلاف فى السياسة العليا ، فهما يناصران فكرة مصر
للمصريين ، ويريان أنه لا بأس أن تحكم الصلة بين القاهرة والآستانة ، ففى
ذلك ضمان لكيان مصر ، التى لولا هذا الرباط لأصبحت قطعة من إنجلترا
أو مستعمرة لها ، وهما أيضا متفقان تمام الاتفاق على أن الحياة السياسية
الداخلية لن تستقر الا اذا عاشت مصر فى ظل دستور حر وحياة برلمانية
صحيحة (٢) .

ولقد حظى مصطفى كامل فى الأهرام بمكانة عظيمة ، فأمنت به أسرتها ؛
ونشرت له مقالاته دون اختصار ، أو تعليق ، لدرجة أنها كانت تدافع عنه
اذا ما أراد به خصومه وقية أو انتقاصا ، حتى نشرت أخبارا عنه هو بالاضافة
الى ما كان يدبج .

ولم يكن فلمه وفكره موضح اجلال واعتبار فى الداخل فقط ، بل
رحبت به صحف الخارج أيضا فخرجت به صحف فرنسا والمانيا والنمسا ،
بل وإنجلترا ذاتها ! لم ننتظر مقالانه أو ترجماتها ، أرسلت مندوبيها اليه
ليحظوا منه بالأحاديث والتصريحات ، وأبدوا إعجابهم به ، شأبا ، كاتباً ،
مفكراً ، صحفياً ، وهو بعد وقبل كل شيء ابن مصر المخلص لها .

وفى نفس الوقت نحس ونحن نقرأ لمصطفى كامل أنه كان متحملاً
للمسئولية كاملة ، فتسلح بالعلم عندما نبذ العنف والثورة وسفك الدماء ،

(١) أصدرها فى ١٨٩٣ وكان يديرها ويحررها كلها بلمه ، ثم بعد ذلك اشترك معه كتاب آخرون
من أقرانه ، فكانت أول مجلة مصرية يصدرها طالب ، وكان يطبعها فى مطبعة المحروسة ، وقد اتخذ لها
شعاراً د حيك مدرستك ٠٠ حيك أهلك ووطنك » ، وقد بلغ عدد المشتركين فيها ٢٤٠٠ مشترك ، أكثرهم
من طلبة المدارس الابتدائية ، وبلغ قيمة الاشتراك السنوى فيها ثمانية قروش ، كانت تصدر عشرة أشهر
وتحجب شهرين فى العام ، الا أنه لم يصدر منها الا تسعة أعداد فقط ، تنشر هنا أهم المقالات التى وردت
فيها ، وقد اشتركت فيها نظارة المعارف ، بشراء خمسين نسخة من كل عدد .

(على فهمي كامل : مصطفى كامل باشا فى ٣٤ ربيعاً ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٠٨ ، ص ١٨٤ -
١٨٥) .

(٢) إبراهيم عبده : (دكتور) : جريدة الأهرام ، (تاريخ مصر فى خمس وسبعين سنة ، القاهرة
١٩٥١) ص ١٢٥ .

وآثر الحكمة والموعظة الحسنة ، ودعوة الخصوم الى كلمة سواء تكون بينه وبينهم .

فنحس بمقدار حصيلته من العلوم ، فاستشهد بوقائع التاريخ قديمة ووسيلة وحديثه شرقه وغربه ؛ مدلا بالسياسة والعلاقات الدولية ؛ مقدما الأمثلة للأهم والشعوب ، دارسا لعاداتها وقاليدها .

كل هذا يدفع قارئه الى العيش معه . وفيه ، من خلال كلماته المؤثرة . . الواعية . . الداعية .

سرنا وراه جامعين كلماته من مصادرها :

١ - المدرسة : منتقن المغالات التي تحدثت عن أغراض وطنية ، تاركين بقية المسامرات اذ ليس هنا مجالها .

٢ - الأهرام .

٣ - المؤيد .

٤ - الصحف الأجنبية .

٥ - وما جمعه شقيقه على فهمي كامل ، في مصر والاحتلال الانجليزي ، وكتابه « مصطفى كامل في ٣٤ ربيعا »

٦ - وما جمعه محمد مسعود في كتابيه : مصطفى كامل والانجليز . . وغيره . هذا في حدود ما وجدناه من مجلدات الصحف ، لأن منها ما هو ممزق ، وما هو غير موجود ، وأشرنا الى ما هو ممزق أو غير مقروء بعلامة () .

وكدأبنا ، أشرنا الى ظروف كتابة المقال ، ومكان نشره ، وتاريخه ، ثم التعليق على ما ورد فيه من وقائع تاريخية أو حربية ، وأشخاص وبلاد ، فضلا عن تحليل المواقف السياسية والعسكرية والمعاهدات التي يحتمل موضوعها ذلك .

كما راعينا - أمانة في النقل - ألفاظه كما كتبها وان كانت تخالف أحيانا أسلوب الكتابة الآن (كمسئلة - فرنساويين وطلبيان) .

ونرجو بهذا أن نكون قد وفقنا في هذا العمل القومي الجليل .

والله نعم المستعان ،،،

القاهرة في ديسمبر ١٩٨٥

دكتور

يواقيم رزق مرقص

المشرف بمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

**مقالات مصطفى كامل
في
مجلة المدرسة**

الجزء الأول

يوم السبت ١ شعبان سنة ١٣١٠ - ١٢ أشتير ١٦٠٩

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله مدير الأعمال • وفي مدارس الكمال • على محور الاعتدال • موهب
الانسان • القلم واللسان • المعبرين هما في الجنان • والصلاة والسلام على نبيه
محمد روح مدرسة المعجزات الباهرة • وصاحب الأخلاق الطاهرة • مدينة العلم
والكرم • ومصدر الفضل والحكم • (وبعد) فلما كانت عموم الجرائد على اختلاف
مشاربها • وتنوع مذاهبها • لا تقيد الا الآباء • دون الأبناء • من تثقيف عقولهم وتنمية
أفكارهم • أمر من أهم الأمور الشريفة • وغاية نوالها من أكبر المزايا المنيفة لأنهم
عماد دولة مستقبل الزمان • ومتى صلح المبدأ صلحت الغاية في كل آن • (من يزرع
الشوك لا يجني به عنباً) رأيت أن أهدي أبناء جلدتي • وصغار بلدتي • جريدة على
الأخص تهذيبية لما في ذلك من النفع والسداد • والهداية الى سبيل الرشاد •
تصدر في كل شهر مرة واحدة الا في شهرى محرم وصفر (زمن الصيف في هذا
العام) فلا تصدر لما يحيط بكل من الاشتغال بالراحة وتبديل الهواء بعد طول العناء •
وقد جعلت قيمة الاشتراك فيها سنوياً رجاء للنفع العام (والله على ما أقول شهيد)
ثمانية قروش صاغاً حتى يسهل للجميع تناولها وتعم بذلك فوائدها ولنا الأمل
الوطيد في مساعدة حضرات نظار المدارس الابتدائية لنا في هذا المشروع لأنهم جميعاً
رجال همم عالية • وغاياتهم شريفة سامية • لا يبتغون الا نجاح بلادهم وعلو شأن
أوطانهم في ذلك العصر الزاهر عصر أميرنا المحبوب حامى حوى الديار المصرية
ورافع شأنها •

(عباس باشا حلمي)

من أصبح شكر جنابه المستطاب أسمى من شكر الرياض لبنت السحاب (١)
حفظه الله وبرجاله الكرام وأهله وذويه الفخام أمين •

(١) للفر •

لماذا أنشئت المدرسة

ما أنشئت المدرسة الا لكي تكون مركزا لجمع درر فرائد الأستاذ ومنهلا غزيرا لاتحاف التلميذ بأئمن الفوائد وأسمائها . وأبهب اللطائف وأسنائها . فيهدى الأول من محاسن معارضه ما يجود به علينا . ويهدى الثاني من حلل العلم والأدب ما نورده وما يرد لنا . وما عليه الا استقبال تلك الجريدة لعصماء . والمجلة العذراء . بالترحيب والاحلال . والتردى بما نهديه له من أثواب التهذيب وطيب الأعمال والتقاط ما تتحفه به من المسائل السنوية الثمينة . والنفائس النفيسة المكيئة . وأن نعرضه اليه الوقوف على أصل كلمة أو معنى جملة أو حسن خريدة فما عليه الا الرجوع بها الى محل ثقته وسنده القديم صامع جواهر فكره أستاذة العليم فيستفسر منه عما أعيتته معرفته وما نعذر عليه نيله وإياه أن يقصر في السعى وراء التعليم والتهذيب وقد سهل الله عليه كل أمر مريب فأهداه جريدة تباع اليه بثمن بخس ما أخاله الا حقيرا وأمره عند الآباء يسير ليس يسيرا .

فعليك أيها الصبي المجد أن تستطلع أسرار تلك الجريدة التي لم تسطر الا لمنفعتك وخيرك وسعادتك وبرك وتمتني كل الاعتناء بأمرها فسوف يأتي يوم تسلم اليك فيه مقاليدها وتعطى من مديرتها زمام اعمالها فترسد اذ ذاك بالاتفاق مع رفقاءك صغار اخوانك وضعاف أبناء بجدتك فتصفحها الآن وقف على حقيقتها وأنت صغير حتى تهدي غيرك فيما بعد وأنت كبير والله يهدينا جميعا الرشاد وما فيه خير البلاد أنه سميع يجيب دعوة الداعي اذا دعاه .

(شرف الأستاذ ومجد التلميذ)

أعلم أن الناس على اختلاف مراتبهم وتفرق درجاتهم بين عالم وجاهل أي محصورون جميعا في طبقتين عليا وهي طبقة العلماء وسفلى وهي طبقة الجهلاء وكلاهما فيه أقسام عديدة ، فمن العلماء من تبحر في الفلسفة ومنهم في الفقه ومنهم في النحو ومنهم من هو أعلم من الآخر ، كما أن في الطبقة السفلى من هو أجهل من أخيه ولاشك أن المرتبة العليا أشرف كثيرا من السفلى في الآخرة والدنيا « قل هل يستوى الذين يعبدون والذين لا يعلمون » كيف لا وهم هم العلماء دون غيرهم أهل المعارف والكمال ورجال المجد والفخام اذا عرفوا خواص ما يحيط بهم من الأجسام فاستخدموها أحسن استخدام ووقفوا على دقائق خواص المخلوقات فزادوا برهم وثوقا ولانبياهم تصديقا ولله من قال . العلماء في الأرض كالنجوم في السماء ولولا العلم لكان الناس كالبهائم :

العلم فيه جلاله ومهابة والعلم انفع من كنوز الجوهر
تفتي الكثر على الزمان وصرفه والعلم يبقى دائما في العصر

وعليه فالناس بعلومهم لا بزيهم واحترامهم منوقف على علومهم لا على ملابسهم وأعلم أن العلماء قسمان : قسم علم وعلم وقسم علم وما علم ولا مزية (لاشك) في أن القسم الأول أشرف من الثاني بكسر وهو لا يشمل على الأخص الا الأساتذة الكرام والمعلمين الأعلام فهم على ما بينا أشرف الناس على الإطلاق وأعظمهم مجدا وارفهم قدرا يهذبون الروح وهو أمر لو تعلمون عظيم ولا يفرئكم معشر التلامذة قلة مالهم أو عدم بهائهم فهم الذين على أيديهم نبلغون غاية عظمى وتخطون في مدارج الكمال خطوة كبرى

إذا علم مامر من القول وتأملت قليلا الى حالتكم عند الدخول بالمدرسة وعند تجميع دروسها والخروج منها وقارنتم بين الحالتين لرأيتم مرقا بينا يوضح لكم أنكم عند الدخول بالمدرسة كنتم في ذيل طبقة الجهلاء وعند خروجكم منها (وهى مهد تعليمكم وتربيتكم) تعدون من طبقة العلماء بمعنى أن المدرسة هي التي تفتشلكم من حضيض الجهالة الى أوج المعارف والنجاح اياكم أن تعدلوا عن السير في منهج الكمالات بل عليكم عليكم أن تحيدوا كل الجهد في سرعة الانتقال من مستوى الجهلاء الى مستوى العلماء الذين قد شرفهم الله والناس ، كما أنه يجب عليكم أن تحترموا الأساتذة جميعا فقد صرفوا كل عنايتهم في تثقيف عقولكم وتربية أفكاركم وسعوا كل السعى في تقدمكم ونجاحكم واتعبوا الآن في تحصيل العلوم وأنتم أهل لذلك قبل أن تمر الفرصة فأنسفوا على ما فات ولات حين مندم •

• فيما يجب أن يتبع في مطالعة الدروس

كثيرا ما نرى بعضكم معشر التلامذة يطلع الدروس لا لقصد الوقوف على حقائق الأشياء بل لتحصيل نمرة أو لنيل درجة يفتخر بها اخوانه فيجهد كل الاجتهاد في حفظ ما بالكتاب على قلبه دون أن يبحث في معناه أو يدقق في مبناه فيصير بذلك كاللبغاء بل أضل سبيلا فلو لاحظنا أغلب التلامذة في مطالعة علم التاريخ مثلا لرأيانهم تجنبوا المنهج القويم وعدلوا عن الصراط المستقيم وذلك لكونهم يحفظون مدة حكم الملوك ويعرفون أعمالهم ووقوع الحوادث حفظا قلبيا لا روية ولا تدقيق فيه ، ولو سألت أحدهم سؤالا رأيته أما أن يجاوبك بسرعة بحجب لو أوقفته في طريقه لعطل عن الإجابة أو أجابك بحواب آخر غير الجواب الحقيقي فبصر بذلك شبيها برجل مرضت رحله فلقلنه الحكم أن يضع عليها لبخة عبث ففهم أن اللبخة هي الدواء الوحيد لكل الأمراض فصار في كل مرض يحيط به يضع اللبخة التي ربما أتت بمصيبة أكبر من الدواء •

ليس الغرض من دراسة التاريخ ملاحظة مدة حكم الملوك وتاريخهم ، بل التبصر في سياساتهم وفي حقيقة الأعمال فنرى مثلا أن هذا كان محبا لوطنه غيوراً وذاك خائناً لئىما فتقننى بالأول ونفض ما شاكل الثاني هكذا تكون الدراسة الحقيقية والا فليس في قدرة أحد منكم معشر الأبناء ان خالف هذه الخطة أن يطبق العلم على العمل ويكون تسه بلا فائدة ان لم تقل قد ضيع حياته دون أن يجنى شيئا •

فعلَيْكم جميعاً أن تطالعوا علومكم مطالعةً الباحث المدقق وإن تعسر عليكم فهم شيء فاسألوا معلمكم عنه فهم يرشدونكم إلى سواء السبيل .

(محاورة بين الأستاذ والتلميذ)

التلميذ : أستاذي الأعظم وملاذي الأكرم .

الأستاذ : ماذا تطلب يا ولدي العزيز ؟

التلميذ : إن عندي بعض أسئلة أوقفتني معرفتها وفي أنها تفيدني كثيراً .

الأستاذ : سل عما تريد .

التلميذ : رأيت البارحة بيد أحد اخواني جريدة علمية اسمها « الفتاة » فأخذتها منه عندما قرأت ما على الغلاف علمت أن سيدة تديرها فتعجبت من ذلك جداً أهل للمرأة قدرة على الانشاء والتحرير كالرجل .

الأستاذ - اعلم يا ولدي أن المرأة مثل الرجل لها مقدرة على الفهم والانشاء وطالما رأينا جرائد وكتب من انشاء سيدات شرقيات عربيات .

التلميذ : إذا كان الأمر كذلك فعل يمكن أن النساء يستخدمن بالمصالح مثل الرجال ؟

الأستاذ : إن قواعد الشرع والأدب تقضى بضرب الحجاب على النساء (بوضع البرقع على الوجوه) فليس لهن أن يستخدمن بالمصالح كالرجل وإنما يكفي أنهن يديرن الشئون المنزلية ويهذبن أولادهن ، (١) .

التلميذ : لك الشكر يا سيدي تلك مسألة علمتها وأريد السؤال عن شيء آخر .

الأستاذ : سل يا بني رعاك الله .

التلميذ : كنت مجتمعاً مرة مع بعض اخواني نتحدث في مسائل علمية وبيننا تلميذ يبلغ من العمر عشر سنوات يظهر عليه أنه من بلاد الصعيد تلوح عليه علامات النباهة وبينما نحن بالجلس وقد صعب علينا حل مسألة رياضية اذ قام ذلك الشاب وشرع في حلها ولم يلبث أن نطق بجملته الأولى حتى أسكتته أكبرنا بقوله :

(أسكت أيها الفلاح أنت مثلنا متمدن أما تحمد الله على وجودك معنا) فبهت الشاب وسكت وعند ذلك أخذتني الشفقة عليه متعجباً من شكل احتقار الفلاح أليس

(١) هذا في الواقع رأيه هو في تعليم المرأة .

مصريا متلنا وعرمت فى الحال على توبيخ ذلك الكبير ، الا انى استحسننت تأخير .
السؤال اليك حتى أعلم الخطأ من الصواب وأعمل الخير وأجنب السوء .

الأستاذ : خيرا ما فعلت يا ولدى وشرا ما عمل صاحبك الكبير لأنه لافرق بين الفلاح والاسكندرى والدمهورى والمنياوى والأسيوطى فالجميع مصريون ملكهم واحد وقانونهم مشترك لا تميز بين هذا وذاك (١) .

التلميذ : اذا كان الأمر كذلك فهل ينأتى أن أحد الفلاحين يستخدم بدواوين الحكومة .
الأستاذ : لا شك فى ذلك أما رأيت أن أعظم الأساتذة والنظار والرؤساء وأغلب الأمراء من بلاد الفلاحين .

التلميذ : أبقاك الله لنا ، قد فهمت المقصود ولكن بما أن الجميع مصريون هل يكون من الصواب أن يقول الانسان أن الحمار وسائق العربى والعالم والجاهل فى درجة واحدة .

الأستاذ : هم فى المعاملة القانونية على حد سواء الا أن بين العلماء والجهلاء من جهة الاحترام والشرف فرق كبير .

التلميذ : ولم الجاهل جهلاء والعلماء علماء .

الأستاذ : ان سبب ذلك هو التعليم فالجهلاء أهمل أمر تربيتهم وتعليمهم والعلماء بالعكس .

التلميذ : حفظك الله لنا سنداً فويماً ووقانا من شر الجهل آمين .

(مكارم الأخلاق)

ان مكارم الأخلاق هى جميع الصفات الجليلة التى تجعل الانسان عظيماً موقراً محترماً محبوباً عند الخالق وعند الناس ، وقد انصف أشرف الأمم وروح الفضائل والكرم سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام بعموم مكارم الأخلاق فكان رقيق الطبع لطيف المعاملة شديد العزم يأمر أصحابه وأمته على لسان شريعته بالاتصاف بتلك المكرّمات التى ذكرها أحد الشعراء بقوله :

| | |
|------------------------------|-----------------------------|
| ان المكارم اخلاق مطهرة | فالعقل أولها والدين ثانيها |
| والعلم ثالثها والتحرم رابعها | والجود خامسها والعرف سادسها |
| والبر سابعها والصبر ثامنها | والشكر تاسعها واللين عاشيها |

وهامى نوردها لك على الترتيب :

(١) وهو ما سعى اليه طوال حياته فيما بعد ، فكان يهدف أن يظهر والوطن كالتين المرصوصين لوجه الاحتلال .

(١) العقل

أعالم أن العقل هبة (هدية) من عند الله سبحانه وتعالى وهبها للإنسان ليرتد أعماله ويرشده إلى طريق الهداية فمن الناس من خالف عقله ففخسر وندم ومنهم من اتبعه وخالف اتباع نفسه (والنفس من طبعها ميالة للشر تأمر الإنسان باتباع شهواته فمن خالفها نال خيرا ومن وافقها نال شرا) فربح وحمد ربه .

فالعقل هو الذى يهتدى المرء إلى طيب الأعمال ، وما هو إلا جوهره حاله كحال الفضة والمعادن النفيسة ، إن ترك وأهمل أمره ضعفت قوته وتأكدت ، وإن اعتنى به بالتربية والتهديب نما وعظمت فائدته ، وهو مصدر مكارم الأخلاق على الإطلاق ، فباتباعه يتبع الإنسان دينه الذى هو أشرف المكرمات (انظر فى العدد الآتى الكلام على الدين وما تأمر به الشريعة من الصفات المطهرة) .

وللعقل أمور تؤيده وأخرى تضر به فالمؤيدة له هى مشاورة العاقل وتجربة الأمور وحسن التثبت والمضرة به هى الاستبداد والتهاون والعجلة . فالمشورة هى صفة جليلة بها يهتدى الإنسان بآراء من هو أعلم منه إلى الصواب ولا يخفى أن فوق كل ذى علم عليم فإذا اقتصر الإنسان على رأيه يعد جاهلا . وقد قال الله سبحانه وتعالى لنبيه محمد الذى هو أكمل الناس، جميعا لكى يعلمنا فوائده المشورة . (وشاورهم فى الأمر) وقد قال حكيم عربى : المشورة عين الهداية وقد خاطر (دفع نفسه فى الخطر) من استغنى برأيه .

وضد المشورة الاستبداد بالرأى وهو أمر قبيح (كما يظهر من محاسن المشورة) نعوذ بالله منه .

وتجربة الأمور هى صفة حميدة تعلم الإنسان ما ينبغى اتباعه فى صغير المسائل وفى كبيرها فلا يخفى أن الدهر لا يبقى على حالة ، فتارة يكون الإنسان غنيا وأخرى فقيرا فمن جرب الأمور عرف دواء الفقر بعمل الاقتصاد (التدبير والتوفير) فى زمن ثروته حتى يعيش كذلك هنيئا فى زمن فقره والتهاون أمر ذميم يبعد الإنسان عن طريق الخبر لأن عمل الأشياء فى أوقاتها ممدوح (وهو ما يسمونه بانتهاز الفرصة) فإن تأخر أحد عن أن يعمل شيئا ما فى زمنه لا يمكنه أن يتحصل على الفائدة المقصودة .

وحسن التثبيت أمر جليل لا تنجح الأمم إلا به ، ومن نركه كان معرضاً لكل أذى
لأنك إذا كنت رئيساً اجبى بلادك ملاً وفد دفاعك عنها وقد أقبل العدو بعسكره
لملاقاةك وتركت إذ ذاك التثبيت في الأمور وموت المعسكر على نفسك فهربت وتركت
جيشك فقد سلمت بيدك قطرك وبأهلك للاممك وغير ذلك من الأحوال العديدة التي
تأتي للمره (وربما لأهله وبلده) بأعظم سوء .

وكما أن التثبيت ممدوح فالعجلة مذمومة وخير الأمور الوسط فلا يجب عليك
أن تكون متهاوناً ولا عجولاً بل كن دنيئاً للفرص مسبباً في الأمور لشال الخبر
والسعود .

الجزء الثاني

يوم الأحد ١ رمضان سنة ١٣١٠ - ١١ برمهات سنة ١٦٠٩
الموافق ١٩ مارس سنة ١٨٩٣

المكرمة الثانية

الدين

أن الله سبحانه وتعالى خص من بين عبده رسلا يهدون الأمم الى طريق الخير وأنزل عليهم الشرائع لاتباعها في سائر الأحوال فمن صدق هؤلاء الهادين في دعوتهم فرضى الله عنه وحباه من لدنه جنة وحريرا ومنهم من خالف ذلك فكان من المغضوب عليهم وتعسست حاله .

وليس من الواجب أنه نصدق النبي في قوله دون أن نتبع أحكام شريعته بل يجب علينا وحبوا حقيقيا أن نتبع شريعته فتأني بما أمرنا به الله على لسان نبيه . على أن في اتباع الشريعة المطهرة من الفوائد الدنيوية والأخروية ما لا يمكن حصره مطلقا كنف لا وهي التي تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر وهي التي تجلب رضا الله على العبد ورضا الناس على بعضهم وهي التي تأمر بمكارم الأخلاق جميعها فتأمرنا بالتقوى والتعاون والصبر والحلم والعدل . الى غير ذلك مما ستراه بأوضح بيان .

ومعلوم أن اتباع الشريعة أمر سهل حين لأن نتائجها من أشرف الأمور وأجلها لانحصار السعادتين الدنيوية والأخروية في اقتنائها وهاكم معشر الأبناء شهر الصيام قد أقل فحواه أجل تحية بالصيام والصلاة وفعل المبرات فهو أمر في طاقتكم لأنكم ان قسم به في الصغر تعود نموه في الكبر وصبغتم أنفسكم بصبغة الدين فتعظون بخبري الدنيا والآخرة وتناولون من لدن ربكم مكانة علماء وكونوا على وفاق تام في سائر الأمور فقد قال الخالق حل شأنه وتعاونوا على البر والنقوى وقال أيضا انما المؤمنون أخوة .

(الجواهر السنية)

« في نظام الهيئة الاجتماعية »

ذلك اسم الكتاب عزمنا على تأليفه (لم يؤلف بعد) في النظمات العمومية للهيئات الاجتماعية نأني هنا على خلاصته افادة للمبتدئين .

(الباب الأول) « أصول أولية »

لو تأمل الانسان قليلا الى أهله وذويه وإخلائه وأصدقائه وقومه ومن يحيط به من كل جانب ثم التفت الى الحيوانات العجم وحالها واجتماعها وانحادها وإتلاف كل فريق منها ونظر بعد ذلك لصغار الدواب ونمصيبها وانحادها في السير وجلب الغذاء وتوحيد المسكن للكثير ، لشاهد من خلال ذلك حكمة بالغة وسرا عجيبا للخالق في مخلوقاته ، ألا وهو الاجتماع ، ذلك الأمر الذي لايتأتى انحلال عراه أو انفصام حبل اتصاله لأن كل المخلوقات الحية في حاجة عظيمة اليه ، وعدمه مستحيل لأن كل حي خاى ضعيفا لاسيما الانسان الذي بمفرده لايمكنه أن يقوم بعمل أى شيء ولذلك يقول أغلب الفلاسفة (الانسان مدنى بالطبع) أى أنه طبع على حب المدنية أى الاجتماع مع أبناء جنسه للتعاون والتعاقد في المعاش .

ولكن لما كان من أصعب الأمور أن ذلك الاجتماع لا يخاو عما يكدره من النزاع والخصام والسلب والنهب والقتل الى غير ذلك دعت الحاجة الى تقسيم الناس الى قسمين : حكام ومحكومين أى هيئة حاكمة وهيئة محكومة وأعضاء الهيئة الحاكمة يجب أن يكونوا من ذوى الفضل والذكاء ، حتى يمكنهم أن يحسنوا ادارة الأعمال . ولكن ربما يقوم بالفكر في هذا الموضع ان تكوين هيئة حاكمة وهيئة محكومة اجحاف وظلم لما أن عموم الناس متساوون ، لا فرق بينهم في الحقيقة . لكن نقول أنه لو تركت الناس لا حاكم يحكمهم ولا رئيس يفصل بينهم عند الخصام لتلاشى البشر وانقضت دعائم الأكوان لما يقع من سفك الدماء بين الناس وحب الانتقام وتغلب القوى على الضعيف والغنى على الفقير .

من ذلك كله نرى أن وجود هيئة حاكمة ضرورى جدا والا تكون نتيجة الاجتماع خرابا بدل أن تكون عمرا .

وتلك الهيئة الحاكمة التي روعى فيها الصدق والأمانة تنقسم الى قسمين : قسم يصع القوانين والأصول التي يجب اتباعها وقسم ينفذ تلك . فالأول يسمونه

(القوة التنفيذية) (١) أى الذى سفدها وذاك القسم الثانى يشتمل على قسمين :
قسم يحكم بين الناس وهو المحاكم (أى القوة القضائية) (٢) وقسم يدير الأعمال
وينفذ أحكام ناك المحاكم وهو (القوة الادارية) (٣) .

إذا علم كل ذلك بفى عليك أن نعرف أن هذين القسمين العظيمين (القوة
التشريعية والقوة التنفيذية) وفروعهما محكومان بسلطة رجل واحد وهو أمير القوم
أى رئيس السعبد (الأمة) وهو فى حكومتنا المصرية سمو الخديو المعظم وأعلم أن
الخديوية المصرية ورائه للأكبر فالأكبر من أولاد الأمير .

محاورة بين الأستاذ والتلميذ

(ملاحظة عامة - من يضع لنا من تلامذة المدارس الابتدائية المشركين فى
جريدتنا هذه المحاورة فى قالب مقالة تقع لدينا موقع الاسنحسان نرسل اليه
مكافأة نفيسة جدا وإذا تعددت الرسائل على شرط أن لا تتأخر عن الثامن عشر من
هذا الشهر يخصص ثلاث مكافئات للجنة من أوائل المجيدين .

أما التلامذة الذين لم يشتركوا لكنهم يودون ذلك فيكون لهم الحق فى هذه
المكافأة الجليلة ان أرسلوا طلبات الاشتراك مع القيمة قبل الخامس عشر من هذا
الشهر) .

الأستاذ - هل قرأت جريدة (المدرسة) يا أحمد .

التلميذ - قرأتها يا سيدى !

الأستاذ - هل فهمت ما بها ؟

التلميذ - فهمته جيدا الا أنه تعسر على فهم جملة مكتوبة على الغلاف .

الأستاذ - ما هذه الجملة ؟

التلميذ - هى قول الحكيم (حبك مدرستك حبك أهالك ووطنك) .

الأستاذ - لم لم تفهمها ؟

التلميذ - لأنى لا أعرف لكلمة الوطن معنى .

الأستاذ - وما يظهر لك من وضع هذه الجملة على الغلاف ؟

التلميذ - يظهر لى أنها جملة مهمة .

(١) وهى السلطة التشريعية فيما بعد .

(٢) السلطة القضائية .

(٣) السلطة التنفيذية .

وهذه أولى محاولاته وهو بعد شاب صغير لطلب الحياه الديمقراطية .

الأستاذ - وإذا كانت مهمة فلماذا تأخرت عن أن تسألني عنها ؟

التلميذ - قد عافنى عن ذلك مرض أحد أقاربي والا فاني مولع بمعرفة كل الأشياء
لا سيما المهمة .

الأستاذ - لك العذر يا أحمد هذه المرة ولكن أوصيك أن لا تأخر مطلقا عن أن
تسألني فيما يصعب عليك فيه وما انا أعرضك الآن معنى كلمة الوطن فأقول :

تعلم جيدا يا ولدى أن لك عائلة مكرمة من أهلك وأهلك وأخوانك
وأقاربك وخدمك يعينك الجمع معا كما أن لكل شخص في الدنيا عائلة منكم غالبا
يعيش فيها فمجموع تلك العائلات على اختلافها التي في القاهرة والاسكندرية ودمياط
ورشيد والمنصورة وطبعا واسسوط وسمرقند الخ . وفي البلدان والقرى والى
غير ذلك يكون القطر المصري الذي هو ذلك والذي يجب عليك أن تحبه أكثر مما تحب
عائلتك التي تعيش فيها .

التلميذ - وهل لكل شخص في الدنيا وطن ملى ؟

الأستاذ - نعم لكل شخص وطن فيقال ريد من الناس عربى أى أن وطنه بلاد العرب
وخالد تركى أى أنه وطنه بلاد الترك وعمر سودانى أى أن وطنه بلاد
السودان . الخ .

التلميذ - وإذا كانت بلاد مصر وطنى فلماذا يجب على أن أحبه وإذا لم يكن بد من
حبه فكيف يكون ذلك ؟

الأستاذ - يجب عليك ان تحبه لأنه كأم نحنو عليك وعلى غيرك من أبنائه فجميع
العائلات المكونة له نستشوق حواءه ونأكل ثداء واحدا نشرب ماء كذلك
واحدا وهو ماء النيل السعيد فهم كأحوة أهم الوطن ومعنى حبك له أن تسعى
فى نفعه وجلب الخير اليه .

التلميذ - وماذا يحصل لو أهل اسان أو بلادة محبته وبركوه وراء ظهورهم ؟

الأستاذ - يحصل ضرر عظيم لانهم يكرنون بمسابة داء ينتشر عدواه الى غيرهم فضلا
عما عساه يحصل للاردان من الدخ ان لم يهملوا محبه .

التلميذ - عظيم ولكن ربما نأنى محبه ضرر جسيم للانسان !

الأستاذ - لا بأس بذلك الضرر فانه عند محبى الوطن الذى شيء لأنهم ينفعون آلافا
مؤلفة من الناس فى جانب ضرر شخص أو شخصين أو عائلة .

التلميذ - لقد ظهر لى ياسيدى من كلامك أن محبة الوطن من الواجبات الانسانية
وانى أعتبر من الآن من بعصر فى محبه وطنه أكبر خائن وأعظم مجرم وكيف

لا يكون أعظم مذنب وهو منكر للجميل عاصى لوالدته الكبرى التى ربته فى المهدي
صبيبا ؟ ولكن كيف يمكن الانسان ياسمدي أن يخدم وطنه خدمة صادقة جدا .

الاستاذ - أما الكبير فيجب عليه أن يقوم بما عهد اليه من الخدم بالذمة والصدق
وأن يسعى فى نشر المعارف وتعميم التربية والتهذيب بين الأمة والدفاع عن
الوطن بقدر ما يمكنه وأما الصغير فيجب عليه أن يعمل- بقول الحكيم - (حبك
لمدرستك حبك أهللك ووطنك) .

التلميذ - أى يحب مدرسته .

الاستاذ - نعم .

التلميذ - وكيف يكون ذلك ؟

الاستاذ - يكون بالمواظبة والاجتهاد فى الدروس والطاعة والامتنان لرؤسائه
ومعلميه .

التلميذ - ولم ذلك .

الاستاذ - لأنه منى كان كذلك أمكنه أن يخدم وطنه فى الكبر بمعرفته ومعوماته التى
حصل عليها فى الصغر .

التلميذ - وهل المواظبة والاجتهاد والطاعة كافية فى حب الوطن .

الاستاذ - نعم كل ذلك مع حب الفضيلة والحقيقة والسعى فى اتقان معرفة اللغة
الشريفة العربية .

التلميذ - وما معنى حب الفضيلة والحقيقة ؟

الاستاذ - معناه أن يكون الانسان منزه النفس بعيدا عن الأغراض غير الشريفة على
الهمة يقول الحق منى وجد اليه سبيلا مراعبا فى كل ذلك الآداب .

التلميذ - وهل ياسمدي يجب على أن اتقن معرفة اللغة العربية أكثر من غيرها
واذا كان فلم ذلك ؟

الاستاذ - نعم يجب عليك اتقانها أكثر من غيرها لأنها لغتك الشريفة التى أنزل بها
القرآن المعمول بها فى البلاد .

التلميذ - وإذا أتقنت معرفتها يجب على أن أتكلّم بها دائما ؟ .

الاستاذ - ولم لا .

التلميذ - كيف ذلك وانى أرى أغلب الناس يتكلم باللغة الدارجة ؟

الأستاذ - ان تكلم الناس باللغة الدارجة لا يسمع من تكلمك أنت ورفقاؤك باللغة العربية الصحيحة .

التلميذ - لكن اذا تكلمت باللغة الفصحى مع العوام ربما لا يفهمها أحد .

الأستاذ - كيف تقول ذلك وأنت تعلم يا ولدي أن البلاد المصرية قد انتشرت فيها الصحف والجرائد العربية انتشارا عظيما وكلها مكتوبة باللغة الفصحى وأغلب الأفراد يقرأها كل يوم ومعهم ما بها جيدا .

★ ★ ★

الجزء الثالث

يوم الثلاثاء ١ شوال سنة ١٣١٠ و ١١ برمودة سنة ١٦٠٩
الموافق ١٨ ابريل سنة ١٨٩٣

الجواهر السنية فى نظام الهيئة الاجتماعية

الباب الأول

أصول أولية - تابع ما قبله

ذكرنا لك فى العدد الماضى تقسيم الناس الى قسمين هيئة حاكمة وهيئة محكومة وقسمنا لك الهيئة الحاكمة الى فونين قوة تشريعية وقوة تنفيذية ولعلك نسأل الآن عن انطباق هذه الحالة على جميع البقاع وسائر الجهات وتشفع ذلك بالسؤال عن تاريخ وجود هذه الحالة وهل ابتدأت من النشأة الانسانية أم ابتداءها قريب العهد بنا فتدعونا الى التكلم عن تاريخ الاجتماع والعائلات بعبارة مختصرة وما كانت عليه من قبل وما هى عليه الآن فنقول .

اعلم أيها القارئ رعاك الله أن الهيئة الاجتماعية أساسها العائلة والعائلة هى اجتماع بعض أشخاص تجمعهم جامعة القرابة أو اللفة للتعاون على نيل المآرب فى هذه الحياة الدنيا فلو تأمل كل فرد منا فى هذا التعريف ونظر الى عائلات المجتمع الانسانى لراى أنها تتكون فى الغالب من أب وأم وأجداد وأخوة وأخوات وأقارب وخدم ولو نظر بعد ذلك فى أساس هذه العائلة لشاهد أنه الزواج الذى هو اجتماع ذكر وأنثى على حسب قواعد الشريعة المطهرة بقصد التعاون فى المعاش والنسل لتكوين عائلة فمن ثم نرى أن الزواج أساس الاجتماع الانسانى كله ولذلك كان من أعظم العقود البشرى وجوب على المرء أن يعنى بأمره كل الاعتناء فيلزمه أن لا يتأهل الا بروجة شريفة أحسن أهلها تربيتها بدون مراعاة النروة أو علو الصيت لأنه لو راعى ذلك وترك اعتبار التربية والتعليم لوقع فى أكبر المصائب وأضر بسبله صررا فاحشا حيث يشب قليل الأدب جاهلا حسب ما عودته أمه فى الصغر أى فى مدرسته الأولية التى هى أجل مدارس الحياة .

هذا ما يجب على الزوج قبل الزواج أما ما يجب على الزوجين فى آن واحد فهو الصدق والمساعدة ولطف المعاملة بينهما فعلى الزوج أن يحمى ويساعد زوجته وعلى الزوجة الامسال لأوامره على الاثنين أن يعنبا أسد الاعتناء بتربية أولادهما ويكون ذلك باللين والرفق لا بالعنف والشدّة عليهما أن يبعداهم عن الخسائس والردائل ويقرباهم من الفضائل والكمالات وأن يفرسا فى فلوبهم من الصغر محبه أوطانهم

والدب عنها وعليهما أن يادرا بادخالهما المدرسة متى جاءت السن التي فيها يعلمون .

وخلاف تربية الاطفال يجب على الزوج أن ينظم المعيشة على قدر ما يكتسبه سواء كان ذلك الكسب يوما أو أسبوعا أو شهريا وعلى الزوجة أن تنظم المنزل وتسهل النوفر والتدبير غير المضر .

وفي كل حال يلزم تعادل المصروفات المحصلات دون أن يعوقها ولا بأس من أن تكون أقل منها :

إذا فهمت مامر وعلمت أنك ستكون يوما من الأيام رئيس عائلة ورب بيت وجب عليك أن تعرف واجبات رئيس العائلة وهي :

يجب على رئيس العائلة أن تكون دمت الأخلاق يعامل جميع أفراد عائلته بالاطف والحسنى وأن يؤدي ما عايه من الحقوق نحو أبويه وزوجته وأبنائه وأن يصرف في المنزل مكسبه (لأن الرجل الذي يصرف ما يكتسبه في اللهو خارج بيته حبان غبي) وأن لا يسيء معاملة زوجته .

هذا ما يجب على رئيس العائلة واما ما يجب على الولد في العائلة فهو أن يحصل في محبة أقاربه وأن يحترمهم ويطيعهم وأن يظهر لهم فرحه وترحه ويقر لهم بغلطاته وهفواته ان وقع منه شيء من ذاك وأن يساعدهم في كبره ان احتاجوا للمساعدة وأن يحب اخوته واخواته وأن يحن اليهم ويلطفهم وأن يحافظ على شرف عائلته ما استطاع وأن يتجنب النزاع والخصام بينه وبين أفراد العائلة .

هذا نظام العائلة وواجباتها وحقوقها والآن بقي علينا أن نشرح لك تاريخ العائلات والاحتماع .

محاورة بين صديقين

عبد الخالق - كيف حالك أيها الصديق العزيز أمسرور أنت من المدرس - ومعلمها .

محمود - والله يا أخي ان حالي أسوأ حال لأنه لا يمر على يوم أو يومان الا وأوبخ وأزجر من الأساتذة أمام جميع التلامذة .

عبد الخالق - وما السبب في ذلك .

محمود - ان السبب كما يدعون هو عدم حفظي للدرس .

عبد الخالق - ولم لم تحفظ دروسك وأنت كما أرى ذكي نبيه .

محمود - انى أحفظها جيدا ولكن المعلمين والضباط يكرهوننى وبودهم أن ألقى
فى سر المصائب .

عبد الخالق - ياللعجب أنبغضك يا أحنى الأسانده والضباط بلا سبب ؛ لآب
أنك سسىء الأدب معهم أو مقصر فى حفظ دروسك .

محمود - وهل يصدق اننى سبىء الأدب أو مقصر فى حفظ الدروس .

عبد الخالق - واذا كان يصعب عليك أن أصدق أنك سبىء الأدب أو مقصر فى
واجباتك أفلا تستعظم انى أنسب للأسانده والضباط الطلم والاجفاف .

محمود - أن من البيان لسحرا لئله أوقفننى بحججك القوية عن أن أجيب .

عبد الخالق - ان من المفرر فى الأذهان ان الذى يلفق القول ويطلو الأمور بطلاء
الخداع والبهتان لابد أن يكون كاذبا غير صادق محتالا على بلوغ أمر وأنت قد نوعت
الكلام وسببت المعلمين والضباط للظلم وهذا أمر خطر فقل لى بالله عليك ماذا
تقصد وما تنوى ؟

محمود - لقد أجبرتنى يا صديقى بما نطفت به على أن أظهر لك ما يكنه
صمى وما ينطوى عليه فؤادى فاعلم انى أود الخروج من المدرسة والانضمام الى أحد
مكاتب المحامين لأتمرن على الأعمال وبعد ذلك أفسح لى مكتبيا مستقلا وأكون مدرها
(محاميا) واحال على ضعفاء العقول فأسلب أموالهم وأطرح من كبار الأغنياء .

عبد الخالق - أعوذ بالله مما بوب عليه لعمرى انى لم أسمع من مجنون أحقق
فى حياته قولا مثل قولك لأنه كله مبنى على الغش والدناءة وانى أخشى عليك من
تفنى أفكارك فتصبح أسوأ الناس حالا مع أنك لو انعت نصائحى أيها الصديق
لبلغت المرام ولكن أخاف أن أحهد نفسى فى القول ولا أحد منك أذا أنا صاغمة
وقلبا واعيا .

محمود - قل تجدنى لك مطبعا .

عبد الخالق - أقسم .

محمود - بمن أقسم .

عبد الخالق - أقسم بالوطن العزيز فالقسم به عظيم .

محمود - أقسم بوطنى العزيز وبلادى التى لها على أجل فضيل انى متبع نصيحتك
يا أحنى .

عبد الخالق - اعلم أن الطريق السهل يوصل الى المرام بسهولة كالطريق الوعر
فانه يوصل بعد تعب شديد بصعوبة وأنت قصدت طريقا بضر بك أكبر مما ينفعك

وهو أنك أردت أن نستعمل في الحصول على المعيشة طرق الاحتيايل والخداع (وهي
لعمري أفبح الطرق) عوضا عن أن تستعمل طرق الشرف والذمة على أنك اعزمت أن
تكون محاميا وهي مهنة شريفة حائلة لا يفرح بابها الا كل فاضل أديب طاهر الذمة
سريفي المقاصد لأنه يفاضل عن الحق لا عن ضده * هذا وامي على ما أرى أن التلميذ
الذي ينعم دروسه في المدارس ثم يجه الى أى مهنة ساءها يبال الخير ويبلغ أقصى
المراتب العلية *

محمود - كلامك كله بحكم ودرر ولكن قل لي يا عربي لقد عزتني بأقول
وشددت علي في ذم استعمال الاحتيايل بدل الشرف ألس القصد هو الحصول على
المعيشة بأية طريقة كانت *

عبد الحالى - كيف ذلك يا أخى أترض نفسك أن تحصل على معاشك بطرق
الاحتيايل بحيث أنك ترى غورك يحصل على معيشته بطرق الشرف أيتساوى عندك
سارق محتال وفاض جليل *

محمود - كلا *

عبد الخالى - اذا كنت تقول كلا فما بالك بعدت عن الحق وزغت عن الصدق *

محمود - دعني من المناسب وهل لي نصيحتك التي تحتتم على سماعها
والعمل بها *

عبد الحالى - أن من رأيي أن نعمل وتجد وسنمر في المدرسة ونداوم على طاعة
الرؤساء والمعلمين * ومتى نمت الدراسة ونلت شهادة الحذاقة الثانوية (أى شهادة
البكالوريا (١) ندخل في أى مدرسة عالية نرغب فيها *

محمود - لك السكر يا أخى على ما أبديت من الصائح الجليلة الصادرة عن
عقل وحكمة * وكى على نقمة من أنى سابعها وعن قريب برانى التلميذ الأول من فرقتي
أن شاء الله تعالى *

صفائح الأمور تولد كبائرها

لو تأمل الانسان في المخاوف وحالتها وأصلها بل وفي سائر الأمور وكيفية
أسبابها علم أن للخالق في الكون أسراراً وحكماً يبعد فكر المرء عن أن يحيط بها
وتقصر المذكرة (٢) : لانسانة عن أن ندركها بأسرها منها أن صفائح الأشياء تولد

(١) كان يحصل عليها التلميذ بعد دراسة أربع سنوات بعد حصوله على شهادة انمام الدراسة
الابتدائية التي كانت مدة الدراسة فيها أربع سنوات كذلك *

(٢) يقصد ذاكره الانسان أى عمله *

كباثرها ودليل ذلك كل ما في العالم ، ألا يرى أن الإنسان كسائر الحيوانات كان في المبدأ نطفة ثم علقه والنبات كان بذرا صغيرا والجماذ منشأه درة حفرة . ذلك ابن آدم الذي يعمل الأعمال الجسيمة ويشيد المباني العظيمة ويتسلط على سائر الحيوانات والدواب ، فيستخدمها أنى شاء الله . منى أراد بل ويكون طوع يديه كل ما خلقه الله من غير جنسه الانساني : أصله نطفة . ونلك التمار اللذيذة والفواكه الجليلة والحضر أنواعها الأصل فيها بذرة حقيقية لا فبة لها . وهذه الفصور الهائلة والدور الشاهقة التي يقطب بها ابن حواء وقومه أصاها حجر واحد بل ذرة واحدة . ومع هذا لو نظر الإنسان الى الأشياء الخارجية لرأى ذلك السر وتلك السسنة فيها جارية على محول الانتظام بلا اختلال . فرب رجل واحد كان سببا في حقن دماء ألوف مؤلفة من أكابر الفرسان ورب نزاع بين صغيرين يسبب قتالا بين قبيلتين ورب قطعة من الصوفان نسب حريقا هائلا تقومه آلاف من الدراهم ورب باب مفتوح ينشأ عنه سرقة منازل شتى الى غير ذلك مما لا يدخل تحت حصر وعد . والعاقل العاقل من يعتبر بتلك الحكم الباهرة ولا يجعل التواني له خليلا ولا التقصير زميلا لئلا يقع في مهاوى الخسران ويندم حين لا ينفع الندم .

الجزء الرابع

يوم الأربعاء ١ ذى القعدة سنة ١٣١٠
و ١٠ شمس سنة ١٦٠٩ الموافق ١٧ مايو سنة ١٨٩٣

أدوار الحياة

للحياة البشرية أدوار مختلفة يفضيها الانسان بأشكال متنوعة وأعمال متميزة يمكن حصرها تحت أربع وهي الطفولة والشبيبة والرجولية والكهولة .

فدور الطفولة هو الدور الأول الذي يبتدىء من يوم ولادة الانسان وينتهى في السنة الرابعة عشرة من عمره فبكون فيه صبيا غلاما ثم يافعا حتى اذا صار حزورا (١) انتقل من هذا الدور الى تاليه .

ودور الطفولة هذا هو الدور الذي عليه يدور سعادة المرء أو سُقاؤه ففيه المهديب المبدئي والتعليم الأولى الذي متى أتقن وأحسن نتجاً الطفل وقد تاهل لتلقى العلوم السامية ودرس الأخلاق الكاملة . وهو دور ليس على الطفل فيه واجب بل كل الواجبات على والديه فهما المنوط بهما تربيته أكمل التربية الجسمية والعقلية فالجسمية بمراعاة الصحة والنظام في الغذاء، والعقلية بعدم مخالطة الأوباش (٢) الذين يعودونه التقاؤى والقبائح كأن يوحوا اليه أن سبب هذا ولا حرج عليك اليوم فأنت صغير فينشأ الطفل قليل الأدب عديم التربية يسب كل من قابله ويفوه بأسفل الأقوال وأهله ضاحكون حتى اذا حان وقت ادخاله المدرسة تهاملوا في الأمر تحت حجة صغر سنه فبشت ويشيب جاهلا قليل الحظ سييء الحال لا يجد من نفسه رادعا ويسرى الداء منه الأولاده فبكون رئيسا لعائلة أعضاؤها في الجهل يرتعون .

هذا اذا تهامل الأهل في تربية الولد . ذلك الأمر الذي هو قوام سعادته ودعامة حسن مستقبله . وأما ان اهتموا به وأعاروه جانب الالتفات فقد أعدوا لنسلهم بذلك مستقبلا حسنا وحظا وافرا بل ولنسل نسلهم وسائر الذرية .

وغاية القول أن هذا الدور هو أهم الأدوار وأجلها لما له من عظيم الأهمية وجليل المزية .

(١) رجلا .

(٢) غير المؤدبين من البشر

ودور الشببية يبسدى من غابة الدور الأول وينتهى فى ما بين الثلاثين والأربعين وهو الدور الذى فيه يتعلم ما أعد له من فن أو صناعة أو حرفة تخدمه لمعاشه ولنفعه أهله وبلاده والشباب منوط به فيه الطاعة والامتنال لأوامر أولياء أمره الذين عليهم نجاحه وفلاحه كما أنه يجب عليه أن لا يقصد فيه الا العلم والعمل والكسب والجد فى تحصيل نفائس المعارف وذخائر العلوم والآداب وقد يتم التلميذ فى الغالب دراسه فى منتصف هذا الدور الزاهر ويقضى النصف الآخر فى تحصيل معاشه بنفسه فيهمل بما تعلم فى مدارس التهذيب . وأغلب الشبان تتم هذا الدور بالزواج ولا يفوتك ما ذكرناه فى العدد الماضى من وجوب الاعناء بذلك الأمر وحسن انتقاء الزوجة .

أما دور الرجولية فيبتدىء من غاية السلف وينتهى بين الخمسين والستين وهو دور الشغل والعمل الذى يعيش فيه الانسان اما هنبتا ان كان قضى الدورين الأولين خير فضاء وأما سقيا ان كان قد قام بضد ما يجب وفى هذا الدور يوهب الانسان غالبا التسبل والذرية وتقصد بذكر ذلك أنه ملزم فيه بمزيد تربيتهم كما قدمنا .

وهذا الدور هو الذى بنسنى للانسان أن يقدم فيه أجل الخدم ولوطنه العزيز ولا نقصد بذلك أن غبره من الأدوار خال عن هذه الغاية بل انه دون غيره أكثر استعدادا لنادية هذه الخدم .

وآخر الأدوار دور الكهولة (١) وهو الدور الذى يبلغ فيه المرء من الكبر عتيا فيسنريح فيه من الأعمال ويقضيه فى معالجة أمراض الشيخوخة حتى تأتية المنية فينتقل الى الدار الآخرة هنيئا بما فعل ان كان خيرا وعليه غضب من الرحمن ان كان شرا والسلام .

(١) هذا تقسيم مصطلحى كامل وان كان يخالف الآن التماسيم التى تقوم على مقاييس ومعايير وضعها علماء النفس والتربية .

الجواهر السنية في نظام الهيئة الاجتماعية

الباب الأول

أصول أولية - تابع ما قبله

« وَقَدْ اسْتَمَرَّتْ كُلُّ عَائِلَةٍ مُنْفَصِلَةً عَمَّا سِوَاهَا عَائِشَةً بِنَفْسِهَا زَمَنًا مَدِيدًا قَضِيهِ فِي الصَّيْدِ أَوَّلًا ثُمَّ فِي حِفْظِ الْحَيَوَانَاتِ النَّافِعَةِ وَالْقِيَامِ بِخِدْمَتِهَا ثَانِيًا حَتَّى إِذَا دَعَتْهَا الْضَّرُورَةُ لِلانْضِمَامِ وَتَكْوِينِ قِبَائِلَ كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا رَئِيسَ مَخْصُوصٍ • وَكَانَ ذَلِكَ الْانْضِمَامُ عَنَوَانًا عَلَى تَشْكِيلِ الْحُكُومَاتِ الَّتِي ابْتَدَأَ بَعْدَ هَذَا الْحِينِ بِقَلِيلٍ • وَالْمُعَامَلَةُ فِي ذَلِكَ الْعَهْدِ كَانَتْ عِبَارَةً عَنِ مِبَادِلَةِ الْحَاصِلَاتِ الْمَوْجُودَةِ عِنْدَ بَعْضِ الْقِبَائِلِ وَالْمَفْقُودَةِ عِنْدَ الْبَعْضِ الْآخَرِ بِبَعْضِهَا وَتَشْكِيلِ الْحُكُومَاتِ اسْتَعْرِقَ أَجْيَالًا طَوِيلَةً لَا يَمْنَا الْآنَ تَارِيخُهَا بَلْ غَايَةُ مَا نَعْلَمُهُ أَنَّ الْحُكُومَاتِ تَبْقَسَمُ فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ إِلَى ثَلَاثَةِ أَقْسَامٍ جُمْهُورِيَّةٍ وَمَمْلُوكِيَّةٍ مُقَيَّدَةٍ وَمَمْلُوكِيَّةٍ مُطْلَقَةٍ • فَالْجُمْهُورِيَّةُ هِيَ مَا كَانَتِ الْهَيْئَةُ الْمَحْكُومَةُ فِيهَا مُنْتَخَبَةً لِلْهَيْئَةِ الْحَاكِمَةِ مِنْ أَوَّلِهَا لِآخِرِهَا وَفِيهَا الْقَوَاتِنُ التَّشْرِيعِيَّةُ وَالتَّنْفِيزِيَّةُ •

وَالْمَمْلُوكِيَّةُ الْمُقَيَّدَةُ هِيَ مَا كَانَتِ الْقَوَاتِنُ التَّشْرِيعِيَّةُ وَالتَّنْفِيزِيَّةُ فِيهَا خَاضِعَتَيْنِ لِسُلْطَةِ الْمَلِكِ وَمُنْتَصِبَةٍ فِي الْغَالِبِ وَرَاثِي أَيُّ يَنْتَقِلُ الْمَلِكُ مِنَ الْآبِ إِلَى الْإِبْنِ وَمِنَ الْإِبْنِ إِلَى ابْنِ الْإِبْنِ وَهَكَذَا •

وَالْمَمْلُوكِيَّةُ الْمُطْلَقَةُ هِيَ مَا كَانَ الْمَلِكُ فِيهَا مُطْلَقَ التَّصَرُّفِ مُصَدِّرًا لِلتَّشْرِيعِ وَالتَّنْفِيزِ • وَلِكُلِّ نَوْعٍ مِنْ هَذِهِ الْأَنْوَاعِ أَحْزَابٌ وَأَنْصَارٌ يَمِيلُونَ إِلَيْهِ وَيُقْضُونَ عَنْ غَيْرِهِ وَأَكْثَرُ الْأَنْوَاعِ انْتِشَارًا وَأَحْزَابًا هُوَ الثَّانِي مِنْهَا وَهُوَ الَّذِي جَرَى عَلَيْهِ نِظَامُ حُكُومَاتِنَا الْإِسْلَامِيَّةِ بِمُقْتَضَى شَرِيعَتِنَا الْمَحْمُودِيَّةِ مِنْ يَوْمٍ مَا أُنْزِلَتْ إِلَى الْآنَ • وَحَقِيقَةُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَوْ تَأَمَّلَ فِي الْحُكُومَةِ الْجُمْهُورِيَّةِ لَرَأَاهَا عَرْضَةً لِلْإِخْطَارِ أَنَّ تَقَدُّمَ خُطْوَةٍ تَأَخَّرَتْ خُطَوَاتُهَا وَإِنْ ارْتَفَعَتْ بِصُعُوبَةٍ انْخَفَضَتْ بِسَهُولَةٍ كَمَا أَنَّ الْحُكُومَةَ الَّتِي فِيهَا السُّلْطَةُ مُطْلَقَةٌ لِلْمَلِكِ تَكُونُ مَرْكَزًا لِلظُّلْمِ وَمَحَطًّا لِلْإِجْحَافِ بِخِلَافِ الَّتِي اسْتَحْسِنَاهَا قَانَهَا مُجْلِبَةً لِلْعَدْلِ وَمَوْضِعَ النُّقْدِ وَالنَّجَاحِ •

وَاعْلَمْ أَنَّ حُكُومَتَنَا الْمَصْرِيَّةَ هِيَ مِنَ الْحُكُومَاتِ الَّتِي مُنَحَتِ الشُّرُورُ (١) •

(١) كَانَ قَدْ صَدَرَ الْأَمْرُ مِنَ الْحَدِيدِ فِي أَوَّلِ مَآيُو ١٨٨٣ بِتَشْكِيلِ الْهَيْئَاتِ النَّيَابِيَّةِ الْآتِيَةِ : مَحَالِسُ الْمَدِيرِيَّاتِ - مَحَلِسُ شُورَى الْقَوَائِنِ - الْجُمُعِيَّةُ الْعُمُومِيَّةُ وَهِيَ وَإِنْ كَانَ لَهَا شَكْلُ الشُّورَى إِلَّا أَنَّهَا كَانَتْ اسْتِشَارِيَّةً فَقَطْ •

وزراسها أمير جليل هو خديويها وسيدها • تنبع دولة اسلامية عظيمة الجاه قوية
حصينة الا وهى الدولة العلية الخافق على نواحيها العلم العمانى الجليل •
(الى هنا اسهى الباب الاول من الكتاب وسنبتدىء بالباب الثانى فى العدد
الانى وينحصر الكلام فيه على القوة التشريعية) •

محاورة بين صديقين

اولهما صغير وثانيهما كبير

حسن (بعد السلام) - قد مضت مدة طويلة لم اتنعم فيها بمشاهدة سيدي
وصديقى الاجل •

عبد الفتاح - لقد كنت مسافرا بالبلد لقضاء بعض مصالح خصوصية •

حسن - الحمد لله على سلامتك يا اخى • ايسمح لك الزمن أن نتجاذى معى قليلا •

عبد الفتاح - انى فى خدمتك مدى الايام •

حسن - حفظك الله وحرسك • لقد سمعت بالأمس بعض الناس يقول (لقد فتح
معرض شيكاغو يوم الاثنين أول شهر مايو الجارى ولايد أنه سيكون فى غاية
الحسن والجلال مزدحما بالافاضل من كل جانب) فاندعشت من سماع هذه
الجملة لشدة غرابتها على سمعى فقل لى رعاك الله ما هى شيكاغو وما هو المعرض
ولماذا سيكون مزدحما بالناس • انى غاية ما أظن أنه مولد كمولد بلدتنا •

عبد الفتاح - ان المعرض هو عبارة عن محل تعرض فيه الأشياء فمعرض شيكاغو هذا
هو معرض اقامته الحكومة هناك فى هذا العام تعرض فيه أغلب مصنوعات
الدنيا وتشاهد فيها عجائبها ولذلك ذهب الكثير من أعظم الأمراء لمشاهدته •

حسن - اذا هو عبارة عن سوق عظيمة تعرض فيها الأشياء •

عبد الفتاح - نعم انها سوق عظيمة كثيرة الشوارع والنواحي تعرض فى كل ناحية

من نواحيها مصنوعات مملكة وفيها مندوبون من كل حكومة تنوب عنها •

حسن - وما هى شيكاغو •

عبد الفتاح - ان شيكاغو هى احدى مدن أمريكا الشمالية •

حسن - انى لا أعرف أمريكا الشمالية أوجد غير مصر وبلاد العرب والتركبة (تلك
البلاد التى درسناها فى المدرسة) بلاد أخرى •

عبد الفتاح - نعم يا اخى يوجد بلاد أخرى كثيرة •

- حسن - اذا كان الأمر كذلك فارجوك أن تعرفنى بماهية هذه البلاد .
- عبد الفتاح - أعلم أن هذه الدنيا خمسة أقسام (أى خمس قارات) :
- أفريقيا التى منها وطننا العزيز (مصر) وبلاد تونس وطرابلس والجزائر ومراكش .
- وأوروبا التى منها الدولة العلية والروسيا وفرنسا .
- وآسيا : التى منها بلاد العرب (وهى مسقط رأس سيد الأمم ومصدر الفضل والكرم سيدنا ونبيينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام) والهند والصين واليابان .
- وأمریکا وهى قسمان : (شمالية) ومن ضمن حكوماتها الولايات المتحدة التى فيها شيكاغو و (جنوبية) .
- والجزائر الأوقيانوسية التى منها استراليا .
- حسن - الآن علمت الدنيا وأقسامها ولكن هل كل هذه الأقسام متصلة ببعضها .
- عبد الفتاح - ان بعض القارات متصل بالأمر من نقطة واحدة انما ليست متلاصقة والبعض الآخر منفصل وبين كل قارة والسانية بحر عظيم .
- حسن - وما مساحة هذه القارات والبحار .
- عبد الفتاح - ان مساحة الكرة الأرضية بما فيها القارات والبحار يبلغ ٥١ بليون هكتار (أى ٥١٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠.٠٠٠ مترا مربعا) تشمل البحار ثلاثة أرباعها والقارات الربع الآخر .
- حسن - ولكن فى كم يوم خلقت الدنيا بأكملها .
- عبد الفتاح - فى ستة أيام .
- حسن - فى ستة أيام ٠٠٠ ان ذلك زمن يسير ولكن لم لم يخلقها الله فى لحظة واحدة مع أنه يقول للشئ كن فيكون .
- عبد الفتاح - خلقها فى ستة أيام ليعلم الانسان أن الثانى فى الأمور محمود وإن العجلة عاقبتها وخيمة .
- حسن - لله هذه الحكمة البالغة . ولكن قل لى يا أخى لماذا نعمل حكومة الولايات المتحدة معرضا مل هذا يكلفها أموالا جسيمة .
- عبد الفتاح - انه ان كلفها أموالا جسيمة فانه سيكسبها أكثر من ذلك لأنه بسببه تروج تجارتها وتربح فنادقها وأسواقها بالنزلاء المتفرجين والأجانب المدعويين

فضلا عن أنها تظهر للعالم بأسره بقدمها وعلو شأنها فيسمو قدرها بين الدول
وترتفع كلمتها .

حسن - لله ما أقدرك على خدمة اخوانك وما أحبك لنفعهم .
عبد الفتاح - انى رهين اشارك لا أتأخر ولا أستقدم متى دعوتنى لأى أمرهم .
حسن - جزاك الله عنى الجزاء الحسن .

زينة الباطن خير من زينة الظاهر

لله قائل هذا القول الحق مانه حكيم متبصر نطق بالصواب وفاه بحكمة لو عمل
بها الانسان فى هذه الحياة الدنيا هى الصراط المستقيم وسلك الطريق القويم
وقليل من يعمل بها من بنى آدم . فالعدد العديد منهم يفتر بظواهر وهو لا يدري
مانطويه السرائر . فكم من رجل لبس الحرير وتفمش بأفخر القماش وأمن الملايس
فاغترت لباس بزيه وأضح طوع اشارته وهو مع ذلك على جانب من الضلالة
عظيم . وحبا فى بلوغ أوطاره وهو لا يصدق يربه ونبيه . وكم من فاضل العلم
سعاره والأدب وشاحه أضاع الناس قدره لقله ماله وعدم بهائه . والشواهد على
ذلك كثيرة ينعلها لنا التاريخ وتقصها القصص وتحكيها حكاية الطفل الذى كان
ينزاع على شاطئ البحر صحبة والده فشاهد من بعد شراع مركب وقد راقه شدة
بياضه وأعجبه حسن منظره فأظهر لوالده عظيم ارتياحه من هذا الشراع فتبسّم
الوالد دون ان يجيبه بشئ حتى اذا اقتربت الباخرة منهما اندهش الطفل من استمرار
لون الشراع الذى شاهده من بعد فى أبهى أبواب البياض . فلما رأى منه والده هذه
الدهشة قال له : لانغنى يا بنى بظواهر الأمور واعلم أن زينة الباطن خير من زينة
الظاهر ولله من قال :

أسبع سبع ولو كلت مغالبه
والكلب كلب ولو بين السباع وبى
وهكذا الذهب الأبريز خالطه
صفر النحاس فكان الفضل للذهب
لاتنظرون لاثواب على أحد
ان رمت تعرفه فانظر الى الأدب
فالعود لو لم تفج منه روائحه
لم يفرق الناس بين العود والحطب

فخير الناس معاملة من اعتبر أن شرف العلم والفضل فوق كل شرف وأن ثوب
التقى أشرف الملابس وراعى أن السعادة الحقيقية فى طهارة السريرة وحسن الطوية
لافى كثرة الأموال وعلو المقام بين الرجال .

الانشاء والتحرير

لا يقصد بالانشاء تنميق العبارة وتحليتها بالنثر والنظم بل القصد الأصلي هو وضع عبارة عربية صحيحة سليمة يفهمها القارئ ويفف بها على قصد الكاتب ، ولما كانت موضوعات الكتابة شتى كان من الواجب على الكاتب أن يستعمل في كل موضوع طريقة مخصوصة ففي الموضوعات العلمية يجب عليه أن لا يراعى غير سلامة العبارة من التعقيد وفاسد التركيب لا السجع والتنميق وفي الرسائل والخطابات لا بأس من استعمال السجع وغيره من المحسنات بشرط أن يكون بدون تكلف في العبارة . نقول ذلك لأننا طالما شاهدنا الكبر من التلامذة وغيرهم من حاملي القلم يدعون أن الاجادة استعمال السجع لوضع الفاظ لا لزوم ولا معنى لها . ولذلك تصير عبارته ساقطة خلوا من الدون السليم وفي كل الأحوال فالكتابة الطبيعية أي الخالية من التكلف أعظم الكتابات مقاماً عند أرباب الأقلام .

وللكتابة آداب يجب على الكاتب مراعاتها بمعنى أنه لو كتب لأمر يلزمه استعمال العبارات اللازمة لقوى المقامات الغالية وإن كتب لصديق يلزمه استعمال عبارات النظير وإن كتب لمن هو أقل منه مقاماً فإن كانت الكتابة على مر يلزمه أن يستعمل ما يلزم من كتابات الرؤساء للمرؤسين وإن كانت بصورة ودية لزمه أن يكتب له ما يكتبه إلى صديقه .

من أعظم ما يلزم مراعاته في التحرير الاجابة على خطاب المرسل اذا دعت الحاجة لذلك أي أنه لو خاطبك شخص « ولو كان أقل منك مقاماً » في مر يدعو للاجابة أو طلب منك ذلك المرسل الاجابة لزمك أن تجيبه في كل الأحوال وألا تعد قليل الأدب خارجاً عن دائرة المدنية وأهلها فإن المرء الذي يقطن في نفسه أنه عظيم وما عداه حقير يكون في الحقيقة جاهلاً لثيماً قليل التربية وإن كان في أعلى المناصب وأجلها لأن الأدب والنواضع يجعلان الانسان يعتقد في نفسه أنه أقل الناس مقاماً وأصغرهم قدراً .

ومما يلزمنا أن ننبه عليه هنا امادة لأخواننا التلامذة أن بعضهم وإن كان نزرًا بسيراً) يستعين في الكتابة بغيره وهو أمر قبيح وفعل رديء يحط من قدر الانسان وينقص من معلوماته ويسبب له التقهقر على حين تقدم غيره وما أحسن قول القائل :

وانما رجل الدنيا وواحدها

من لا يعول في الدنيا على رجل

الجزء الخامس

يوم الخميس ١ ذى الحجة سنة ١٣١٠
و ٩ بؤونة سنة ١٦٠٩ الموافق ١٥ يونيه سنة ١٨٩٣

بأى كتاب نقتدى وبأى دستور نهتدى

نقتدى بكتاب مجيد ودستور فريد شرعه لنا فاطر السموات والأرض وما فرط فيه من شيء . كتاب شريف وفرآن منيف . الحق يفدسه والنور يحيط به من كل جانب لا يأنيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . كتاب يكفل لنا السعادة الدنيوية والأخروية ويحقق لنا ان اتبعناه رضاء الخالق والناس والسريرة الانسانية علينا . كتاب آياته بينات وبحق ناطقات . تشرح لفراءتها الصدور وينتقل بتلاوتها من فى الظلمات الى النور ، كتاب انواره ساطعة وأحكامه باهرة تأخذ بلب من رآها حتى ان أعداءه الكافرين وحساده الخاسرين أقروا بأنفسهم أنه الدستور الجدير بأن يتبع القانون الكافل للمعاش والمعاد ذلك الكتاب لاريب فبه هدى للمتنقين .

ألا ترى أيها القارئ النبيل كيف أن فئة قليلة من العرب تحت قدوة الطاهر الشريف سيدنا ونبيينا محمد عليه الصلاة والسلام غلبت فئات قوية وأدخلها فى ذلك الدين الحنيف القويم .

ألا ترى كيف أن المسلمين فى صدر الاسلام ملكوا الأرض من مشارقتها الى مغاربها وتفردوا بالكلمة ووحدوا بالسلطة حتى علا مجدهم الفرقدين وغدت أنوار الشمس لا تغيب عن أملاكهم تلك الأملاك الشاسعة والأراضى الواسعة والقصور الشاهقة والمباني العالية والحصون القوية والقلاع الحصينة مما لم نستطع أية دولة من أعظم الدول قوة وافتدارا أن تجارى دولة الاسلام فيه .

كل ذلك باتناع القرآن الشريف الذى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر . فما بالنا معشر المسلمين لا نتبعه وقد علمنا أنه عنوان سعادتنا وقائدنا الى طريق مجدنا فلنجعل نبراسا فى أعمالنا وسراجا وهاجا فى حركاتنا وسكناتنا ولا نكون كمن غره السراب فهو يفتتر بأقوال الحسرة الموهين والكفرة الخاسرين الذين يقولون ان القرآن أنزل لعصر لا لكل الأعصار ولقوم لا لكل الأقوام بل لنعلم حق العلم أن فى انباع القرآن الوصول الى أعلى المناثر الحضارة والمدنية كيف لا ونحن لو نظرنا لأى

أمر من أوامره أو نهى من نواهيه لرأينا منه حكما جليلة وفوائد جمة عظيمة .
ولو أمعنا النظر في تحريم الخمر مثلا لرأينا في ذلك من المنافع ما لا يتكره الا كل عدو
للحق عتيد فالخمر نسلب الشرف والصحة والمال تلك الأشياء التي تدور عليها رضى
حياة الانسان .

وكذلك الزنا فان في تحريمه حفظا للشرف والعرض والآداب العمومية
ومحافظة على عدم اختلاط الأسباب وفساد الاخلاق الى غير ذلك .

وفى جانب هذا لو نظرنا الى الفرائض لشاهدنا فيها من المنافع الدنيوية
والآخروية ما يعجز اليراع (١) عن حصره . فى الصلاة مثلا التى طالما يتأخر الكيرون
عن القيام بها فوائد جسدية دنيوية وآخروية فهى التى تجعل للانسان مخلصا فى
مجله الخالق (٢) ومتواضعا لكل اخوانه يهرح لفرحهم ويكدر لكدرهم طاهر الجسد
والنياب فضلا عن أنها تنشيط الجسم وتقوى العضلات مما يعلمه كل من واطب عليها
هذا ما أدركه اليوم فى هذه النبذة الصغيرة حتى لا يفتر (٣) الناس عن عبادة
الله واتباع كتابه الكريم وسنة نبيه الهادى . والله يهدى من يشاء الى ما يشاء .

المحاولات التهذيبية

ان المحاورات التهذيبية فضلا عن كونها سديده البأير على النفس قوية المفعول
ينشرح القواد لقراءتها . والقارئ لا يميل لها أكثر من ميله لغيرها ولذلك كانت
طريقا سهلا يسلكه أعظم الواعظين والنصحاء حبا فى الوصول الى بث الفضائل فى
النفوس ورغبة فى نشر الحقائق بين الأمم علمنا ذلك حتى العلم فانبعنا طريفة هؤلاء
القوم الأفاضل وتشبهنا بهم طمعا فى الحصول على ضالتنا المنشودة فملأنا أعداد
جريدتنا بالمحاورات التهذيبية وقد رأينا بأنفسنا شدة ميل القراء اليها وانكبابهم على
مطالعنها . فبدلنا الجهد فى الاعتناء بها أكثر من سواها واليوم نهديهم محسورة
جليلة عنرنا عليها فى بعض الكتب النفيسة الأجنبية فعريناهها مع بعض التصرف
حتى غدت ملائمة لمشربنا المصرى الوطنى .

محاورة بين الجد والحفيد

وقعت هذه المحاور فى يوم جمعة عقب الصلاة بفاعه الجد حبيب كان فى راحة
وقد رأى حفيده لوحة مكتوبا عليها (حب الوطن من الإيمان) فابتدأ بالقول :

الحفيد - ما معنى كلمة الوطن يا جدى الجليل

(١) اليراع = القلم

(٢) محلة = احلال واحرام

(٣) يفتر = يتكاسل

- الجدة - هل تريد أن أفهمك معنى الوطن ؟
- الحفيد - نعم أريد ذلك .
- الجدة - اذا كنت تريد ذلك فقل لى أولا من ذا الذى خدشك فى وجهك .
- الحفيد - هو هو .
- الجدة - قل الحق انى لا أظن ذلك .
- الحفيد - انى تشاجرت بالأمس مع حسن .
- الجدة - لماذا ؟
- الحفيد - لأنه سب والدى .
- الجدة - اذا أنت تحب والدك وتدافع عنه .
- الحفيد - لاسك فى ذلك .
- الجدة - أظنك لاتحب غيره .
- الحفيد - كلا بل أحب أيضا والدتى وجدتى وأنت يا جدى العزيز وشقيقى الأكبر على
- الجدة - أنت تحبنا حينئذ .
- الحفيد - كيف لا وأنتم أهلى .
- الجدة - اذ كان الأمر كذلك فاظنك كنت مسرورا عندما تعينت قاضيا .
- الحفيد - أجل وقد كنت بك معجبا ومن شدة فرحى فى هذا اليوم حفظت دروسى جيدا وأديت ما على من الواجبات بكل همة ونشاط .
- الجدة - ولما تعين أخوك ضابطا هل نالك من الحبور (١) ما نالك يوم تعيينى قاضيا .
- الحفيد - نعم انى كنت منشراح الخاطر يوم ما ترقى ووددت أن أكون مثله لألبس تلك الملابس البهجة .
- الجدة - قد ظهر يا ولدى العزيز من أجوبتك أنك تفرح لفرحنا ولكن هل لو الملت بنا مصيبة تشاركنا فى الكدر .
- الحفيد - أما نظرت يا والدى الأكبر ما كنت عليه من الكدر وسوء الحال يوم مرض والدتى ؟
- الجدة - اذا أنت تحبنا ونفضل أن تعيش معنا عن أن تعيش مع غيرنا .
- الحفيد - لاشك فى ذلك .
- الجدة - اعلم يا ولدى العزيز أن اجتماع أناس متحابين يفرح الواحد منهم لفرح الآخرين ويتكدر لكدرهم ويدافع عنهم اذا هاجمهم العدو ويفضل أن يعيش

(١) الحبور = السرور .

سوء الحظ عن أن يراهم يتألمون من مصاب ومنحدا معهم فلما وقالوا نكون
ما يسمى بالعائلة .

الحفيد - نعم يا والدي الأعز ولكنك لم نعرفني للآن معنى كلمة الوطن .

الجد - أصبر قليلا لا تعجل ولنقرأ خطابا أتى من أخيك قبل كل شيء .

« سبدي وجدى الأجل :

انى أتأسف كثيرا لمفارقة عائلتي التى نشأت فيها ولكنى لحسن الحظ وجدت
مع رمة من الأوفياء الذين لا قصد لهم الا خدمة الوطن العزيز تلك الأم الشفيقة التى
ربتنا وعلمتنا صغارا وهذبنا حتى صرنا أهلا لخدمتها كبارا وأنا فى موضع نهاجم
فيه الأعداء وندافع عن الوطن والأهل والأحباء . الضباط رفقاى هم كاخوتى وقائد
الجيش كوالدى وخدمة أوطانى نبراسى واخلاصى لأمرى قدوتى فقل معى
« لنعش مصر » .

الحفيد - لنعش مصر .

الجد - ان مشاهدنى يا ولدى العزيز لمصرى نبيل تبهج ناظرى ورؤيتى لوطنى نشيط
ناخذ بمجامع القلب والفؤاد كما أن مشاهدتى لآثار آبائى وأجدادى العظماء
تجعل فى قلبى محلا للفرح ومحلا للترح (١) فافرح لأن تلك الأعمال أعظم من
أن يأتى المعاصرون بمثلها وأنكدر لما أرى أننا معشر المصريين الحاليين لم تتبع
خطواتهم ولم تجر على منوالهم فانا والحق يقال قد قصرنا فى واجباتنا فيجب
عليكم أنتم معشر الناشئين أن تقوموا بأجل الحدم لبلادكم التى ربيتم أنتم
وأباؤكم وأسلافكم فيها وتمتعتم بخيراتها .

الحفيد - حقا ماتقول ياسيدى المكرم .

الجد - الآن بما أنك فهمت قولى وعلمت أنك مدين لبلادك بأسياء كثيرة ينبغي أن
تكون التلميذ الأول من فرقنك .

الحفيد - لايمكننى ذلك لأنه يوجد من أعلم منى .

الجد - ومن أسبوع الى أسبوع نصير التلميذ الأخير حتى ثبت فى ذهنك أنه يوجد
من هو أهم منك أما ندرى أن لا شيء على الانسان بعسر .

الحفيد - ولكنى لو اجتهدت وصرت الأول أخاف أن الذين هم قلبى الآن يعادوننى
ويكرهوننى .

الجد - لم ذلك أنت تكره من يتقدم عليك .

(١) الترح = العزن

الحفيد - نعم .

الجد - ان هذه صفة فيبيحة يجب عليك أن نتركها وأن تحب للناس ما تحب لنفسك
واذا تقدم عليك أحد فكن مسرورا مادام مصريا واجعل محبة الوطن نصب
عينيك آناء الدل وأطراف النهار وبنها في فكر من لم يعلمها حتى تنجح على
أيدي أمالك البلاد وتعيش في هناء واسعاد .

الاقتصاد

الاقتصاد أو التدبير هو تنظيم المعيشة وجعلها مناسبة لحالة الانسان وهي
صفة جليلة حميدة العواقب تحمي المرء من تكبات الدهر وملمانه (١) ولا يقصد بها
النضيق في المعاش كما يفهمه البعض بل ترتيبها ترتيبا منتظما به تفوق الحاصلات
المصروفات بمعنى أنك لو كنت رب بيت ملا وتكتسب في شهرك مبلغ كذا فلزمك
أن توفر منه الثلث على الأقل حتى ترجع اليه عند الحاجة لأن الدهر خوان (٢)
ان سالم يوما عادى أياما وان أقبل وقنا أدبر أوقانا فهو سلاب للنعمة لا يعلم وفث
غدره ولا ساعة حفائه . لا يردعه عن بغيه الا الاقتصاد الذي هو سلاح يقاقل حادثات
ذاك الرمان الخوون والا فان حسبته بخلا ونبدته ظهريا كنت العوبة في يد أيامك .

★ ★ ★

(١) الملقات = الكوارث والمصائب

(٢) خوان = حائن

الجزء السادس

ربيع الأول سنة ١٣١١

العود أحمد

عادت الجريدة الى الظهور بعد أن غابت شهرين قضينا جزءاً عظيماً منها ومن سابقهما في فرنسا (١) بقصد تمضية الامتحان ومشاهدة عجائبها ونمديتها وما عليه أهلها من الأخلاق والعوائد وأحوال المعيشة العمومية وخصوصاً حاله الصانع والمزارع والتاجر الذين عليهم حياة أوروبا الحقيقة الى غير ذلك من المسائل الأدبية التي هي أسمى في الحقيقة من الماديات بكنبر . وبعد ذلك عرجنا على إيطاليا مارين بأهم مدائنهم مرورا وقتياً لم نعدم فيه جنى بعض الفوائد كحالة الأهالي والحكومة المالية التي علمنا بالمشاهدة أنها متقهرة من جميع الوجوه . ثم عدنا بالسلامة الى الأوطان بعد أن أخذ منا الشوق إليها أكبر مأخذ ولذلك رأينا أن نجعل أول كتابة لنا على ما شاهدناه الاحساسات والتأثيرات التي تستولى على المسافر عند مبارحته الوطن خصوصاً لأول مرة ثم نعقب ذلك في الأعداد الآتية ببعض ما يفيد القراء من المسائل الأدبية المهمة .

فراق الوطن لأول مرة

ما ابتعدنا عن ميناء الاسكندرية حتى خيل لنا أننا فصلنا من الوجود وفارقنا الحياة لما استشعرنا به من احساسات الأسف وسدة النعلق بالوطن وعظيم الحنين الى المعاهد فما أسبه المبتعد عن وطنه يطفل فصل من أمه . وقد كادت سدة الأسف نجعل البكاء مدراراً رغماً عنا ولكننا تجلدنا خشية من ضحك الأفرنج علينا وهم الذين يترقبون صغيرة لنا فيعظموها رغبة في نيل مأربهم . وما ابتدأت احساسات الأسف تقل بارساد العقل بأن الغاية حميدة والقصد شريف والعود سريع حتى ابتدأت البأخرة تلعب ذات اليمين وذات الشمال وأحشاؤنا تلعب معها بالتبع (٢) كما يحرك الرضيع

(١) كان سفره الى باريس لأول مرة يوم الجمعة ٢٣ نويه ١٨٩٣ ليؤدي امتحان السنة الأولى بكلية الحقوق هناك (عبد الرحمن الرافعي : مصطلقى كامل ناعت الحركة الوطنية ، ط ٤ القاهرة ١٩٦٢ . ص ٢٨) .

(٢) يقصد بالتبعية .

فى أرجوحه اهتزازية • ولم نزل كذلك مدة عاسنا فيها مرصين كلاهما عظيم : مرض فراق الوطن ومرض البحر الا أن الأول منها أقوى وأعظم اذ أن آلامه فى القلب وحده وأما الثانى ففي الأحشاء •

وقد بقى البحر على هذه الحال مدة ست ساعات حنى وصلت الشمس الى الرابع من دائرة الأفق فعدنا الى الوجود بعد أن فاسينا أهوالا لم نر لها شكلا من قبل ، ولما استشعرت برجوع القوة والنشاط الى أن علوت سطح المركب وهى تحت السماء وفوفى الماء لأستنشق الهواء فرأيت من الركاب عددا عديدا بين الفرنسيين والانكليز والطيالبيين والسوريين وغيرهم ولم أر منهم الا ستة من المصريين الذين لا قصد لهم الا تمضية الامتحان بفرنسا والعود نانية وهنا ظهرت لى حكمة النمل العجيبة وخاصيته التى ليست فى غره وهى أن جودة أرضه تمنع أهله من التغرب عن الأوطان ولذلك ترى أكرهم لا يغير مقره وإن ضرب عليه الذل وخيمت على منازل المسكنة ولعمر الحق لتلك مسألة كادت تكون على أن كثيرا من سكان المصورة ينتقل لبرى أحوال غيره فيتعلم حيل التعيش •

ولقد رأيت أن فى وجودى مع هذه الأجناس المختلفة فرصة عظمى للوقوف على بعض أخلاقهم ولذلك قد خالطتهم فعلمت ان الفرنسي منهم رفيع الطبع لين المعاشرة حسن التكلم يراعى فى خطابه كل الأدب الا أنه قليل النبات فتراه اذا مرنا بجزيرة كان يكثر من الاشارات والانتقال والتكلم عن ناربخ هذه الجزيرة كأنه يلقي درسا ما • وأما الانكليزى فهو غليظ الطبع مبتعد عن الناس كبر العزلة ولذلك كان لا يرى للانكليز وجها فى أغلب الأحيان الا وقت الاكل (١) وأما الطلبان فهم قوم لا رشاقة لهم كثيرا والوساخة يوافقهم مرض البحر كل الموافقة •

وأما السوريون فأغلبهم كان من ركاب الدرجة الرابعة التى ينأى أهلها على سطح البحر وهم يتكبدون المصاعب ويتجشمون المشاق لنيل المعاش وجل ما يبغى السوري منهم نيل الدرهم وشرب النبيذ وأما أخلاقهم فعنوانها الحماقة الشديدة وأغلب الذين كانوا معنا كانت غايتهم الذهاب الى معرض شيكاغو •

قلنا ان البقر سكن روعه بعد الغضب وقد استمر كذلك ليلته ونهاره ثم أخذه يرينا بطشه وقوته تارة ولطفه وترحيبه بنا تارة أخرى ولا غرو اذا كانت تتعلق أمواجه بأنه رب البطش والقوة وصاحب العظمة فهو ذلك البحر الذى وهب العالم بأسره التمدن وقلبت السعادة على سواحله وهو هو البحر الأبيض المتوسط ولم نزل كذلك بين عناء وهناك مدة أربعة أيام حتى وصلنا مساء الخميس ٢٢ يونيه الماضى ميناء مرسيليا ولا تسلسل عما لحق العموم من السرور وخصوصا الفرنسيين منهم فانهم كادوا أن يطيروا

(١) واضح هنا من تعليقه على الحنين الفرنسي والانكليزى ، كراهيته للانكليز حتى فى الرحلة والعديت ، بينما ينتهى ناحية الفرنسي ، وهو ما سنفرد جليا فيما بعد كتابه واحاديثه ومقالاته ...

فرحنا وبعد وصولنا بساعتين ركبنا قطار الاكسبريس الى باريس مباشرة حيث وصلناها مساء اليوم التالي . وقد يرى المسافر من المناظر الجميلة وحسن الترتيب وكمال النظام في جميع الأعمال وما يسر كثيرا .

أما ما كنا نستشعر به في باريس فاحساسات مخلفة فتارة نسر لوجود قبائح لم توجد في وطننا العزيز وتارة نأسف على بلدنا عندما نرى شدة نشاط القوم وجدهم وسعادة الأمة والحكومة وشرف الصانع وغير ذلك من الأمور التي امتازوا بها .

ولا تسلم عما كان يحيط بنا من السرور عندما نقرأ في الجرائد الفرنسية ذكر الاجلال الذي قوبل به أميرنا المحبوب (١) عند سيدنا وهولانا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين (٢) .

بل ولا تسلم عن فرحنا (بالمؤيد (٣) الأغر) عندما تأتي أعداده كل يوم جمعة متحلية بحقائق الزيارة العباسية .

ولا تسلم أخيرا عن كبير حبورنا عندما غادرنا فرنسا وإيطاليا وركبنا البحر عائدين الى الوطن العزيز عندما سالمتنا أمواجه وحيانا النسيم وأهدانا القمر طيب ضوئه في ليال كان فيها مستكملا ثم جئنا الاسكندرية فجرا فرأينا أمامنا زينة العباس ونورها رأينا نوره في البحر أسطع من ضوء القمر حيث لبثنا نتمتع بمنظر المدينة وهي تتلألأ كأنها عروس الحى كل ذلك والباخرة لا يهدأ لها قرار فتراها تذهب حيناً للأمام وآونة للخلف كأنها تظهر علامات اشتياقها لدخول البوغاز .

ولم نلبث بهذه الحالة الا قليلا حتى جاء رئيس البوغاز وقاد الباخرة بمهارة حيث وصلنا الميناء ودخلنا المدينة فرأينا مجامع الزينة الباهرة فكان الفرح والسرور سرورين اللهم احفظ لنا أمير المؤمنين وخليفة رب العالمين وناصر الدين والأوطان ومتع اللهم مصر بالعباس أميرها المحبوب انك على ما تشاء قدير .

نور الاسلام في الآفاق

الدين الاسلامي هو أشرف الأديان على الإطلاق وأجلها مقاما وأعظمهم قدرا لأنه مكون من حقائق يقبلها العقل بكل سهولة وملائم لكل زمان ومكان ما عملت به أمة من الأمم الا وأصلحت أحوالها وانتظمت أمورها وتم لها الفوز والنصر وعلت لها الكلمة بين سائر الأمم .

(١) يقصد الخديو عباس حلمي الثاني .

(٢) يقصد السلطان العثماني في الاستانة .

(٣) يقصد جريدة المؤيد التي كان صاحبها الشيخ علي يوسف وكانت في هذه الفترة تحت على الوطنية وكان يحد فيها مصطفى كامل ضالته في حب الوطن - كما رحب به علي يوسف في تلك الفترة لان يكون أحد من يكتبون فيها .

وأعظم ساهد على دوه نور هذا الدين الحبيب أنه ما ظهر بين الأمة العربية الا وملاً
نوره الآفاق وانتقلت تلك الأمة البدوية من الجهالة النامة الى درجة من العلم لن ترى
ولا ترى • ذلك أمر عجيب وسر غريب وبك حكمة عالية ومعجزة تدهش الألباب •

أمر سهل ليس بالمشكل ولا بالمظلم فهم تلك الحكمة العالية وادراك ذلك الفهم
العجيب ، فقليل من التبصر يوصلنا الى الحقيقة : ان فهم القرآن وادراك معانيه الخطيرة
يوصل • الى معرفة علوم شتى ، فالعرب بفهم هذه المعاني الرفيعة وصلوا الى الوقوف
على علوم عديدة جعلتهم أعلم الناس طرا وأشرف الخلق جميعا •

وقد أخذ ذلك الدين الاسلامي من يوم وجوده يبعث أنواره في الآفاق حتى اهتدت
أغلب الناس اليه وما ترك اعتناقه الا من عمت بصبرته وعشق عقاب الآخرة •

وقد يخطيء أعداء هذا الدين الخطأ الجرم عندما يقولون انه اذا كانت مبادئه حقيقية
فلم لم ترتفع للمسلمين في هذه الايام كلمة ولم سيقهم الا فرنج الى التقدم ويضيفون
على ذلك أن العرب لم تصل الى ما وصلت اليه الا بقوتهم وشجاعتهم لا بنور دينهم
وعظيم علومهم •

فنجيبهم على هذا القول الفاسد والادعاء الباطل بأن العرب قبل الاسلام وبعده
هم العرب ولم يتغيروا وقوتهم ثابتة لم تتحول فلم لم يصلوا الى الرفعة وعلو الشأن ،
قبل الاسلام لا شك أن بلوغ هذه المكانة التي بلغوها ينسب الى تأثير هذا الدين الجليل
وأما السبب في عدم ارتفاع كلمتنا في هذه الايام فهو لأن أكثرنا ترك قواعد الدين
الجليل فعلا لا اعتقادا وأهمل أمر التربية الاسلامية •

ومهما بلغ الضغط على المسلمين في البلاد فان نور الاسلام منتشر لا يمنع مانع
أما ترى نور الاسلام في ليفربول تلك البلدة التي كانت من عهد قريب محط رؤساء
الديانات المغابرة • أما ترى الاسلام في أمريكا وما تأسس هناك من الجمعيات الاسلامية
المعصدة من أغنياء مسلمي الهند الذين سيطروا بلادهم ويرحلون الى هذه البلاد
ليهدوا الناس وينبروا العقول ولا يبعد أن نرى أغلب اخواننا الموترين الذين لا غرض
لهم في الوجود الا رفعة الاسلام يقتدرون باخوانهم أهل الهند • نسأل الله أن يصلح
الأحوال ويهدي الضالين من أبناء آدم وأن يعبد عزة المسلمين انه بالاجابة قدبر •

والمرء عالم تفسد نفعا القامتة

غير حمى الشمس لم يهطر ولم يسر

من يتأمل في معنى هذا البيت وما حواه من الحكمة الباهرة يرى أن ناظمه
الفيلسوف أبا العلاء المعري قد وهبه الهبثات الحاكمة في هذه المجتمعات هي القائمة
وحدها بالأعمال وهي الساعية دون غيرها في تقدم الشعوب ومن النادر أن ترى بين
أفراد الأمة من يقوم فيعمل عملا جليلا يعود على المجتمع بفائدة أو نفع •

وغير خاف أن الأمة في كل هيئة اجتماعية هي التي عليها مدار العمران وهي أصل التقدم وروح السعادة وبيان ذلك أنه إذا كانت الهيئة المحكومة جاهلة والهيئة الحاكمة عالمة واقفة على واجباتها فانه لا تقوم للمجتمع قائمة اذ يصعب على الهيئة الحاكمة قيادة الهيئة المحكومة لأن ما تراه هذه صوابا تراه تلك خطأ نظرا لانغماسها في الجهل فضلا عن أن الهيئة المحكومة تفضل أن ترى من بين أفرادها الجهلاء هيئة حاكمة غير الموجودة فنسقطها وترفع غيرها ولو نظرنا الى عكس ذلك أعنى اذا كانت الهيئة المحكومة جاهلة والهيئة الحاكمة عالمة واقفة على واجباتها فانه لا تقوم للمجتمع قائمة اذ يصعب على الهيئة الحاكمة قيادة الهيئة المحكومة لأن ما تراه هذه صوابا تراه تلك خطأ نظرا لانغماسها في الجهل فضلا عن أن الهيئة المحكومة تفضل أن ترى من بين أفرادها الجهلاء هيئة حاكمة غير الموجودة فتسقطها وترفع غيرها ولو نظرنا الى عكس ذلك أعنى اذا كانت الهيئة المحكومة عالمة مستنيرة بالأفكار الصائبة والهيئة الحاكمة جاهلة لرأينا أن المجتمع يعيش سعيدا ويبقى عيشه رغدا وذلك لأن الهيئة المحكومة لا تتأخر عن إسقاط تلك الهيئة الحاكمة الجاهلة وتعويضها بهيئة عالمة تنتخبها من بين أفرادها ومصدقا لقولنا هذا قال أحد كبار العقلاء الذين رسخت عندهم هذه الحقيقة كل الرسوخ (أن الهيئة المحكومة هي سدة الهيئة الحاكمة ولا عكس) اذا علم هذا القول ونظرنا الى حالة بلادنا المصرية التي هي واد عزيز عميم الخيرات كثير البركات قد خصه الله بمزايا لهم يختص بها غيره حتى أصبح مأوى للغرباء ومقرا للنزلاء الذين قد نضبت بحار خبرات بلادهم عن أن تسد حاجاتهم الضرورية ونظرنا الى ما اكتسبناه منه من الخيرات للجزيل والبر الجليل والى ما أديناه له من النفع نرى أننا لم نأته بذرة مما أتنا هو به فانه قد أصابته الأمراض وهاقت به الأدوات واشتد آنيته وبكاؤه ونحن عن كل ذلك لاهون لا نسمع أقواله ولا نلبي نداءه وليس بيننا الا نفر قليل يقوم بخدمة •

أليس من الواجب علينا عموم المصريين أن نتحد قلبا وقالبا في الاخلاص الوطنى وأن نترك الحقد والحسد من بيننا وأن نعمل جميعا على تقدم البلاد وراحة العباد ؟ •

أليس من الواجب على أغنيائنا خصوصا الذين قد أفادهم ذلك المجتمع السعيد أكثر مما أفاد غيرهم بكثير أن يؤسسوا المدارس التهذيبية ويشكلوا الجمعيات المفيدة ويصرفوا أموالهم في خدمة وطن قد خدمهم أكبر خدمة وأنا لهم أكبر منة ؟

لا شك أننا اذا جعلنا الائتلاف والاتحاد وخدمة الوطن خدمة صداقة مبدأ لنا وصلنا الى أسمى مقصدنا وادراكنا ضالتنا المنشودة •

فيجب علينا عموما أن نفتدى بأعمال أميرنا الجليل الذى قد غبطتنا أحبابنا وحسدتنا أعداؤنا عليه وأن تجعل الكبار فى مقدمة مبادئهم الائتلاف والمحبة وتهذيب الأبناء وأن تنشأ الأحداث على هذه المبادئ الشريفة وليعلموا علم اليقين أن عليهم حياة البلاد وأنهم رجال المستقبل وأن زمنهم نفيس فلا يصرفون الا فيما يجديهم نفعا والسلام •

تلميذ مقدم

نعني بذلك « جول واكير » ابن أحد الصناع الفرنسيين المولود في ٢٢ سبتمبر سنة ١٨٨١ بمدينة لنداس وأحد تلامذة مدرستها العمومية الآن .

نشأ هذا التلميذ على الشهامة والاقدام وحب النفع العام فانه قد حاطر بنفسه مرين متواليين لنجاة شخصين كادت المية أن يغتال حياهما لولاه ولذلك قد أت إحدى الجرائد الفرنسية الفخورة بشهامة أبناء جلدتها على صورته متعلدا النياشين اللذين أهدتهما اليها حكومته جزاء طيب أعماله محيطة تلك الصورة بذكر هانه الأفعال الحسان واليك ملخص ما جاء بها بعد الترجمة :

« منذ كان واكير في العاشرة من عمره « أي منذ سنتين » ذهب مع أربعة من أقرانه الى محل كنيف الثلج بقصد اللعب فيه ومذ كانوا في بحر اللعب غارقين اذ وقعت قطعة عظيمة من الثلج من تحت قدم أحدهم في هاوية كانت تغطيها ولم يلبث الشاب أن هوى معها حيث كان يهدده الموت من كل جانب لولا أن واكير المقدم ألقى بنفسه بسرعه عجيبه في الحفرة وأخرج رأس خليفه من الماء حتى أت جماعة من المارة وانتشلتها من هاوية الهلاك .

وفي الثالث من شهر مايو الماضي رأى عند خروجه من المدرسة عربة سريعة العدو كادت أن تدهس أحد أقرانه الذي كان يسرع السير بقصد مقابلة قريب له فأنجاه من الموت بنخلة لا منيل لها بعد أن اعتنقه الجمهور كمال الاعتقاد أن تلك اللحظة هي آخر دقيقة في حياة الاثنين .

هذان العملان الجليلان قد صاغتهما يد تلميذ لم يبرح مشغولا بالدراسة الابتدائية ولم يتجاوز السنة الثانية عشرة من عمره فهو جدير بأن يكون قدوة حسنة لأمناله فانه يرى في عمله هذا خيرا كبيرا فان نجح فيه فقد حفظ حياة وان خاب فقد مات شهيد الشفقة والرحمة والانسانية ولذلك فان الحكومة الفرنسية قد كافأته باهدائه : نيشاني الانقاذ الخطيرين .

الأناشيد الوطنية والتهديبية

لقد أصبح من الأمور البديهيية المسلم بها عند جميع العقلاء أنه لا بد أن يكون التعليم مخلوطا بالتهديب بل يلزم تفضيل هذا عن ذاك لانه عليه قوام الأمور واصلاح الأحوال . والتاريخ أعظم شاهد على ذلك فان العالم اذا كان غير مهذب يكون ضرره عظيما جدا على الأمة النى يشغل بين أفرادها محلا في ادارة الأمور ولذلك اتفق جميع الحكماء والفلاسفة على أن ضرر الجاهل أقل بكثير من ضرر العالم العديم التهديب ولما كان أسمى غرض لنا هو تهذيب الأحداث فقد عزمنا على أن ندرج في كل عدد من أعداد جريدتنا نشيدا أو نشيدين على نمط السلسلة والتهديب التام حتى أنه بعد مضي

خمسئة أو ستا أسهر يمكننا أن نجعلها في كتاب نظم اليه بعض الشذرات والمحاورات
المفيدة يكون قاعدة أساسية لتهديب الأبناء وأنا لا نعدم في ذلك العمل مساعده
الفضلاء والأدباء والشعراء .

والى القراء نشيدا جادت به الفريجه نعهه باكورة لهذا العمل :

| | |
|----------------------------|----------------------------|
| هلموا يا بني الأوطان طرا | لنرجع مجدنا ونعز مصرنا |
| هلموا كي نوفى القطر حقا | نسيناه فضاغ بذلك قدرا |
| هلموا وادركوا العليا حتى | تنال بلادنا عزا وفخرا |
| هلموا وأتركوا السحناء منكم | وكونوا أوفياء فذاك أحرى |
| اليس يشيننا ترك المعالي | تباع بغير واديننا وتشرى |
| ونحن رجالها وبما لديها | من الاسعاد والخيرات أدرى |
| نسينا البر للنيل المفدى | وخلنا أننا جئناه خيرا |
| فعار أن نسمى الذل عزا | وعار أن نسمى الشح برا |
| وعار أن نعيش بغير مجد | ونبصر فى السما شمسنا وبدرا |
| وعار أن يكون لنا وجود | ويحظى غيرنا فوزا ونصرا |
| فقوموا واطلبوا للنيل عزا | ولا تبقوا بذل كي يسرا |
| وسيرا نحو هذا القصد حتى | تنادوا أجمعين بعز مصرنا |

★ ★ ★

الجزء السابع

ربيع الثاني سنة ١٣١١

اتحاد الوطنيين في الاغتراب

أجارتنا انا غريبان ها هنا ، وكل غريب للغريب نسبي

ما كان أئسدا نملنا وتمسكا بهذا البيت مذ كنا في بلاد الغرب فأننا كنا جميعا كأعضاء عائلة واحدة نم بين أفرادها الاخلاص والوفاء فكل فرد منا كان لا يدع ساعة من زمنه دون أن يفابل اخوانه فيها ولو ألم بأحدنا شيء مكدر وان يكن خفيفا كنت نرى الجميع قائمين في خدمته لا يألون جهدا في نادية كل ما يحتاج اليه الا أنه مهما تفوت عرا الائتلاف والانحداد بيننا ومهما اشندت روابط الاخلاص فلا يعد ذلك في تلك البلاد أمرا مسنغريا ولا شيئا مدهشاً كما يقع في بلادنا اذ أن انحداد الغرباء هنا أمر ظاهر مجسم لأنه واقع في وسط التنافر فيه متغلب على الاتحاد أما في البلاد الأجنبية فما كنا نرى في الاتحاد فرقا بيننا وبين من يحبط بنا من الأجانب فانهم أجمع كرجل واحد ومهما اختلفت مشاربهم وتباينت آراؤهم فانهم في خدمة الوطن متحدون قلبا وقالباً ولا يختلف في ذلك اثنان .

ومن ينظر الى هذا الأمر لأبد أن يستشعر باسنغراب عظيم وبدهشة كبيرة اذ أن الوطنيين هنالك والأجانب لا يختلفون في اتحادهم وأما هنا فالفرق ظاهر والسون بعبد .

ولا شك أن من يحب في سبب التغاير بين البلاد الشرقية والبلاد الغربية في هذا الأمر يدخل في دائرة الحيرة من حيث أنه يعلم أن الاتحاد لازم ضروري فكل جماعة يقيمون في بلد اما أن يكونوا وطنيين أو أجانب فان كانوا وطنيين وجب عليهم كل الوجوب والاتحاد والائتلاف في خدمة بلادهم وان كانوا أجانب لزمهم ذلك أيضا لوجوب عملهم بقول الشاعر :

أجارتنا انا غريبان ها هنا ، وكل غريب للغريب نسبي

وعليه فكل شخص أهمل خدمة وطنه الذي أنشفه طيب هوائه وغذاه لذيذ غذائه وسقاه حلو مائه يعد عديم الوطنية بعيدا عن أن يسمى وطنيا أو أجنبيا ومثل هذا يعيش كتيبا حزينا عليه غضب من الرحمن ولعنة .

الصناعة والصناع

كل من له اطلاع على نواحي الامم وسيرهم وماجريات الاحوال في البلاد يعلم أن الصناعة والزراعة والتجارة هي أهم عناصر التقدم وأول أسباب السعادة وأن كل أمة قطعت سبيل الحضارة لم تصل الى ما وصلت اليه الا بهذه العناصر الشريفة فهي من أهم الأسباب التي أوصلت الأمة الاسلامية في الأزمان السالفة الى التقدم وعلو الشأن فقد كان لها بين أفرادها اعظم مقام واسمى احترام وتلك آثارهم قائمة في كل البلاد التي سكنوها بدل على ما كان لهم من عظيم الاعتناء بالصناعة ، والتاريخ يميل على مطالعته يقدم الأمة الاسلامية فيها وفي الزراعة والتجارة .

ولم يزل للآن هذا الناموس عاما وشاهدنا على ذلك تقدم هذه العناصر الثلاث في البلاد المتقدمة فلها بين الناس تلك البلاد اهتمام عظيم وعناية كبرى ولم نضع الناس قدرها الا في البلاد الشرقية على أنها أولى من غيرها بالاعتناء بها .

يظهر مما سبق أن محد الصناعة والزراعة والتجارة ملازم لتقدم الأمة متعلق بارتفاعها أو علو شأنها .

أما الزراعة فمعنى بها في بلادنا اعتناء شديدا نظرا لأن القيام بها أقل نعبا من القيام بأحد العنصرين الآخرين ولأن البلاد زراعية بطبيعتها .

أما الصناعة والتجارة فخير معتنى بهما وان كنا نرى لهما وجودا فهو ضعيف جدا في جانب من الجانب .

ولما كانت الصناعة في مقدمة هذه العناصر أحببنا أن نخصص للكلام عليها في جريدتنا بعض الأسطر فنقول :

الصناعة التي لها في الوجود فضل ظاهر ومجد واضح لا ينكره الا كل عر جاهل فضروريات الحياة التي هي الماكل والمشرى والملبس والمسكن قد صاغت أكثرها يد الصناعة فلها اذا على كل موجود فضل بين يحمله على اعلاء شأنها واحترامها واحترام كل من قام بها والا فكل من خالف ذلك يكون قد نسي واجبا نعهده سامي القدر خطير المقام وحقيقة فان الصناع الذين هم رافعو لواء الصناعة جديرون بالاحترام حقيقيون بالتجلة والاعتبار وقد علم أهل البلاد المتقدمة علما حقا فاصترموا الصناع وأعلوا من شأنهم حتى أصبحوا في مقدمة المبجلين وطلبة المحترمين وأما سكان البلاد المتأخرة فقد طرحوا احترام الصناع خلف ظهورهم ولم يكفهم ذلك بل أنهم أهانوه واحتقروه وعدوه أقل الناس شرفا وأحطهم مجدا وقدرنا والسبب في ذلك ظاهر كما قدمنا وهو أن احترام العناصر الشريفة ملازم للتقدم والتمدن .

ففي البلاد المتقدمة وعلى الخصوص في الولايات المتحدة للصناع شرف باذخ ومقام خطير فقد بلغ الاعتناء بهم أن أسست هنالك جمعية مؤلفة من أعضاء عديدين الغرض

الأصل منها وضع الحوادث اليومية المهمة الواقعة في العالم في قالب روايات صغيرة تباع بأبخس الأثمان حتى تكفي الصناعات مؤونة البحث والمطالعة في الجرائد وكيفية ذلك أن أعضاء الجمعية تنقسم إلى عدة أقسام : قسم ينتقى الحوادث الواقعة أمس يوم العمل التي يمكن وضعها في قالب روايات وقسم ثان يختار الأهم ويترك المهم منها ونالت يضع الحوادث في قالب روايات ورابع ينقحها وخامس يجمعها وسادس يصحح مسوداتها وسابع يطبعها وثامن يجلدها وناسع يفرغها على المكتبات والباعة الخ .

ولا يزيد ثمن الرواية الواحدة عن سان واحد أى مليمين وبذلك يشتريها الصانع بتمن بخس وبتلاونها يقف على ما وقع أمس يومه في بلاده وفي غيرها من الحوادث المهمة . هذا مثل من أمثال الاعناء بالصناعات يدلنا على غيره .

ومن يتأمل في هذا الاعتناء يرى أن احترام الصناعات واجب على كل فرد صغيرا كان أو كبيرا .

محاورة بين صديقين

شوقي : عم صباحا أيها الحل الوفي والصديق العزيز .

فهى : أنعم الله صباحك سيدى ومحبى الكريم .

شوقي : قد مضت الأجازة ولم نعلم أحوالك وما أنت مشغول به وقد كان يمننى عن مكاتبتك عدم وقوفى على حقيقة عنوانك فما السبب في عدم مخاطبتك إياى .

فهى : ان السبب الحقيقى الذى منعى عن مخاطبتك هو السبب الذى منعك عن مخاطبتى .

شوقي : ولعلك تكون اشتغلت بشىء مفيد في هذه المدة الطويلة .

فهى - نعم اشتغلت بمطالعة بعض الكتب السيمياوية وتعلمت منها كيف يحول الانسان النحاس الى فضة والفضة الى ذهب والى غير ذلك مما سيجعلنى من أكبر الناس ثروة وأكثرهم مالا .

شوقي - وأظنك تعلمت أيضا تحويل الذهب الى ماس .

فهى - ان طرق تحويل الذهب الى ماس موجودة في كتاب آخر غير الموجود عندى . وان شاء الله سأشتريه عن قريب لكى أقف على كل أسرار العلم .

شوقي - وهل حولت شيئا من النحاس الى فضة أو من الفضة الى ذهب ؟

فهى - انى لم أشتغل الا بالعلم وأما العمل فأشتغل به فى مدة الدراسة .

شوقي - اعلم يا أخى هداك الله أن قولك مملوء بالغرور خالى من الحقيقة والدليل على

ذلك أن النحاس والفضة والذهب وغيرها هي معادن طبيعية وليست صناعية ولو أمكن عملها لكان سببك إلى تطبيق قواعد علم السيميا كثير من أمالك الذين أولعوا بحب الدنانير .

فهمي - اني لى غاية الاسفراب من قولك هذا فان قواعد علم السيميا معقولة مقبولة .

تموفى - ليس فى الأمر ما يحير الفكر أو يدهش البال فان كل مسئلة سهلة كانت أو معضلة يحكم فيها العقل الذى وهبه الخالق لنا ليهدينا الى أقوم سبيل فاذا حكمنا العمل فى هذه المسئلة وصلنا الى النتيجة السى قدمنها لك وهى أنه لو كانت قواعد علم السيميا صادقة لاسعملتها الكثير طمعا فى جمع المال فضلا عن أنه لو صدقت هذه القواعد السيمياوية لأختير غير معدنى الذهب والفضة للتعامل بين الناس اذ أن هذين المعدنين لم يختارا للتعامل بهما الا لندارتهم .

فهمي - لقد أجبررتنى بقوة برهانك وصحبح دلبلك على تصديق قولك وان كان فى نفسى بعض الاعتقاد بالقواعد السيمياوية .

شوقى - لا يجب عليك أن نعتقد بمواعد السيميا اذ أنها محض تلفيق وآخر دليل أذكره لك على قولى أنه الى الآن لم يحصل أحد من الذين اغتروا بهذا العلم واشتغلوا به على درهم واحد بل أن أغلبهم فقد القناطير المقنطرة من المال .

فهمي - حقا لقد صدقت يا أيها العزيز .

شوقى - اذا كنت صدقت فولى ونركت اعتقادك بالسيميا وخرافاتنا لزمنى اتماما للفحص أن أسألك سؤالا واحدا فهل لك أن نسمعه وتجيبنى عنه .

فهمي - سل عما تريد تجدنى لك مجيبا بقدر ما أعلم .

شوقى - وما بشيتك فى أن تكون ذا ثروة .

فهمي - لكى أعيش عيشة راضية .

شوقى - وهل تظن أن العيشة الراضية فى الثروة .

فهمي - نعم .

شوقى - وماذا تريد أن نعمل لتكون ذا ثروة .

فهمي - بما انك قفلت أمامى باب السيميا فليس لى حيلة الا أن أختلس متى توطعت .

شوقى - انه لا يسعنى الا أن أظهر لك أنى آسف على أفكارك هذه التى أبديتها فانها أسوأ الافكار وأدناها وقد توصلك الى حضيض الذل ان قمت بتنفيذها .

فهمي - انى لا أرى فى أفكارى الا صوابا فان كنت نرى أنها خطأ فأرجعنى عنها بدلائلك القاطعة كما أرجعتنى عن اعتقادى السابق وأظهر لى الطريق المستقيم .

شوقي - اعلم يا أخى أن السعادة الحقيقية ليست فى جمع الأموال ولا كنز الدنانير بل هى فى راحة الخطر وارنياح الضمير ورب ذى مال كبير لا ينام من الليل ساعة لاشتغال أفكاره بأمر أمواله وأملكه وما عليه وما له ورب فقير ذى خصاصة ينام الليل مرتاح البال ساكن الخاطر لا شاغل يشغله عن عبادة الله والقيام بواجباته .

إذا علمت ذلك وأضمت الى علمك هذا ان راحة الضمير وسكون السريرة لا يكونان الا بطاعة الخالق والعمل بأوامره وترك نواهيه ومعاملة الناس بالرفق واللين والقيام نحو الأهل والوطن بالواجب كل هذه الأمور التى أرشدنا اليها الدين القويم رأيت أنك مخطئ أولا فى قولك أن السعيد هو من جمع الدنانير وبانيا فى عزمك على الاختلاس ذلك الأمر الذى لا يقبله الا كل من فسدت أخلاقه وخلع شعار الدين والشرف .

فهمى - لقد تبين لى من قولك هذا يا أخى أن أعظم هاد للإنسان فى حياته هو الدين الشريف الذى جمع من الحكم فأوعى فهل لك أن ترشدنى الى مبادئ الشريعة حتى يمكننى أن أعمل به حقيقة وبذلك تنال الأجر العظيم وأنال سعادة الدارين دار الدنيا ودار الآخرة .

شوقي - بما أنك قد اهتمت الى طريق الصواب فسأوقفك فى كل مقابلة على بعض ما يهمل من المبادئ الشريعة وعلى الله التوكل فى كل الأمور .

المطالعة فى الطريق

قد رأينا الكبير من تلامذة المدارس الابتدائية يطالعون دروسهم حال ذهابهم صباحا للمدارس ولما كان فى هذا الأمر ضرر عليهم أردنا سياق النصح لهم حتى يعلموا أضراره فيرجعوا عنه .

تعلمون جميعا معشر التلامذة أن ساعة ذهابكم للمدرسة صباحا هى الساعة التى يهرع فيها أغلب الناس بحثا على معاشهم ويكثر فيها سير العربات والمارين زيادة عن غيرها ولذلك وجب على كل مار أن ينتبه فى سيره خوفا من لحاق الضرر به .

وكلكم يعلم أن لأعفل هو سلطان الجسم ورئيس الحرنة ومدبر الأفعال الانسانية النى لا يمكنه القيام بها كلها مرة واحدة بل يدبر الأمور أمرا أمرا ولذلك فهو عاجز عن أن يفهم الدروس ويتنبه للطريق مرة واحدة فينتج عن ذلك أن الاشتغال بالمطالعة فى الطريق أمر يضر كثيرا ويلزم تجنبه .

وزيادة على ما ذكرنا فأننا لو نظرنا الى السبب الذى يحمل التلميذ منكم معشر الأبناء على المطالعة فى الطريق لعلمنا أنه عدم مذاكرته ليلا وكسله واشتغاله باللهو واللعب وهذا ما لا يصح وقوعه من امرى رغب المعالى وطلب شرفا رفيعا وقصارى القول أنه يجب عليكم أن ترجعوا عن هذه العادة وأن تعلموا بقول الشاعر :

بقدر الكد تكتسب المعالي ومن طلب العلا سهر الليالي
يفوص البحر من قصد الآلاء ويحظى بالسيادة والنوال
ومن طلب العلا من غير جد أضاع العمر في طلب المحال

باب الأناشيد الوطنية

(التشيد الثاني)

| | |
|-----------------------|-------------------------|
| اهل المودة والسنن | هيا لكى نعل الوطن |
| ونعبد مجدا قد دفن | ونفوز بالنصر المبين |
| هيا بجد واجتهاد | نسعى لنذكر ذا المراد |
| هيا ولا تبغوا العناد | فالوقت جاء ولا معين |
| انتم بنو النيل السعيد | ذى العز والخير المديد |
| فاحموه بالجد المزيـد | فيكم بنيه يستعين |
| انتم بنوه فما لكم | لا ترفعوا ما قد هدم |
| وعزيز (مصر) امامكم | (عباسنا) الحصن الحصين |
| هذا الامير بجده | وبجبه لبلاده |
| قد نال كل مراده | وغدا على (مصر) الامين |
| فتشبهوا يا قومنا | بفعال روح بلادنا |
| كما تكون جمعنا | لثياب عز لابسنا |
| فالحجر لا يرضى المقام | بمكانة فيها يضام |
| والذل تاباه الكرام | والعز للعليا رهين |
| فاسموا بمصر الى العلا | لئنال ما قد أملا |
| ونسود من بن الملا | ونفوز بالنصر المبين |

الجزء الثامن

حمادى الاولى سنة ١٣١١

الجواهر السنية فى نظام الهيئة الاجتماعية

سبق لنا أن نشرنا بالعدد الثانى والثالث والرابع ملخص الباب الأول من كتاب (الجواهر السنية) ناليفنا وبعد ذلك لم نكتب منه شيئاً فى العدد الخامس والسادس والسابع فظن الكبير أننا عزمنا على عدم كتابة ملخصه فى الجريدة كما وعدنا بذلك فى العدد الثانى الا أنه اجابة لطلب العدد العديد من الأفاضل ونظراً لكوننا لم نفكر أبداً فى عدم نشره بالجريدة قد شرعنا فى درج بقيته شيئاً فشيئاً ولذلك فانا نخصص الكلام فى هذا العدد وتاليه على القوة التشريعية فنقول :

الباب الثانى القوة التشريعية(١)

علم القراء مما ذكرناه سالفاً أن الهيئة الحاكمة تنقسم الى قوتين : قوة تشريعية وقوة تنفيذية وأن القوة التشريعية هى أهم القوتين لأنها هى التى تسن القوانين واللوائح وهى التى تضع نظمات الحكومة وبمعنى آخر نقول أن القوة التشريعية تعد كآمر والقوة التنفيذية كماأمر يجب عليه اطاعة أوامر أمره .

ولبس للقوة التشريعية فى البلاد شكل واحد فهى تخلف باختلاف الممالك وعلى كل حال فهى نابعة لدرجة حضارة الأمة فمتى فازت الأمة من الحضارة بالقدح المعلى كانت قوتها التشريعية مستقلة كمال الاستقلال متمتعة بقوة التشريع الحقيقية ولا راد لما تسن وتضع وبعبس هذه الأمة التى عم الجهل أبناؤها وتحكم الفشل بين أفرادها ترى حكومتها حكومة مستبدة طاغية وملكها ملك ببديه كامل التشريع والتنفيذ فهى بالطبع أمة محرومة من قوة تشريعية مكونة كغيرها من بعض أفراد تنتخبهم الأمة بأسرها . ولقد قال فى ذلك أحد فلاسفة اليونان ما معناه (لبس لأمة من الأمم تعد نفسها أمة الا أن كان لها مجلس ينوب عنها فى وضع اللوائح والقوانين التى تحكمها) .

(١) مى ما يقصد بها الآن السلطة التشريعية .

ولما كانت الأمة المصرية أمة لم تبلغ من الحضارة ما بلغه الأمم الأخرى الأوروبية والأمريكية كانت قونها التشريعية أقل في الاختصاص من قوى هاته الأمم التي عمت الحرية فيها جميع الأفراد فلها الحق كبقية القوى التشريعية في وضع لوائح ومشروعات انما لا نكون تنفيذية الا بصديق مجلس النظار وسمو الحديوى عليها .

والقوة التشريعية عندنا شرعت بالقانون النظامى المصرى الصادر بسراى عابدين فى ٢٤ جمادى الثانية سنة ١٣٠٠ هجرية الموافق أول مايو سنة ١٨٨٣ افرنجية وهو شتمل على تشكيل ثلاثة مجالس .

• **أولا : مجالس المديريات**

• **ثانيا : مجالس شورى القوانين**

• **ثالثا : الجمعية العمومية**

وستتكم على كل مجلس من هذه المجالس على الترتيب حنى اذا ما تم الكلام عليها توجناه بكيفية انتخاب أعضاء كل منها :

الفصل الأول

فى مجالس المديريات

(اختصاص مجالس المديريات) : يختص كل مجلس من مجالس المديريات بالنظر فى جميع الأمور التى يكون من ورائها فائدة للمديرية التى هو مجلسها .

فلمجلس المديرية أن يقرر رسوما فوق العادة لصرفها فى أشياء تعود على المديرية بالفائدة انما لا يكون قراره تنفيذيا الا بعد تصديق الحكومة عليه .

ويجب أخذ رأى مجلس المديرية فى المسائل التى تتعلق باتجاه طرق المواصلات برا وبحرا والأعمال المتعلقة بالرى وبإحداث أو نصير أو إبطال الموالد والأسواق فى المديرية وما أشبه ذلك .

ويجوز لمجلس المديرية أن يبدى رأيه فى عمليات الطرق والملاحة والرى وفى مشترى أو بيع أو ابدال أو إنشاء أو ترميم المباني والأماكن المخصصة للمديرية أو للمجالس أو لنسجون أو لمصالح أخرى خاصة بالمديرية وفى تغير استعمال تلك المباني أو الأماكن وله أيضا أن يبدى رأيه فى جميع المسائل التى تتعلق بتقديم المعارف العمومية والزراعة .

وأخيرا يجب على مجالس المديريات أن تنتخب أعضاء مجالس شورى القوانين كما سيبين فيما بعد .

(النشام مجالس المديريات) لا يلتزم أى مجلس من مجالس المديريات الا بمقتضى

أمر من الحضرة الفخيمة الخديوية يصدر بناء على طلب المدير ، ويعين فيه ميعاد الاجتماع ومدته ، ويجب انعقاد مجلس المديرية مرة في كل سنة بالأقل ، وفي اليوم المحدد لاجتماع مجلس المديرية يتلو المديرية عليه أمر الانعقاد ، ويحلف أعضاء المجلس المستجدون أمام المدير يمين الصداقة للحضرة الفخيمة الخديوية والطاعة للقوانين .

والمدير هو رئيس المجلس وله رأى معدود في مداولاه ويجب على باشمهندس المديرية الحضور في جلسات المجلس وله رأى ممدود أيضا .

وجلسان المجلس غير علنية أى سرية ولا تعتبر المداولة فيه قانونية الا حضره أكثر من نصف أعضائه ، ولا يجوز لأى مجلس مخاطبة غيره من المجالس فى تحرير أو نشر محاضر أو منشورات .

(فض المجلس) لا يكون فض أى مجلس الا بأمر من سمو الخديوى ومضى فض يشرع فى انتخاب جديد يكون فى الثلاثة شهور التالية لفض المجلس .

(تشكيل مجالس المديرية) : نتشكل مجالس المديرية من عدد من الأعضاء يختلف بين ثمانية وثلاثة حسب كبر المديرية .

فمجلس مديرية الغربية يتشكل وحده من ثمانية أعضاء ومجلس مديرية أسبوط من سبعة وكل من مجلس مديرية المتوفبة والدقهلية والشرقية من ستة والبحيرة وجرجا من خمسة والجيزة والقليوبية وبنى سويف والمنيا وقنا واسنا من أربعة ومجلس مديرية الفيوم يتشكل من ثلاثة أعضاء فقط .

(شروط عضوية مجالس المديرية) : لا يجوز انتخاب أحد لعضوية مجلس المديرية ما لم يكن بالغاً من العمر ثلاثين عاماً كاملة على الأقل وله معرفة بالقراءة وممن يدفعون مالا مقررا على عقارات أو أطبان فى نفس المديرية قدره خمسة آلاف قرش سنوياً على الأقل ويكون دفعه لهذا المال منذ سنتين بالأقل ويلزم زيادة عن ذلك أن يكون اسمه مندرجاً فى دفتر الانتخابات منذ خمس سنوات بالأقل موظفاً بالحكومة ملكياً كان وعسكرياً وأن يكون عضواً فى مجلس مديرية آخر .

(مدة العضوية) : تعين أعضاء مجالس المديرية هو لمدة ست سنوات وبصير تغيير نصفهم كل ثلاث سنوات ويجوز تكرار انتخابهم ويكون تغييرهم بالقرعة .

الى هنا انتهى ما يتعلق بمجالس المديرية وموعداً بمجلس شورى القوانين والجمعية العمومية العدد الآتى



الجزء التاسع

جمادى الثانية سنة ١٣٢٢

منايع النيل

اطلعنا فى العدد الثامن من جريدة « المهندس » الغراء على نبذة تحت هذا العنوان للعلامة المفضل سعادة على باشا ابراهيم ناظر المعارف العمومية سابقا نأتى بها هنا افادة للقراء الكرام وانباها لما يقوله كل مواطن صادق من أن مصر والسودان نوأمان حقبقيان فى انفصالهما ضياع لمصرنا العزيزة قال حفظه الله :

ان نهر النيل يتكون من نهرين آتئين من أقصى بلاد السودان وبلاد الحبشة وهما النيل الأبيض والنيل الأزرق ويجتمعان عند مدينة الخرطوم ويصيران نهرا واحدا يجرى من الخرطوم فى بلاد النوبة الى مصر فالبحر الأبيض المتوسط ويصب فيه .

وينقسم نهر النيل الى ثلاثة أقسام أحدها يسمى بالنيل الأعلى أو نيل السودان والحبشة وهو من منبعه الى الخرطوم . ثانيهما : يسمى بالنيل الأوسط أو نيل بلاد النوبة وهو من الخرطوم الى جزيرة بلاق المسماة- جزيرة فيله وفصر أنس الوجود وهى جزيرة فى النيل قبل سلال أسوان بنحو ١٠ دقائق - ثالثها يسمى بالنيل الأدنى أو نيل مصر وهو من الجزيرة المذكورة الى البحر الأبيض المتوسط . أما النيل الأعلى فيتكون من نهرين كبيرين يجتمعان عند الخرطوم ويقال لأحدهما النهر الأبيض وثانيهما النهر الأزرق ويسمى كلا منهما بحرا عند أهالى الجهات المارين بها . فالنهر الأبيض يعتبر كأنه الأصل الحقيقى للنيل وهو يخرج من بحيرة كبيرة فى جنوبى بلاد السودان تسمى بحيرة (أوكبريفى) على حسب ما تحقق من الاكتشافات الحديثة . وهذه البحيرة تسمى نبانزا أيضا أى الماء العظيم عند أهالى البلاد المارة بها وسببت فبكتوريا ناناذا باسم ملكة الانكلبز عند اكتشافها بمعرفة القنودان سبيك الانكليزى ١٨٥٨ ب.م. وحدها الجنوبي فى ٣١ درجة من الطول الشرقى و ٧ درجات من العرض الجنوبي ويصب منها فى هذا الحد فرع منكون من السبول كنير الأوحال . وعرضها فى الجزء الجنوبي منها من ١٢٠ الى ١٤٠ كيلومترا وطولها يمتد الى شمال خط الاستواء .

ويتضح من الاكتشافات الحديثة أن النهر الأبيض يخرج من البحيرة المذكورة بثلاثة فروع ثم تجتمع فى فرع واحد يتجه نحو الشمال الغربى ويتكون شلال (جاربو) ويروى

بلاد « بارى » ويمر بعد ذلك بغابات وأجمات يتفرع فيها جملة فروع ويصب فيه جملة فروع أخرى متكونة فيها السيول وأهمها (كيلاك) الآتى من غرب السودان الوسطى بعد انصباب بحر الغزال فيه و (صوبات) الآتى من شرفى بلاد الحبشة وطول مجرى النهر الأبيض من منبعه الى الخرطوم حيث يجتمع مع النهر الأزرق يبلغ أكر من ٢٣٠٠ كيلومترا .

وأما النهر الأزرق فمنبعه بين النلوج المحيطة بجبال القمر ببلاد الحبشة وينجه نحو الشمال الشرقى ويختلط بجملة نهيرات متكونة من السيول فيزيد حجمه ثم يدخل بحيرة دفيقة من جنوبها ويخترقها ولسرعة جريانه لا تختلط مياهه بها وبعد خروجه منها يكون شلال (الأطه) ويمر غربى بلاد (سنغالا) ويقطع نلات شلالات حتى يصل الى جهة ستار فيروى بها سهولا واسعة وهناك نصب فيه عدة مجارى ، وهذا النهر مع ما ينصب فيه من المياه لو لم ينصل به النهر الأبيض لكان ضعيف وربما كان لا يصل الى أرض مصر بل يضيع فى الرمال . فان مياه النيل الأبيض تبلغ ثلاثة أضعاف الأزرق .

وأما النيل الأوسط فيجرى مستقيما من الخرطوم مخترقا معظم بلاد النوبة الى قرية (جبرى) ثم يرسم فوس دائرة وينتهى الى جزيرة (مقراط) وفى ساطئه الشرقى بالقرب من قرية (ضامر) أو (دامر) ينصب فيه نهر (اطبرة) أو (عطبرة) ثم يجرى من جزيرة مقراط الى الجنوب ثم ينعطف الى الشمال الشرقى راسما فوس دائرة الى جزيرة (بلاق) أو (فيلة) المتقدم ذكرها مخترقا دنقله وبلاد النوبة بكثر فيها الشلالات المعطلة لسير السفن الجارية فى النيل المتوسط فمن (رشبدى) الى (أم دراس) ثلاثة شلالات ومن (أم دراس) الى ناحية (ضال) سبعة شلالات ومن (ضال) الى (وادى حلفا) تسعة شلالات وأكبر هذه الشلالات شلالات (وادى حلفا) .

وأما النيل الأدنى أو نيل مصر فيبتدىء من جزيرة (فيلة) المذكورة سابقا حيث مبدأ مصر الأصلية . وعلى بعد ثلاثة آلاف متر تقريبا من هذه الجزيرة جهة الشمال شلالات أسوان وهو آخر الشلالات ومن أسوان يجرى النيل عموديا تقريبا من مجراه الأصلي حتى يصل الى دندرة ثم منها الى القاهرة وينعطف انعطافات كثيرة وينزل بملدن متعددة وقرى جملة ويروى جميع أراضي مديريات الوجه القبلى الى نهاية مديرية الجيزة مباشرة أو بواسطة الترغ الخارجة منه وينقسم عند القباطر الحيرية الواقعة فى شمال القاهرة على بعد خمسة فراسخ الى فرعين أحدهما وهو الغربى يصب فى البحر المتوسط تحت مدينة رشيد والآخر الشرقى وهو الأكبر يصب فى البحر المتوسط تحت مدينة دمياط ويخرج من هذين الفرعين ترع كبيرة لرى جميع أراضي الوجه البحرى .

ويتكون بين الفرعين المذكورين مع ساحل البحر الأبيض المتوسط بسن رشيد ودمياط مثلث متسع قاعدته ستون فرسخا وارتفاعه خمسون فرسخا ، وهذا المثلث يسمى باسم دلتا عند الأوربيين . وأول من سماه بهذا الاسم اليونان لمشابهة شكله

لحرف دلتا اليوناني وهو حرف الدال • وهو مكون من مديريسي المنوقية والغريسية الآن •

وأما سبب فيضان النيل وزيادته فنزول أمطار دوريه ببلاد الحبشة والسودان فاذا لم تنزل الأمطار في سنة من السنين بكثرة نقص فيضان النيل فيها بالنسبة لما نقص من الأمطار • وتيسدئ الأمطار الدورية المذكورة من شهر مارت لكن لا يظهر أثرها في نيل مصر الا في شهر يونيه الا فرنجي وهو شهر يؤونه القبطي • ومنشأ هذا النأخر طول المسافة النى يقطعها الماء وما تبتلعه الرمال بحافنه التى يمر فيها الى أن يصل مصر • ويرى المصريون أن النيل يأخذ في الزيادة عند نزول النقطة ليلة ١١ من شهر يؤونة القبطي • ويبلغ النيل بحسب العادة الى نصف زيادته في نحو ١٥ من أغسطس و ١٠ مسرى ويستمر في الزيادة الى نحو ٢٠ سبتمبر و ١١ بوت وتنتهى عادة في يوم ١٧ توت وهو يوم الصليب ويسقى على ذلك نحو سبعة عشر يوما تقريبا ، ثم ينقص بالتدريج وينحصر في مجراه الأصلي لمدة شهر نوفمبر الموافق بابه ثم يستمر في النقص الى شهر مايو من السنة التالية ثم يبقى على الحالة التى هو عليها تقريبا الى الانقلاب الصيفي •

وأحسن زيادة للنيل في العادة نحو ٧ أمتار و ٥٥ سنيمترا تقريبا فوق عادة انحطاط الماء ، فاذا كانت الزيادة كثيرة جدا تسبب عنها الغرق واذا كانت ضعيفة جدا حصل منها الشرق • وقد نتج من تحليل ماء النيل بالطرف الكيماوية فى وقت نقصانه أنه يشتمل على مقدار يسبر من موريات الصودا وهو خفيف جدا وطعمه لذيذ ولذلك فهو أنقى من ماء نهر السين بباريز خمس مرات •

باب الأناشيد الوطنية

| | |
|--------------------|--------------------|
| مظهر الأوطان مجد | وعلاء وفخار |
| وزمان النيل سعد | ورخاء ويسار |
| رفعت مصر محلا | هو للمشرق منار |
| وتجلت وتجل | لعاليتها نهار |
| قامت الآثار فينا | بعد أن طال السراد |
| كشف مجدا دفيننا | ليس يعلنون غبار |
| يابنى الأوطان فخرا | فمعالكم كبار |
| وتلقوا العصر حرا | لكم فيه اشتها |
| جازت النجم الاريك | وعلا التاج ازدهار |
| أنت عباس المليك | كيف لا ترقى الديار |
| لك مصر يا عزيز | ولك النيل مسار |
| أنت بالله عزيز | لك بالله انتصار |

نشيد الحدود

وهو نشيد وضعناه قبل سفر الجناب العالي الى الحدود ولحنه الموسيقى هنا
وضربته وأنشدته العساكر في كروسكو عندما شرفها ركابه السعيد :

| | |
|------------------------|----------------------|
| السعد أقبل والمنا | مأ زارنا عباسنا |
| والبشر قد وافى لنا | بركابه السامي المقام |
| شرفت يا بدر السعود | فاستبشر أهل الحدود |
| وبدا على وجه الجنود | فرح يدوم لدى اللوام |
| فاكرم بجندك يا أمير | فلأمرك السامي أسير |
| ولقطره أسمى نصير | واهنا به يابن الكرام |
| واحكم عبيدك والبلاد | بالعدل دوما والرشد |
| واسلم ودم يا ذا السداد | واسعد بمهرتك في سلام |

مقالات
مصطفى كامل

نصيحة وطني

(ايه يا سماسرة السوء ايه يا اعداء الانسانية ايه يا جراتيم الفساد لقد والله سماديتهم في البغي وفد ندانيتم من كل أثم فصي نسعون في الأرض بالفساد وحتام تعظمون الصغير دون الكبير وكم هذا الارعاد والتهويل وما هي الغاية التي تسعون اليها من زرع بذور الفساد واضرام نار الفتنة بالاختلاقات الواهية والاشاعات الكاذبة والمصري أعظم مكانه من ان تؤثر فيه عوامل المفسدين وارزل من ان نحركه يد الغايات المصري مشهور بالصبر معروف بالسكينة موصوف بالنبات فردوا سهام أذاكم في تحوركم وانفتحوا في رماد الفساد ما شئتم أن سمعوا فلا والله لن تروا منه حركة الا بالسكون ولن ننالوا غرضنا ولو بعد العناء . (١)

(١) أكثر مصطفى كامل من كتابة المقالات ونشرها في جريدته الأهرام ونشرت أول مقالة له في العدد ٤٥٤٥ في يوم السبت ١١ فبراير ١٨٩٣ .

تعتبر هذه المقالة هي النالية للمطامره التي قام بها طلاب المدارس المصرية وفي مقدمتهم طلاب مدرسة الحقوق في ٢٠ يناير ١٨٩٣ مهاجمين منى جريدة المقطم وهي الجريدة الموالية لسلطات الاحتلال لما أظهرته من عداء للحركة الوطنية في أعقاب تولية الحديو عباس حلمي الثاني . وقد فاد هذه المظاهرة مصطفى كامل لما كان له من مقدرة وسيطرة على تحريك الطلاب . ويساؤل فيها صرقات أصحاب جريدة المقطم حيث وصفهم في البداية بأنهم سماسرة السوء وأعداء الانسانية وجراتيم الفساد .

وأصحاب جريدة المقطم هم فارس نمر ، يعقوب صروف ، شاهين مكاربوس ، وقد اهتم كرومر بطلب فارس نمر لاصدار الجريدة ويعتبر هذا الاصدار الملعة الثالثة من حلقات احكام الحصار حول الرأي العام المصري فقد أصدر أصحاب المقطم منذ عام ١٨٨٥ مجلة المعتطف وهي مجلة علمية ثم أصدر شاهين مكاربوس مجلة اللطائف الأدبية عام ١٨٨٦ وللاه المقطم الذي احصى بالنواحي السياسية .

وقد تزوج فارس نمر من ابنة فصيل اسجلرا بالاسكندرية عام ١٨٨٨ ثم سافر الى اسجلترا وهناك اجتمع بكبار الساسة الاسجليز . لذلك فلا عراية أن يصف نمر وجود الاسجليز في مصر بأنه « أكبر سعة لهما » .

وبذلك توفر للمحتلين - بوحود هؤلاء الشوام الثلاثة وحريدهم - أن يعموا يوميا سفير الامة المصرية والتلويح بسوء مقاصد الحديو وتكرار الاعتراف بسلطات الاحتلال . ويعترف كرومر بموالة المقطم لسلطات الاحتلال أثناء خلافه مع الحديو عباس حول الوزارة المصرية ، وقد كان الاسجليز يدفعون أموالا =

ورحمك أيها المصري ما أشدك على حمل النوائب وما أصبرك على فساد
المفسدين ، وطوباك ما أكثر حذرک من العواصب واطهرک على المغترين !! ، هذا العالم
ينظر اليك الآن بمنظار الانقراض فيرى المفسدين يجوسون خلال ديارك وسماسره
السوء يدرسون عليك الدسائس ويعملون على ضررك ، وأنت مع ذلك ثابت الجأش
قوى الجنان غير مصغ الا لنداء الثبات ولا ملتفت الا الى مصلحة وطنك لكن مع
السكينة والحزم ، وبذلك يعلم العالم أنك إنما اتهمت بما أنت براء منه ورميت بما
أنت بعيد عنه فيعود بالملامة والتأنيب على من رام اغتصاب حفاك بحجة ليس عليها
دليل الا الباطل ، وينصفك ممن حاول سلب استقلالك لمجرد بعلقك بحب أميرك
العزیز ووطنينك الصادقة (١) .

«صحة للمعظم لاستخدامه في مصر كوسيلة لامتداد الرأي العام ، ولذلك فالمعظم وأصحابه هم أول وأكثر
الداعمين عن مصالح إنجلترا في مصر .»

وهو كلف كرومر أصحاب المعظم يطبع تقاريره السنوية باللغة الإنجليزية ثم ترجمتها للعربية والفرنسية
وبوزيعها على المشتركين بجانب نشر التقارير بأكملها في أعداد متتالية من المعظم بالصفحة الأولى .

(سمي عزيز : الصحافة المصرية وموقفها من الاحتلال الإنجليزي في القاهرة ١٩٦٨ ص ٩٦ وما بعدها)

(١) بعد انتقال السلطة من يد الخديو توفيق الى الاحتلال في أعقاب فشل الثورة العربية أصبحت
للإنجليز اليد العليا المصروفة يكامل حريتها في أحوال البلاد . وبعد وفاة الخديو توفيق في ٧ يناير
١٨٩٢ وبوليته أنه الأكبر الأمير عباس - الذي استدعى من فيينا حيث كان يعلم - السلطة في ١٦ يناير
١٨٩٢ كان أول ما صرح به الخديو عباس عند وصوله مصر أنه يعزل الموت على التنازل عن أصغر حق
من حقوقه ، بجانب أنه انتقد سياسة والده والوراثات في عهده ، التي استكانت وسلحت معاليد البلاد
لسلطات الاحتلال . وقد أدرك كرومر في أولى تصريحات الخديو الجديد أنه سيكون مصريا في تصرفاته
محلا من والده ، فكانت نادرة طيبة منه ، استنشر بها المصريون ، حتى أنه في أول صلاه جمعه له
بالمسجد الحسيني يوم ٢٢ يناير ١٨٩٥ نازح الناس على عريته وحلوا وثاق خيولها وقاموا بجرها بأعصمهم
حتى باب المسجد ، وذلك دليل على تطلع جماهير الشعب المصري الى من يجاهر بحقوق مصر ولا يتنازل عن
حقوقه أمام المعتد البريطاني .

وقد كانت الفترة الأولى من حكم عباس الثاني فترة شعور حماسي واستقلال في الرأي ، كذلك كان
الخوف الدولي السائد في تلك الفترة عاملا مساعدا لساس الثاني على مناوأة سلطات الاحتلال ، فكانت
تركيا ملقة من وجود سلطات الاحتلال على أرض مصر وفرنسا تحاول استرداد ما فقدته من نفوذ في مصر
عن طريق الخديو الشاب ، بجانب الدول صاحبة الامتيازات المالية التي كانت نخشى سيطرة بريطانيا على
مقاييد الأمور ، مما يمرضها ويعرض امتيازاتها للخطر .

الا أن الصعاب التي اعتزضت عباس الثاني في بدايه حكمه جعلته يشعر بشيء من الخوف ، وأناحب
لمعد السياسة البريطانية في مصر - لورد كرومر - أن يعمل على تعليم أطراف الخديو عباس تدريجيا
حتى تم لبريطانيا ما أرادت من السيطرة عليه فيما بعد .

- أحمد شفيق ، مذكراتي في نصف قرن (القسم الأول) ج ٢ ، ص ١٨٩٢ : ١٩٠٢ القاهرة
١٩٣٦ ، ص ١٧ .

- جولييت آدم ، إنجلترا في مصر ، ترجمة علي فهمي كامل القاهرة ، ص ١٤٩ .

- عيد المنعم الجيمي ، د. الخديو عباس الثاني والحزب الوطني ١٨٩٢ - ١٩١٤ دار الكتاب
الحامص ط ١ / القاهرة ١٩٨٢ ، ص ٥١ : ٥٨ .

فأصبر أيها المصري فان الصبر من عزم الامور ، وإياك والتهور مع دسائس
المفسدين ، يقول أو يفعل ، بعدما ظهر منك من الوطنية والنبات ، فوالله لسكونك
في مثل هذه الظروف أسد على أعدائك من ضرب الحسام ، وانكى من كل نكايه وهم
انما يتدفعون بك اليك ، فصدحهم لكن بالحزم وردهم لكن بالتأني وكى مع مواطنيك
من الغربيين الذين يقاسمونك السراء والضراء كما أنت عليه من الحب الدائم والالفه
البايئة (١) . فاما مواطنك وطنيا ومشاطرك الحير والضر صفيك ، واعلم ان
سمامة السوء ينربصون بك الشر والمحتلين يبطرون الى وطنينك بعين القدر ، حتى
اذا راوا منك شررا جعلوه نارا يوقدون بها مصابيح النهويل في ظلمات الباطل ،
ليجعلوك فريسة الأعراض فنادى على النبات والانقياد لأميرك لكل حركة وسكون ،
وكن منه ومن رجال حكومته الظاهرين محل الثقة والأمان فلا والله لن ينالك سوء بعد
ماظهر منك ومن أميرك من الوطنية والحزم ماجعل العالم الأوربي ينظر اليك بنظر السبجيل
وينق منك بكفاءة نخولك حرية الاستقلال (٢) والانسانية ننادى قائل الله القسوة

(١) عمدت السياسة البريطانية في تلك العنزة الى اثاره الخلافات الدينية والعومية في كل البلاد
التي وقعت تحت استعمارها ولكنها لم تجد في مصر من خلافت طائفية ساعدها على تطبيق سياستها
العنصرية ، لذلك عمدت الى استخدام أساليب جديدة لتحقيق أهدافها بالصاى بهمه التعصب الديني
بالمصريين ضد الأمليات الدينية والأجنبية . وقد دافع مصطفى كامل عن المصريين بما يغنى عنهم تلك الهم
المفرضة خاصة ما سعت اليه بريطانيا من اثاره الدول الأجنبية على مصر ، بحجة تعصب المصريين ضد
الرعايا الأجانب .

ويقول في خطبته - بتاريخ ١٣ ايريل ١٨٩٦ - « ان أعداء مصر يريدون أن يمثلونا أمام أوروبا
في صورة قوم متوحشون وقد تطرفوا في هذا الادعاء بأن الأمة المصرية معصية ، ان الكثيرين من الأوربيين
يعيشون في القرى المصرية مختلطين مع الفلاحين ٠٠٠٠ »

« ٠٠٠٠٠٠ ان لأعدائنا معصدين من العول بأننا معصون في الدين وهو إهاجة غصب الأمة والعاء
نور الضعاف بين الأوربيين والمصريين ، ولكن الأمة المصرية محافظة على السكينة عاروه بعيم الاعمال
الديني ٠٠٠ »

وقد فامت سياسة مصطفى كامل الوطنية على الاقتناع لا على الثورة والعنصب .

- زكريا سليمان بيومي ، ٥٥ ، الحزب الوطني ودوره في السياسة المصرية ١٩٠٧ - ١٩٥٣ القاهرة ،
ص ٤٤ .

- طارق البشري ، المسلمون والابطاط في اطار الجماعة الوطنية المعاصرة - ص ٤١ . ٤٥ .

- فنجي رضوان ، مصطفى كامل ، مجموعة أقرأ دار المعارف ، ص ٢٥٤ ٢٦٣ .

- جولييت آدم ، مرجع سابق ص ٢٤٥ - ٢٤٨ .

(٢) رأى مصطفى كامل في كفاحه الوطني ضد الاحتلال البريطاني الذي فرض نفسه كأمر واقع - أن
الحركة الوطنية لا بد لها من أن تسالدها قوة سواء من داخل أو خارج مصر لذلك رأى في الحديدي
الحديد الشاب عباس حلمي الثاني قوة يتحدى بها كرومر . كذلك لمس الحديدي عباس الثاني في زعامه
مصطفى كامل الوطنية والتعافى الحماس حول وفصاحه الخطابية سنداً له في مواجهة تعسف كرومر
ومحاولاته لسلب سلطانه ، وبذلك يرى أن كلا منهما وجد في الآخر ما يبتغيه من مسانده خاصة وأن «

والاستبداد ما أمسهما بشرف أمة الحرية وما أشر عافيهما من عافية على نابذى
العهود ، وهم قيودها وناكسوا لوعودهم معزوها فلقد كشفوا عن غايتهم الغطاء ،
وأظهروا للعالم المتمدين ما تكنه ضمائرهم من السوء ، فجلبوا على أنفسهم الضرر من
حيث أرادوا النفع ، فهيهات هيهات أن نقاد لهم بعد ذلك الرجال أو ينطلى لهم
ولانصارهم على العقول محال .

ومهما يكن عند امرئ من خليفه وان حالها نخمى على الناس نعلم
فما علينا بعد هذا الا المسابرة والاحتداد على دفع غاية المقرضين لكن مع
السكينة والتبات والمؤازرة لأمرنا المحبوب الذى نرجو الله تعالى أن بوفقه لكل ما
فيه خير الوطن وبنيه ان الله كريم مجيب .

١

= مصطفى كامل كان يسمى لنويل حركه ماليا ، ومن هذا المطلق أحد مصطفى كامل يدعو المصريين
للانقلاب حول الخديو الشاب صاحب السلطة الفرعية ونائب السلطان ديتيا وسياسيا .
- عبد المنعم الحسنى . د - مرجع سابق ، ص ٧٣ . ٧٥ ، ١٢٩ . ١٣٥ ، ١٣٧ ، ١٣٨ .

الحق يعلو ولا يعلى عليه

« لما كانت أفعال الإنسان غير مربطة بقوانين طبيعية وفواعل نابتة ، تنمشى بها على وتيرة واحدة فإنها لا تسلم من التغيير والتبديل حسب إرادة الفاعل وغايته ، كما أنها أفعال إرادية صادرة عن قصد ، وكلما صدر عن قصد فهو بالطبع قابل للتغيير ، فانك بينما ترى زيدا كريما حسن الخلق محبوبا من الناس ، اذ نراه أصبح ضنيا فاسد الخلق مدموما من الناس ، والعكس بالعكس ، وليست الغرابة في ذلك بل الغرابة في كيف أن الإنسان مع انصافه بالعقل والارادة وتمييزه بين الحسن والقبيح يقبل على نفسه الاتصاف بالبخل بعد الكرم ، والذم بعد الكرامة !! ذلك ما نريد معرفته والوقوف على سبيله فان قيل نه مرفوع الى ذلك بحركة اضطراريه بدون قصد ولا ارادة فيقال هذا ينافي اتصافه بالارادة وأفعاله عن قصد وإرادة كما مر والا لكانت خالصة عن كل نميز والواقع بخلاف لما أن قوة التمييز حاصلة لديه وهو قادر على ان يميز بها بين المتضادين ، فكيف اذن يقبل التحول من الحسن الى القبيح ، ومن النافع الى الضار وهو يعلم انه كذلك . هذا ما نسأل بيانه خصوصا ممن كان بالأمس ينفع الوطن والاسلام بقلمه ولسانه فأصبح على الضد من ذلك (١) قائما بترويج المقاصد الانكليزية شاحذا غرار قلمه بنشر الفصول

(*) نشرت في جريدة الاحرام في العدد رقم ٤٥٥٠ بتاريخ ١٦ فبراير ١٨٩٣ .

(١) مرجح أن يكون المقصود بذلك هو النسخ محمد عبده .

وجد أن الشيخ محمد عبده والحدوي وكرومر وجد كل في الآخر ما يسع له ليطعن هدفه ضد الطرف الآخر . فقد استعمل كرومر في الشيخ محمد عبده وما يتنادى به من حركات اصلاحية - سواء للازهر أو التعليم والادارة - ما يشغل الرأي العام من مناقشة المخططات الاستعمارية في مصر وتديلا للدول الأوروبية على وجود حجة جديدة للنقاء وإطالة أمد الاحتلال . أما الشيخ محمد عبده فرأى في كرومر وسيلة لصرب سلطة الحدوي خاصة بعد سوء العلاقات بينهما سبب حادث الأوقاف - الذي دمر العلاقة بين الشيخ والحدوي وعلى أثرها أيد الحدوي موقف مشايخ الازهر المعارضين لاصلاحات الشيخ بل ودفعهم لكتابة الشكاوى ضده مما دفع الشيخ الى الاستقالة من مجلس الازهر ، خاصة وأن الحدوي نفسه بدأ في الابتعاد عن الحركة الوطنية واتجه لاستغلال منصبه لجمع المال . لذلك التقى كل من الشيخ محمد عبده وكرومر على هدف ضرب سلطة الحدوي . إلا أننا نرى أن الاستفادة التي حققها كرومر من صداقته للشيخ تفوق =

الطوال المزخرفة يعرض الكلام وطويلة مملوءة بألف دليل مجسم بقلب الغرض يظهر لدى ادنى تأمل أنه صورة مجردة الباطن عن روح الحقيقة وجوهر الصدق مغشاه بسفاسف من القول يقصد بها الاستدلال على حسن مقاصد المحتلين وسلامة نيتهم على المصريين خلافا لما قام عليه البرهان الحسى لدى العالم أجمع ، من أنها مقاصد ليست من السلامة على شيء بدليل ما هو مشاهد من حركات الحكومة الانكليزية وأعمال رجالها في هذا القطر وإحاطتهم بدوائر الحكومات الملكية والعسكرية احاطة السوار بالمعتصم واستشارهم بمصالح الأهلى استثنائا من غلب على طبعه الطمع وتولاه الغرور ثم اجتهادهم في امانة كل عنصر حى مصرى وتوضيحه بعنصر انكليزى تطلعا للسلطة المحلية التى كادوا ينوصلون لجعلها سلطة انكليزية فعلا مصرية اسما كل ذلك بحجة الاصلاح وسسرا باسم المحافظة على الأمن والحقوق ولنا بحادثة الوزارة الأخيرة ونطاؤلهم لسلب حقوق الحضرة الحديوية (١) • لو لم يحل

= تماما ما حفظه الشيخ من صدقاته لكرومر ، فقد وجد في الشيخ اداة جيدة نكره طمعة الباشوات ولكن في نفس الوقت وطبعا صادقا يسعى نجد للاصلاحات الجادة وهو ما تحاسبه كرومر أى أنه أخذ ولم يعط بعد ما أخذ •

وقد كان من الاجدى أن يلقى انحاء الشيخ محمد عنده مع اتجاه مصطفى كامل في اثاره الشعور الوطنى ضد الاحتلال مستخدمين ركزوا احياء التقاليد الاسلامية دون الاتجاه للغرب • الا أن كرومر عمل على الا يلتقى الهدفان المصريان بعد ما سعى لتشجيع الهجوم على الحديو الذى لم يكن يملك من الصلاحيات الدستورية الا فى نطاق ما تسمح به سلطات الاحتلال • لذلك وجد الشيخ محمد عبده أن في أسلوبه هذا اساعة للوف مع اسناد الحديو ونفصة سلطات الاحتلال وجود مشايخ الأزهر الذين رفضوا اصلاحاته • ورأى أن الصدام وشيك مع الحديو اذا ما استمر في خطواته الإصلاحية فاحه للوجهة الأخرى وهى كرومر في محاولة لانقضاء بطش الحديو • وقد رأى الشيخ في موازته تلك بس سلطة الاحتلال والسلطة الشرعية مبيلا للاتاحة بهما معا حتى وان بدا ذلك في نظر الاتجاه الوطنى - خاصة مصطفى كامل الذى ملأ الساحة الوطنية بنحريه الجماهير ومطالبته العلنية بالجلاء - حيانة للحركة الوطنية المصرية وهجوما على الشيخ محمد عنده •

- د • زكريا سليمان بومى ، البيارات السياسية والاجتماعية من الحديين والمخافطين دراسة تاريخية في فكر الشيخ محمد عنده ، مصر النهضة ، مطبوعات مركز تاريخ مصر القاهرة - ١٩٨٣ ، ص ٨١ - ٨٥ •

- عبد المنعم الجسمى مرجع سابق ، ص ١٠٤ - ١١٣ •

- رشيد رضا ، تاريخ الاساذ الامام ، ج ١ ، ط ١ ١٣٢٤ هـ ، ص ٥٦٩ - ٥٧٤ •

ص ٤٩٧ و ٤٩٨ - ٥٦٩ : ٥٧٤ و ص ٥٨٠ : ٥٨٨ •

- أحمد شفيق ، مذكراتى في نصف قرن ، ح ٢ ، ق ٢ مطبعة مصر القاهرة ١٩٣٦ ، ص ٣٥ - ٣٩ •

(١) البور الحديو عناس أن صحة مصطفى فهمى - الذى كان معروفا بميوله الانكليزية - لاتناسب مع المهام الوطنية فارسل اليه مع محمود شكرى باشا رسالة يطالبه بالاستعفاء بطرا لطرويه تلك ، ولكن مصطفى فهمى رفض هذا الطلب وأرسل للحديو عناس ردا عاىة في الاسجفاف ؟ وهو أن عنده استشارة اللورد كرومر في طلب الاستعفاء هذا •• وكان رد مصطفى فهمى هذا كميلا باثارة غضب الحديو الذى أصدر قرار اقاله مصطفى فهمى وتكليف حسين فخري ناظر الصحاية بتأليف وزارة جديدة • ورأى كرومر في تصرف الحديو هذا محاولة لنسب البعذ البريطانى ، لذلك ذهب كرومر لمخالفة الحديو واعترض على •

دوبهم حزمها العظيم شاهد عدل يؤيد ما هم عليه من فساد المقاصد وسوء النية ودخض ما يأنيه أنصارهم من الترهات الأمر الذى أيقظ المصرى من غفلة طول الأمل ، وفيه فيه عواطف الوطنية بعد الذبول ، فتحرّكه فيه روح الشهامة نحت على الرزانة والسكون. لتعضيد أميره العزيز الذى أحيا فى قلوب المصريين عنصر الأمل ، وأوقف تيار الغايات الانكليزية بنهضه الشريفة ودرايه العظيمة حتى فامت بين الانكليز فيامة الإبهام والنعزيز وسلکوا فى هذه المسألة من تلوين الأفعال والاقوال ، كل مذهب كى لا يفتضح بين الدول أمرهم ولا ينكشف لعالم الانسانية على مرسح القسوة والاسنبداد ، سترهم وهم يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله الا أن يتم نوره ، اذ ظهرت لدى جميع الدول نتائج ما تكنه السياسة الانكليزية لودى النيل واقضح الحق لقوم يبصرون والحق يعلبو ولا يعلى عليه . فأقامت الدول ذات الشأن على حكومة انكلترا التكبر وارسلت عليها من أفواه الحق أعظم نذير فأخذها من ذلك المقبح المقعد حتى قام رجالها فى مصر يطالبون جرائدهم المصرية اسما والانكليزية صبغة بحق المدافعة المبناعة منهم بالأصفر ذى الوجهين (١) فتقدموا إليها بان تطلع فى الظلمه شمساً وتلبس الحق بالباطل لكي يسندوا حجنهم من مصرية تلك الجرائد الى برهان يغرون به الافهام ويبنون عليه صروح الاوهام ولكن هيهات هيهات فقد عرف المصرى بعد طول التجارب عدوه من صديقه فلا ينطلى عليه

= ما حدث معلنا أن من حق بريطانيا - طبقاً لمشور جراهيل ١٨٨٣ - اختيار الوزراء ، ولكن الخديو رد عليه سخطه الشرعى طبقاً للقرمانات السلطانية سريته فى اختيار وزرائه . وأدى ذلك الى حدوث أزمة ومسك عباس بوقفه ، ولكن على وعد منه لكرومر بعدم نشر التشكيل الوزارى الجديد فى الجريدة الرسمية للتشاور مع الخارجية البريطانية التى أرسلت ردحا بباييد موقف كرومر ، قرأت السلطات البريطانية أن فى تصرف الخديو هذا بدون استشارتها اهتزازاً لمركزها سيتبته تمكن الخديو من الحصول على مكاسب أخرى ، وبالتالي ضياع نفوذ انكلترا . لذلك عاد كرومر وقابل الخديو يوم ١٧ بتاير وأبلغه بالرقية التى وصلتته من حكومته ولكن عباس رفض رد الحكومة البريطانية واعتراضها على تغيير مصطفى فهمى ، وبذلك رادت الأزمة حدة وحاول حسين فخري تقديم استقالته انقاذاً لعرش الخديو ، وفى نفس الوقت رأى كرومر بعد زيارة بطرس باشا غالى وتيجران باشا ملتصقين التساهل فى حل الأزمة - أنه من الممكن عدم التمسك بعودة مصطفى فهمى للوزارة على أن يعزل حسين فخري ويتم تعيين رباش باشا ويقدم الخديو بلاغاً رسمياً - مكتوبة صيغته بعرفة كرومر - يبدى فيه رغبته فى أفضل العلاقات الودية مع الحكومة البريطانية وان يتمتع فى المستقبل فصالحها .

- د. عبد المنعم الجيمى ، مرجع سابق ، ص ٦٥ : ٧٥ .

(١) المقصود بها حرية المقطم وأصحابها الشوام فارس مر ، يعقوب صروف ، وشاهين مكاربوس ، حيث اتخذ المحتلون من جريدتهم المقطم بوقاً للدعاية البريطانية ، والحط من قدر الحركة الوطنية وعادتها وحكام مصر والدولة العثمانية ، أى أحداث دليلة وإرباك للرأى العام المصرى ليصبح فريسة سهلة يمكن تطويقها لرغبات ومؤثرات الاحتلال . والأصفر المراد هنا هو الحية الذهبى أى المال .

- د. سامى مؤيد المرجع السابق القاهرة ١٩٦٨ ، ص ٩٦ : ١٠٦ .

- الياس زاخورة ، مرآة مصر فى تاريخ ورسوم كبار مصر القاهرة ١٨٩٧ ، ج ٣ ، ص ٥٣٣ .

٥٣٤

محال المدلسين ولا نغريه سفاسف الافلام وسبرت دول أوربا حقيقة المسئلة فهى فى
غنى عن أخذها من مصادر الباطل وبلقيها من سماسرة السوء .

وعسى أن يكون ذلك كله عبره لأولئك المدلسين الذين يعلمون أن الحق حق
وأن الباطل كان زهوقا فسلكون السبيل الأحاط للذمة والشرف ويخدموا الوطن
خدمة صادقة نغنيهم عن التطل على موائد الانكليز والسول من أيدى الغريب ولكن
رحم الله من قال وإذا ضلت العقول على علم فماذا تقوله النصحاء .

مع أنه وأيم الله لا يضبح عند المصرى جميل وهو حفظ الناس على من حفظه
واحبه لمن أحسن لوطنه كما انه أبعدهم عن اراده بسوء .

وبالاجمال فلا يعيد الحكومة الانكليزية بعد هذا كله الا العدول عن سياسة
العنف وسلوك سبيل الانسانية بقياقها بحق الوعود المتكررة بالجلاد عن مصر (١)،

(١) مند طهور ما يسمى المسألة المصرية ١٨٧٥ لم يوجد ما يبرر الاعداء البريطانى على مصر سوى
المصلحة الاستعمارية ويقول « المسر ادوارد ديمى » فى مداية العلاقات المصرية البريطانىة « ٠٠٠ اذا قدر
لنا أن يبرز مركزنا فى مصر فاسا لا نستطيع أن نورد أمام محكمة دولية أى مسوغ قانونى لعملنا ،
فعليا أن نكتب تاريخنا من جديد .

اذا كنت تاجرا وكنت لا تريد الافلاس فلا نسر فى عملك على تعاليم المسيحية الأولى . وان انجلترا
لا تحترق فحسب ٠٠٠ الخ ، وفى هذا القول ما يوضح الأسلوب البريطانى نجاه مصر مند مداية العلاقات
المصرية البريطانىة الذى لم تراخ فيه مصلحة قط سوى مصلحتها الاستعمارية .

وفى بداية احتلال انجلترا لمصر وجد الساسة الانجليز ان موقفهم هذا غير ثابت أمام الرأى العام
الأوروبى والرأى العام البريطانى نفسه فآخذوا يطمرون العالم تأكيدات وتصريحات مؤداها ان وجود
الانجليز بمصر وجود مؤب ، وقد هى جلادسون فى احدى خطبه بالبرلمان البريطانى وجود بية البقاء
طويلا فى مصر ثم تبعه تصريح لورد جرانفيل للسفير الايطالى ينفى نية انجلترا بسط حمايتها على مصر .
وفى نوفمبر من نفس العام ١٨٨٢ أكد جلادستون أن الحكومة الانجليزية ستحدد منه الاحتلال بشروط
سيفلق عليها مع الحكومة المصرية . وفى يناير ١٨٨٣ أعاد لورد جرانفيل هذه التأكيدات فى رسالة بعث
بها للدول الكبرى وصرح « ٠٠ اذا كان بمصر فى الوقت الحاضر قوة بريطانية تحافظ على السكينة
والامن العام فان حكومة جلالة الملكة ترغب فى سحب هذه القوة بمجرد أن تسمح حالة البلاد ، وبمجرد
وصح الاسالط والطرق الى نفس المحافظة على سلطة الخديوى ٠٠ » وفى سنة ١٨٨٤ صرح السير نارنج
« ان حكومة جلالة الملكة لا تريد أن تأخذ بزمام الحكم فى مصر لا بصفة دائمة بمعنى ضم البلاد لاملاكها
ولا بصفة مؤقتة بمعنى بسط الحماية ٠٠٠) وفى نفس الوقت صرح لورد جرانفيل الى مسيو وديجتون
السفير الفرنسى « ٠٠ ان حكومة جلالة الملكة تريد سحب جنودها أوائل ١٨٨٨ بشرط أن ترى الدول أنه
لا يخشى من ذلك على السلم والنظام ٠٠٠٠ » وفى عام ١٨٨٦ صرح لورد سالسبرى « ٠٠ انه يحذر بانجلترا
أن تفى بوعدها المقدسة وتجلو عن الاراضى المصرية » .

وقد يعتقد بعض المؤرخين أن تصريحات انجلترا هذه فى بداية احتلالها لمصر لم تكن على بينة من
أمرها أو حسنت موقفها من مصر ، وإنما يعتمد أن انجلترا كانت تعرف تماما ما تريد وتضع مصر نصب
عينها ، فمصر هى الطريق بين الشرق - حيز مستعمراتها فى الهند والغرب حيث مصلحتها فى البحر
المتوسط وأعالى البحار وكذلك ما يصيبه وضع مصر الجغرافى بالنسبة لأبها مدخل لمقق القارة الافريقية =

لكى يندمل جرح المصريين فيكونوا جميعهم لها من الشاكرين فقد رأت من النهضة
المصرية والحزم العباسى ما بدحض القول بأن لا رجال فى مصر ويفطع دون انضمام
كل رجاء فلا سبيل بعد ذلك لغير معاملتهم بالجميل والله الموفق فى كل حال .

= الفنيه بمواردها الطبيعيه وهو ما كانت تسعى اليه انجلترا . أما كثره ما قيل من بصريحات فهو حتما
، مجرد بهدئه للحواطر والأمور سواء بالنسبه للرأى العام العالمى أو المصرى أو البريطانى الشعبى حيث
يمكن من فرض الأمر الواقع سواء بالليى أو بالقوة أو بالتعادم .
- بيودور روزفستين ، تاريخ المسألة المصريه ١٨٧٥ - ١٩١٠ ، ترجمه عبد الحميد الببائى ومحمد
بدرابى ، ط ٢ ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص ٢٣٠ ، ٢٣٢ .

اوراق مصطفى كامل - ٨١

المدنية وتعميم التعليم *

مهما بحثنا في تواريخ الامم ، ونظرنا في آوار الانسان ، لا نجد أمة عظيمة قامت على الأرض ونوفرت لديها وسائل القوة والنجاح الا بالعلم (١) ، ولا نرى أثرا جليلا الا وينبئنا عما لصاحبه من القدر ، وما كان عليه من علو الهمم . هذا المشرق لقد مضى عليه في عهد شبيبته وزمان زهرة ونضرته أجيال تدرجت في مهدها المدنية حتى بلغت أشدها من الكمال وقامت فيها للمعارف والعلوم سوق براحم فيها الشعوب الشرقية تزاخم الورود على الماء الزلال ، فاستكملوا أسباب الترفى ومهدوا سبل العمران فتوفرت لديهم وسائل القوة والنجاح ، فشيدوا الممالك وعمروا الأمصار وأقاموا للتمدن بقوة الحياة الأدبية دعائم ما كانت لتقوى على هدمها عاديات السنين والأيام ، لو لم يكن النقص مقارنا للكمال والدهر لا يستقيم على حال .

— اذا تم شيء بدا نقصه — — — — —
ترقب زوالا اذا قيل نس

(*) نشرت جريدة الاحرام يوم الجمعة ٢٤ فبراير ١٨٩٣ .

- (١) كانت حالة التعليم في مصر سيئة للغاية ، اذ عبد الانجليز منذ دخولهم مصر الى سياسة اضعاف التعليم ، وقصر نشاط المدارس على مجرد تخريج كتبة للدواوين الحكومية ، أما التعليم في حد ذاته فلم يكن هداما لانجلترا في مصر ، حتى لا تكون هناك أصوات متعلمة تنادى بمصلحة البلاد دون مصلحتها ، وأصبح التعليم مجرد « نحلزة » للمصريين ، بل لقد وصل الأمر الى إلغاء التعليم المحامي في مدارس الأوقاف ، وأصبح برنامج التدريس لا يريد عن القراءة والكتابة والحساب البسيط ، لذلك انجبت دعوة مصطفى كامل لث الأمة على نشر التعليم القومي في أرجاء البلاد ، حتى يعى الروح الوطنية في عوس الشباب ، ودعا الاغنياء الى اشاء واقامة المدارس الأهلية على نفقتهم . وأول من لى تلك الدعوة هو حسن بك القرشولي أحد أعيان القاهرة الذى أسس مدرسة على نفقه بالعلمية . ثم تلاه كل من محمد أهندي سعيد القومي وأحمد أهندي صادق ، اللذان أسسا مدرسة في باب الشعرية في يناير ١٨٩٩ .
- تيودور رورشتن ، تاريخ مصر قبل الاحتلال وسيله ، تعريب على أحمد شكرى ص ٤٦٩ . ٤٨٤ .
- عبد الرحمن الرافعي ، مصطفى كامل باعث الحركة الوطنية ، ص ١٣٩ ، ١٤٠ .
- المجلة التاريخية ، مصطفى كامل ، بحث القيت في الندوة بمناسبة مرور مائة عام على مولده ، القاهرة ١٩٧٦ ، صلاح عسى ، مصطفى كامل وقضايا الإصلاح الاجتماعي ص ١٧٩ — ١٨٧ .

حيث عيب بهم بعد ذلك يد الاسعراى في نعم الرفاهة والنلهى عن المعارف والعلوم ، بالحاسد الذميم وتطرف الى نظامهم الخلل ، وأخذت عوامل الانقسام والقهقر تتولى على الشرق ومازال يضعف نوره وتراخى فواه حتى طهور الاسلام وقيام الامة العربية بخدمة المدنية والعلم حبر فيام . اذ عاد مظهر المسرى وقنئد بمظهر جديد ودبت في عناصره روح الحياة ، فاستقامت له الأحوال ونحلى من المدنية بحل البهاء والكمال ، اذا لم يترك الخلفاء فى عصرهم وسيلة من وسائل تعمم التعليم الا انخدوها ، ولا طريقة لب انوار المعارف الا سلكوها فشدوا المدارس وربوا لها المرتبات وتقدموا لأهل الفصل بترجمة الكتب العلمية من جميع اللغات ورغبوا الناس فى الافبال عليها والاسباس من فوائدها ، فراجب سوى العلوم ، وايتعب رياض الفنون ، وكسرت التآلف والتصانيف ، فعمت الرغبة فى العلم وتوفرت بذلك مواد القوة للخلفاء فدوخوا الممالك وعمرؤا المسالك ، وأصبح الامة العربية فى أفل من حبل وقد ملأت الخافقين دينا ولغة وعلما وأدبا وسباسة وغر ذلك من الأمور النى هى نسيجة نعمم التعليم ، ومنايرة الخلفاء على بب روح المعارف والعلوم بين الناس ، وانقائهم لرويح مقاصدهم وإدارة مهام الاعمال خبره الرجال وأفاضل الناس ومشاركتهم فى كل عمل لفظاحل العلماء ومشاهير الفضلاء حتى كانت الممالك العربية فى أيام زهوها محفوفة بأهل العلم مشددة على دعائم النجاح مشرقة بأنوار القضية والفضل .

نعم ذلك لم يدم للشرق ، لكن لما طرأ عليه من العوارض الكيرة حنما تغيرت الأعمال وساء نبات الرجال فقلص ظل العلم الا لدى الخاصة الذين استعملوه لغبر وجهته وحملوه على عبر محمله ، فسوهوا وجه الفضلة ، وكانوا سببا لدعاى أركان العلم ، وزوال صولة الملة فنلعبت بالأمم الشرفنة من ذلك الحين أيدى التفربى وعم بينهم الجهل وما زالت بهم الحال بين ادبار وافبال حتى فضى على بقمة ما لديهم أو كاد ، بقسام الأمم الغربية وظهور المدنية الأوروبية التى تأسست على قواعد حفظ لنباتها ، وأضمن لاستمرارها وأهم تلك العواعد تعمم التعليم بمطرف سهلة ووسائط مقبولة كافلة لحسن مستقمل الشعوب الغربية حتى كان من نتائجها التدريجة ما نراه الآن من انتشار المبادئ العلمية بين جميع طبقات الناس من أولئك الشعوب ومشاركتهم للهيئة الحاكمة فى كل عمل (١) مقتضاه حر المنفعة للوطن أو دفع الضرر عنه

(١) كان مصطفى كامل فى رفضه لسياسة الاحتلال يسعى دائما لمكره تكوين حكومة وطنية مفيدة ، فكما أن التقدم المصارى فى ظل الاستعمار والاستعمار مرفوض من الجهة الوطنية فزيادة مصطفى كامل بان الاستعداد الوطنى كذلك مرفوض ، لذلك كان مصطفى كامل ينادى بحكومة ديمقراطية كالحكومات الأوروبية التى تسهر بما على عاديا من واجبات أمام شعوبها . بحاب أن الهيئة الحاكمة فى كل بلد انما هى حرة لا سحرأ من الهيئة الحكومة لا غارى بينهما ولا اميانات للأحرى على حساب الأمة فالهيئة فى نظر مصطفى كامل - الحاكمة والحكومة - اما هما هيئتان مسادلتان للمصالح والمدمام مسادلة الله فيما سهما فالمحكومة حادمة للسعب ، أما الاستعداد فهو عامل للنوع والروح الوطنية ويطلب نان =

ولا يخفى ما يترتب على ذلك من الاهمية التى أفلها مرافبة أعمال الهيئة الحاكمة ، والزامها بالسير على طريق السلامة فى جمع الاحوال ، لئلا يحدو بها استئثارها بالعلم الى جعل الهيئة المحكومة آله صماء تضعها يد الأغراض حسب شأنت .

اذ من المقرر أن كل هيئة حاكمة لابد أن تكون عالمة ، والعلم اذا لم يكن مقرونا بالفصيلة أو العمل يؤدى بصاحبه الى استعماله فى غير وجهه فى كثير من الأحيان ، فاذا استأثرت الهيئة الحاكمة بالعلم دون الهيئة المحكومة وكان علم أفرادها غير معرون بالفصيلة وهو الأغلب ينصرفون بمصالح الرعية نصرفا لا يحتمل انبائه بنسيجة حسنة قط .

وأما اذا كانت مبادئ العلوم عامة بين أفراد الهيئة كما هي لدى الهيئة الحاكمة ، فلا يمكن للأولى أن تستعمل علمها بأية وجهة ينأى عنها ضرر النانسة مادامت مشاركة لها فى العلم ، ورقبية عليها فى كل عمل لا فى بعض احوال خفية ربما ينعذر وقوف العامة عليها .

ولا يستغرب قولنا (وهو الاغلب) اذ قل أن نجمع الفصيلة والعلم الا بما أسسنى منه افراد يعدون على الأنامل فى كل هيئة حاكمة مهما تنوعت أشكالها ، ولا حاجة بنا الى أن نستدل على صحة ذلك بأكر المسائل الاختلاسية الراهنة كالمسألة الباناميه فى فرنسا ومسألة مصارف التوزيع فى ايطاليا ومسألة السلاح فى المانبا (١) . فانها جمعا لم تصدر الا عن اعظم رجال تلك الأمم المتصدين فى

= تكون الأمة هي صاحبه الكلمة العليا فان رصب الأمة عن عمال الحكومة طلوا فى مراكزهم يؤدون واجابهم أما ان حادوا عن ذلك وتعلمهم أمهم . وذلك ترى أن رؤيه مصطفى كامل للمسألة المصرية ككل ليست فى وجود الاحتلال البريطانى فقط بل أيضا تأخر الشعب المصرى فى ادراك حقوقه الشرعية وذلك لا يتحقق الا عن طريق تطوير التعليم خاصة الذى يؤدى الى بناء الاقتصاد المصرى وتعنى به التعليم الفنى صناعى وزراعى وتجارى .

— مجلة الجمعية التاريخية ، مجموعه بحوث العرب فى المدوة بمناسبة مرور مائه عام على مولد مصطفى كامل ، صلاح عيسى ، مصطفى كامل ونضالنا الاصلاح الاجتماعى ص ١٨٢ — ١٩١ .

(١) لعرض حركة النهضة التى نولها مصطفى كامل لكنتر من عوامل الاحباط ، منها عدم أمانة من حوله ، مساو بعض الأدلة على قيام السليبيات فى الدول الأوربية نفسها ، بعد نجاح حفر واصلاح قناة السويس فى مصر دعا فرديناك ديمسيس الشعب العربى للاكتتاب لصالح قناة بناما فى أمريكا الوسطى للوصول بن المصطنع الهادى والأطلنطى ، الا أن الشركة المكلمة بأعمال الحفر توقف عن المشروع وأعلنت ائلاسيها عام ١٨٩٢ ، وذلك بسبب التعاليف فى حسابات وأموال المشروع مما أدى الى فضيحة مالية وحيث رأى العام الفرنسى .

— أنور الرفاعى وشاكر مصطفى ، العالم الحديث القاهرة ، ص ٢٠٠ .

كما نجد أنه نالسه لقطاعات الحماة الاقتصادية الايطالية الرنسية كاتب يد ألمانيا سيطر عليها ناما فكتب مشروعات المصارف الايطالية فى أيدي عدد من المصارف الألمانية وأشهرها « المصرف الجارى » =

الهيئة الحاكمة الذين لم ينوصلوا الى المناصب العالية التي وسدت اليهم الا بشهرتهم بالعلم ركفاهتهم للرئاسة ومع ذلك فحبت تحرر علمهم عن الفضيلة فعلمهم كان مخالفا لها أيضا الا انهم لما كانوا في هيئة حاكمة لن نساير بالعلم دونه الهيئة المحكومة فقد افتضح أمرهم وكشف الحق سترهم فجوروا بعملهم حين لم ينفعهم علمهم ولو صدر عنهم ذاك في سبب عم فيه الجهل وانفردت حكاه بالسلطة والعلم فاستعملوها في سبيل الغاية لما أصابهم شيء من ذلك مهما نادوا في سلب الأمة وخراب البلاد .

ومما اعتبر من أركان المدنية الغربية وأهم أسباب انتشار المعارف لدى الشعوب الأوروبية حرية المطبوعات (١) . وأخصها الجرائد سياسية كانت أو علمية فانها قامت بخدمة المدنية والعلم خير قيام وكانت هي الوصلة الحقيقية بين الحاكم والمحكوم لبب الأولى لأنوار الفضيلة والعلم بين الناس ومرافقة النائبة لأعمال العمال في الهيئة الحاكمة ، لايقافهم عند حد الواجب ونظيرهم من درن الغرور ، فمراهم محاسبين بسببها على كل ما يصدر عنهم من الاعمال ، منوخين طرق الحكمة في كل حركة وسكون ، فلا يتجرأ أحدهم على اى عمل يحالف مبدأ الاستقامة ، ويضر بصالح الشعب والمملكة ، مادامت الجرائد الصادقة معدة صفحاتها لتقيد أعماله ونقد أفعاله ، خدمة للحق وقياما بالواجب حتى نبودلت اللغة لذلك بين الهيئتين الحاكمة والمحكومة فنساعدنا على كل ما من شأنه جلب المنافع العمومية والاستتمساك بواجب الحقوق الوطنية واصبحت الجرائد لدى الشعوب المتقدمة من أهم ما تدعو اليه الحاجة وتقوم به حياة الشعب الأدبية ، وتدور عليه رحي السياسة

= الذى اشتهى عام ١٨٩٤ بأشراف بلينرودر Bleichroeder رجل مصارف يسمارك ، وكان هذا المصرف هو الذى يساعد المشروعات الألمانية الكبرى الخاصة بالكهرباء وكان له هود على مصانع صناعة الاسلحة سلك يمتلك أغلب الاسهم في الشركة العامة الإيطالية للملاحة مما ساعد على نزابد النفوذ الامصادى الالامى فى إيطاليا .

- بيير روفان ، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ - ١٩١٤ ، عريب جلال يحيى ط ٢ القاهرة ١٩٧١ ص ٨٦٣ ، ٨٦٤ .

(١) ضرب مصطفى كامل على هذا الورن كرد فعل لوقف الاحتلال من الصحافة في مصر ونكبيلهها بالمصادره تارة وبالعوائن الحائرة تارة أخرى ، فمد وضع الاحتلال قدمه في مصر عطل الصحف الوطنية المواليه للعرايين وصدر أمر ناظر الداخلية في ٢٣ سبتمبر ١٨٨٢ بالغاء جريدتى (الزمان والسفير) . بل وتمقي السلطة للصحف العربية المصرية التى كانت تطبع في الخارج أيضا كحل (أبو نصاره رالمروة الوقتى) .

ولقد كان المحتلون متشددون في مرسهم للصحافة المصرية رغم توصية لورد دوبرى لهم بمنحها (حرية نامة) معمدين على جذور الضغط القديم الذى بذرها الحديو يومى سنده قانون المطبوعات . ١٨٨١ .

(ولزيد من المعلومات في هذا الموقف يمكن الرجوع الى : سامى عزيز . الصحافة المصرية وموفها من الاحتلال الانجليزى) ص ص ٧٥ : ٨٧ .

فهى مجرى أفلام الكتاب ، ومطمع نظر السياسة ؛ ومنعكس أسعة أفكار العلماء ؛ وبها تعلن جلائل الأعمال ، ونشهر مناصب الرجال كما أن فيها تعدد الحسنات ونحصر السيئات ، فهى لذلك مصباح الاسرشار ومرفاة الأفكار وداعية الرهبة والنهذيب والباعته على الرغبة والمشاط .

وبالاجمال فما ذكرناه هو أقل ما تربى على نعمم التعليم وحرية الجرائد فى أوروبا فضلا عما ننج عن ذلك من توسع الشعوب الأوربيه فى جميع الفنون العلميه وترقيتهم من المديه الى درجه جعلت الشرق بمد ذك المجد الباذح فى حاجة للغرب حتى بالضروريات الحيويه وهذا لعمر الحق امدار كان لنا .

وأنا ليسرنا معاشر العثمانين (١) ما نراه من جلالة مولانا أمير المؤمنين الذى أحيا فى فلوب الأمه الضعيفه الامل واعاد للسرفين ايام الخلاء الأول من الاهتمام بهذين الأمرين العظيمين واحصهما ، نعميم التعليم وتوجيهه العناية الفائده بانشاء المدارس ونشر العلوم والمعارف فى جميع أنحاء السلطنة السنية ، حتى أننا لذى (٢) المدارس التى أنشئت فى عهده السعيد على مصرف الحكومة لا نعل ماده التعليم فيها عن ملها من مدارس أوروبا ودك ما يبتسرننا بكل مسفيل حسن ان شاء الله تعالى ، لا أنه يعوزنا لتدارك خطر لمدينة الاوربيه والوصول الى الغاية المطلوبة سلوك طريق لتعميم التعليم أقرب سرعه واستعمال وسائل أعم فائده ان الوسائل المسحدة لذلك الآن سواء كانت جبريه أو ترغبية عر وافبه بعرض أمير المؤمنين الذى من

(١) بدأت الحركة السياسية فى مصر آنشد مصريه صرفه ولكن سقوط مصر تحت وطاء الاحتلال البريطانى ومعادها حريتها حولها الى حركة مسطله بالحركة الاسلاميه (الجامعه الاسلاميه) وهذا التحول طبعى اد أنه بالضروره أن يحول المصريون الدين فعندوا حرسهم واستنلالهم تحت وطاء الاحتلال المختلف عنهم فى الدين والعادات الى الدوله العثمانيه باعتبارها مماثله معهم فى الدين ومعاربه فى المباليد وقد استقبلت الدوله العثمانيه ذلك العثار بكل تضيد بل وساندت فكره الجامعه الاسلاميه .

وقد رأى مصطفى كامل فى الدين الاسلامى دافعا وحركا للقومه المصريه فى مواجهه السار العربى الذى اندفع مع المحليين والدين حاولوا هم فرصه على المجمع المصرى بشنى الأساليب ومن هذا المنطوق دعا وعمل على تأسيس وتدعيم الحركة الوطنيه المصريه بالدولة العثمانيه داخل اطار فكره الجامعه الاسلاميه لسمى دعا اليها جمال الافغانى والشيخ محمد عنبه وعبد الله المديم وعبد الرحمن الكواكبي . ولقيب دعوه مصطفى كامل بصورها هذه استجابته كثره من الشعوب والدول الاسلاميه ، وقد رأى مصطفى كامل فى نشيجه للدوله العثمانيه الخطوه الأولى التى يجب أن تتخذها مصر فى طريقها نحو النخلص من الاحتلال ثم بعد ذلك تصحيح الأمور أكثر يسرا للنخلص من الشعة العباسيه .

الا أن دعوه بتلك الصوره وجدت من يعارضها ورأوا فى ذلك استبدال السعنه لاحتلوا بالنسبه العثمانيه وأن ما يطالب به مصطفى كامل هو استبدال ناصص الكون ومن ثم نائب ماأدا عليه .

— الحمسة المصريه للدراسات التاريخيه ، مصطفى كامل ، بحث القيب بماسه مرور مائة عام على مولده ١٨٧٤ — ١٩٧٤ ، الفكر السياسى لمصطفى كامل ، محمد محمود السروحي من ص ٥١ ، ٥٢ ، ٥٣ .

(٢) جاءت فى الأصل هكذا وصحفتها « لئى » .

مقنصى ارادته الساميه بعميم التعليم بين جميع طبقات الرعيه يدون اسـنـنـاء
والواسطه لذلك سهله سببسطها برسالة ناليه ان شاء الله ، واملنا بالله وبصاياه
الخليفه الاعظم ادام الله ملكه ان نرى قريبا من نتائج حكمته ومريد سهره على
مصلحه رعيته ما يجعل المملكة العثمانية فى مقدمه الممالك الشرقيه فى مسابغه الامم
الاوروبيه بدليل ما هو مشاهد فى جميع العثمانيين من نرفى الافكار وعظيم الانبياء
وما ررقوه من صفاء الخواطر وقوة الضمير ، ولا سيما وهم فى مركز هام من الشرق
يساعدهم على نيل الغايه اولا بسبب قرب اتصاله بالغرب ، ويسر لنقله لمسواد
المدنيه مباشرة يدون كبير عناء ، وثانيا لتوسطه بين بفيه الممالك الشرقيه والغاره
الاوروبيه وكونه بهذه المزيه نقطة الاتصال السجاريه بين الجهتين وهو لذلك مركز
كان له من الاهيه فى كل جيل من الاجيال ما جعله مبيت الرسل ومهبط الشرائع
والوحى ومظهر المدنية ومطمح انظار الفاتحين ومفرا لاعظم الامم فوة واسماها علما
ومدنيه حى نوالى عليه من عصور الشده والرحاء ، ما لم يوال على مركز فى
النسم المعمور .

ولا شبهة فى أن الله تعالى سخر فى هذا العصر لبقاء أهميه هذا المركز وسلامة
عناصره ، واحياء شعوبه من وهب قوة العلم والحكمة وعظيم السياسة والقوة ما
جعل الأبصار شاخصة اليه والقلوب والآمال متعلقة عليه ، الا وهو فخر آل عثمان
وفريدة عقد السلاطين العظام ومولانا السلطان الغازى عبد الحميد خان أيده الله
بأيده الاسنى وأمدته بعونه العظيم ومنع الامة والبلاد بطول بقاءه واجرى على يديه
من الخبر ما به رفعتها ان الله كريم مجيب (١) .

(١) قدم مصطفى كامل بهذا الأسلوب . دليلا على أحدا على هذا النصف ، فهو وان كان
مضطرا للسفر فى ركاب السلطان المشاي لفرب قوى الاحتلال البريطانى الا أنه كان يمكن أن يكون
بشكل أكثر احتراماً لكرامة المصرى .

الأعمال بمقاصدها *

« لست والله ممن يقول كلمة يريد بها جزء من زيد أو نقرباً من عمرو ، بل هو الحق يضيق به الصدر ، فيعلنه اللسان ، وهو لئن سر فوما فانه يسىء آخرين ، لكن لا سكوت مع الحجة ، ولا عى مع البرهان ، فاننا معاشر المصريين قد مضى علينا سنون عشر لم نسمع فيها سوى كلمة الصبر ، ولم نسنفد من المحلين الا المن علينا بالاصلاح ، وهو وان حصل فى بعض الشؤون فانما ضررة لا يوازى ما يستفيد منه المصلحون ، فاننا لو نظرنا الى نتائج اعمالهم النى أجروها فى هذا القطر منذ بدأ الاحتلال الى الآن لا نرى نتيجة أنت بعائده على القطر خاصة ما لم تكن أفيد لهم وأعم لمصلحتهم ، هذا اذا لم يقابلها من الضرر ما يوازى النفع أو يزيد عنه أضعافاً ولتكشف الآن بذكر ما ابتليت به جنديتنا والبوليس من ذلك الاصلاح ، وما نشأ عن تداخل المصلحين فى شؤونها من الضرر أو النفع لنرى ما هى النتيجة الى عادت على القطر من هذا التداخل والاصلاح فنقول فاما البوليس(١) فانهم راوا أن ادخال الاصلاح عليه وتنظيمه لدرجة أحسن من ذى قبل لا يتم الا بنداخلم الكلى فى أموره واستبدال نظامه الماضى بنظام جديد موافق للغرض لا لمصلحة البلاد التى لا تتأنى

(*) نشرت فى ٨ مارس ١٨٩٣ فى الامرام .

(١) عمل لورد دفرين للمحافظة على الأمن العام فى المدن الكبرى - على اشاء قوات بوليسيه يبلغ معادها ١٦٠٠ جندي وينضم اليهم بعض الأوربيين لتسييرهم فى الاحياء السكنية التى يقيم فيها الأوربيون بالقاهرة والاسكندرية مع الاستثناء عن معظم العناصر المسيحية والانصولية والالبابية ووصح صاده البوليس تحت قيادة قائد « الجندرية » وهيئة بعيش هيئة مشتركة ووصح قوة البوليس فى القاهرة والاسكندرية تحت رئاسة قائدين أوروبيين .

ومى ٩ يناير ١٨٨٣ أصدر الحديو بوليك أمراً بتعيين العريق ماندين بىكر Valantine Baker مفتشاً عاماً « للخدمة » والبوليس وفومندانا عليهما وتعيين السير املس وود سردادا للجنش المصرى ورئيس أركان الحرب . وقد عمل الحمرال بىكر على تنفيذ مخطط لورد دفرين على ان تكون الخدمة قوة «واحدة للجنش» .

- د. عبد العظيم رمضان ، الجيش المصرى ودوره فى السياسة ١٨٨٢ - ١٩٣٦ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ٣٧ - ٣٩ .

الا بواسطة رجالها الخبيرين بأحوالها وعوائد سكانها ، فسئوا له اللوائح المتعددة ، ورتبوا النظمات المتباينة ، وساعدتهم الظروف في التداخل ، فشرعوا في عزل من ارادوا من ضباطه الوطنيين واستبدلهم بضباط انكليز يجهلون احوال البلاد وعوائد الأهليين ، وأخذوا ينازعونه السلطة مع النيابة العمومية نارة والمديرين أخرى ، أحيرا تدرجوا من ذلك الى جعله ادارة مستقلة خارجة عن سلطة المديرين وضمها لادارة الضبط والربط التي أصبحت في أيديهم آلة صماء تديرها يد الأعراض كيف نشاء فنشأ عن عملهم هذا ثلاثة أمور • أولها حصر سلطة المديرين في جباية الأموال ونزع ما كان لهم من النفوذ بواسطة سلطانهم على البوليس وناهيك بما ترنّب على ذلك من زياده جرأه الاسقياء على انتهاك حرمة القانون ، وعدم نهيب الحكام بسبب ضعف نفوذ المديرين • وثانيها استحوادهم على قوة البوليس المنوقف عليها تقرير الأمن العام وما ظنك بعد هذا بالأمن وما هي حجة الاحلال ؟ وثالثها زيادة الارتباك في الأعمال وعدم استقرار البوليس على حال من الاحوال لجهل رؤسائه بأمور البلاد ومخالفة نظامه لعوائد الأهليين ، حتى سبب عن ذلك جميعه من الخلل العام في ادارة البوليس وفقدان الأمن الداخلى من القطر بزيادة المصوصية والجنايات ما لا يحتاج الى بيان لوقوعه تحت الحس ومشاهدته بالعيان •

واما (١) الجنديّة فإنهم منذ الاحتلال أخذوا على انفسهم اصلاحها اصلاحا موافقا للنظام والانتظام ، واشترطوا ادخال بعض الضباط الانكليز فيها ، ليتم

(١) بدأت انجلترا تنظر الى الجيش المصري في أعقاب احتلال مصر مباشرة بطرح خاصه • فصدرت الأوامر بتحديد الضباط الدين اشتركوا في النضرة العرابية وحكم على الغاده بالقى المؤبد خارج مصر ، او تحديد اقامتهم في بلادهم تحت مراقبة البوليس ، وفى نفس الوقت الذى كاتب بحرى فيه عملية هدم وصفيّة الجيش - وذلك طبعاً بموافقة الخديو حيث أن صفيّة الجيش المصري يحتم كليهما - كان التفكير والدراسة على قسم وسأى لاحلال قوة عسكرية بديلة بحيث يلقى على احمال قيام أى ثورة عسكرية أخرى مستقبلاً بل وحماية المصالح الأجنبية بصفة عامة والبريطانية بصفة خاصة لذلك أرسلت الحكومة البريطانية لورد دفرين الى مصر لاعاده بناء النظام الادارى ما يكفل توطيد سلطة الخديو وسلطة الاحتلال ، وقد أكدت حكومه جلادستون على أهمية دراسة تعديل نظم الجيش والبوليس • وقد رأى دفرين أن يقوم جيش قوامه سقّة آلاف جندي مع اسعاع العناصر الانكشارية والأجنبية مع استثناء الأتراك المصريين أو المصريين من أصل تركى ، أما من حيث الاشراف فيكون مندنياً تحت اشراف مباشر لجنرال انجليزى ومساعديه من الصباط الانجليز • ويقول دفرين ان هذه هي رعة الخديو ووزرائه وهي رغبة تلغائية بدون أى صفت • ويمضى دفرين في تنظيم وتقسيم الجيش مع مراعاة اسناد الضباط المصريين عن الأماكن والرتب الحساسة ، حتى لا يعوق وجود الصباط الانجليز برفية الضباط المصريين للرتب الأعلى •

لذلك قسم سلاح المشاة قسمين الأول يعولاه ويخدم فيه الصباط الانجليز والقسم الثانى يكون للصباط المصريين وكذلك الوضع بالنسبة للسلاح المدفعية يكون قائده وناثه برطانيان ثم وضع دفرين المكونين النهائي للجيش المصري من ٥٦٠ فرسان وآلاى واحد ، ٤٦٤ مدفعية (٢ بطاريات) ٤٧١٢ مساه (٨ أفرطة) ، ٢٥٠ حاجاة ، ١٠٤ مهندسون ، ١٠٢ مدعبة سواحل ، أما الصباط الانجليز فيسبلغ عددهم ٢٧ ضابطاً •

بواسطتهم المرغوب كما هو المعلوم ، الا أنهم نعدوا مع الاستثمار قاعدة الانصاف في هذا الامر حيث رأوا انه مع وجود احتلالهم العسكري في القطر ، ولا لزوم لوجود عسكري مصري يفوده ضباط وطبوع صادفون لوجه عدة نضرب صفحا عن ذكرها الان فجعلوا يولون على قيادة العرق من أبناء حلدتهم الضباط الكبار لتكون الجندية طوع أمرهم .

ثم رأوا ان من الاحوط للمصلحة جعل الضباط الصغار أيضا ان لم يكونوا منهم فممن تربوا على المبادئ الانكليزية أو ربقوا بواسطة الانكليز ، لكي لا يخدموا الحكومة والوطن بل يخدموا الاغراض فالاول نيسر لهم بواسطة المدرسة الحربية فالسليم الذي لا يحصل على الشهادة في غير مصر بأقل من عشر سنين يحصل عليها من مدرسه الحربية المصرية في سنة واحدة أو سنتين . والثاني حصلوا عليه أيضا بحويين مئات من الضباط الحبيرين على المعاش ورفيه سواهم ممن لا خبره لهم بأمور الجندية فط حتى اني لأعرف في مصر ثلاثة اخوة لأب واحد حتى كانوا قبل الاحتلال في حالة الخمول لا يعرفون الجندية فاصبحوا الآن وهم فيها من أهم أركان الانكليز .

ثم لم يكنهم ذلك حتى اشربوا الى الحريسة فاناحت لهم الظروف ان نولوا امرها (١) وجعلوها انكليزية محضة ثم ناطوا القيادة العامة (السرداويه) ومعاونيها رجال منهم فأنصبحت الجندية المصرية آله في يديها نديرها كيف تريد ونمحو من

وبذلك يرى أن لورد دفرين قد وضع صمات نكل عدم قيام الجيش المصري بأى ثورات أو حركات نمرد أخرى ، فقد عمل على التخلص من العناصر التركية والشركية التي أدت لقيام الثورة العربية وأبقى على العناصر المتصرفة من أصل تركي . أما قيادة الجيش فهي تحت أمره فائد عام انكليزي في حين انه وضع نصف أسلحة الجيش لترقى الضباط المصريين حتى ينفادى أحداث الجيش العراني . وقد عمل دفرين على تكوين قوة مدنية موازية للجيش تستخدم لمع بواذر أية ثورات للجيش وهي قوة « الحندمة » مهمتها المحافظة على حدود مصر الصحراوية من غارات البدو ومهمتها داخل المس معصودة على الاعراض المدنية وقد رعت قوات الحندمة على جميع أنحاء القطر ونعسكر أكبر الوحدات في بعض مرور القوافل من وإلى مصر . بجانب أورطنى احتياط كل منهما تتكون من ٥٠٠ جندي احدهما مشاة والأخرى سوارى ومركها القاهرة والحكمة فيها عن طريق النطوع . وقد وصعت قوة الحندمة تحت قيادة معش أوربي وثائب وأربعة ضباط أوربيين وذلك بالنسبة للأورطين الأخيرين أما باقي قوة الحندمة فقد تركت المناصب العليا موحه للضباط المصريين .

وقد نعت الحندمة الوارده الداخلية والعرض من ذلك هو فصل الحندمة عن الجيش حتى لا يثائر نفس روح الجسس وعامله تحت لا يصح فرعا له ولا تعمل الها روح أى نمرد قد نشأ في الجيش وتكون قادره على مع هذا النمرد .

— د . عبد العظيم رمضان مرجع سابق من ٣٠ ، من ٣٦ .

(١) كان المتولى أمر بطار الحربية في تلك الفترة يوسف شهندي ناشأ الذي كانت له مساعيه الخاصة بالحركات العسكرية المصرية في السودان منذ عام ١٨٨٦ .

راجع محمد فؤاد شكرى ، مصر والسودان ، القاهرة ١٩٦٣ من ٣٩٣ وما بعدها .

دفاعها ما نساء وثبت وتهدف بها ناره الى الحدود واخرى نعرفها في اطراف السودان بحجة صد الهجمات السودانية واطفاء سعله المهدوية التي لا يحمده مرة الا أنيرب اخرى .

ومن الغريب اسـنـيـلاء الانكلبر بشراذم قبله على الأوغنده وما والاها من الاقنطار الافريعبه وبوغلهم في تلك المجاهل لاحضاع برابرنها الأسود لرايه الحرية والنمى ، ونمكهم من ذلك بأفل كلفة سواء كان بالقوة أو بالحيلة وعدم افتداهم مع بوالى سنين عشر على اخضاع سراذم مقطعه قد جعلت القارة والسلب دأبها . على أطراف الحدود المصرية ، ولديهم جيش منظم عظيم من شبان المصريين الذين جعلت دماؤهم الزكية فداء للأعراض بالسودان ، وهم مع ما هم عليه من الشجاعة والاستعداد لا يخرجون عن حد قول القائل :

وليس بمأسور فنرجو فكاة وليس بمطلوق العنان فيرسل

ولعمر الانسابيه والحق لو ترك الامر في السودان لحكومتنا المصرية لاصبح الآن لها اطوع من البنان ، فلنمهدت فيه سبيل التجارة والامن واستعشت مصر بانداد عضوها المقصول عن جسدها (١) الذى لاتزال ولى نزال تتألم له ، اذ والله لو لم يكن للانكليز سيئة في هذا العطر الافصل السودان عنه لكفاهها ذلك مسودا لبيض اعمالها ودليلا على نتائج مقاصدها ، وافعالها ، وهي كبيرة لا يغفر في جانب الاسانية وجريرة لأظهر عيبا من صدورها من أمة الحرية فان السودان(٢) لم

(١) واضح هنا موقف مصطفى كامل من السودان بأعباءه حرة مكمل لمصر .

(٢) منذ نشوب التنافس والصراع الفرنسي الانجليزى في نهاية القرن ١٩ على استثمار حوض النيل الأعلى أخذت بريطانيا تعمل على الفور بما لم تحصل عليه مرسا ، لذلك أنارت فكره حملة اسرحاع السودان وحاجة مصر للأموال لسهيذ الجيش لهذا العرص واثاره تحديد مستعمل السودان بعد حادث فاشوده وبصريح انجلرا مان وعود القوات الفرنسية حرى لحقوق المصريين وبريطانيا العظمى وبذلك اوضحعت بريطانيا في بواياها في السودان ، وكانت أولى خطواتها في سعيه مختطها هذا عام ١٨٨٤ ، ابداء النصح لمصر باحلاء السودان ، ثم عادت واتحدت خطونها الثانية باعادة النصح باسرحاعه ، ولكن بمساعدتها حتى يكون لها حق المشاركة في ادارته ، خاصه وأن السودان أصبح أوصا د ملا ملك بعد مغادرة الجيش والادارة المصرية . وحقيقة الأمر أن انجلرا لم تدخل معارك استرداد السودان الا اعتمادا على اسم مصر وحققا السرى في السودان ، ولما تم اعادة النصح اتخطوا من هذا الحق رمرا للسيادة كلما اضطروا لذلك وقد عمل المستشار القضاى البريطانى مالكولم ماكيلرت Malcolm McLuraith بركة العكرة السياسية السعيه عن المطق الى لغة قانونية بدل على مدى المهارة وتنقيدا للصالح الانجليزى أولا وأخيرا ، وقد أمرها سبالسبورى الذى وافق على انشاء دولة مولة Hybrid State في شكل حكم ثنائى Condominium لادارة السودان وقد وقعت اتفاقية السودان عام ١٨٩٩ في ١٩ يناير ، والى على أساسها منح بريطانيا حتى الوصاية العملية على أساس حق النصح .

— يواهم روى مرفص ، بطور نظام الاداره في السودان في عهد الحكم الثانى الأول ، ١٨٩٩ — ١٩٢٤ ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، القاهرة ١٩٨٤ ، ص ٣٩ : ٤٥ .

بلنحم بهذا الفطر الا بدماء رجاله ولم نخضع للراية العثمانية الا بهمة إبطاله وبذل أمواله وهي هي تلك الأفطار الشابة التي هدرت فيها دماء الشهداء ، لا لتكون غنيمة بارده أفنكلير بل لتكون مدخرا للمصريين ، وملجأ واسعا لراحة الالعين ومصدرا لروتهم ومحطا لنجارنهم وموردا لأموالهم خصوصا في مثل هذه الأوقات التي عم فيها ضحك الفلاح وقلت مصادر الرزق على الضعفاء فاستخذوا السلب والنهب حرفهم ، فعانوا فسادا في الفطر ، الذي أصبح مهدد الأمن داخلا منهم وخارجا من السودان :

فأينما سرت منهم ركبنا خطرنا وان قعدت فلا انجس من الخطر

كل ذلك نتيجة أعمال الانكليس التي لم تكن الا بمقاصدها ولا يسرهم وأشياهم المردين برداء الخيانة والرفاء ، الا ان يروا مصر في حالة الضعف والتأخر والمصريين في هذه الفقر والخيول ، حتى أسا لنراهم بعد ذلك الاطباب في مدح أعمال ساداتهم (١) التي زيفها دورنا الحديب قد حولوا مجرى أفلامهم الآن لنغريز المصري بالاسسلام الى عوامل اليأس والقنوط فجددوا لطنبور الغايات بغمة واختلقوا لتضليل الأوهام فكرا جديدا وكأنهم غفلوا عن ان للمصري عضدا لا توهن معه فواه ونصبرا لا يعقل عن مصلحه طرفه عين الا وهو أميره العباس المعظم ورجال حكومه الكرام الذين هم أدري بمصالح الأمة وأحرص على حقوق البلاد من أن نمسها يد بسوء خصوصا ولهم من دولنا العلية أعظم نصير بدليل ما هو مشاهد من بوثيق روابط الاحلاص بين أميرنا المحبوب والخليفة الأعظم وما ناله سموه من جلالتة السامية من الالتفات الدال على حرصه ايده الله على المصالح المصرية وصيانة حقوق الأمة والمملكة اعانها الله جميعا على ما به رفعة شأن البلاد انه كريم مجيب .



(١) يقصد بهم أصحاب جريدة المقطم فارس لم ، يعقوب صروف ، شاهين مكاريوس وهي حريدة مواليه لسلطات الاحتلال وسننحج من كرومر حيث كانوا يقومون بسير الأمة والنلويح بسوء مقاصد الحديب وتكرار الاعتراف بسلطة الاحتلال ، بل ويعترف كرومر نفسه بموالاه المعظم لسلطات الاحتلال أثناء خلافه مع عباس حول الوارده المصرية والشيكيك في الحركة الوطنية .
- سامي عزيز ، الصحافة المصرية وموقعها من الاحتلال الانكليزي ، ص ص ٩٦ ، ٩٩ حتى ١٠٦ .
- الياس زانخوره ، مائة مصر ، ص ٣ ، ص ص ٥٢٣ و ٥٣٤ .

★ الجامعة

من نأمل في المجتمع الانساني وما اشتمل عليه من الأجناس المتباينة والاجزاء المتفرقة ، وما بينها من المفايل والنضاد ، والتجاذب والتنافر ، ثم نظر الى حركته الدائمة ، وبلاطمه المستمر رآه كالجسم المركب من اجزاء متعددة ، وعناصر مختلفة هي مع بعضها عن المشاركة وسدوذاها عن التآلف ، منحده الحركة متفقة العمل بما يؤول لبقاء الجسم وصيانة حياته ، حتى انا لنرى تلك الجرائم المنتشرة بالجسم الملتزجة منه باللحم والدم مع ما هي عليه من الحرب الدائمة ، والنزال المستمر الذي لا ينتهي بينها الا بطهور القوى منها ، ودثور الضعيف لم تكن بذلك الا خادما للجسم من حيث هي مخدمة منه . أيضا بما أعد لها فيه من المستقر الهنيء والغذاء المرء ، الا ان المجتمع الانساني وان اتحد حركة باعتبار المبدأ الذي يفصد به جر المنفعة المشتركة وهي ما به قوام الحياة الأدبية وبقاء النوع فقد افتقر غاية ، فتفرق باعتبار ذلك الى شعوب عدة لكل منهم وجهة خاصة ، هو موليا حتى استلزم ذلك تعدد عناصره ووقوع التباين بين أجزائه ، وعدم اتفاقها غاية كما هي عليه مبدأ مما جعل كل جزء منها قائما بذاته ، منفصلا عن نوعيته ولما كانت الغاية التي هي داعية التجزؤ النوعي تختلف باختلاف الشعوب والقبائل كما تقدم ، فقد استحال التوفيق بين مقاصد أصناف الانسان فأدى ذلك الى حصول التنافر ووقوع التشاجر فكان من هذا أن رجحت الكثرة على القلة وغلبت القوة على الضعف .

وهذا ما دعا الشعوب الى أن تطلب المنعة بقوة التضام والالتئام ، بالتجائهم الى جامعة عامة تتحد بها الكلمة وتشد العزيمة فنقوى على دفع بعضها البعض ، وكلما اتسع نطاق الجامعة فتضامت بها حلقات الشعوب المتفرقة كان ذلك أدعى لحفظ نظامهم الاجتماعي وأمنع جانبا من أن تمسه يد المتغلبين بسوء لهذا السبب

(★) لا يقصد مصطلحي كامل في مقاله تلك الجامعة كمكان تعليمي وانما يقصد لجمع الشعوب تحت راية الدولة العثمانية وهذا ما اوضح من سياق مقاله ، فهي دعوة الى فكرة الجامعة الاسلامية تحت راية الدولة العثمانية .

قد يكون من الأمم من ننألف من شعوب مآلفى المآذهب والآجساس ، وقد دعمهم ضرورة الآحناء بقوة الجامعة الى الآسناد لأحكم وآحد والآرباط بكلمة جامعة تمسكا بوحدة المصلحة العامة التى من معآضآها صيانة الآقوق الشعبية والآسآآآآار بالآخصاصات الوطنبة الى ،أما بسان فى آانب القوة وعدم فى آانب الضعف .

وفى هذه الحال يمكن آعتبار الأمم كل منها كآسبم وآحد أيضا مسآفل فى نفسه مهما آبايت أآزآؤه وآعددت أعضآؤه فانه سليم بسلامة تلك الآعضاء ما لم يسعطل عضو منه وينفصل آزاء منه كآليد اذا سلب والعين اذا أعمضت فان لكل منها آعآبارا عظيما بالآسبم لقيامها بأهم الوظائف الى يرآب عليها آلب المنفعة له ودفع الضرر عنه فاذا فعدا أضرآا به ضررا يكون به الى آانب العجز أقرب منه الى آانب القوة فيقف باراء غيره موفف الساكن حركة الناقص عملا الواهن فوة ولا أدنى من الآطر على أمة آاول بعض أعضآآها الانفصال منها أو آحيل بانفكآك بعض أآرائها عنها بداعى بباعد الآنسبة القائلة بتفريق المآآلف وآمع المشآكل (١) فان المصلحة العامة القائمة بقوة الجامعة مقدمة على المصلحة الآاصة الى هى فى آانب الضعف أقرب الى العدم منها الى البقاء وكلما اتسعت سلسلة الجامعة بما ينضم إليها من حلقات الشعوب كان ذلك آفظ لمصلآهم الآاصة ولآلباطها بالمصلحة العامة التى إنما بصيانها بسان الأولى اد سلامة الكل سلامة الجزء ومن نظر فى تاريخ البشر لا يجد أمة عظمة قامت على الأرض ثم تطرق لها الضعف والآضمآلال الا بعله تفريق أآزآآها الملائمة وانفصال أعضآآها الملتحمة مما نهى معه فواها ، ونفصم عروة آآتماعها ، فنقع فى الآسران وتعلو بها كفة المزان فتخفض من سطونها وتخط من قوتها فنآجم عن الآآدم فى مضمار المسابقة لمس عداها من أمم الأرض فيمكن منها الوهن ، آآث يتمكن منها الدآل (٢) وهناك يعز الدواء وتسوء المغة وليس من باعآ على ذلك كله الا تفريق الوحدة الجامعة ، وآمزيق السلطة الواعبة والآاقل من نظر الى ذلك بعين الآعآبار ، فطرح الآعصب الآنسبى وآآاشى الآندفاع مع قوة الآآاذب الشعبى مائلا بكلينه الى آب آصان المصلحة الوطنبة المضمونة بقوة الجامعة التى لا فرق لديها بين آباين الآجساس وآعدد المشارب فى آانب آآحاد الغرض الذى يسعى إليه الآميع ، الا وهو آر النفع ودفع الضرر .

(١) يقصد مصطفى كامل بذلك شعوب اللعان الى أصبحت فى ثورات دائمة ، مآاوله النخلص من سيطرة الدولة العثمانة ، صحة الآحلاف العنصرى (دى وحسى) ، وذلك بمساعده آحلارا وروسيا .

فمنذ ١٨٠٥ - ١٨١٣ آآآت بلاد اللعان طريقها الى الآسآعلال عن الدولة العثمانية وآأده وراء الآرى ، فاستقلت بلاد اليونان عام ١٨٣٢ ، ورومانيا عام ١٨٥٦ - ١٨٧٨ والصر ١٨٣٤ - ١٨٧٨ وآحل الأسود ١٨٨٧ ، وبلغاريا ١٨٧٨ - ١٩٠٨ . وكان لروسيا أكبر الأثر فى هذا . - د محمد آيس ، الدولة العثمانية والمشرق العربى ، القاهرة ١٩٦٢ ، ص ١٦٨ - ١٧٠ . (٢) المآبود بذلك استلآرا وروسيا وبحريضمها لنآل البلقان ضد الدولة العثمانية .

المعلمون والتعليم في مصر *

ان نعيم التعليم من أهم الأسباب الداعية لنمو العمران القائمة به حياة الممالك والبلدان ، خصوصا في هذا العصر الذي أصبح التعليم فيه من الحاجيات بعد اذ مرت عليه عصورا اعتبر فيها من الكماليات ، حتى انا لنرى الممالك المتقدمة نسابق في ميادين المعارف الآن نسابا لم نعهد له نظرا بين الأمم فما غير من الزمان لما عاد عليها بسبب ذلك من المنافع الادبية والمادية التي تعجز عن حصرها العقول ، وتبهر عند النظر اليها الابصار وهو ما دعا حكومات الشعوب المتقدمة الى الا يتركوا واسطة من وسائل انفاق التعليم الا يحذوها ولا وسيلة ناجحة لب روح المعارف الا استعملوها ولما كان حسن مستقيل البلاد متوقفا على أبنائها المتعلمين ونجاح هؤلاء معقودا بنواصي المعلمين ، وكلما توافرت في المعلم شروط اللبقة التي تؤهله لان يقوم بتعليم المئين من أبناء بلاده ازدادت بذلك فوائد التعليم وانتشر بين الأمة نفعه العظيم ، فقد رأيت تلك الحكومات أن الواجبات الأولية جعل المعلمين من أفاضل الرجال الذين حنكتهم التجارب ، وهذبهم التربية فاسنكملوا أسباب الفضائل ، وآهلوا لنيل هذه الوظيفة المهمة التي يتوقف على اسنيعاء شروطها في المعلم الحناء الادبية لألوف من الاحداث حتى اعتنوا لهذه الغاية بانشاء المدارس الخاصة لصنف المعلمين ، ليمارسوا فيها الأصول التي تؤهلهم الى تولي التعليم ، وتجعل بهم الكفاية للمقام يوجب التربية والتفهم وكان من نتائج ذلك ما نشاهده الآن من نجاح الممالك المتقدمة في أصول التعلم ، ورقى أهلها في المعارف والعلوم الى درجة لم تنلها الامم من قبل .

ولسوء الحظ أن ديارنا المصرية مع كونها في مقدمة الممالك الشرقية التي أدخل اليها التعاليم من عهد المغفور له محمد علي باشا ، بطلها المشهور ، وكان من المنتظر أن نرى نتائجه التدريجية واصله في هذه السن الى أحد الكمال مشمولة بعناية الدولة المحتلة . التي لم تبين دعائم احلالها الا على كلمة الاصلاح ، يرى الحال

(*) نشرت في حريده الاهرام بتاريخ ٢٠ أبريل ١٨٩٣ .

فيها بالعكس لما هو ملم من الحلل الظاهر بنظام المدارس ، مما حرم المصريين من الوصول الى الغرض المقصود منها ، والتمتع بفائدتها الحقيقية اللهم الا ما يتلقاه ابناءؤهم من بعض اللغات الأجنبية التي اصبحت بها المدارس المصرية دارا للمناظرات السياسية لاستناد أمر التعليم في حلها ان لم نقل في كلها الى معلمين يخالفون التلامذة لغة ومثريا وقد جعلوا عنايتهم بت مبادئ حسبيهم بين الأولاد واجتهادهم في تعليمهم اللغة التي ينتمون (أى المعلمون) الهادون النظر الى لزوم اتقان بقية العلوم والفنون (١) . فكانت المدارس المصرية لهذا السبب بمنابة مدارس لغات لا مدارس علوم وفنون وهو أمر قد نشأ عنه المضار ما يضيق دون ذكره وتعداده المحال الآن وسنفرد له كلاما خاصا ان شاء الله .

(١) ان احوال التعليم من اظهر وجوه حكم الاحتلال البريطاني حاصه أيام كرومر وقد استعاد الاجليز كثيرا عندما اخلوا البلاد مما رعموه من عدم استعداد المصريين للحكم الذاتي ووعده اللورد دهرين في تعريضه المشهور بأن ترفيه التعليم ستكون من أهم ما يحرص عليه الحكام الجدد حتى لا تكون صيحة « مصر للمصريين » صيحة خوفاء وقد كان احوال التعليم في مصر من جانب الاجليز أكثر منه في أى دارة أخرى يقول رورشتي . « ٠٠٠ في عهد اسماعيل حى عندما أرحقه الدائون كان يستطيع أن ينفق على التعليم سنويا ٨٧٠٠٠ جنيه ٢٣٠٠٠ منها من ماله الخاص ٠٠٠ وبعد مضي خمسة وعشرون عاما أى في عام ١٨٨٨ كانت ميراثية التعليم تلغ ٧٠٠٠٠ جنيه فقط ، ويقول اللورد كرومر « ان الحاجة الى المال كانت هي العقبة الأولى في طريق الترمي السربع » أو في طريق كل رضى كما يسعى ان يقال اذ ان الاوربيين بمجرد أن أخذوا بزمام الحركة الادارية في مصر قد ضحوا بكل شيء من أجل حملة السندات وقد مضى السادة البريطانيون على سنتهم هذه في عام ١٨٧٧ والتي تلها حطبت نفقة التعليم الى ٢٩٠٠٠ جنيه وفي عهد المراقبة الثانية بلغت ٧٠٠٠٠ جنيه فقط وقد بقيت كذلك مدة العقد السابى كله ، ثم بدأت برداد بعد عام ١٨٩٠ في حى أن اجلنرا تنفق على التعليم أكثر من ٧/ من ميراثيها عدا الضرائب المحلية الخاصة بالتعليم ٠٠ « ويابغ رورشتين « ٠٠ ان سكان مصر الذين يزيدون عن ١١ مليون نسمة ليس فيهم من يستطيع القراءة والكتابة غير ٦٠٠٠٠٠ نسمة ، يزيدون قليلا وهي نسبة لا يسوغها أى برهان ولا أية حجة خاصة اذا لاحظنا الصاير المعطرة من الذهب التي كانت تصب صبا على السودان والسكك الحديدية والحسور وغيرها من الأمور التي تعود بالربح .

ولم يكن يحلو مركز من مدرسة ابتدائية ولا عاصمة مديرية من مدرسة ثانوية وكان الى جانب هذه المدارس الابتدائية والثانوية ستة مدارس عالية فصلا عن أربع مدارس حربية فاحط أكثر المدارس الابتدائية الى مستوى الكنائس وأغلقت المدارس الثانوية غير ثلاث ولم تنشأ مدرسة عالية واحدة حتى رمضا هذا ٠٠ «

ويابغ روزنسي قائلا « ٠٠٠٠ نرا في آخر تقرير كسه اللون جويسب « ان الأحداث الذين يحضرون بالمدارس الابتدائية يبلغون ٧٩٤١ حدثا بعض ٢٨٣ حدثا عن السنة الماضية ٠٠٠ وقد رفض ٨٠ طالبا بالقاهرة لعدم وجود مجال لهم « ، « ٠٠ ان عدد الطلبة بالمدارس الثانوية دئو بسرعة زهنية وقد أصبح من المستحيل أن تزداد الفصول عن الحد المفعول ولاقلال هذه المناعب قد حدد عدد المستجدين « ، « ٠٠ ان مدرسة المعلمين فادره على الشيوخ وبها نسمة فصول يشعلها ٢٧٥ طالب مقابل عشرة فصول كاتب تشغلها ٣٠٣ طالب وقد بعض عدد طلبة المدرسة حتى لا يشرح من المدرسين غير العدد المطلوب ٠٠ « وبذلك نرى أن سلطات الاحتلال عمدت الى القس والحديد وعدم ايجاد الأماكن اللازمة لاستيعاب المتعلمين الجدد .

ولوسائل المصلحون الذين ينظرون لانشار لغتهم الانكليزية بين المصريين بعين السرور والابتهاج عن الأسباب الداعة لوجود معلمين من غير أبناء البلاد بعدم كفاءة المصري لتولى أمر التعلم وعدم أهليته له ، وهو قول مجرد عن كل عدالة وانصاف اذ الحققة تخالف ذلك ، وهي أن من نرسح لحاجة المدارس الوطنية التي تفتح أبوابها اضطرارا لقبول معلمين من الانكليز وغيرهم مع أنه يمكن نذارك هذا الخلل بزيادة مدرسة أو مدرستين على مدرستين المعلمين الحاليين وهما دار العلوم الخاصة بمعلمي الفنون العربية ومدرسة المعلمين الويفية الخاصة بمعلمي العلوم والفنون الرياضية أو توسيع نطاق المدرستين المذكورتين لدرحة نخرجان بها من المعلمين سنويا من به الكفاية للقطر والأهلية السامة لتولى التعليم وانما ذلك يخالف رغبة المصلحين الذين لو سلمت نياتهم لما كانوا هم الباعث على اطراد هذا الحلل العظم بما يلقونه من العثرات في سبيل تقدم المعارف في هذا القطر ، وفصلا عما تقدم فان هناك طامة كبرى على المعلمين الوطنيين ، وهي جعل رواتبهم قليلة جدا بالنسبة لرواتب المعلمين من الانكليز الذين امتازوا بهذه النعم المصرية ، فعضوا على الوطنيين بالسأس من احبادهم والفسوط من مستعبلهم فضعف فيهم الأمال وبسببت الهمم وسرى اليأس لغيرهم فأقعدهم عن الاهتمام بتضبيب الوقت العقيم للاستحصال على وطبعة التعلم والانخراط في سلك المعلمين كما هي الحال في المنعلمين أيضا الذين يفنون زهرة العمر في سبيل نحصيل العلوم التي تؤهلهم لخدمه الحكومه ونفع الوطن العزيز وعندما يعصدون لها بابا يجندون دونه من الموانع سندا قد أحكمت وصعه يد الغايات

= على أن النعم في التعليم لم يكن فاصرا على عدد المدارس وحسب ، بل اعطى التعليم والمدارس لمجرد معامل نعمل على تحريج موطى الحكومة وأمسحت المدارس أداء « بجلره » للمصريين ، نحاب أنه ليس في البلاد بأسرها عر سب مدارس عالية أشهر ما يدرس بها علم المعوى والهندسة ومع ذلك صرامجها الدراسية لا يعمد مستواها المدارس الثانوية أى أنه يكفى لمجرد تحريج من يشغلون الوظائف الثانوية والسبب في ذلك أن المرتبات الضئيلة التي يتعدا أهل الوظائف الصغرى • تحول دون استخدام الاوربيين ، لذلك أصبح من الضرورى بقاء المدارس العالية العديده حتى تؤخذ العدد المطلوب للوظائف المذكورة من أبناء البلاد •

ولم يكن التاريخ المصرى وناريخ العرب داخلا في برامج التدريس الثانوى بحجة أنه غير ضرورى لاسحان ما يسمى بالشهادة الثانوية وهي الشهادة الوحيدة التي نصح لحاملها باب الوظائف الحكومية والمدرس • أما التعليم الابتدائى فلم يكن احبارا ولا مجانيا • وقد ألغى التعليم المحافى في مدارس الاوقاف ولم يكن النرامج فيها يزيد عن القراءة والكتابة والحساب •

أما أكبر آفات التعليم في مصر فهي اسناد وظائف التدريس الى الانكليز وذلك حتى سم فرص اللغة الانكليزية وأسلوب تفكرها وهو ما كان يسمى اليه لورد كرومر نفعدا لمخططات سياسته الاحلال

— سودور رورشن ، مرجع سابق ص ٤٦٩ . ٤٨٢ •

— الراقى ، عبد الرحمن ، مرجع سابق ، ١٣٩ ، ١٤٠ •

— المجلة لناريخية ، نفسه ، صلاح عيسى ، نفس المقال ص ١٧٩ . ١٨٧ •

فينولاهم اليأس ويستولى عليهم الحمول(١) وهذا مما لبس لنلافى ضرورة المحسوس الا همة مولانا العباس ، الذى أرانا من حبه لصالح أمه ورغبته فى رقيه شأن المعارف فى البلاد ، ما لا بد معه وصولنا ان شاء الله الى الغاية المطلوبة فاننا فى عصر نحن فيه أحوج الناس الى أمر منله ، قد وهبه الله من الحزم والسات ما تنحقق به آمالنا وتنجح معاصدنا بمن الله وكرمه .

لا نجد من المواضيع التى تجرى على أسننه أقلام الكتاب وأطراف السن الخطاب وفى خواطر المفكرين موضوعا أجدر من هذا الموضوع بالعناية وأحق الالتفاتات . فانه يكاد يكون الجوهرى بين سائر المواضيع .

فانه من الواجب على كل هيئة من الهيئات الاجتماعية أن تعنى بيب أشعة العلم فى الأفهام كل العناية . ونحن اذا نظرنا نظرة عامة فى هذا الشأن عندنا وجدنا ما يصحك ويبيكى وشر البلية ما يضحك .

فلماذا لا تسنأه كل نفس لما هو مشاهد محسوس من النظام التعليمى الحاضر ؟ اننا نقول ولا نخشى لومة لائم انه لولا ما فطر عليه المصرى من الذكاء المفرط بشهادة

(١) بدأت سياسة الاستعانة بالاجاب لشغل المناصب العليا فى الاداره المصريه منذ نظام المرافعة على ماليه مصر ، بحجه رعايه المصالح الاحييه وكائب العلة فى ذلك الوقت للحاجب العرسى ، حيث أن الحدبو اسماعيل كان أمل لفرسنا منه لاحتلرا ، فكانت يتم معظم الأعمال الادارية باللغة الفرنسيه ، ووجد الحدبو تلك المواضع موفرة فى العناصر السوريه الى بنف اللعن العربيه والعريسة نحاب دراسهم مفتون الاداره وطموحهم العر محدود فى العمل .

أما بعد وفوق الاحلال الانجليزى لمصر فقد رأى كرومر أنه « لا أمل من قيام المصريين - مسلمين وأساط - بذلك » ومن ثم فقد كانت هناك رغبة بريطانيه قوية فى احلال عناصر عر مصريه فى اداره شئون مصر حتى يتم لانجلترا حرمان المصريين من أن يكون لأى مهم حط فى اداره بلادهم ، وحتى تستمر خطة بريطانيا وحجتها فى عدم معدره المصريين على اداره البلاد ، وبالتالي وجود سبب لاستداد بقاء انجلترا فى مصر .

وقد راعى بريطانيا أن تكون المناصب العليا ذات الحساسيه من هسب الانجليز الذين يراعون تماما مصلحه بريطانيا ومآربها فى مصر . أما المناصب الأمل أهمية ومربيه فهي أيضا للأحاجب غير المصريين من العناصر السوريه الذين وجدت منهم انجلترا شغفا بالعمل وطموحا عر محدود بجانب بواير معرفه للعن العربيه والفرنسيه ، واللذان لم يكن الانجليز على درايه بهما وكائب السائنه فى ذلك الوقت قمل تمام عملته « النجلزه » ، خاصه وأن انجلترا اصطدمت بعدم تعاون المصريين من مسلمين وأساط وقد اعسرت انجلترا العصر السورى أرمى من المصرى وأكثر بمدينا وآخذا بالهضارة الغربيه . وقد أدى ذلك لحدوث احتكاكات وصراعات بين المصريين والسوريين وعدم استعوار انجلته انجلترا مبرا - عن عمد - وثفره لزيادة ندخلها فى شئون مصر .

- سامى عزيز ، مرجع سابق ، ص ١٠٦ و ١٠٧ .

- سودور روزشبن ، تاريخ المسألة المصريه ، القاهرة ١٩٨١ ص ٢٢٤ ، ٢٢٦ .

- بيودور روزشبن ، تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده ترجمة على أحمد شكرى القاهرة - ١٩٢٧ ص ٤٦٩ : ٤٨٢ .

الباريخ والخصوم أنفسهم (قال اللورد كرومر) « فطر المصري دكى الفؤاد » لما سمع ان النشء المتخرجين من هذه المدارس نابغه واحدا أو منعلما ذا مواهب عاليه ومدارك سامية .

وبحن لا نريد أن نطل في بيان ما في هذا النظام من الخلل والاضطراب الذى لا ينشئ ملكه ولا يعين على ظهور موهبة فهذا كله ظاهر معروف . ولو جمع ما كتب في هذا الموضوع أمس واليوم في هذا الصدد لبلغ أن يكون مجلدات ضخمة ولكن نريد أن نقول ان هذه الحكومة سنذوق من فوضى هذا النظام مرارة لا نساغ فاذا ساءت الأمة أن نحسن صنعا فلتصاعف همتها في نكتر دور العلم ومعاهد المعارف فوفى الهمة الحالية ، فان الأمة التى لا تخدم نفسها لا يخدمها أحد (١) ، وهذه الحكومة التى يعلبها الاحتلال بين يديه ذات النمين وذات الشمال محال أن تقتنر ارادتها بالخير والحسنى واذا اقترنت وهذا بعد لم تجد من نفسها انبعسا على تحقيق الآمال . ولا عجب فانه لا تأثير مشترك بيننا وبينها وانما هى قطعة شلاء لا نحس بما به نحس ولا تتأثر بما به تتأثر .

(١) من الأهداف الرئيسيه التى سعى اليها مصطفى كامل دائما في خطبه ومعاليه . دعوه أثريا مصر لامة المدارس الأهلية لتعلم النشء المصرى وما يتناسب وقنما ولفنا ، وما يتناسب والطور الحضارى لمحاربة السياسة الانحليزية فى تحطيم الفكر والعلم المصرى ، والاكتفاء ببحرچ مجموعات من الكتب والموظفين ذوى الألقى المحدود ، حتى يعملوا العمل فى الوظائف الدنيا ذات المراتب الصئيلة ، ويسئى للاحتلال افساد الفكر المصرى والمانئة المصرية بحيث يحجر بعد فترة أى صوت يستطبع التفكير فى المناداه باخراج بريطانيا من مصر . وقد فطن مصطفى كامل لخطه الاحتلال تلك لذلك نراه فى معظم خطبه نكتر من دعوه الاعضاء المدارس الأهلية .

- ثودور دورشين ، تاريخ المسألة المصرية ، ص ٤٦٩ : ٤٨٢ .
- عبد الرحمن الرافى ، مرجع سابق ، ص ١٣٩ و ١٤٠ .
- المجلة التاريخية ، صلاح عيسى ، نفس المقال ص ١٧٩ : ١٨٧ .
- خطبة مصطفى كامل فى الاحتفال بافتتاح مدرسة حسين بك نره جولى ١٨٩٩
- خطبة مصطفى كاملى بالاسكندرية ١٣ يوسى ١٨٩٧ .

الرسالة الأولى (١)

البحر

أودع أوطانا يسوء وداعها
وأركب بحرا بره موطن النسي
يلكرني منه الصفاء مراتها
ألا أيها البحر العظيم بنا اتشد
تهمل قمصر موطن العز والنسي
بلادي حماك الله من كل غادر
أغادر منك الثغر والقلب شيق
فرققا بمن في البر والبحر مخلص
عليك سلامي ياديار تحية

وأترك أمصارا يسر لقاءها
وأهته عم البلاد سخاؤها
بها نفس ذى الآمال تم صفاؤها
قمصر تجلي للعيون بهاؤها
ومصر (أخا النعماء) جم هناؤها
وأبقاك للندى فانت سناؤها
وعيني يجارى هائل الغيث ماؤها
يرى مصر شمسا لا يحاكمي ضيائها
تدوم وأشواقى اليك انتهاؤها

لابدع اذا كانت الاسكندرية بجميل منظرها وجليل مظهرها تستوقف الأبصار
عند مغادرتها ونخطف الأنظار ساعة الخروح من بوغازها لا سيما أنظارنا أثناء النبل
حيث نسلب عقولنا وتخلب مذاركتنا عند مشاهدة ديارنا الزاهية وربوعنا الباهية
تغيب عن أعيننا شيئا فشيئا حتى تختفي تحت حجاب من الماء سميك وبندم وجودها
من بن الصور العينية بعد أن كانت واقعة تحت المرأى لا يحجبها عن العيون حجاب
لعبرى ان اخفاءها مما يدعو لسكب الدمع وضباع الرشيد واختفائها تختفي عنا
أوطان يعز علينا فراقها فيها نشأنا ومنها ظهروا وبخبرها تمتعنا والها ترجم آمالنا
فهى محط رجالنا ومقصدنا طول الحياة بها أعز أنواع البشر لدنيا وأحبهم البنا هي
بلادنا بلاد الخبرات التى لا تعادلها بلاد ولا تحاكيها دنار عذب ماؤها عزيز برها نقر
هراؤها طيب مناخها تركناها والحنين عام والحسرة شاملة وودعناها حيث أودعناها

(١) كُتب هذه المقالة وهو على متن النسخة « الجيوند » فى ٥ يولييه ١٨٩٤ ونشرت بحريه الأهرام
فى العدد ٤٩٦٧ الصادر فى ١٤ يولييه ١٨٩٤ . وهذه الرسالة وما تلاها أرسلها لنشرها وهو فى سفره
الأولى الى أوروبا فى ذلك العام .

وإذا مخلصا وقلبا صادقا وسألناها أن تبقى دائما كما عهدناها سعوفا عليها دأكره
لنا سالمين كما غادرناها بنعمة منها وإميه .

احتجبت عما هذه المواطن العزيرة بعد ساعتين من خروج السهيئة من الدوعاز
بأجلنا الطرف في أنحاء هذه الباخرة التي نزلنا فإذا هي كما عهدنا منبائها في السنة
اناضية بلده منسج يبلغ سكانه نصف ألف فيه كل ما يحتاج اليه الانسان من رفيق
ووافق وجلبيس أنيس وكناب يشفى الهموم ويطرده الأعران ومأكلا ومشرب كما بهوى
الأمس الأكلين والشاربين ومببب لا يعجب كثيرا فهي أسبه سىء بجزيرة مبحر كة يصح
أن يطلق عليها اسم جزيرة الجيرونند وعلى من يسكنها أمة الجيرونند (باسم الباخرة)
الا أنها أمة مختلطة يستحيل أن تربطها من الروابط غير رابطة دوار البحر ولـ
الاحتشاء ولكن الباخرة على كمال استعمادها بها عيب عظيم وأظنه عاما فى كل الجوارى
المنشآت وهو أنها متى توسطت هذا البحر الملاطم بالامواج لعبت ذات اليمين وذات
الشمال كما تلعب الأرجوحة بالأطفال وبلعبها تلعب أمهاء من أقله من ذكر أو أنسى .

وليعدرنى الفارىء الكريم اذا لم أسبطح نميل حاله البحر فى اليوم الاول
وفى نصف اليوم الثانى فقد كان سديده الموح عظم الريح مصطرب الحركة فوى
السلطان لم يصف لحظة من اللحظات بل دام يصعد بالباخرة نحو السماء فلا نرى
الا ماء وينزل بها نحو الماء فلا نرى الا سماء حتى أذعن كل السكان الى دواره وناموا
منفرقين بعضهم على السطح والبعض الآخر فى عرف النوم ان رأيهم حسبنهم سكارى
وما هم بسكارى ولكنهم فى بحار الدوار تائهون لا حراك بهم ولا هم يفقهون .

نلك حالة أغلب السياح فى اليوم الاول وفى سطر من الثانى والجارية لا يراها
من عوالم الوجود الا عالم الماء والسماء .

وما انتصف يوم الانين وأخذت الغرالة نبعث أسعتها العمودية حتى ظهرت
جزيرة كريد بجبالها الشامخة المتوجة بالبلج المسديم الذى يراه السائح وقت الطهر
وفد انعكست عليه أشعة الشمس الذهبية كأنه جبل من النبر الخالص .

وقد دئت لنا هذه الجزيرة الغنية بشهرها وترونها عن الذكر فسرحتنا فيها
الطرف وأجلنا النظر والبحر بجوارها على أتم سكينه ونحن فى حماها على أكمل نعمة .

وما احتجبت عن النواطر حتى غربت الشمس بعد تردها المعهود واحمرارها
المشهود وقد استمر ليل هذا اليوم الثانى مخلصا فى وداده رؤوا فى معاملته ولم
بكفه رعاه الله لطفه الذى حمدناه عليه الحمد الجزيل بل أوصى علينا اليوم البالب
فظهر كريم السجايا جميع العواطف رخاء ريحه صحو جوه ساكن ماؤه يكاد ينسيها
ما لا قيناه من سديده النعب وعظيم النصب .

وفى هذا اليوم الذى نعهده نعمة كبرى علينا ظهرت خلائق كان أخفاها الدوار
فى عرف النوم وكلها آنسة مستبشرة آمنة مطمئنة لا شىء يكدرها سوى ذكر اليوم

الأول صبيحة الثاني ولهذا نرى معنى حواب كل فرد منهم ان سألته عما لى من
النصب .

هول شديد مضى ما عدت أذكره طول الحياة لثلا يرجع الكدر

دليل على ما كان من الهول الهائل ولكنه والحمد لله قد فات ولا شك أن ما فاب
يدخل فى عداد الرفاة لا يعبه الله ولا أحياه . وهنا يرى الانسان حقيقة جلال هذا
البحر المتوسع الأرجاء البعيدة الانحاء الحقيق بأن يسمى صحارى الماء (كما يسميه
أفاضل السعراء) .

وإذا كان شاعر فرنسا السهير (لامارنوب) يسمى البحار مقلة الطبيعة لأنها من
وجهها كالعين من وجه الانسان فلا سك أن البحر الابيض أحق من سواء بأن يكون
سواد هذه المقلة العظمى لأنه أعظم البحار أهمية وأكبرها فائدة ونفعاً لما له من الأبدى
البيضاء على بنى الانسان فهو رائد التجارة وقائد الأمم لطرف الحضارة وأصل شجرة
النملى الذى يتكرم بأهداء لمرنها النظره للبلدان التى يحارها حسب ما يرى عند
أفراد الأمم من نشاط وعيره .

أذكر ذلك وآسف سيديه الأسف من أن هذا البحر العزيز الحبرات صاحب
القوة والملك الكبير غضب على وطننا العزيز غضبا طويلا فلم يعترف لأبنائه بغضب
ولم يشهد لهم يكمال حتى يهبنا الحرية الحقيقية والمدنية الصادقة ويعيد لنا ما فات
فى سالف الأوقات من المجده الكبير والمقام الحظير ولعلنا ننظر لهذا الداء بعين الاعتبار
فنداويه باتحادنا ولا سك أن الاتحاد مصدر القوة وعنوان الاستقلال .

وقد دام البحر هكذا ساكنا هادئا يرينا من أنواع السرور ما لم تكن نظن
رؤيته قبل هذا . اليوم السعيد وقد توج أيلة البهى بعد أن أرانا سواطي ايطالبنا
الجميلة بمرورنا من بوغاز (مسينا) حيث لفينا منه منظرا بحريا جميلا وبوغازا خلق
على أبداع منال حليته مدينتان متقابلتان مدينه مسينا ومدينه (رجيو) يراها المار
لبلا كأنهما عروسا عليهما من الحلل والجلي ما يبهج الناظرين ويبهج الرائيين وقد ظهرنا
نشاطران الحلال وننافسنا فى الحس والجمال نسطع منهما الأنوار وهى كالدر
المرصع أو كالنجوم الزاهرة فى السماء ركناهما بعد أن متعنا النظر برؤيتهما ساعة
كاملة كانتا فيها موضوع الاعجاب بجمالها العريد وحسنيهما البديع .

وأما اليوم الرابع فكانه قام ينافس أمسه ويعاهدنا على حال أكبر اعتدالا وأعظم
جمالا فأصبح لجة من الماء ساكنة يسبقها البخار نبقا ويقطعها قطعا دون أن نبدي
حراكا ولكنه مهما بالغ فى الاكرام وأحسن فى الضيافة فالفضل للمبتدع ولولا اللباء
ما رأينا الأربعة .

وأما يوما هذا خاتمة أيام البحر فمعندل الهواء صحو الجو والسماء عديم الموج

سائقين الماء ليس يأكل من سابقه لطفنا وحسنا مررنا في صبيحه من بولغار
(يونيفاسيو) وشاهدنا شواطئ قورصا (١) وسردينيا .

وما نحن الآن أمام شواطئ فرنسا البديعة الجمال ولم يبق الا الفليل حتى
يهاجر من هذه الجزيرة المتحركة الى تلك الأرض الباقية التي عرفناها أرض الجمال
والبهاء ذات الهياكل الطبيعية الجملة والمجاسن العديدة .

هذه جملة نعلمها للقراء الكرام على البحر وما رأينا فيه من بؤس وأنس ولم
يكن يسلينا فيه شيء آخر سوى قراءة بعض الكتب ومشاهدته الجزر المختلفة والسفن
التي كانت تمر على مقربه منا .

أما منظر سروق الشمس وغروبها فعند كان من أجمل المناظر التي بهرت الصباح
في أيام الصفاء .

وأما استنيان الجميع لقراءة الجرائد فهو يفوق كل استنيان مما يدل على أنها
أصبحت لازمة من أهم لوازم الوجود التي لا مندوحة عنها وياليت للباخرة جريدة
(ولو هزلية) تسلينا عن مطالعة الجرائد السياسية وقد ابتعدنا خمسة أيام كاملات
عن أخبار المعمورة بأسرها فلا ندرى منها شيئا ما .

(١) يقصد بها جريده كورسيكا .

الرسالة الثانية ★

معرض ليون (١)

بلغت هذه العاصمة البديعة مساء السبت بعد أن تركت البحر في منتصف ليل الجمعة ، حبيب تركت فيه العناء والنصب ، وطلب الراحة في برل بلع من جبال الروفق وحسن الوضع مبلقا كبيرا ، فقضيت فيه الليلة حتى إذا ما أشرق وجه الأرض قسدت المحطة ومنها سافرت على القطار السريع قاصدا مدينة ليون ، مركز المعرض الدولي الاستعماري الذي ذهب من أجله أطيب الفرنسيين عنصرا .

وقد وصلت في الساعة الثانية بعد ظهر يوم الجمعة ولبيت فيها يوما كاملا ، لازمني فيه ماجد من أفاضل المصريين تمكنت معه من زيارة المعرض زيارة نامة كسفت القناع عن بعض أسرار العديدة التي نطلب الوقوف عليها كلها أيا ما معدودات .

وقد أعجبني من هذا المعرض الفريد كل شيء فيه ، فلم يلح لي انتقاد ما ، بل رأيت كلة محكما في صنعه مرتبا في وضعه يسر الناظرين ويرضى العارضين .

وبما أنني فرضت على نفسي الكتابة في سياحي وتصوير ما يراه العيان إلى القراء الكرام نصويرا يظهر لهم حالة المدينة الأوروبية والحضارة الغربية رأيت أن أخصص رسالتي هذه للكلام على المعرض بغاية الإيجاز لأن المقام لا يدعو إلى الاطناب .

معرض ليون هذا موصوع في حديقة مجاورة للمدينة هي عادة مننزة سكان ليون وفي وسطها بحيرة جميلة يسمونها بحيرة « التيت دور (رأس الذهب) » ، فيها جزر صغيرة غابة في البهجة والحسن ، وقد وضع المعرض بكيفية بها جاءت هذه البحيرة في وسطه ، فصارت بهجته كما أنها بهجة الحديقة .

فمتى وقف الانسان أمامه رأى بابه ضخما عظيما مكونا من عمودين انعم صنعهما ، بحيث أن الرائي لهما يحكم قبل دخول المعرض أنه من الأهمية بمكان ،

(★) نشرت هذه الرسالة في الأهرام في يومي ٢٠ ، ٢١ يولييه ١٨٩٤ .

(١) مدينة فرنسية تقع على نهر الرون شرق فرنسا .

وبجوار الباب يرى ممالا أقبح لأبناء نهر الرون (الذى عليه مدينة ليون) ، الذين أحسنوا الدفاع عن الأوطان فى حرب السبعين .

ومنى دخل الزائر من هذا الباب العظيم يرى أمامه البحيرة ، وعلى يمينه سبلا عديدة وعلى يساره شارعاً مسجماً ، أما جهة اليمن ففيها المعرض الصناعى التجارى الدولى وأما جهة الشمال ففيها المعرض الاسعمارى .

ولنزراً ولا معرض اليمنى ثم نتبع زيارته معرض الشمال ، منى جعل الانسان أمامه البحيرة وحلقه الباب ، رأى على يمينه كما قلنا جملة سبل بيها طريق مسج عظيم ، هو طريق معرض اليمن ، ولا يلبث الزائر ماشياً فيه حتى يرى من الجانبين أبنية مرتفعة ، ومسكن مختلف ، أما الوسط فرى فيه قسمية فى غاية الظرف ، بها نماثيل مصنوعة ، نخرج من أمواها المياه بشكل بدري ومنظر جميل ، وهنا ترى أمامك قبة عالية هي بيت الفصيد ، بل هي العرض المقصود بالذات ، وأما ما يقى فرائد أضيفت كحلية .

وننظر نبل الوصول إليها فما على يميننا وما على يسارنا ، أما اليمنى فاهم ما به معرض صينى ويابانى صغير ، به مصنوعات الصين واليابان ما يعودنا رؤيته فى بلادنا من الأقمشة البهية ذات النفوس البديعة المصورة . لأهلها آكلين مخاطبين . ينزهين وما يشابه ذلك من بدائع الشرق الأقصى .

وبجانبه معرض الفنون الدينية وبه من الكنب والصور والنماثيل ما يضيق العد عن حصده وخلقه فيه طيارة تصعد الى السماء بمن يريد من الزوار رؤية المعرض كله . مرة واحدة ، ومشاهدة منظره من أعلى . وأما جهة الشمال فأجدر شئ بالذكر فيها قسم مدينة باريز ومدينة ليون ونهر الرون .

أما قسم مدينة باريز فمعرض المصنوعات المدرسية والاستغال الدراسية ومن جملة العدد والآلات الطبية التى بجوارها رجل من الشمع جالس على كرسى وأمامه مرآة يحسبه الزائر حياً وهو فى الحقيقة ميت محنط . وقد زرت هذا المعرض فى الصباح وكنت وحدى داخل القاعة فحسبت هذا الرجل حارساً للمكان ولكنى بعد ان زرت كلما بالعاب رأيه كما هو لا يبدى حراكاً فأخذت أقدم منه شئاً فشبتا وهو لا يتحرك مطلقاً حتى صرت بجواره فسألته بالفرنساوية عن متوسط عدد الزوار فى اليوم فلم يجب فلمسته يبدى فلم يتحرك فعلمت عندئذ انه ليس بحى وإنما هو شبه حى فنركته وخرجت معجبا بقوة التحنيط التى جعلتنى أحسب الميت حياً مدة من الزمان .

وأما قسم مدينة ليون ونهر الرون (١) فأحسن ما بهما المعرض التاريخى للمدينة

(١) يسبح من عرب جمال الألب فى شرق فرنسا ثم سجد حوياً لمرمديه ليون ونصب فى البحر المتوسط .

ومعرض مدرسة الفنون الجميلة المشتمل على مدرسة العمى والخرس بما فيه من كتب تعليمهم والواهم السى يقرأون فيها ، وهنا نرى تمثال شاب أعمى يكتب وآخر واضعا يده على البياض .

وبلى معرض العمى والخرس معرض الحديقة النباتية المدرسى لمدينة ليون ، فمعرض مدرسة الزراعة ومدرسة الطب فمعرض مدرسة التجارة العليا ، وتنتهى هذه المعارض مدرسة المارتينيز البالغ من الجمال أحسن مبلغ فترى باحدى جهاته نلامذة من الخشب فى غاية التناسب ، جالسين على كراسيهم ويدهم الكراسيات بيكتبون عليها . ما يلقى عليهم الأستاذ ، وفى جهة أخرى ترى نلامذة يحضرون الأحماض والغازات أو مدرس الكيمياء يلاحظهم الى غير ذلك مما يسر الزائرين عموما والمشتغلين بالتعليم والعلم خصوصا .

وبجوار هذا المعرض ترى محلا لأصحاب الجرائد ، به صور المشاهير منهم وخلفه مكتبا للبريد والتلغراف .

مسى ذرب كل هذه المعارض وأتممت زيارة مدينه ليون ونهر الرون نرى نفسك واقفا أمام القبة الكبيرة المشتملة فى باطنها على المعارضات الحقيقية المخلفة الأنواع والأجناس وحتى جعلها الزائر وجهته ، يرى منها صنعا بديعا يشهد المصنعة بالخطوة البعيدة والشاؤ الكبير . فما هذا الرجاج الكبير المحكم البرقع المتقن الصنع الذى من وراء رؤيته الحيرة العظمى بل ما هذه القبة العالية البنيان المشيدة الأركان الدالة بأظهر بيان على مقدرة يده الانسان قبة فريدة فى جمالها ، وحيدة فى جلالها ، حوت من المعارضات البديعة والخرائب ، وأتممت على المعجزات والعجائب فلفتت مدينه ليون بقبتها التى أصبحت تنافس من باريز برج ايفل .

ولعمري انها لآية من الآيات التى يمجز قلمي عن توفيتها وتقديرها حق قدرها . وهذه القبة دائرة محيطها واسع ، داخلها خمس دوائر متوازنة متناسبه مع بعضها ، كل التناسب فى وسطها فسيفيه جميلة يرتفع فى مركزها عمود أحسن تشييده ، يصل الى نصف فراغ القبة .

وهى تنقسم الى سبة عشر قسما ، فى كل قسم منها معرض قائم بذاته ، نكتفى هنا بذكر هذه المعارض تاركين التفصيل لوقت آخر .

أول المعارض الجزئية معرض الحرير ولا يخفى على القارىء السبب أن مدينة ليون هى أشهر مدن الدنيا ، بمنسوجاتها الحريرية فإذلك لا يلزمنى أن أقول أن هذا المعرض هو أجمل نىء فى مجموعة المعارض الليونى ، أو أن وجود نظيره فى معرض آخر من المستحيلات ، ويليه معرض الملابس ومتعلقاتها ، فمعرض الأوراق والطباعة فمعرض الفوتوغرافية والموسيقى فمعرض العجلات والفولوسيبيد ، فمعرض الكيمياء

والآلات المتنوعة فمعرض العدد والآلات فمعرض المعادن الميكانيكية العامة فمعرض
الأواني فمعرض الأثاث فمعرض الأغذية فمعرض التفطر فمعرض الانسجة .

هذه هي المعارض الجزئية المشتملة عليها اللعبة الفريدة ولا شك أن الزائر يندهش
من جسامه هذه المعارض كلها ، ولا سيما عند ريارته لمعرض الحرير فإنه يرى حقيقة
أهمية مدينة ليون وكيف أنها نفوق مدن إيطاليا والنمسا وغيرها في صناعة الحرير
بصناعها المنفردين بهذه الصنعة الجميلة وآلاتها المتعددة التي لا يوجد في غيرها من
الدائن وخارج اللعبة محل للموسيقى وجملة قهوات ومطاعم معدة للزائرين .

وخلف القبة رأيت أسياء حمة أهمها معرض (جاكار) ، وجاكار هذا هو مخترع
آلة نسيج الحرير فهو صاحب اليد البيضاء على مدينة ليون ، بل على العالم أجمع
إذ الزائر في أول منظر وهو يشغل بتجسس آلة النسيج اختراعه ، ويراه في منظر
نان جالساً على كرسيه يندب ابنه الذي قتل مدافعا عن وطنه ، وفي منظر ثالث يراه
واقفاً والصناع يريد قتله والقاه في نهر الرون لأنه باخراعه آلة النسيج حرهم من
كسب معاشهم ، فبعضهم قابض عليه والبعض الآخر يضربه بالحجارة وبينهم بنت
تريد طعنه بخبجها ، وخلف الجميع صديق له يريد نخليصه من بين أيديهم مما يتبت
قول علماء الاقتصاد السياسي من أن في الاختراع نقيل عدد الصناع وأن الصناع
أعداء الاختراع .

وفي منظر آخر نرى جاكار واقفاً في حجرته الصغيرة الحقيمة يستقبل
لارار كارنو الشهير (١) (جند ففيد فرنسا سدى كارنو أحد رؤساء الجمهورية)
مما يبرهن على أن رجال الصناعة والاختراع هم دائماً موضوع التجلة والاحترام .

في كل هذه المناظر الأربعة الصور مصنوعة من الشمع المضاء بالكهرباء وغير هذا
المعرض معرض المساعدة العمومية والاقتصاد الاجتماعي ومعرض الآلات الزراعية التي
ترى بجواره مليئا ، به نور من عرائب المخلوقات يزن وحده ٣٥٠٠ كيلو جرام .
ومما يحاكى هذه المعارض الصغيرة من الأهمية السبك الحديدية والعطارات
المختلفة .

وكذلك معرض الفحم الحجري ملك سرکه (لالوار) فإنه في غاية الأهمية ويسر
النزول في باطنه ولكنه يتعب النفس .

ويوجد غير هذه المعارض معارض أخرى منفردة حول القبة الجامعة لم أزرها
لضيق الوقت ولعدم أهميتها .

(١) من زعماء الثورة الفرنسية ولعب بصانع النصر ، نظم جيوش الجمهورية في حروب الثورة
الفرنسية وعين عضواً لحكومة الإدارة ثم تقلب في مناصب هامة في عهد نابليون وفي عام ١٨١٥ محمد
شفتي هربال ، الموسوعة العربية الميسرة القاهرة ١٩٦٥ ، ص ١٤٢٣ .

ولسفل الآن الى المعرض الاسبعمارى ، لا سك أنه يحق لأبناء فرنسا عند زيارة هذا المعرض الاستعماري أن يظهروا فخارهم بأوطانهم ولا غرو أن ازدادت محبتهم لبلادهم برؤية أملاكهم ومستعمراتهم فهم يرون فيه حمية قوتهم وكبير فتوحاتهم وعظيم بصرفاتهم كما أنه يحق للشرقي عند زيارة هذا المعرض أن يبكي بلاده وأوطانه ويندب قومه وعشيرته ويأسف على بلاد ضاعت من يد أبنائها بالحقد والحسد وذهبت عيمة الغريب بسبب الفشل وحب الذات المستحكم بين أهلها الغائم بقيام الليل والنهار بين أفرادها أقول ذلك ولا أنكر على العاري الكريم أسعى وحرني عند رؤيته هذا المعرض الاستعماري ، وان كنت رأيت منه معرضا جميلا قليلا حقيقيا بالرؤية والريارة .

وكما أن أبناء فرنسا يفرحون برؤية وأبناء الشرق يحزنون لرؤيته ، فلا عجب اذا اشتكرت الفلاسفة مع أبناء الشرق في حزنهم وأسفهم ، فهم يرون دائما في الفرح جريمة لا تفتقر ، وفي الاستعمار انما يبقى ما بقى الساعات والأيام .

معرض الاستعمار الذي وقفنا أمام جسامته وفخامته موضوع على شارع واحد بحيب يسهل على الزائر رؤيته بدون تعب وانتقال كبير وأول ما يرى فيه سراى الجزائر وهى بشكلها العربى الجميل وهيئتها الشرفية البديعة بشسمل على أنواع الصوف والرخام والجلود والأبسطة والمار والحبوب الجزائرية وعلى ما فى هذه البلاد من الأخشاب المتنوعة النفيسة ونحوى على الأسلحة العربية والطيور الشرفية المصبرة والأقمشة البهية . وهى السراى بنيت على مثال سراى (مصطفى باشا) أحد حكام الجزائر السالفين والحاكم العام يقيم بها الآن فى زمن الصيف .

وعلى باب السراى رأيت الحرس من الجزائر وقد تكلمت معهم بالعربية فأول شيء سألتنى عنه تقليدنا للفرنج فى الملابس فأجبتهم جوابا فى الحقيقة غير منع وركزتهم وخرجت .

وبجوار السراى سوق يبيع فيها بعض الجزائريين أقمشة وأسياء منوعة جزائرية .

وبلى هذه السراى سراى المسبعمرات الصغيرة ، وهى تشتمل على معروضات السودان والكونغو وغينا والجواد لوب ، وليس لها شيء مهم يستحق الذكر بل كل ما فيها أمتعة سودانية كالمهودة لدينا .

ونأتى بعدها سراى تونس وهى عربية الشكل جميلة الوضع بجوار بابها مأدنة فى غاية الظرف ومعروضاتها لا نضاف كثيرا عن معروضات سراى الجزائر . وبجوارها خيام عربية بها العرب جالسون وبجانبيهم الجمال كانهم فى الصحراء .

وأمام سراى تونس ترى قهوة رقص تونسية زرتها فى الليل فلم أرى فيها الا كل قببج مستهجن .

ويلى السراى التونسية سراى الانام التونكين (١) وهى سراى حمراء جديدة جدا
مرسوم عليها صور الفيلة الضخمة وحراسها من الاناميس (وهم بحلفون كبيرا فى
تقطيع الخلقة عن الصنبنين) وبشاهد الزائر لهذه السراى فى جهة النمين المستوحات
والحبوب وأنواع العاج معروضة بترتيب حسن وفى الوسط المكتبة الاستعمارية
الجامعة لكل المؤلفات والتقارير المتعلقة بالمستعمرات .

وقد استفدت من زيارتها حملة فوائده . وفى جهة الشمال يرى معرض الكمبوج
وبه من أنواع الحرير والدخان وخشب الصاغة والأسلحة والعاج وأجلة الفيلة
ما يدهش الأنظار ويؤيد فى نبار الأفكار .

وبجوار سراى الانام التونكين يوجد محل اتحاد بساء فرنسا العام وبه يرى
الخبام مضروبة والأسرة موضوعة فى عربات المرضى المختلفة وعلى جابه يرى الزائر
ثلاث قناطر فى غاية الرونق والبهاء .

أولها منظر (٢) حرب الليل بين الألمان والفرنساويين سنة السبعين وبه يرى
الانسان القتلى والجرحى مصورين وهم عددون والقوم يقتلون كالوحوش وربما قتل
الجندي أخاه الذى من جنسه ظانا انه عدوه مما تمجه نفس كل امرئ عرف ماهبة
الانسانية .

وثانيها منظر واقعة دجبا وهى الواقعة الشهيرة التى سالت فيها الدماء أنهارا
بين فرنساويين والداهوميين (٣) وقتل فيها القائد الطائر الصيت (فوراكس) وبها

(١) وتقع هذه المنطقة جنوب شرق آسيا - جنوب الصين - ضمن اقاليم الهند الصينية وقد اعتبرت
الدول الأوروبية هذه المنطقة نقطة الانطلاق نحو اقاليم جنوب الصين ، وقد كانت مملكة « آنام » إحدى
الممالك الأربع المكونة لشبه جزيرة الهند الصينية - كمبوديا ، سيام ، بورما - وكان المشرون الفرنسيون
ذوى نشاط فى تلك المنطقة ، وقد اصبحت أنظار فرنسا أول الامر نحو مملكة آنام لدوافع اقتصادية ودنية
الا أن السبب الرئيسى هو الدوافع الاسترائحية خاصة رغبتها فى اقامة قاعدة بحرية وقد تمت السيطرة
الفرنسية على ثلاث موانئ آنامية عام ١٨٦٢ . وامتد سيطرتها حتى اقليم الميكونج الذى يمتد الى
الافانم الجنوبية الصينية وقد تمت عدة تسويات بين فرنسا وانجلترا عام ٢٥ يناير ١٨٩٦ بخصوص هذه
المنطقة التى تتجاوز مصالح انجلترا فى الهند . وقد احلت فرنسا اقليم تونكين وحاولت الوغل فى
لاوس عام ١٨٩٣ .

بمير رونفان ، تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ - ١٩١٤ ، ط ٢ ص ص ٣٥٧ : ٣٦٠ و ٥٨٠ : ٥٨٢ .
(٢) المصود بها حرب السبعين (فرنسا / ألمانيا) وهى أكبر الحروب الثلاثة التى خرجت من
حلالها وحدة الأمة الألمانية فالجرب الأولى كانت مع الدانمارك ثم مع النمسا والثالثة والأخيرة مع فرنسا (- هـ ١٠ فشر ، تاريخ أوروبا فى العصر الحديث (١٧٨٩ - ١٩٥٠) تعريب أحمد نجيب هاشم
روديع الضبع ، ط ٤ دار المعارف ١٩٦٤ ، ص ٣٨٦ - ٣٩٩ .
Encyclopaedia Britannica V. 3, p.p. 663.

(٣) هم أهل مملكة دامومي على خليج غينيا شمال غرب الغارة الافريقية ويحلها من العرب والجنوب
المحيط الاطلنطى ، أما حدودها السياسية - الحالية - فهى من الغرب توغو ومن الشرق نيجيريا ومن
الشمال النيجر والجنوب خليج غينيا .

ترى العبيد وهم كالوحوش بل أضل منها يهجمون على كل شيء أمامهم حتى على المدافع .
لا يرهبون النار ولا يخافون الموت والفرنساويون أمامهم لا يباسون بل يطعنونهم الطعن
البليغ في كل جزء من الجسم والدم يسيل من كل الجهات بحيث ان المشاهد لهذا
المنظر لا بد ان يعترف في الحال بأن لا مدنية في الوجود ولا حضارة في المجتمع
البشرى مادام الناس هكذا يفترس بعضهم البعض الآخر .

وفي أسفل هذا المنظر ترى بيهنزن (١) مصورا في جهة جالسا على كرسية
ورجاله وأتباعه من حوله وفي جهة أخرى تراه يقتل أمه لنذهب الى الجحيم وتخبر
أباه بأنه سيسلم نفسه للفرنساويين .

وثالثها منظر بتويج قبصر الروسبا وهو منظر جبيل جدا نرى فيه القيصير واقفا
والتاج على رأسه وخلفه أعضاء عائلته الملوكية وأمامه الفسيس الأكبر وبجواره عظماء
رجال الدولة والخلق مزدحم والجند مصطف بكبرة على أم نظام مما يمثل هذا التسويج
كمال السمنيل .

وبعد رؤية هذه المناظر البهية المنارة كلها بالنور الكهربائي يحسب الانسان
نفسه انه انتقل الى الشرق حيث يرى أمامه قرية عربية وملعبا تركيا يشبه ملعب
عبد العزيز كمال الشبه ويرى بجوارهما مكانا أشبه بسكة تمبكتو وهي عبارة عن
شريط من الحديد على شكل دائرة وعاليه عربات كبيرة تجرها أفيال من الخشب
يحسبها الزائر أفيالا حقيقية نجر العربات ولكنها تسير بفعل الكهرباء .

ويلى هذه السكة الحديدية قرية سودانية منى دخلتها حسبت انك في وسط
السودان والأطفال (السود طبعا) تأتيك وتسلم عليك بكل لطف وبشاشة ولكنك
لا تلبث قللا حتى تندعش عندما ترى الكثير منهم يكلمك بالفرنساوية وينطقها بمنطق
لطيف يستوجب الغرابة لا سيما متى علمت أنهم لم يتعلموا كل ذلك الا في زمن
المعرض وعلى حين هذه القرية قرى أخرى داهومية وسنغالية وأمامها قرية أنامية
وملعب أنامى لم أسعد برؤيته لاني زرتة وقت الظهر أى قبيل سفرى الى باريس
بساعتين حيث كان الاهلون ياكلون وقد شاهدت أكلهم العجيب لا سيما أكل الأرز
وهو ان الغرابة بمكان .

— د شوقي الجمل ، تاريخ كشف أمريعيا واستعمارها ، مكتبة الانجلو المصرية ، القاهرة ط ٢ ،
١٩٨٠ ، ص ٥١٠ .

(٢) هو ملك داهومى Behanzin وكان الاقاييل كثيرة حول هذه الملكة وملوكها الذين
يقدمون القرابين البشرية لالههم وقد استمرت تقاليدهم هذه حتى النصف الثاني من القرن التاسع عشر
وكانوا يلزمون زوارهم الأجانب بمشاهدة تعديم القرابين البشرية ، وقد لقي الملك Behanzin
الى جزر الهند الغربية بعد هزيمة جيوشه على يد الجنرال دودس Doods الذى كان يقود حملة
فرنسية هدفها فرض سيطرة فرنسا على تلك الجهات .
— د شوقي الجمل ، المرجع السابق ص ٥١٠ .

الى هنا يقف القام عن التحرير لأن ما ذكره وحده يكفي لمعرفة قدر هذا المعرض
الفريد الغاضض بالعجائب والغرائب .

ولست بذاكر جماله في الليل وهو مضاء بالكهرباء من اوله الى آخره ولا عربات
الترمواي الجيلة التي تقطعه من مشرفه الى معربه ومن شماله لجنوبه ولا أزهاره
وأشجاره البديعة المتعددة فان كل ذلك وما يشابهه يدل على فخامته وعظمته المعروضة
للقرء الكرام .

ولم أستطع في اليوم الذي أقمته بهذه المدينة التي تعد ثانية باريس رؤية
شيء آخر غير المعرض الا مقنبل (١) رئيس الجمهورية فقد شاهدته ساعة سفرى
ووقفت به لحظة تخيلت فيها الرجل البرىء المحبوب راكبا عربته والشقى كازيربر
هاجما عليه بخنجره والدم يسيل منه دم اخلاص الوطن ومحبة الشعب الطاهرة وهنا
سكنت لى فكرة وهى أنه ان دام الحال على هذا المسوال فلا شك ان القرن العشرين
سيكون مسرحا لفظائع القوضويين ومجالا لاعمالهم النخى رأينا مقدماتها ولسمنا ندرى
ماذا تكون نتائجها والسلام .

ليون فى ١٢ يوليو سنة ١٨٩٤ .

(١) كارلو سادى (١٨٨٧ - ١٨٩٤) . هو سياسى فرنسى ، ثالث رؤساء الجمهورية الثالثة
(٨٨٧ - ٨٩٤) تولى وزارة الأشغال (١٨٨٠ - ١٨٨٥) واضطرب الأمور فى عهد رئاسته بسبب حركة
الجنرال بولجيه وفضيحة فناة بنما .
• عد أعماله موضوعى ايطالى هو كاربريو هذا .
• محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٤٢٣ .

الرسالة الثالثة ★

« بلجيكا وعاصمتها »

« بلاد البلجيكا هي من البلاد الصغيرة التي اشتهرت في الوجود بموقعها
الدمعاني الجميل ، الذي جعلها ميدانا نتسابق فيه رجال التجارة والصناعة فلذا كانت
أول بلاد في العالم مردحة بالحلائق ، حيث فيها مع صفر مساحتها ستة ملايين
من الألفس أي ما يقرب من سكان القطر المصري ولبحارنها وصناعنها شهرة ذائعة
وصيت بعيد ، وبها من معامل الحديد والفحم الحجري والورق مالا يعد ولا يحصى
وبها من أشياء الخزف ما ازدحمت به سفن التجارة البحرية السابحة بين شواطئها
وشواطئ هولاندة والدنمرك وانكلترا . »

وبالجملة فداخلها مجال المحارة والتسابق في التجارة والصناعة ، وشواطئها
مرسى السفن العديدة التي تنقل منها الى البلاد الأخرى ما اشتهر من بضائعها بالحسن
والاقتان .

وهي كسائر البلاد البحرية ذات حمامات جميلة بل تمتاز عن جميعها بحمامات
أوستند التي ينزل بها في فصل الصيف أعظم الملوك والأمراء وأكابر الموسرين
والأغنياء طلبا للتمتع بمياهها ومشاهدة مناظرها الجميلة وحبا في استنشاق هوائها
والتروض في رياضها الفيحاء فهي سلاية للب من زارها ، خلاية لعقل من حل وأقام
بربوعها ، وقد عشقها ليوبولد الأول ملك بلجيكا السابق فبنى فيها قصرا بالغ الكنتات
في وصفه وتيمان وضعه وحسنه .

وقد بلغ أهل هذه البلاد البلجيكية من دماثة الأخلاق ووداعة الطباع مبلغا ميزهم
عن سائر الأمم الأوروبية ، وجعلهم محبوبين مكرمين بين الجميع فنراهم يعززون الزائد
لديارهم ويبالقون في اكرامه حتى يدفعه حسن الاستقبال الى طول الاقامة في بلادهم ،
والاستئناس بهم وبمعاشرتهم وهم يتكلم أكثرهم اللغة الفرنسية ويحبون الفرنسيين
حبا يضعهم في مقدمة المخلصين لحكومة الجمهورية المعترفين بخدمتها للعلم
والاختراع .

(★) كتبت وهو في بروكسل ٢٢ يولية ١٨٩٤ ونشرت بالامرام بباريخ ٣١ يولية ١٨٩٤ .

وانى أرى أن حبهم للفرنسيين يعد واجبا من أقدم واجباتهم فلطالما نصرتهم فرنسا وأعلنت من سأنهم وخدمت بلادهم فى القرون الخالية ، وفى هذا القرن الحاضر الذى لم تنم السنة اللاتون فيه حتى كانت بلجيكا دولة مستقلة ومملكة منظمة قائمة بذاتها بعد أن رأت من الهولانديين أنواع العذاب .

عاشب بلاد بلجيكا دهرًا طويلا تحت سلطة الرومانيين والفرنساويين والاسبانيين ، وبجرات مقاطعات صغيرة حينًا من الزمن ، ثم عادت لفرنسا بعد ثورة ١٧٨٩ ، ودامت خاضعة لسلطانها الى أن فصلتها عنها معاهدة فيينا سنة ١٨١٥ وضممتها لهولاندة ، يحكمها أميرها ونسوسها قوانينها ونواميسها الى أن قامت عام ١٨٣٠ كما يقوم الأسد بعد طويل نومه وعميق رقاد ، وثارت على الظلمة حكامها مطالبة بحريتها وحقوقها التى سنّها لها ناموس الوجود وقانون المعيشة والحياة .

وفى رأت عندئذ من فرنسا العضد القوى والسند المتين فهى التى سمحت لها عند الدول حتى وهبتها الاستقلال التام والحرية الكاملة وذلك بمقتضى مؤتمر عقد بمدينة لندن عام ١٨٣٠ ، ومن هذا الحين ظهرت الدولة البلجيكية بين الدول الأوروبية دستورية حيث أصبحت كآتم الدول نظاما لها مجلس شيوخ ومجلس نواب ومحكم منتظمة نبراسها العدالة ووجهتها الحق والإنصاف .

ومن يوم أن نم لها هذا الظفر العظيم ابندأ البلجيكيون فى تنظيم بلادهم كما هو نفوسهم ، وقد تم لهم ذلك حتى أصبحت كل مدينة من مدائنهم فرة البواجر ومسرة الخواطر وأخصها بالذكر بروكسل عاصمتهم ومحط رحالهم فلقد بلغت من النظافة وحسن الروفق مبلغ باريس على عظمها وكبرها وتفردا بين ميلااتها بالحسن والجمال ولذلك يسميها أهلها وأغلب زائريها « باريس الصغرى » أو بنت باريس .

وصيلتها بعد أن تركت العاصمة الكبرى بسبب ساعات ومعى فاضل من كرام الشبان فرأينا منها عاصمة حقيقية بالزيارة فسبحه شوارعها ، متوسطة الارتفاع ، مساكنها جميلة آثارها أسماء تناطح فى علوها السماء بها من الرياض والحدائق عن الشمال الى الجنوب . ومن الشرق الى الغرب خطوط السكة الحديدية وعربات الترامواي وبالجملة فهى مدينة بديعة فى جمالها رشيق فى حسنها واعمالها ، لا برتاب السائح ان رآها فى انها قطعة من ناريز اولا هدوء حركتها وسكون تجارتها فى أهم أقسامها .

وهى تنقسم الى قسمين كبيرين أو الى مدينين مميزين الأولى المدينة المنخفضة أو القديمة وفيها مركز التجارة والصناعة والثانية العالية أو الحديثة وبها مساكن العائلات الشريفة ومنازل كبار الموظفين وسائر الأغنياء وفى منتصفها مسره جميل به فسقيتان وخلفه مجلس الشيوخ والنواب وجميع النظارات وأمامه سراى الملك

(وهي محكمة البناء متقنة الصناعة) وسراى مجمع العلوم والفنون المشيدتان خلف الساحة الملكية والمقام فى وسطها تمثال (جود وفرواد وبويون) الشهير بنصراته فى الحروب الصليبية وأمام هذا التمثال فندق (المدفو) الذى اخترناه منزلا لنا مدة اقامتنا لحسن موقعه من المدينة .

وبالبلد آثار قديمة كثيرة العدد أهمها سراى الملك القديمة ودار المحافظة وهما متقابلتان يدل بناؤهما على حالة البناء والصناعة فى العصور الوسطى ، ودار المحافظة قاعة عامة من بناء القوط وأخرى للزواج من الجسامة بمكان والآثار الحديثة أجدها بالذكر البورصة وسراى العدالة ومعرض عام ١٨٨٠ .

أما البورصة فيميزها عن سواها من الآثار أنها فى أحسن موقع وأكبر شارع من المدينة نتواردعليها من كل صقع الألوف من التجار والسامسة .

وأما سراى العدالة فإن قلمى عاجز عن وصفها وشرح جمالها وجلالها فهى سراى ضخمة عالية بها من العمد الشاهقة والمسالك الفسيحة والقاعات العديدة مالا يعلم عدده الا من أعطى الانسان هذه المد الفادرة على خلق مثل هاسك الآثار التى تسلب الانظار وبحر الافكار ، وماذا أكتب لك عن سراى هى مظهر الجلال والاحترام وموضع هيبة العدالة ومكان الانصاف مساحتها ٢٦٠٠٠ متر مربع وارتفاع قبها وحدها ٩٧ مترا ، وثمنها قدره ٤٥ مليوناً من الفرنكات ، بابها فريد فى احكام بنائه وعظيم ارتفاعه يرى الداخل منه اليمين سلما بأوله تمثال ليكورغا الشاعر اليونانى ودبستون خطيبها وعلى الشمال سلم آخر يبدأ بتمثال أولبيان الشاعر الرومانى وشيرون خطيبها وفيلسوفها ، يصعد الصاعد من السلمين الى ساحة السراى المشتملة على سبع وعشرين قاعة مخصصة للجلسات ، ومائتين وخمس وأربعين لموظفى المحاكم ، وأرفع قاعات الجلسات مقاما وبناء وأعظمها اتساعا وارتفاع قاعة الاسنتناف الأولى والثانية وقاعة النقض والابرار وقصارى القول أن هذه السراى فريدة عقد آثار بلجيكيا اذ أنها آية من أكبر آيات الصناعة فى القرن التاسع عشر .

وأما معرض عام ١٨٨٠ فموضوع خارج المدينة أمام ساحة الخمسين ، وهو لا يختلف فى الانقان عن أعظم الآثار الجسمية اقامته الحكومة عام ١٨٨٠ دللا على اتمامها نصف القرن الأول من اسنقلالها ونيل حريتها .

وبالمدن نمائيل جمة أقيم أغلبها لعظماء الرجال الذين خدموا استقلال البلاد البلجيكية ، سواء كانوا من أبنائها أو من غير أبنائها ، وأشهر هذه التماثيل عمود المؤتمر وهو عمود مرتفع على قاعدته أربع تماثيل ، وداخله سلم حلزونى تبلغ درجاته ١٨٤ درجة-توصل الى قمته التى يرى منها الانسان المدينة كلها ، وقد سدد هذا التمثال تذكارا للمؤتمر الذى عفده أكابر رجال الوره البلجيكية عام ١٨٣٠ وأعلوا فيه استقلالهم وإنفصال بلادهم عن هولندا .

وإمده العاصمة الزاهرة كما لغيرها مكتبة بها من الكتب المطبوعة ٣٠٠٠٠٠ كتاب
ومن المكتوبة ٢٠ ألف .

وبها من الماحف العدد العديده نذكر منها منحف التصوير والنقش القديم
والحديث ، والجامع لغرائب الصور العتيقة والحديثة ولكن أغلبها صور دينية متقنة
أحسن اتقان .

ومتحف التاريخ الطبيعى وبه عدد كبير من الحيوانات المصبرة بين كبيرة وصغيرة
ومفترسة وداجنة وكلها نحسبها حية وبها غير ذلك من الأحجار المختلفة والمعادن
المتنوعة ما تستلزم رؤيته أياما عديدة .

ومتحف الأسلحة وبه من المدافع والرماح وآلات الحرب المختلفة ما يقف منه
المدقق على ناموس القنال وعدده فى كل زمان ومكان .

وأما كنائس المدينة فكثيرة العدد جدا وكلها شاهقة جيدة البناء . ولا عجب اذا
كانت كنائس البلاد البلجيكية أرفع وأعظم من كنائس سواها ، فقد اشتهرت بين الأمم
المعاصرة المجاورة لها بتمسك أهلها بالدين تمسكا زائدا .

وللمدينة متنزهان شهيران متنزه (لآكن) ومنزه (غابة الكمبر) أما متنزه لآكن
فموقعه وحيد فى المدينة وهو معتدل الهواء جميل الوضع عليه سراى للملك يقيم بها
فى فصل الصيف ولكنه لم يسكنها منذ أربع سنوات لأنها حرقت بأكملها ولم يبق
منها الا أثر صغير يدل عليها وأمام هذه السراى تمثال ليوبولد الأول أبو الملك الحاكم
وخلف هذا التمثال غيط الملك ومتى وقف الانسان أمام التمثال فانه يرى من هذا المتنزه
بقعة من الأرض خضراء بها الأشجار الجميلة الزاهرة من كل جانب فيحسب أنه قد
فصل عن هذا العالم وانتقل الى عالم آخر كلة جمال وبهاء ولست بقادر على وصف
هذه البقعة السندسية كمال الوصف فانها هى الاتقان أو فوق الاتقان وأنى لى بلوغ
هذا المبلغ من البيان ولست فى بديع الانشاء بسبحان .

وأما غابة أكلمبر فلا تختلف فى صفاتها وحسن نظامها عن غابة بولونيا بل ان
شئت فقل انها غابة بولونيا البلجيكية .

وغاية القول ان هذه العاصمة على صغرها تفوق بنظافتها وجمالها جميع العواصم
أوربية وغير أوربية والسلام .

الرسالة الرابعة ★

معرض انفرس

« اهدت أوروبا في العصر الحاضر الى المعارض اهتمامها لاعلاء شأن التجارة والصناعة ، وزيادة البحث والتنقيب في وسائل الارتقاء ، واضاءة الافكار بأنوار العلوم والمعارف فأنشأها في كل صقع وواد وأقامتها في كل بلد وفاد وظهرت كل دولة من الدول سافس اخواتها بصنائعها المبردة بها تجارتها المميزة لها عن غيرها فازدحمت المعارض بالزوار وضافت الفسحات على رجبها حتى فازت بالشرف الرفيع والفخر الكبر . فسر الأمم بباوغها مرامها من الكسب وعلو الصيت ونال العارضون مطالبهم من الشهرة والارباح ونزه الزائرون منهم النواظر في هاتيك المناظر العديدة الأنواع المناسبة نحو الأحكام والابداع الناطقة بدقة الصناعة ومهارة الصانع فنشأ عن ذلك حب الدأب على العمل والورع بالتسابق والمجاعة مما زاد أوروبا ارتقاء وتقدما وعلاء وجعل أهلها يؤملون دوام الحال ، بل ازدياد الفخر والمال ماداموا أصدقاء العلم أوفياء المعمل . »

كل ذلك في هذا العصر المضيء عصر ازدهار العلم وثمو الاختراع ولم نتعد نحن ما نحن عنه من الحمول والسكون ، ولم تعد حركة التقدم والفلاح الى قوم العز السالف والذل الحاضر ، بل دام النشاط في بنه يحافظون عليه ، ويحافظ عليهم ودامت الدعة في أهلها يرحبون بها وترحب بهم ؛ والشرق يبكي الديار والأوطان حتى هب من مصر الرخاء وباه الهناء حب الجنوح الى العمل فقامت الافكار بانشاء معرض وطني انشجرت له الصدور وان لم يكن بالمعرض المذكور الا أنه بداية الخير وعنوان الرخاء .

فليهنأ المصري به وليجنهد في اقامه معرض تفتح له ابواب المدح والثناء وبرتل فيه آيات الحمد والاستحسان حتى تنشط « مصر » من عقالها وهي غمادة الشرق والغرب ونقوم من رقادها ، وهي عروس العلم والأدب فنتم اذ ذلك الحيرات والبركات ويقول الشرق لأيام الهناء عدت وعاد الرجاء فليعش الارتقاء ولتحیی العلوم والعلماء .

(★) كتيب وهو (نأمرس) بتاريخ ٣ أغسطس ١٨٩٤ ثم نشرت في جريدة الأهرام بعدد ٤٩٩٨ ، ٥٠٠٠ .

نلك نوطته للكلام عن معرض أنفرس الذى سارت من أجله الركبان وطبق
دكره المالك والبلدان . فزاره من داني المواطن وفاصيها عدد يفوق عدد سكان
أنفرس على كثرتهم وتزاحمهم مما جعله أسمى مركزا من معرض ليون الذى لم يعبه
الا قلة القصاد وأن كان يماثل معرض أنفرس فى اتقانه بل فاقه فى بعض أجزائه .

وكلا المعرضين كبير الأهمية عظيم الشأن جم الفوائد والمنافع لا يكاد يختلف
احدهما عن الآخر فى المكانة لولا وجود مميزات تميز كل واحد منهما فلقد امتاز معرض
ليون بقبة السماء الجامعة لشئنا المعروضات وأنواع المصنوعات وبمعرضه الاستعماري
الذى فى زيارته دراسة ثابتة لأحوال الشرق وصنائه وبجارتها مما ينعسر رؤيته
فى معرض آخر .

ومما جعل المعرض الليونى أكثر بهاء من معرض أنفرس البهجة الجمالية التى
جاءت فى وسطه تسير فيها المراكب بالزوار فتتزههم فى هذه اللجة البيضاء ، بعد
أن نزعتهم بحسنتها وجمالها .

وأما معرض أنفرس فيمتاز بالحركة الدائمة فيه وكونه فى الحقيقة معرضا
دوليا ، تنقسم مخازنه (التى تشابه من معرض ليون القبة الجامعة لاحتوائها على أهم
الأشياء المعروضة الى جملة أقسام ، فى كل قسم منها معروضات دولة من الدول ،
حتى صارت ككتاب يقرأ الزائر فيه مكان كل دولة أوروبية ، من التقدم فى التجارة
والصناعة فهى تعتبر المعرض نفسه وما تعدها يعتبر زوائد كزوائد المعرض الليونى .

ولهذا المعرض الدولى البلجيكي جملة أبواب منها باب متسع هو أهمها منى دخل
منه الانسان رأى أمامه قبة صغيرة جميلة الشكل مختلفة الألوان ، بها باب المخازن
الموضوعة بجوار بعضها تحت سقف من الزجاج ؛ محكم الرقع المكونة جميعها لزواية
منعرجة عرضت فى انفراجها زوائد العرض ذات اليمين وذات اليسار .

وأول شئ يراه الزائر على يساره من هذه الزوائد ، حى الترك وحى السوريين
وبهما بعض المحصولات التركية والسورية يبيعهما جماعه من أصحابها وبجوارهما
ملعب (سورى) كملاعبنا المصرية ، يليه منظر خلوات أفريقية الوسطى وبها نرى
السائح الشهير (ستانلى (١) جالسا بين الأعشاب الجملة والأشجار المختلفة يتحدث
مع أمين باشا الالماني فى شأن العودة الى مصر والأهلون منتشرون رجالا ونساء .

(١) استانلى Henry M . Stanley (١٨٤١ - ١٩٠٤)

ولد فى ويلز ونرى ينيما ، تلقى تعليمه فى ظروف معقدة ، عمل بالتجارة ثم التحق بالاسطول
الامريكى وقام بجولات فى شرق أفريقيا حيث أصبح من المستكشفين لمناطق هامة فيها وقام برحلات جاب
فيها القارة من شرقها الى غربها ، وكان من أكبر أعماله هناك اشتراكه فى حملة القاذ أمين باشا
Amin Pacha Relex Expedition سنة ١٨٨٦ حيث تقابل معه فى مديرية خط الاستواء لينقله من
حصاره الذى فرضه عليه (اتباع المهدي) وهو ما يشار اليه هنا .

وعلى يمين هذا المنظر الأفريقي ترى ملعباً أمامياً كالملاعب المقام في معرض ليون
زرنه في الليل مع رفيقي وحضرنا فيه تمثيل رواية لا أضن على القراء بذكر ملخصها
الدى وزع علينا بالفرنساوية وهو (رزق أحد ملوك بلاد الأنام بنتاً جميلة أرادها
زوجاً لأحد أبناء الملوك المجاورين له وكان لهذه البنت أخ يبغض هذا الملك وابنه فدبر
لهما مكيدة ودعاها لوليمة اختتمها بسجنهما والاستعداد لاعداهما لولا أن جاءت أمه
واستغفرت لهما عنده وطلبت العفو عنهما فعفا وأقيم مهرجان الزواج كما أراد زوجها)
هذه هي رواية لديهم يعتبرونها منالاً للبلاغة وحضرنا تشخيصها وسمعنا كلامهم
المقطع الذى يجتمع مع لغة الحيوانات العجم فى أغلب الحركات والسكنات .

وبعد المعرض الأمامى يأتى الشارع المصرى وبه الباعة المصريون وسائقوا الخمر ،
الدين بنعاطون الحشيش فى كل وقت حتى فى هذه البلاد الغربية وبه غير ذلك قهوة
رقص مصرية رحب بنا أهلها كل الترحيب وان نكن زادتنا الحسرة من زيارتها ورؤية
بناتها .

هذه هي مشتملات الشارع المصرى وأما هيئته العمومية فمصرية لا تختلف عن
هيئة أكرشوارعنا القديمة .

ولا شك ان الزائر لهذا الشارع يهزأ بنا ويسخر منا حيث لا يرى أمامه الا
نقيصه تنطق بتأخرنا ، ونعلقنا بدنايا الأمور مما يجعلنا نستنهض همم كبار نجارنا
لسريف هذه المعارض المهمة وعرض مصنوعات البلاد وانسجتها عوضاً عن هذه النقائص
الظاهرة للعيان .

وأمام الشارع المصرى معرض للزجاج وبجواره سراى شرقية بها قهوة رقص
عربية (كان الشرق لم يشتهر الا بالرقص) أقيم أمامها محل بدوى به بنات عربيات
لا يأتين شيئاً آخر غير الرقص والغناء .

وبجوار الشارع المصرى قهوة رقص مراكشية أمامها حى الجزائريين والتونسيين
وبه ملعب جزائرى وباعة تونسيون وجزائريون ، وفى وسط هذا الحى أقيمت فسقية
كهربائية تضاء كل ليلة .

أما أمين باشا هذا فهو الدكتور الألمانى ادوارد شنيترز ، وأسلم وسمى نفسه بهذا الاسم وقد
التحق بخدمة الحكومة المصرية كحاكم لمديرية خط الاستواء من قبل الخديو عام ١٨٧٨ وبعد مقتل عوردون
فى ٢٦ يناير ١٨٨٥ قطع المهديون عليه خط العودة الى الشمال وقد استغل الاستعمار هذا الموقف وصدرت
صرخات فى دهايز السياسة الأوروبية لا تقاذه ، وسلطت الاضواء أكثر من اللام على وجوده ولكن كان
الهدف هو ابعاد النفوذ المصرى من هناك ولعلنا ثم لهم ذلك بعد حملة الاغاذ المشار اليها .

ولزيد من المعلومات يرجع الى

- Gray, R. : A history of the Southern Sudan, 1839-1899, Oxford, 1961.
— Fox, Bourne : The Other Side of Amin Pasha Relief Expedition, London, 1891.

ويأتي بعد حي الجزائر المعرض الناريخي للبلاد البلجيكية ، وبه اسما عشر منظرا يرى منها الزائر أن البلجيكيين يصبرون مبدأ تاريخهم ثورة عام ١٨٣٠ التي نشأ عنها اسملال بلادهم وتمنعهم بحرينهم ، وأهم هذه الصور هياج الناس من مبدأ الثورة بملعب (المسكوكات) ، وصورة دخول ليوبولد ملك البلجيكا السابق الى مدينة بروكسل من باب (لاس) وصورة تحليفه تلك اليمين ، وصورة الاحتفال بالسنة الخامسة والعشرين من حكمه ، الى غير ذلك من المناظر التي تمثل أعظم حوادثهم وأكبر أباهم .

هذا أهم ما يراه الزائر في جهة اليسار وأما جهة اليمين فأحق شيء بالذكر فيها سراى الأعباد (الموضوعة في بجويف رأس زاوية المخازن ، وهي سراى كبيرة جميله بها قاعة متسعة معدة للاحتفالات الرسمية التي تقام في المعارض (أقيم فيها أخيرا احتفال الجرائد) وهي سبع سنة آلاف شخص بجوارها مطعم (أو مقضم أو مقشم كما تشاء) هو أكبر مطعم في المعرض .

وأمام هذه السراى ترى عمودا مرتفعا تخفق عليه الراية البلجيكية كتب عليها بالبرساوية (كمرينج) أقامته الشركة المسماة بهذا الاسم اعلانا للعموم بأنها أول شركة بلجيكية تستخرج عصارة اللحوم وهذا العمود يبلغ ارتفاعه فوق السنين مترا وقد علمت أن ما انفق عليه يكفى لأن يكون رأس مال لشركة مهمة ؛ مما يدل على ثروة شركة (كمرينج) وأنه لا يضرها انفاى مبلغ طائل كالذى صرفته على افاءة هذا العمود لتوقف الناس على قدرها وأهميتها .

وفد سميت الشركة بهذا الاسم نسبة لطبيب بلجيكي شهير اشتغل زمنا طويلا في البحث عن وسائل تحسين عصارة اللحوم .

وعلى يمين هذا العمود الشاهق الارتفاع ترى مكانا فسيحا تباع فيه مصنوعات أمريكية من أدو مصنوعات العالم الجديد وعلى مقربة منه ترى حي مدينة أنفرس القديمة المعتبر عند البلجيكيين أكبر آية في المعرض لكونه يمثل لهم هيئة مساكنهم وأسواقهم ومطاعمهم وشكلهم في القرن السادس عشر .

والداخل في هذا الحي يرى شكل مدينة أنفرس القديمة وأبنيتها المنخفضة الغير المنظمة ، وكنائسها العتيقة ومدافنها ومبانيها (وبرصها) وأسواقها وما يسابه ذلك مما يمثل الايام الغابرة وأهلها أحسن تمثيل ، لاسيما عندما يرى الزائر كل ما بالحي من رجال ونساء زيهم الزى القديم وخطابهم اللغة الفلمنكية المهجورة .

وخلف هذا الحي ترى منظر جبال الالباب وعلى قممها الثلج المسنديم وبحنها الرياض النظرة . والحقول المزدهرة مما يستميل فكر السائح لزيارة هذه الجبال التي يسجد لها ماتها السحاب .

وبعد هذا المنظر البهيح يرى فنطره نصيف مستديرة نصها فرية الكونفو وهي قرية سوداء تشتمل على أكواخ مختلفة ومساكن سوداوية عديدة وبحيرة جميلة وأعشاب كثيرة وكهوف من النفث كبيره .

وعلى يسار هذه القرية بسبب سراى الكونفو وهي لم نفنح للآن .
وعلى يمين القرية يرى متحفا للفنون الجميلة خلفه منحف آخر لا يمتاز عنه الا بكثرة نقوشه ورسومه المعروضة من قبل أهم الدول الاوروبية .
ونحت المتحف الأول معرض الحيوانات البحرية المختلفة والاسماك المتنوعة السباحة فى المياه كسباحتها فى البحار .

وخلف هذه المناظر الجميلة يرى فبة طائرة كهبة المعرض الليونى ، بجوارها مكان منسج الأرجاء والانحاء أقامه أحد الضباط الامريكان المسمى بويتون وجعله أشبه بالجبال الروسية من حيث ارتفاع بعض نبطه وانخفاض البعض الآخر الا أن هناك بركة سير فيها السفن صاعنة نازلة كأنها العجلات فى جبال الروس .

وكل هذه المعروضات والمناظر موضوعة كمعروضات اليسار بين أشجار دائية ظلالتها مندلية أزهارها نراها فى الليل وقد اشترت الأضواء بين أغصانها وتوزعت على فروعها ، كأنها عرائس رصعت صدورهن بالدرد والمرجان وزينت بزينة المهرجان فخطفت الأبصار وسلبت العقول بدلها وجمالها .

منى روت كل المعارض الصغيرة (أو المعارضات على رأى بعضهم) سجد أمامك آخر ضلع اليمين فى زاوية المخازن وبه قسم الآلات والكهرباء وهو أكبر الأقسام اتساعا قدرت مساحته بـ ٢٢٠٠٠ متر مربع ومنى دخلت من بابه سمعت دوى أكثر من دوى المفاعع وشاهدت نورا ونارا يظهران من كل جانب ويبرقان من كل ناحية ولا عجب ان كان هذا القسم أهم أقسام المخازن واكبرها فانما هو أول قسم تامل الصناعة البنجيكية ورجحانها على غيرها وخصوصا فى سبك الحديد وصناعة الآلات الضخمة .

ويل هذا القسم قسم هولندا ومستعمراتها وبه عرضت الشيكولادة وأنواعها واللوز الهندى والهندباء والقهوه والسكر وما يحاكي ذلك من الأشياء التى تفردت بها البلاد المنخفضة بم قسم المستعمرات الفرنساوية وبه معروضات الجزائر وبعض بلاد الشرق الأقصى .

ويأتى بعد هذا قسم أمريكا وبه من لوازم الاثاث وادوات الكتابة والطبع شىء كثير .

وعلى يمينه معروضات لسيبيريا والمجم وبلغاريا وعلى يساره معروضات اليابان ومقاطعة الكسمبرج واسوج ولورج ويل كل هذه المعارض التى يضميق المقام عن

شرح معروضاتها ، قسم السباحة وبه العدد العديد من الحرائط والرسوم والاعلامات
المنعددة من قبل كافة الشركات البحرية وبه منظر يشتمل على عشرين صورة تقريبا
تمثل صور المراكب والسياح فيها وفاعات النوم والاكل وصور السفائن الكبيرة
والصغيرة وهي فى وسط البحر يلعب بها الامواج وصورها وهي داخله الميناء وخارجه
منه وما يشابه ذلك مما يلذ البصر ويطرب الفكر .

وعلى يمين هذا القسم البحرى ترى قسم اسبانيا والبرتغال وعلى يساره
سويسرا ورومانيا .

وعلى كل هذه الاقسام من جهة اليمين قسم النمسا والمجر وبه غير رسم (فيوم
ونريسنيا وبحيرة بلاطون) كافة أنواع الملابس النمساوية (النى تلبس منها) والحلل
والجواهر النفيسة .

ومن جهة اليسار قسم الدولة العلية وبه الطباقي الاسلامبولية الجيدة والمنسوجات
التركىة النميئة وبعض المصنوعات التركية .

ثم قسم ايطاليا وأفخر ما به التماثيل الصغيرة التى من الرخام الابيض والحريز
المختلف الأنواع ، ثم قسم روسيا ويشتمل على أجناس الفراء المينة التى يعتبرها
الروسيين أنفسهم مصنوعاتهم .

وبجوار هذا القسم قسم فرنسا وبه أعظم مصنوعات مناثنها المشهورة فهو
يشتمل على أمتعة المنازل والنباتات الزخرف والزينة وأنواع التماثيل ولعب الاطفال
وبالجملة كل شىء امتازت به فرنسا عن غيرها ولا ننسى الحرير اللينونى فانه زينة القسم
وحليته .

ويليه قسم بلجيكا وهو موضوع أمام القبة التى بها الباب العام . لكل المخازن
ولا يرتاب الفارىء من أن معروضات هذا القسم أكبر وأعظم من معروضات غيره ،
فهو حقا المقصود بالذات فلقد تقلم فيه وحده ٤٠٠٠ عارض وعرضت فيه أنواع
الفحم الحجري (ولا يخفى على العراء ان بلجيكا تعد من مقدمة البلاد التى يستخرج منها
الفحم الحجري) والمعادن المتنوعة والعربات الجملة وامتعة الرينة التى تفوق الحصر
والعد والروائح المقطرة أحسن تقطير وقصارى القول أن فيه أحمل المصنوعات البلجيكية
وأدقها .

وفى آخر هذا القسم أمام الباب العام للمخازن أقبم الفصر الهوائى الذى طالما
حدثتنى نفسى برؤيته والتمتع بالاقامة فيه ولو بعض دقائق ولكننى عندما وصلت
اليه تنفست الصعداء وعلتنى حسرة وكآبة لعدم فتح أبوابه لأن فتركته متمثلا بقول
القائل « ما كل ما يتمنى المرء يدركه » وسرت فى هذه المخازن الهائلة متنقلا من بلجيكا
الى ألمانيا حيث رأيت فيها مجموعة ما رأيت فى غيرها من أفخر المصنوعات وأخطرهما
مما يدل على اجتهد أهل هذه البلاد وشدة غرامهم بالصناعة .

وأمام قسم ألمانيا قسم الكلترا وهو فائض بالمصنوعات الحديدية والمعدنية التي نذكر منها أنواع العجلات والعولسبييه التي لا توجد في غيرها والتي لا يستعملها في الغالب الا أهلها ، وآلات الكتابة ومطابع اليد ، التي تصدرها لأغلب البلاد وبه غير ذلك المشروبات الروحية بأنواعها ، وبخاص بالذكر منها الوسكي المملوء به فسمها وهي مشتهرة بصناعاته من عهد بعيد .

وبلى هذا القسم البريطاني قسم كندا وكل ما به من محصولات زراعية عديدة الانواع .

وننتهي المخازن كلها يقسم العنود الحربية الذي يأتي بعده قسم كندا ويشتمل باطنه على المنافع القديمة والحديثة والاسلحة والآلات الحربية التي لم يخترع الا للجمع بين حماية الانسان وسفك دمه . وفي وسطه ترى عمودا من الاسلحة القديمة على جوانبه تماثيل أربعة فرسان من فرسان العصور الحالية .

وبجوار هذا القسم العسكري ترى منظرا حربيًا به صور الجنود في جميع حركاتهم وسكناتهم .

هذه رسالتى عى معرض أنفريس كتبتها ليقف القراء على ما بهذا المعرض الخطير من المعروضات ولم استطع الشرح والتفصيل لضيق الوقت ولأن كل سىء فى المعرض يحتاج وحده لرسالة كاملة ، ولست أقصده فى رسائل شيتا آخر غير ما يراه العيان على قدر الامكان حتى تكون الرسائل كصور المصور يظهر للرأى من الاشياء مظهرها الصادق قياما بواجب السياحة الذى يفرض على السائح (كما يقول العلامة بسكال) أن يقرن واجب الرؤية بواجب الكتابة والاخبار .

والقارئ لهذه الرسالة الرابعة يرى أن أوروبا نسل فى هذه المعارض الخطيرة أكبر الاعمال وأشرف الحصال الدالة اوضح دلالة على مقام الانسان وأما الشرق (ويا للأسف وطول الخجل) فلا تمتل الا قهوات للرقص جمعه فى باطنها أسفل الناس وأوضح المخلوقات والسلام .

★ الرسالة الخامسة

واترلو والمذبحة البشريّة

« حبيب الى واترلو أن أهدتك اليوم بحديث الأولين ، وابتئتك بنبأ السالفين ، وأقص عليك أحسن فصص التاريخ ، فأذكر لك حوادث الرجال مع الأيام وحوادث الأيام مع الرجال ، وأشهدك هذه الأعمال الغراء ، وتلك المآثر الشماء . التي فاخرت الشهب والسماء ، وحفظت لذويها لدى التاريخ ما يحفظ مجد هذه الايادى البيضاء من أن يراى عليه دم الحسد ، وانكار العلا . وأطرد معك الحديث الى ذكر نابليون ذلك الرجل الكبير والطود الخطير الذى اهزمت له الأرض من مشاربها الى مقاربها ولهجت بذكره الألسنة أصغرها وأكبرها فانفتحت الحروب فارسها والنصرات ثائلها ، والاطوان حاميتها وناصرها ، وجرت الأيام طوع بنانه والحوادث رهين مراده فلم تسنطع مخالفة ، ولم تقدر على معاكسة ، بل دام رب السيف والقلم ، وأمير الممالك والعواصم ، أمره الأمر وارادته الفعل والنهي ، وجرت مشيئته كمشيئة الاقدار وبغينه كبنية الأيام والأمصار حتى ظهرت له (واترلو) بوجهها العبوس وميدانها المشثوم المنحوس تعلنه بأقول بدر سعوده ، وتندره بغروب شمس علائه فجندت له الجنود والجيوش وجمعت الأسنة والرماح ، وقابلته مقابلة العدو الألد الإبطال الأند ونظرتة نظرة الدهر لعظماء الرجال وكبار الإبطال ، واحتفرتة احتفار الفيلسوف لرجال الحرب أماله ، ومهرقى الدماء أشباهه ، فهزمت منه أقوى الرجال قلبا وأشد الفرسان مراسا ، وأعظم العظماء فكرا ورأيا فظاظاً تلك الساعة رأسه ، وعلم أنها ساعة الانقلاب وأن الزمن زمانان زمان السعود والاسعاد وزمن الشقاء والعداد ، واستخفر لربه من دم اسالته الأطماع وأهرقته محبة الفخار ، فسمع اذ ذاك من دوى المدافع وصوت المواقع انه أراد من الشقاء هناء ، وطلب من الدماء علاه فاعتدى على الانسان فر كل بقعة ومكان ، حتى شكته لربها صم الكائنات وصوامت الموجودات فبعث وهو الرحيم على عباده الى (واترلو) رجالا أسعدوا الأمم

(★) كتبت وهو بباريس ٢٧ أغسطس ١٨٩٤ ثم نشرت في جريدة الاحرام أول سبتمبر ١٨٩٤ .

بأنهرام مشقييها ، وأراحوا العباد بالتغلب على منعها وميلها ، فهرب من الفرنسيين رجال طالما هرب الدهر أمامهم ، وفر من وجوههم خيفة الايقاع به والاعتداء عليه ، على أنه مجرى الأيام وممر الحوادث .

فخسف هذا البدر العالي والكوكب المتلالي في يوم مشهور كان من أكبر أيام التاريخ وأعظمها ، فيه فازت أوروبا المشحونة القيدح المعلى ، على حين انخزال فرنسا على يد رجلها الحظير ، وفارسها الشهير ، الذي طالما نصرها وأعلى شأنها ولولا وانزلو لباب به فرنسا سيده أوروبا المستعمرة لها ، النافذة الأمر فيها ، المتصرف في أفساءها بصرف المال الحرفي أملاكه ولقد صدق من قال وأحسن المقال (لم تعرف أوروبا مركزها الصحيح ولم ندر حقيقة وجودها إلا مساء يوم وانزلو فان تلك الساعة الحمراء (ويسمى الحمراء لاحمرار الأفق بها) أوقفت كل دولة أوروبية على انها كفرنسا مستقلة لايجسر ذو أمل نابليون على مهاجمتها) .

وبديهي أن أوروبا بعد انهزام نابليون لم بعد بهاب القتال أو تخاف المذابح البسرية فلقد ختمت جمعاء بمذبحة وانزلو التي سالت فيها الدماء مختلطة ببعضها اختلاط الماء بالماء .

ومن ثم اكتسبت وانزلو شهرة لاتجاري على أنها أرض جرداء وان كانت اليوم حضراء فلقد أصبحت ملقى السياح ، يأنونها من كل صقع وبلد بقصد رؤيتها ونظر ساحتها وقد زاد تواتر الزوار اليها من يوم وصفها الكاتب الطائر الصيت (فيكتور هوجو) في مؤلفه الميزيرابل (البؤساء) ولذا عدت زيارتها واجبا ، لاسيما وبينها وبين بروكسل مسافة يقطعها البخار (١) في نحو أربعين دقيقة .

وصلتها بعد الظهر بساعتين صعبة رفيقي العزيز ، وقصدنا ميدانها فاذا هو ساحة كبيرة خضراء في وسطها نمال ليت أقامه الحكومة البلجيكية تخليدا للواقعة وتذكارا (لولنجتون) ، يصعد اليها بسلم كثير الدرجات ، صعدنا وشاهدنا الساحة زمنا مديدا فلم يكن ليدعشنا فيها شيء ، لأنها لا فرق بينها وبين سائر الغيطان الا أننا تذكرنا غابر الأيام وسالف العصور وتلونا في عالم الاقطار صحف التاريخ ، فبدت لنا الحرب بأبشع صورها ، وأقبح مناظرها ووددنا كما ود قبلنا من طاب للانسان غايات النعم لو هلكت الحرب وعدم التباعد وأصبح التاريخ يعص أنباءها كما يقص نبأ نود وعاد ، ولكنها أمنية بعيدة التحقيق فلقد أمسى هذا البلاء الدائم والشقاء القائم دا قانون مسطور وناموس مشهور يقرأه القاري في علاقات الدول ، وروابط الممالك في القانون الدولي فهو قسم ليس بالشئ اليسير .

واقعد لبننا بهذا الميدان الجدير بأن يسمى (خزان السماء) مدة ساعتين ونحن
نعيره نظرة ، ونعير الليث نظرات ثم عدنا الى المحطة والأطفال نجري خلف العرب
تطلب الاحسان (كالشحاذين في طريق الأهرام) ، حتى اذا ما بلغناها سافرنا الى
بروكسل ومنها عدنا الى باريز والسلام .

الرسالة السادسة ★

الاحتفال بعبد جلالة السلطان

« قد جئت هذه العاصمة الزاهرة وعلمت اقتراب موسم عيد الجلوس المائوس وأنا افكر في اقامة حفلة خاصة بالمصريين ، يحتفلون فيها بهذا العيد السعيد ، الذي يذكرنا بجلوس خليفة ملك بعدله الرقاب وجمع اليه الأئمة الأ وهو جلالة السلطان الغازي « عبد الحميد خان » ، اذ لاشك أن المصريين هم أصدق الأمم جميعا للحضرة السلطانية ، وأول المخلصين المفدريين لحب جلالة الخليفة لوطننا العزيز ، وخديويها المحبوب ، وقد ازداد يعلقى بهذا الفكر من يوم الى يوم حتى أراد الله اظهاره من القوة الى الفعل فشاورت جميع المصريين فاستحسنوه كل الاستحسان وأقروا جميعا بأن هذا العمل واجب وأنه لايلقى من المخلصين عموما والمصريين خصوصا الا رضاه فشرعت منوكلأ على الله وقلت في نفسي : لاشك أن حبنا لجلالة الخليفة أمر مشهور ، وان احتفالنا سيثبت لكل انسان أن في المصريين احساسا صادقا يستطيعون اظهاره للوجود ، واعلانه للعالم أجمع دون أن يهابوا عدوا أو حسودا غائرا . »

ولذا أرسلت لكل اخواني المصريين ، أدعوهم لمشاركتي في هذا الاحتفال السعيد فلبوا الدعوة جميعا بكل سرور وانشراح ، مظهرين لي في اجابتهم عن الغيرة الوطنية والحمية المللية ماملاً فؤدى سرورا ، وجعلني أقضى الليل والنهار في تقبيل كتابتهم ، وأنضرع لله سبحانه وتعالى أن يكنر في مصر من أمثالهم ، ويبقى روح هذه النهضة الوطنية سمو خديويها المحبوب .

ولما كنا نود أن يحضر هذه الحفلة رجل من كرام الفرنسيين المخلصين لمصر ، المدافعين عنها حتى يعلم كل انسان أننا لاننسى الجميل أبدا ، وأننا نعرف لمن يحترمنا لمزيد الفضل ، دعوت النائب الشهير والمستشرق الفاضل الكريم الموسيو فرنسو دبلونكل أشهر مشاهير أعضاء مجلس النواب المعروف عند الجميع بحبه لمصر وأهلها ، وشدة دفاعه عن مصالحها وقد كنت تشرفت بمعرفته من قبل فقبل الدعوة حفظه الله بكل سرور وامتنان .

(★) نشرت في جريدة الاهرام في ٨ سبتمبر ١٨٩٤ .

وفد كان زائري (صاحب جريدة الشرق) عند حضوري الى باريس وأخبرني أنه سيحتفل في مساء الخميس ٣٠ أغسطس سنة ١٨٩٤ بعيد الجلوس المائوس كجاري عادته السنوية وانه سيدعو كل المصريين فحمدته أطيب الحمد ، ووددت لو دام اخلاصه لدولتنا العلية فام يمض الا قليل حتى دعا مواطني الذين لم يتأخروا عن الذهاب في الموعد المحدود فما حانت الساعة السابعة الأفرنكة من مساء الخميس حتى أقامت على محل الاحفال العربات من كل جانب ، والمصريون فيها كالبدور يتلألئون نورا وبهاء وهم بملابسهم الشرفبة الرسمية زيتنة الحفلة وزهرة الاجتماع ولم نمك قليلا بعد دخولنا حتى دعبنا للعشاء فدخل النساء ثم الرجال لقاعة متسعة نصبت فيها الموائد العديدة جلس عليها نحو السثمائة شخص كل في مكانه المخصص له وقد كنت تأخرت عن الدخول قاملا لاشتغالي بالتكلم مع أحد رجال المطبوعات فجاء حضرة الكاتب الشهر المسيو شينيل أحد محرري (الجرنال) وأجلسني أمامه وكان على مقربة من يميني (نوري بك) أحد كبار رجال الدولة العلية وعلى يساري جملة من أصحاب الجرائد الخطبة وقد بدى بالاكل في الساعة الثامنة واسنجر نحو العاشرة والقوم يتحادثون حديث الحب والوداد وقد شغفت الموسيقى أسماعنا بالسلام العثماني والدعاء المرضي الشاهاني مرات عديدة نالت فيها الاستحسان التام والتصفيق العام .

وما بدى بالفاكهة حتى ابتدأت الخطابات والخطباء والبلغاء من كل جهة يذكرون محامد الحضرة السلطانية ومكانتها في الشرق والغرب وما لها من بعد النظر في السياسة متخلصين من ذلك روابط مصر الحالية الوثيقة العرا مع الدولة العثمانية مادحين سمو العباس منين عليه أجمل الثناء وقد كان في مقدمه الجميع المسيو « ميل فو » أحد النواب السابقين فقام وحمد الحاضرين ، وشكر الداعين ، وذكر السلطان ذكرا جميلا وتكلم على مصر طويلا مما كان له حسن الوقع عند العموم .

ثم أعقبته الواحد بعد الواحد حتى وصلت نوبة الكلام الى ، وقد كنت أخبرت بذلك من قبل فقام أحد الكتاب الفرنساويين المجاورين لي وقال « ليصنع الحاضرون لخطابة صاحب جريدة (المدرسة) المصري « فوقف كل من بالمكان وصفق تشجيعا للخطيب ولقد صعدت على كرسي والقيت خطابا بالفرنساوية كنت كتبت من قبل والبك ترجمته حرفيا .

« ليسمح الحضور لصاحب جريدة مصرى جاء باريس زائرا أن يظهر بالأصالة عن نفسه بالنيابة عن كافة مواطنيه احساسات الحب والاحترام المتبادلة التي تربط المصريين بالفرنساويين وأن يؤكد لكم كل التأكيد أن المصريين لا ينسون حملا ، بل يذكرون كل ما يؤديه لهم الغبر من الخير .

وأن معشر المصريين نعد سعدة الطالع لرؤية فرنساوين يحتفلون بمزيد
الانشراح بعيد خليفتنا المحبوب السلطان الجليل القدر « عبد الحميد خان الثاني » .
واني باسم جميع المصريين الذين علموا بجلاله كل آمالهم اسألكم ان تشربوا
على صحته واني واثق من أنكم نوافقوني كل الموافقة اذا سألتكم ثانية أن نعقبوا
الشرب على صحة الخليفة بالشرب على صحة أميرنا الهمام « عباس حلمي باشا » .

حتم تجاهرون *

بعكس ما نضمرون

أبدا كتاباني في الأهرام برسالة عامة على مناقضة الأنكليز لأقوالهم بأفعالهم واستشهد فيها ببعض الأدلة التي يتحدث بها الناس كافة حاعلا إياها ممدمة رسائل آنية تدرجها على الننايع والله الموفق .

نبت للفلاسفة والحكماء في سائر الأعصر والازمان أن النفبضين لا يجتمعان والضدين لا يتحدان ، مما رسخ في الأذهان رسوخ الأهرام ولم يستطع أحد مخالفة هذا القول الصحيح لأبناء الساميز الذين تلقوا الحكمة والفلسفة على مكافل فلبسوف الظليان فانهم ارادوا بما آتوه في مصرنا اثبات اسحاد الضدين واجتماع التقبضين فلقد قالوا وملأوا الأرض قولا « انا دعاة الصدق ، نصراء الشرف ، دخلنا مصر لتأبسد سلطة بنائها واصلاح شؤونها واعادتها الى ما كانت عليه قبل الاضطراب (١) ، ثم اسنوا في ناربخ احلالهم أكثر اثبات على أنهم عاملون على بعويض أركان الساطة الحديوية وتقبل نفوذها واخلاب السلاذ وافقار العباد ، مما يدل من افئدنا حيننا لهم بسخطنا عليهم ، وولائنا لبلادهم بكرهنا لجنسهم ، والا اذا كنتم معشر الانكليز لا نزالون نسمون أنفسكم دعاة الصدق نصراء الشرف فقولوا اما بحق مجدكم ما معى تأييد السلطة الحديوية عندكم أبؤيد سلطة العرير بعويض دعائهما وهدم أركانها ومخالفة صاحبها الساعى في كل رعبانه ومناقضه في كل أماله ونهديده عند الحاجة بعزله (كأن الدولة العلنه أصبحت مفاطعة من مفاطعات اسكندرا أو ابرلندا . هذا أمبرنا أبو امبرنا عليه من الرحمن الرحمة والرضوان ظن بكم خرا وسالمكم في اكثر الأمور فعالمكم بعد موته ثقتكم بكم ومسالمة لكم بقولكم عنه « ان اللورد كرومر ننازل له عن الامضاء على الاوامر العليا فكان يصح امضاء بدل امضاء حضرة اللورد ، مما كان له أسوا تأثير في النفوس وعرف الناس حقبة ماكنه ضمائرهم وبخفيه سرائرهم وقد بلغ منكم حكم للتعدى على سلطة الأمبران نظاهرتهم مرارا ضد العباس وخالفتم رغبتهم . وعملتكم (على انكم لم تفلحوا عملا) على قتل النفوس الشريفة المشربة بحبه والاخلاص له .

(*) نشرت في الأهرام بتاريخ ٢٨ ديسمبر ١٨٩٤ .

(١) بعصد القوره العرابية .

بل قولوا لنا بحق مجدكم يا أدعاء الحرية وزعماء المدبة هل أعدم الوطن العريق الى ما كان عليه قبل الثورة بسلخ السودان عنه وبركه عسمة بارده لكم ولصدع تعكم من بعدكم فلا تركمونا نسنرجعه ولا صنتم حياتكم كنتم أول الطامعين فيه المعدرين عليه (١)

وكان ساكن الجبان شريف باسا (٢) فقه كنه مقاصدكم وسوء نواياكم يوم اكبرت الناس عمله وصفه له اسحسانا حيب فض طلبكم واستعفى مفضلا اجتناب الأعمال عن خدمة مآريككم وبرككم تحتالون على محبكم نوبار باسا (ومحب غورسب على الخصوص) الذي قبل الوزارة وسلخ معكم السودان وما أدراكم أرض هي من مصر بمنزلة الروح من الجسد .

وماذا كان منكم بعد أن أجيبم الى طلبكم ، وسلخ السودان كان منكم اذ كنتم أول المنهكين لحرمه ، باسسلاتكم على اوغندا وادلاي (التي هي من املاك الحكومة المصرية) وأخيرا بالهدية السجينة التي قدموها في الصنف الماضي الى صديفتكم ايطاليا (بمعنى بها كسلا) وكان ما كان من هباح الرأي العام ومظاهره مجلس الشورى الوطنية التي قوبلت بالفرح والاستحسان (٣) .

(١) سسر هنا الى عمليه احلاء السودان انام وداره نوبار بعد ان رفض شريف باشا ذلك واستقال ١٨٨٤ احتجاجا على هذا العمل .

يرجع الى : د . يواقيم رزق مرفص ، مرجع سابق ، ص ٣٩ - ٤٥ .

(٢) هو محمد محمد شريف السركس ولد بالقاهرة ١٨٢٦ ، وتلقى تعليمه في مصر ثم في فرنسا بتدريستها العسكرية . وعين ياورا لسلطان ناسا الفرنسي ووصل الى رتبة فريق في عهد سعيد ناسا وظل يترقى في المناصب الادارية حتى عي في منصب رئيس مجلس النظارة للمرة الأولى في أبريل ١٨٧٩ ، وقد بولي هذا المنصب أربعة مرات (٧ أبريل - ٥ يولية ١٨٧٩) ، (٥ يولية - أغسطس ١٨٧٩) ، (١٨٨٤ سبتمبر - ٤ فبراير ١٨٨٢) (٢١ أغسطس ١٨٨٢ - ١٠ يناير ١٨٨٤) هذه النظارة التي استعالت بسبب رفضها « نصيحة الجنرال » باحلاء السودان ، تلك التي كانت بداية سياسة الجنرال لاحتطاع السودان من مصر . وقد وجدت صالحتها في موافقة نوبار باشا الذي عين رئيسا لمجلس النظارة للمرة الثانية في ١٠ يناير ١٨٨٤ - ٩ يولية ١٨٨٨ ووافق على هذا الطلب لاجل نوبار .

(٣) يونان لبيب . تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ - ١٩٥٣ ، القاهرة ١٩٧٥ من ص ٦٦ ، ٧٤ ، ١٧٧ .
(٣) تدخل هذه المسألة ضمن مؤامرة الدول الكبرى لتقسيم املاك مصر في السودان الجنوبي والشمري مستغلة بيام الثورة المهدية وعمر حكومة عبد الله التعايشي عن المحافظة عليها . وقد صممت هذه المؤامرة لجنرا وايطاليا والفرنسا .

فالنسبة لاوغندا فقد سال لعاب الجنرال عليها وادارت أن تحصل عليها بثمن قليل بعد وصول املاك مصر في مصر اسماعيل الى منطقة خط الاستواء التي شملت احرار واسعة من اوغندا وجعلت عليها حاكما هو أمين باشا الذي انقطعت احواله عن مصر بفعل المهديين الذين هددوه فاستعلت الدول الكبرى هذا الحصار وصحوا موقفه وطالبوا بارسال حملة لاباعده وبدخلت في ارسالها فوي أخرى مثل الملك ليو ولد بعميله الانجليزى الرحالة سنائي وألمانيا بميلها كارل بيزر Karl Peters

هذه نعطكم السوداء في تاريخ الاحلال لم نخفف لكم الا نبغظ الناس لاعمالكم
والفادهم لطفه اعمالكم فلا نحسبوا اننا امة جمعاء لانفهم اسرار سياستكم بل نيعنوا
أن ما يكببه كل كاتب صاوى يكرره الاهاون عن بكره أبيهم يوما بعد يوم .

ادعهم انكم دخلتم البلاد لخدمة اهلها وجعلهم اهلا لأن يكونوا سئونهم بانفسهم
فهل كان ذلك منكم باعنبالكم الوظائف السامية وفبض الروائب الفادحة والتبذير
المسمر الذى أوصل الفلاح الى سوء الحال الذى لم ير له في تاريخ مصر مال .

وهل رقيم البلاد يا ممدنى الهند والهنود بنصبيق دائره التعلم في المدارس
ومعافية المذن لا يشرون لفنكم ولا بسحسئون اعمالكم واسعمال الجرائد المنهكة
على الامبر والوطن (١) كسا للمطالعة وتدرس علم التاريخ في مؤلفات اسنم بها من
بلادكم بلاد الحرية والاعدال (صديقه الاسلام وحبيبه الدولة العلية) مملوءة بالطن
على الدين الشريف والنبي الكريم

لبس فبما ذكرناه من بعض المسائل الشائعة الرائعة المعروفة عند كل قراء الأهرام

= ثم انجلرا أخيرا عن طريق عميلها في ربحار كاس فردريك لوخارد F. Lugard ممثل شركة
أفريقيا الشرقية البريطانية الذى بدأ تسخله بعد أن خلت الحلبه له في مايو ١٨٩٠ وبدأ يحصل على
موافقات من ملوك أوعدا العليلي على أن يكونوا بحب حمايه انجلرا ورفع علم الشركة على كل منطقة
مدخل بحب هذه الحماية ثم ما لبث العلم ان أصبح علم بريطانيا العظمى بعد أن أكمل سعيه وعاد الى
لندن ليعرض جهده الحاج في أكتوبر ١٨٩٢ وبعد أخذ ورد في دهاير السياسة البريطانية أعلب
انجلرا حمايتها على أوعدا في ٨ بويه ١٨٩٤ أما بالنسبة لكسلا فقد بدأت علاقه انطاليا بها عندما
اسابع شركة روباطسو Rubattino الانطالية للملاحة منطقة بحوار البناء عصب على باب المندب من أحد
السيوح المحليين وكاتب المنطه كلها بحب حكم مصر الذى بدأ يسبح في تلك الأنام هناك ١٨٧٩ ، ٨٨٠
ورغم احتجاج السلطات المصريه على هذا التصرف بسى مفيم ايطالى في عصب وفي ١٨٨٢ انتعلت ملكية عصب
الى الحكومة الانطالية ثم نوالب مساله ابرام المعاهدات بين مندوبى الحكومة الايطالية ورؤساء القبائل هناك
سماح من السلطات الانجليزية الى أرادت أن تكسب ود انطاليا المنطه ولصمها درء، للمند المهدى
في تلك المنطه .

ثم ما لبث الابطالون أن دخلوا في حرب مع الاحباش المجاورين ، كما وقع خلاف في نفس الوقت
بين الرؤوس الاحباش مما سهل عملية الصنفط البريطانى لصالح ايطاليا .

ولعد تدخل الدراويش في العراق ١٨٩٣ ولكهم هزموا في ٢١ ديسمبر ١٨٩٤ وسقطت كلها في
يد انطاليا تماما في ١٧ بوله ١٨٩٤ وبدأت انجلرا بعد ذلك تصرف في المنطقه المالكه لها لتعطيا لاطاليا
بمفطى عده بروبوكولات ومعاهدات دون مانظر لملكها الاصلية مصر . (لمزيد من التفاصيل يمكن الرجوع
الى : محمد مؤاد شكرى ص ص ٤٠٠ - ٤٢٤ ، د السند رحب حرار ، افريقيا الشرقية والاستعمار الأوروبى
القاهره ١٩٦٨ ص ٤٧٣ - ٤٧٥ .

ود شومى الحبل - تاريخ كشف أفريقيا واستعمارها ، ط ٢ ، ١٩٨٠ ، ص ٣٩٧ .

(١) يفسد صحيفة المظم .

والحرائد الصادقة برهان صحيح على انكم لا تريدون الا البقاء ولا تفقدون فرع باب الانحلاء .

لمسلم لكم انكم اصلحتكم الشؤون و يدم السلطه الخديويه معالكم لا تخرجون .

أظنكم يجبوننا على ذلك بانكم لم سموا للآن ما تكلفتم به وانه باق عليكم بمص الشئ - اذا كان فولكم حقا فلتصربوا لما ميعادا للانحلاء وهو بسر عليكم فقد خبرتم الأمور وأصلحتكم الكسر من الشؤون وبذلك نبرهون للعالم أجمع انكم حريصون أكمل الحرص على مجدكم وشرفكم والا فتؤخذ عليكم أن تكونوا أبناء النامير دعاة الصدق ونصراء الشرف وبجاهرون بضد ما نضمرون .

الوعود الصريحة ★

ذكرت الانكليز في رسالتي الأولى بأسهر سينانهم الاحتلالية ، وأذكرهم اليوم بشرف الوعود وأئس اليهود التي قالوها ضماناً للانجلاء آتيا بها وعد بعد وعد ، وعهدا بعد عهد ، عسى نفع الذكرى ويعلم السادة الأحرار أنهم بمحافظتهم على هذا الاحتلال النقيض ، قد وطأوا بأقدامهم ، وداسوا بأرجلهم أعز شيء يباهون به ، ويفتخرون • أعنى بذلك الشرف البريطاني الجليل - الشأن الرفيع البنين •

ولئن ذكرتهم بهذه الموانين الجليلة التي أخذوها على أنفسهم بعد أن ذكرهم ببعضها المخلصون من الكتاب فذلك لأنني أراها أمضى سلاح لنا ضدهم ، وأصلح درع بلاقيهم بها في كل احتجاج وجدال •

وما هي في الحقيقة الا ضمانات قوية يقيمها كل مصري حجباً دامغة على من أوصلوا مصر بسوء سياستهم الى هذا الدمار وجعلوا الشرف البريطاني على منقبض هار (١) •

فمن هذه التصريحات الشريفة المملوءة بسلامة النية وحسن الضمير ، خطاب اللورد غرانفيل (٢) ، الشهر الذي أرسله وهو رئيس الوزارة الانكليزية في ٤ نوفمبر سنة ١٨٨١ الى السير مالت معتمد الدولة البريطانية في مصر حين ذاك ، أي قبل

(★) نشرت بحريده الاهرام اليومية ، العدد ٥١١١ ، تاريخ ٤ ماير ١٨٩٥ ، ووقعها نامعاء ، « مصري أمين » -

(١) أي جسر مهار •

(٢) لورد ، جورج ، حرافيل (١٨١٥ - ١٨٩١) ، سياسي بريطاني ، دخل البرلمان عصوا حرا في سنة ١٨٣٦ . وعين وكيلا للمعارضة ، ثم اختير ويرا للخارجية (١٨٥١ - ١٨٥٢) ، ثم عينه جلادستون وزيرا لها ١٨٧٠ - ١٨٧٤ ، ١٨٨٠ - ١٨٨٥ ، كما شغل منصب وزير المستعمرات (١٨٦٨ - ١٨٧٠) أثناء احتلال بريطانيا لمصر عقب احماذ الثورة العرابية ، وأعلن - حين لم يشرك فرنسا - أنه يدبر حربي مؤلف • (محمد شفيق غرنال وآخرون الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٦١٩) •

أن يظهر للتورة نار (١) ، ويقام للاحتفال شعاع ، فان ذلك الخطاب أوضح بأجلى بيان ان انكلترا بضمير لمصر كل خير ، ونود من أصدق قواد . أن نراها في بوب العز والرخاء ، كما يفهم هذا من قوله في بعض المواضع . « ان الفرص الوحيد الذي يسعى اليه انكلترا هو أن يحقق لمصر سعادتها واستمتاعها بالام بالحريه الى ورنهاا العرمانات الملوكية المتنابعة » . وفي موضع آخر « ومن المهم أن أؤكد لكم أن غرضنا هو أن نبقي مصر مسمحة باستقلالها الادارى الذى منحه لها الفرمانات السلطانية » .

ومنها أن اللورد ليون سفيرا انكلترا فى باريز رفع فى ٢٨ يناير سنة ١٨٨٢ ، مذكرة الى ناظر خارجية فرنسا بناء على أمر صادر له من رئيس الوزارة الانكليزية جاء فيها « وان حكومة حلاله الماككة لا تطمح مطلقا فى أن يكون لها بمصر نفوذ خاص » .

ومنها أن هذا اللورد نفسه قال لأميسو فراسينه ناظر خارجية فرنسا فى بلاغ رفعه له فى ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢. أن ضرب الاسكندرية لا يعتبر من قبلنا الا دفاعا مضى به الطرف ، وليس وراءه أدنى غابة .

ومنها تصدق دول انكلترا وفرنسا وألمانيا و لىمس والمجر وايطاليا والروسيا (أى الست دول العظام) فى نوابيا يوم ٢٥ يوليو سنة ١٨٨٦ فى البلاغ الشهر (٢) . الذى تعهدت فيه الدول جميعا « على أن لا تسنولى أى دولة منها على أرض من الأرض المصرية ولا تحجب عن امتياز خاص ، ولا فائده تجارية لرعاياها فى كل اتفاق يقع بشأن تسوية مسألة مصر » . ونزيد على ذلك أن المصدق على هذا البلاغ (البرونوكول) من قبل انكلترا هو اللورد دوفرين (٣) المشهور بحذفه ومهارته .

ومنها ما قاله اللورد غرانفيل فى مجلس العموم يوم ٣٠ يوليو سنة ١٨٨٢ فى خطابه المتعلق بمصر ، الذى جاء فيه ما يأتى : « ان سائر الوزراء الانكليز متفقون على أن لا طمع لنا فى مصر ، وان الجنود البريطانية لم ترسل الا لتؤيد النظام وترد الى الحديدى سلطته التى نزلت منه . وأخيرا فالوزارة عازمة عزما أكيدا على أن تعرض للدول الأوروبية التسوية النهائية للمسألة المصرية » .

(١) التورة العرابية .

(٢) ورد ذكره فى كتابات مصطفى كامل - بعد - باسم بلاغ نوابيا او (طرابية) ، ونوابيا هذه جمع على السطور حيث أكرم هذا البلاغ .

(٣) دومرين . فردريك نسل (١٨٢٦ - ١٩٠٢) . دبلوماسى بريطانى . شغل عدة مناصب دبلوماسية ، كان سفيراً لدى تركيا (١٨٨١ - ١٨٨٢) ، اعتدته حكومته - بعد اخذ ثوره عرابى فى سبتمبر ١٨٨٢ - لدراسة الحالة فى مصر ، وقدم تقريراً عما برى ادخاله من اصلاحات . فعصى بمصر عنه أشهر ١٨٨٢ - ١٨٨٣ ، وصن تقريره الغاء مجلس النواب ليحل محله مجلس شورى القوانين والجمعية العمومية ، والشاء جيش مصرى حديد بقيادة صباط انكليز ونحوه شرطة ، أشرف على محاكمة عرابى .

(للمزيد من التفاصيل الموسوعة العربية الميسرة . ج ١ ، ص ص ٨١٧ - ٨١٨) .

ومنها قول المستر غلادستون (٣) في مجلس العموم يوم ١٠ أغسطس سنة ١٨٨٢ . « انى أؤكد بأن انكارنا لا نعقد احتلال مصر احتلالاً نهائياً ، ان ذلك يصاد مبادئ حكومه حلاله الملكة ويخالف معنى الوعود التى وعدنا بها أوروبا » .

ومنها قول هذا المستر نفسه في مجلس العموم يوم ١٤ نوفمبر سنة ١٨٨٢ جواباً على سؤال وجهه اليه المسيو بورنكوب بشأن مصر « ان احتلال مصر ليس الا مؤقناً وستحدد الوزارة الانكليزية شروطه مع الحكومة المصرية » وهو يشابه احتلال الدول الأربع انكلترا وألمانيا والروسيا وانمسا لفرنسا عام ١٨١٥ الذى انتهى بسرعة وعلى أحسن حال » .

ومنها المنشور الذى أرسل من لندن يوم ٣ يناير سنة ١٨٨٣ لكل الدول وجاء فيه « ان حكومة جلالة الملكة اضطرت لبقاء الحوادث الأخيرة الى تسكين الهياح العسكرية ، التى قام فى مصر . وتأيد النظام والسلام فيها ، وفد بلغت هذه الغاية ، وترغب سحب الجنود الانكليزية التى لا تزال باقية منها ضماناً للراحة العمومية . وذلك متى سمحت حالة القطر ونأيدت سلطة الخديوى » .

ومنها قول المسر غلادستون زعيم الاحرار في مجلس العموم يوم ٥ مارس سنة ١٨٨٣ « يلزمنا أن نعلم أننا لسنا فى مصر سادة بل احياء ونصحاء للحكومة المصرية ، وأنه ليس لنا فيها مصالح خصوصية ممتازة عن مصالح بقية الممالك المتعددة » .

ومنها اجماع مجلس العموم على استحسان ما قاله المستر غلادستون نفسه يوم ٩ نوفمبر سنة ١٨٨٣ من تحقيق قرب الجلاء وسحب الجنود الانكليزية من مصر .

ومنها قول اللورد دربي (١) في مجلس العموم عام ١٨٨٥ « أنا ذهبنا الى مصر ووجدناها وعداً صريحاً بأن لا نمكث فيها ، فيجب علينا احتراماً للتأجيل الانكليزى وشرف البرلمان أن نخرج منها » .

ومنها اعلان المسر غلادستون عند انتخابه رئيساً للوزارة الانكليزية سنة ١٨٨٥ ان من أول مشروعاته « سحب الجنود الانكليزية من مصر » .

ومنها قول اللورد سالسبورى (٢) عام ١٨٨٦ « لنحترم قداسة وعقودنا ونفعل » .

(١) جلادستون ، وليام ايوارت Gladstone, William, E. (١٨٠٩ - ١٨٩٨) ، رجل سياسة بريطاني ، من أسرة اسكتلندية عريقة ، كانت شأنه الأول دينيه ، مما أثر عليه فى أسلوبه فى البرلمان الاجليزى . ثم تغير أسلوب حياته الى السياسة ، وكان أول اشتراكه فى الادارة عام ١٨٣٤ . كان رئيس حزب الاحرار البريطانى ، وولى رئاسة الوزارة البريطانية أربع مرات . للمزيد من المعلومات يرجع الى :

Chambers Encyclopaedia : Vol. 6, Page 361-362.

(٢) كان وزير خارجيه بريطانيا فى ذلك الوقت .
لورد سالسبورى ، روبرت آثر (١٨٣٠ - ١٩٠٣) من أسرة سيسيل Cecil الكبيره . أحد الساسة الاتكليز البارزين ، دخل الى مجلس العموم وعمره ثلاثة وعشرين عاماً سنة ١٨٥٣ ، وأعيد =

ومنها قول هـ اللورد للمسيو وادنحتون سمبر فرسا في لندن يوم ٣ نوفمبر سنة ١٨٨٦ . ٧ انكم بحطون كيرا اذا حسنم أننا نبغى البقاء في مصر الى أجل غير مسمى . ان أننا لا نحب الا عن الخروج منها بشرف فضلا عن أن جودنا التي فيها نبعنا كيرا في الهند ، كما آسار بذلك أمهر فوادنا » .

ومنها قوله في مجلس العموم يوم ١ أغسطس سنة ١٨٨٩ ما معناه « ان بقاءنا في مصر الى أجل غير مسمى يعقل من احترام الوعود التي جاهدت بها حكومة جلالة الملكة . وبعهدت بالحضوع لها » .

ومنها جوابه الذي اجاب به على طلب قدمه للورد كارنارفون (١) في مجلس العموم يوم ١٢ أغسطس سنة ١٨٨٩ بشأن املاك مصر املاكاً دائماً ، وجاء فيه « أظن أن صديقي لا يحسب حساباً كيرا للوعود المقدسة التي نطقنا بها ولا للقانون الأوروبي » .

ومنها خطابه الذي ألقاه يوم ٢١ سبتمبر سنة ١٨٩١ في مدينة كمبرج ، وقال فيه بشأن مصر « ان احتلال مصر احتلالاً دائماً يسبب لنا أعظم المشاكل السياسية » .

ومنها تأكيد المستر مورلي لمجلس العموم يوم ٨ فبراير سنة ١٨٩٢ بأن رأيه بشأن مصر هو عين رأى أسلافه ، وأنه لا يرى غير « الانجلاء » (٢) .

وأخيراً نذكر جملة غلادستون الشهيرة التي يحق لكل مصري أن يحفظها على قلبه ، ويجاوب بها أعداء الحق في كل آونة وهي « ان حفظ مصر شيء جميل ، ولكن الأجل والأشرف الوفاء بالوعود » .

هذه أيها السادة المحتلون وعودكم السريعة الصريحة التي لا تستطيعون نكرانها ، ولا تعدرون على تحويل معانيها ، لم نقولوها عبثاً ، ولم تفوهوا بها مصادفة ، بل قدمتموها لنا ، ولأوروبا ضماناً على الانجلاء . فهل لكم أن تحترموا شرفكم العزيز ، وتنجلوا عن الديار بسلام أم عزهتم العزم الأخير على استخدام ذلك الشرف في اعتدال

١- اسحقه حتى أصبح عضواً في مجلس اللوردات ، ثم رئيساً لحزب المحافظين ، تولى رئاسة الوزارة البريطانية (١٨٩٥ - ١٩٠٢) .

(٢) بيير رومان : تاريخ العلاقات الدولية (١٨٩٥ - ١٩١٤) ، ص ٦٥٣ .

(١) إيرل كارنارفون ، حري هوارد (١٨٣١ - ١٨٩٠) سياسي بريطاني ، تولى وزارة المستعمرات (١٨٦٦ - ١٨٦٧) ، عمل على إصدار قانون الاتحاد للمستعمرات بأمركا الشمالية ؛ وحاول إقامه اتحاد بجنوب أفريقيا ، وتولى إدارة امريكا (١٨٨٥ - ١٨٦١) ، ولكنه اضلح مع الرعيم الايرلندي بارلل ، فاستقال .

محمد شفيق عربال وآخرون ، الموسوعة العربية المسرة . ج ٢ ، القاهرة ١٩٥٩ ص ١٢٢٢ .
(٢) يقصد الانجلاء .

البلاد ، كما يشير عليكم الخونة الأشرار ، ونترك التاريخ يسود لكم صفحاته بعد أن
حلاها بمحامدكم وفضائلكم . أجبونا بحق ما نعرون ولو على السنة أبواقكم النى
كانت أول من كشف السار عنكم ، وعن دسائسكم بمدحها أعمالكم المخالفة لمصلحة
البلاد . ووصفها الاحلال بالرفعة والكمال .

حديث ذو شان *

جمعنى والميرالاي بارنج ، (شقيق اللورد كرومر) مصادفة من أحسن مصادفات الحياة ، استطلعت فيها رأيه بشأن المسألة المصرية ، وما ينوبه لها الانكليز من النيات (الحسان) فأجبت 'يراد أهم ما دار عليه الحديث خدمة للقراء الكرام ، وإظهارا لرأى رجل من كبار رجال الانكاز فضلا عن أنه أقربهم الى معتمد الدولة البريطانية فى مصر .

بدانى حضره بالكلام على خلاف عادة الانكليز فقال :

هل أنت مصرى أم عثماني ؟

فأجبت مصرى عثمانى (١) .

فقال وسمة التعجب بادية عليه : وهل تجتمع الجنسيةتان فى أحد ، فقلت : ليس الأمر جنسيتين بل فى الحقيقة جنسية واحدة ، لأن مصر بلد تابع للدولة العلية والتابع (كما لا يخفى على جنابك) لا يختلف عن المتبوع فى شيء من أحكامه .

فتبسم قليلا وقال : نعم ان مؤلفى الكتب الجغرافية وبعض الكتاب الذين لا تظلمهم سماء السياسة الحاضرة ، يقولون ان للدولة العلية بعض السلطة على مصر . ولكن الذين وقفوا على حاضر الأمور وماضيها لا يجهلون دخول مصر تحت حكم الانكليز دحولا لم يبق معه شك لماعقل من العقلاء .

فسخرت عندئذ من فؤاده هذا المبني على حبه لجسسه ، وشغفه باسراع بطاق

(*) نشر هذا الحديث بحريده الأهرام يوم الاثنين ٢٨ سابر ١٨٩٥ ، بأعضاء « مصرى أمين أعضاء » .

(١) كان موقف مصطفى كامل هذا من العتمة محل نقاش بين من ساولوه ، منهم من أنكروه عليه ومنهم من التمس له عدرا واعتبره نوعا من الدفاع القانونى على أساس عدم سرعة الاحتلال البريطانى لمصر ، طالما هى تحت سيطرة الدولة العثمانية .

ويمكن الرجوع فى هذا الى « دكتور بواقيم روى ، أوراى مصطفى كامل - « الخط » ، مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٤ ، الدراسات التحليلية .

المستعمرات الانكليزية وقلت له . ان ورياءكم وكبار رجالكم قالوا المرة بعد المرة ان احلالكم مصر لبس الا احلالا مؤمنا ينتهي بعد اصلاح الحال . وناييد سلطه الامير (١) . وعاهدونا وعاهدوا اوروبا على ذلك معدمين المواعين الغلاظ . والعهود السداد بان جودكم ستجلى عنا بسلام (احتراما للتاج الانكليزي وشرف البرلمان) مما يؤيد حقوى الدولة العثمانية على مصر . المؤيدة من قبل بالمجاهدات الدوليه والامانات الشاهانية (٢) ، فكيف بك اليوم تقول عكس هذا القول . وبجاهر سفيص ما حاهر به عظام رجالكم وكبار وزرائكم ، وماذا يكون شأنكم اذا اوضح الامر وبان السر ، وعلم الناس انكم كذبنم الكذب الصراح على اوروبا ومصر ، بل ماذا تكون عاقبة امركم اذا اجبرتم على الانجلاء خلافا لما يهوى به من املاك واديننا العزيز .

فضحك اذ ذاك ضحكا عاليا ، وقال : ما اسلم نياتكم معشر المصريين ، وأقربكم الى الماله الفطرية منكم الى الحاله الحصريه . انظمو ان الانكسر (وهم آخى الناس بكل نعمه وخير) بنجلون عن مصر وينركون لكم أو لغيركم برها الغزير وخيرها العجم . ام نظنون اننا بواحد بأفوالا وأفعالنا . ناطعات بحقيقة نياتنا ، وماذا على رجالنا اذا كانوا حققوا لكم ولاوروبا (الاحلال المؤقت) . (الانحاء القريب) وميدؤهم (الكذب في خدمة الأوطان) واستعمال الخداع في السياسة (وما هي الا حرب سلمية) استعماله في الحرب والطعان وهل تصدقون بأن أوروب سحذكم وتساعدكم ضدنا ، انها آمال بعيدة وأوهام يحق لكم أن سركوها وعلمو أنكم في حماة الانكسر ، وان سيادة الترك أصبحت في النسبان ودخلت من رمان في خبر كان (٣) .

فتار مني الفكر عند سماع هذا القول وأجبتته أن لمصر أن تؤمل من أوربا نجاتها

(١) يقصد الخديوي عباس حلمي الثاني (١٨٩٢ - ١٩١٤) .

(٢) لعله يقصد معاهدة لندن سنة ١٨٤٠ ، التي عقدت بين انجلترا وروسيا وبروسيا والنمسا في ١٥ يوليو ١٨٤٠ ، حيث تم الاتفاق على أن يرغم محمد علي على قبول حكم مصر وراثية في أسرته وعكا طول حياته ، وأن تكون مصر مرتبطة بتركيا بفيوه مثل دفع الحرية وتحديد عدد الجيش والأسطول . الخ . وادا لم يقبل هذه الشروط بعد عشرة أيام نزع منه عكا ، وادا أصر على عصيانه يعطى ولاية مصر فقط ، وادا لم يخضع في عشرة أيام أخرى بطرت الدول في أمره . كما صدر في سنة ١٨٤١ (١٣ فبراير) فرمان بتولية محمد علي حكم مصر مع احتفاظ تركيا بحق اختيار والي مصر من أسرة محمد علي واستيلاء السلطان على ربع دخل مصر ، ولما رفض محمد علي قبول هذه القيود ألحت الدول على الباب العالي لتغيير ذلك في يونيو ١٨٤١ لتكون الورثة لأكثر أعضاء الأسرة وتحديد الخبرة بمقدار ٤٠٠ ألف حيه . ويكون للناسا حق منع الرتب العسكرية . الخ .

أما معاهدة باريس (٢٥ فبراير ١٨٥٦) ، التي أنهت حرب القرم بين تركيا وروسيا ، فقد نصت في بندها الأول على احترام أملاك تركيا واستقلالها .

(٣) لعل هذا القول كان أمرت الى الحقيقة والواقع ، بالنسبة لما كان يحرق على الساحة الدولية من أحداث ، والذي لم يتجاهله أو جهله مصطفى كامل ، وظل مكانا مدافع وطني براسل السياسة الانجليز الذين لحاوا الى النموه والخداع .

وحلاصتها . ولكم أن نحققوا من بطلان آمانكم وصياح أمانيكم . فلقد كشفت أفعالكم (الباطل بنيتكم) العطاء عن هذه المقاصد الحبيبة التي أضمرها غرائيل وسالسبري وغلاد سمون ، ومن حاكاهم في سياستهم ولم يعد سباسبى من السياسيين بقتير بما همواون بل بحق الكل من أنكم (لا تصدقون في حدة الأوطان) ولذا استنصر الغرب والبعد بأن الاحلال في آخر ساعاته قضت عليه عدالة القرن التاسع عشر ومدنه الملوك الدائم فاطمئن خاطرا ما حضره المبرالاي واعلم أن الانجلاء قريب عاجل .

فازداد ضحكه وقال : ومن لكم يا برى من السفراء في أوروبا حتى قلم بقرب الانجلاء ؟

لنا أوروبا بأسرها التي نناديها مصالحيها العديده بأن ننصرنا عليكم كبا تنصر ملك المصالح التي سعيتم من يوم احلالكم البلاد في تفويض أركانها .

فعال . اصرفوا عن أوروبا أماكم فاننا نرضيها بالأراضي الكثيرة والأموال الواسعة (١) ، « كأن انكذرا فد ملك الأرض وما عليها » ونصن لها في مصر مصالحيها وديونها .

ولننفع جدلا على ذلك ، ولكن هل نسيت أن في حمايتكم لمصر ووضع يديكم عليها ضياعا للموازنة الأوروبية التي يعمل كل دولة للمحافظة عليها (٢) . ومهما قدمتم من الهدايا لبعض الدول (على أنكم لستم المتصرفين في كل أرض) فهل تحسبون أنها تقوم لديها مقام (مصر) طريق الشرق الأقصى وأعظم المستعمرات الأوروبية أم نسينم أن من العار على أوروبا أن تساعدكم على انتهاك حرمة المعاهدات وتشرككم تستعبدون أمة اعترفت أوروبا نفسها بكمال استعبدادها ومحاكماتها لأعظم الممالك المتقدمة مدنية ونظاما . ولم تساعدت فرنسا الولايات المتحدة وطردكم منها ؟ (٣) ، أكانت مصالحيها

(١) كفساله كسلا بالنسبة لابطاليا والتي سيجيء الحديث عنها ، معال « في المعلة الدقلية » ، أبريل ١٨٩٦ .

(٢) انتهجت بريطانيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر - حسبما يرى بعض الباحثين - سياسة « العزلة المجيدة » على اعتبار أنها تركت الأمور دون المشاركة الفعلية ، في حروب الوحدة الإيطالية أو حروب الاتحاد الألماني ، إلى مشاركة النولة العوية السكينة التي يرعها الجميع ، وكانت تسير بالطمأنينة لعدم مقدرة أي من الدول بوجيه سربه شديده اليها . ومع هزيمة فرنسا أمام ألمانيا سنة ١٨٧١ ، وظهور الحلف الثاني والحلف الثلاثي جعل استمرار انحلالها في سياسته المشاركة العمالة في سياسة الاحلاف يشكل خطرا على مستقبلها . وكان ظهور ائتلاف الثلاثي يعني أن بريطانيا حتى بصنظم سياستها الكبرى فرنسا بحد نفسها مصطرها إلى الصدام مع روسيا ، وربما كان هذا الوضع محتملا لبعض الوقت طالما كانت دول المحالف الثلاثي على علامة ودية مع بريطانيا .

(٣) د . عبد العزيز بوار . التاريخ المعاصر لأوروبا ١٨٧١ - ١٩٤٥ . القاهرة ١٩٧٧ . ص ١٢١ .

(٣) ربما وجدتها فرنسا فرصة لوجه صربة إلى بريطانيا ، أو كان دافعها الأكبر الثار لهزيمتها في حرب السنوات التسع (١٧٥٦ - ١٧٦٣) ، علاوة على الأهمية القصوى التي تمثلها الولايات المتحدة سروتاتها الطبيعية .

هناك اكبر من مصالحها هنا ، بل لماذا قامت أوروبا مرة واحدة مساعدة لليونان على استقلالهم وانفصالهم تمام الانفصال عن الدولة العلية . ولماذا قررت بنجكا وإيطاليا وغرهما وأقامت نفسها وصية على الأمم الضعيفة حادثة للطابعين ناصرة لذوى الحقوقي .

اطنك يا حصرة الميرالاي لا تعدر على ابيات أن المصريين ليسو من الفرع الاساسي وانهم عبر أهل لان ببالوا من أوروبا حريتهم واستقلالهم الاداري المنسب في المعاهدات (التي كنتم أول المصدقين عليها) المؤيدة بالمرماناب .

فقال والعصب باد على وجهه . « ان أوروبا في شغل عنكم وفرنسا أمي وحيه آمالكم نحوها لها من سوء أحوالها وكثرة مستعمراتها ما يجعلها على الدوام عاجزة عن أن تخدم مصر خدمتها للولايات المتحدة ونساعد العباس مساعدتها لواشنطن .

على أمي لو وافقتك وقلت أن أوروبا سننصركم ونجربنا على الانجلاء ، فذلك لا يكون الا بعد أن يبيع فلاحكم أرضه وسوء حاله ، وملأ حبوبنا مالا فصلا عن أننا نكون ملكنا السودان وهو كما تعلم روح بلادكم .

فقلت . وكف بملكون السودان والسودان . لا يزال ملكا لنا ؟

فأجاب ضاحكا : واذا كان ملكا لكم فلم لم سنردوه ولم ضاعت وادلاي وكسلا ؟

— كان ذلك بدسائسكم ومعارضتكم لنا في استرجاعه ولكن متى خرجتم يسهل عنا استرداد ملكنا .

— ان ملككم مضت عليه المدة ولم يعد لكم بل أصبح ماعا لمن يستولى عليه ، وجرى الله بوبار باسا كل خير فلفقه سهن في الماضي سنخه وسبسهل لنا فريبا ملكه ملكا نهائيا . (١)

(١) برزت على نجاح الثورة المهدية وفشل حملة Hicks في ٥ نوفمبر ١٨٨٣ ، ان اتحدت سياسة التدخل البريطاني في المسألة السودانية ، صوره اسداء النضال حبت رأت ضروره الوصول الى قرار بسان اجلاء جميع المناطق الواقعة الى الجنوب من أسوان أو وادي حلفا ، وفي هذه الحالة سيعهد إنجلترا بحفظ النظام في مصر ، واعترض شريف باشا ، فكان رد الحكومة البريطانية الذي أبلغه اللورد حراويل الى كرومر في ٤ يناير ١٨٨٤ باصرار الحكومة البريطانية على السياسة التي تراها ، ومن الضروري أن يتخلل عن منصبه كل وزير . أو مدير لا يسير وفقا لهذه السياسة . فلم تكن امامه سوى الاستقالة في ٧ يناير ، وحلفه تونار ، ومع تشكيل وزارته في ١٠ يناير ١٨٨٤ تمت الموافقة على اجلاء السودان ، ووقع الاختيار على الجنرال غوردون لاجلاء السودان ، وصدر فرمان شعبيته حكمدار للسودان في ٢٦ يناير ، ولكن سقطت الخرطوم في أيدي القوات المهدية ولحق غوردون مصرعه في ٢٧ يناير ١٨٨٥ . وعلى أي حال فإن تلك السياسة كانت مؤدبة الى تنفيذ سياسة الاجلاء ولا سم سوى عن بكن السياسة البريطانية من بعية أهدافها .

للمريد (على محمد بركات . السياسة البريطانية واسترداد السودان . القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١٨ - ٢٧ ، محمد مؤاد . مرجع سابق ، ص ٣١٣ - ٣٣٣ .

فاستولننى دهنه عظمى . وقلب له : آلى هذا الحد يطعمون فى نوبار باسا ؟
فأجاب : وبأكسر منه ، ان نوبار رجنا ومحسا وقد أطلق عليه السباسبون فى
أوروبا اسم (نوبار سون) دللا على سدة اخلاصه لنا .
وما هى فائدته من خدمتكم ؟

انه يؤمل استغلال ترمبنا (١) على أيدبنا ، ولا يخفاك ما فى ذلك .
فقلت والدهشة فى ارداد : ولكن اما نخافون بعبه وزرائنا ؟

فأجاب مبسما : ان بقبة الوزراء لا بهمهم الا هض رواهم العظمه وبفاؤهم
فى أعلى المناصب لا يخافون للانكليز رغبة ، بل يقدرسونهم من صغبرهم لكبرهم خوفا
من السقوط والعزل .

فنفست عندئذ الصعداء وقلت : لافسر يا حصرة المزالى بوجود بعض الحونة (٢)
فينا واعلم ان بلدا فيه رجال يعرفون معنى الوطنية معرفة رحلكم لها لا يموب أبدا ،
بل يعيش . عزرا على الدرى والمعام ، ولربما أحبا فرد واحد أمة بأسرها ، وفى تاريخ
الدول وانقلاباتها أقوى دليل على ما أقول ، ومصر فى هذا العصر غنية برجالها مباركة
بأبنائها ، لها أن تؤمل منهم الظفر القريب ان شاء الله .

(١) كان نوبار يؤمل استغلال أرمينيا التى كانت تابعة للدولة العثمانية ، لانه أرمى الاصل ،
ونحدر الاشارة أن السوره التى اندلعت فيها كثرت فى أسبابها الاموال ، وامتلات الصحف فى أوروبا بما
تشبه نعمة التحريض وقيام الدساتير من انحلترا أو أنها هى التى شكلت عصابات الثائرين وأمدتهم
بالسلاح والمال ، ويرجع صحيفة ليكودريان بتاريخ ٢٤ سبتمبر ١٨٩٥ رعه انحلترا فى ذلك لاباد أنظار
العالم عن المسألة المصرية رأس المشاكل الشرقية ، بل ذهب فى عرضها للمشكلة الى نشرها حبر
استغاله وزراء نوبار ومول المدبوى لها ، وان ما برده الناس عن الاستقالة بسبب الضعف الذى ألم
به وتقدمه فى السن ، ولكنها نشرت فى ٤ نوفمبر ١٨٩٥ بقول كما أن من النواث عليها المسألة
الأرمينية ، وما نتج عنها من حرج فى كل أنحاء الدولة العثمانية .

(محمود نجيب أبو الليل : الاحتلال البريطانى والصحف الفرنسية . القاهرة ١٩٥٣ ، ص ١٥٧)

(١٥٧ - ١٥٨) .

(٢) كان فى الواقع على رأس أولئك نوبار باشا المعروف بميله الانحليزية العوية ، وفى نفس
الوقت لم احباز كل من مصطفى فهمى باشا وارايم باشا مؤاد وهما من أكثر المعاوين مع الاحتلال ،
وكان الأول ناظرا للحربة والبحرية ، والثانى ناظرا للطائرة ، وسلور موفف معارضة مصطفى كامل
فى الواقع مرجح الى حساسية وجوده كآرمى على رئاسة الطائرة وولائه الانحليزى اسان الموقف
الانجليزى بحاه استانبول . كذلك اتحاد نظارة نوبار موففا صلنا برهص عوده اسماعيل الى مصر فى
مطلع سنة ١٨٩٥ ، بعد اسداد المرض عليه ، ورغبة الخديو عباس فى عوده حده الى مصر . الى جانب عدم
ارتياح الخديو لهذا الموقف وفاه اسماعيل بعد ذلك بأهل من شهرين قد ملأت المشاعر نفورا نحو
نوبار . ووصلت رغبة عباس الثانى فى التخلص منه الى الحد الذى قدر معه امراج مصطفى فهمى
صديق الانحليز الوفى رئيسا حديدا للنظار حتى يعزى المعهد البريطانى على قبول استقاله الوزراء
التبوية .

(نولان لبيب رزى : مرجع سابق ، ص ١٤١ - ١٤٤) .

صهت لميرلاى وقال . انى أعب معك فى الحديث عند هذا الحد فلقد رابت ان
حبيبك تملى عليك القول ووطسك بحقق لك آمالك (المعبده) .

هذا هو الحديث الذى جاهر به انكلبى حطير بما لم يندس طع المحفلون المحاهره
به من قبل ، وان كانت فعالهم أفصحت أظهر اصباح ، ولا يعدم القارىء اللبيب حكما
صادقا على بباب نصراء الحربه ، وزعماء المدينه ، كما أن وزراءنا (أنابهم الله) يملدون
منه ما بقواه منه الانكاسر عنهم ، وماذا أفاد بهاونهم وموافقتهم على ضباغ البلاد ولكن
لسن المقام الآن معاما نبيهم فيه الى ما وصل اليه مركزهم واحترامهم بل لنا معهم كلام
آخر فى وقت آخر والسلام ، .

صديقي العزيز مدير الأهرام :(*)

لم يكن يدور في خلدي من قبل ان نصراء المحتلين في مصر على هذا الجانب العظيم من الحمق والجهالة ، وانهم يرون في السفاهة والوقاحة أحسن الرد على كل قول صحيح وفكر سليم ، فما نشرت الأهرام معالني الأخيرة المعونة (حذبت دو سأن) ، حتى هاجوا وماجوا ورلرلت بهم الأرض زلزالها وجاءونا بردود يحسبون أنها تكذب مولا صادقا ، فجاءت على عكس ما يرون اثباتا لحديثنا الذي لا ريب فيه . (١)

وأعجب سئء من هاسك الردود أنهم حملوا على صاحب الأهرام الجليل (٢) حملة اللثيم على الكريم ، ولم يعلموا أنه صدق في خدمة الوطن العزيز ، فاجتمع حوله المختصون الصادقون .

وما عساهم يكسبون ويردون والحديد لا يزال حديدا . وسهق المورد كرومر أرفع وأعظم من أن ينكر اليوم قولاً قاله بالأمس .

(*) نشر بالأهرام بتاريخ الاثنين ٤ فبراير ١٨٩٥ . وهو تعليق على ما نشره انظم ردا على معالة « حذبت دو سأن » .

(١) يقصد حريدة المعظم عندما سرت في عددها ١٧٨٢ معالا نسوان (حديث خرافه) . على حديثه مع شقيق المورد كرومر السابق نشره .

(٢) هو سليم بك معلا (١٨٤٩-١٨٩٢) ولد في قرية كفر شيما إحدى قرى لبنان ، حصر الى مصر ونال الامتياز من الخديو اسماعيل باصدار حريدة الاهرام الاسبوعية . ثم صار اصداره صدى الاهرام اليومية ، ولكن صدر أمر بالغاءها ، ثم أعاد اصدار حريده الاهرام اليومية . ولما قامت الثورة العراقية حصر البلاد . ثم عاد لاصدارها من جديد . مبتكرا في روح الجريدة ، ولكن حالت الحكومة دون ذلك ، فامعلتها عبوه . الا أنها عادت بعد ذلك .

وكان أكبر برهان على اخلاصه أن ورد عليه وعلى أخيه بساره ناشا كتابان موقع عليهما من كثير من نواب الأمة وأعيانها بشكر الحريدة ، وهما مصححان ساعين ذهبتين دليل اخلاص عليهما شعار « شعائر وطنيه » . سافر في عام ١٨٩١ الى باريس . وساح في جهاتها ، وفي يوليو ١٨٩٢ مرضت ، فماتت فدهب - حسب نصيحة الأطباء - الى غرور إحدى قرى لبنان حيث توفي في قرية بس عمره .

على أنهم لو كانوا - كما يدعون شيعة الحق ، وأنصار الصدف - لكان الأجدر بهم أن لا يتعجلوا في الرد قبل أن يترجموا الحديث الى الانكليزية بفبر ما اعتادوه من تحريف أقوال الجرائد الوطنية ، ويرفعوه الى سبدهم (١) . . . لبوصله الى أخى اللورد كرومر حبيب هو الآن ليرى فيه رأيه ، فان قال بصدقه ، وهو مالا نرتاب فيه سكتوا عن الرد ، ان لم يبروا باظهار الحق ، والا نشروا لنا جواب حضرته تكديبا ، واذا ذلك لا نقصر عن تذكير جنابه بالمكان الذى جمعنا واليوم الذى دار فيه الحديث ، مزيلين كل ذلك باسمنا ، غير خائفين تبعة الصدف فى القول والاخلاص فى الوطنية ، شأن كل مصرى أمين .

= ودمن فى حرية كفر شيما مسقط رأسه . وقد استدلى مصطفى كامل من تعرضه للحكومة دليل على صدق وطنيته .

الياس زاخورا : مرآة العصر فى تاريخ ورسوم أكابر مصر ، ج ١ ، القاهرة ١٨٩٧ ، ص ٥٤٤ .
(١) لعله كان يقصد التحريج الذى تناولته به الجرائد المعادية له كالقطم .

أوراق مصطفى كامل - ١٤٥

التهديد الباطل

ما عهدنا جرائد الاحتلال أسد حنقا وأعظم عيظا هذه الأيام ، التي فامت فيها قيامتها ضد الشيبية والشبان ، فنسيت لهم الغرور والجنون ولأعمالهم الطيش والحفة ، ولا تعرف لهم ذنبا عندها ، الا أنهم احتفلوا مرة بعيد جلاله السلطان وزاروا مرة أخرى جناب الموسسو فور (١) رئيس جمهورية فرنسا ، كأن القيام بمثل هذه الواجبات الأدبية يصبر في سرعة الانكليز جريمة من أكبر الجرائم . والا فتعنيف جماعة من كرام الشبان تعنيفا شديدا مثل الذي عنفتهم به جرائد الاحتلال ، لا يكون الا اذا اقتترفوا ذنبا عظيما . وبعد عن الصواب اعتبار احتفال المصريين بعيد سيدهم الأعلى أو زيارتهم دولة محبة لنا ذنبا من الذنوب ، بل العكس تدل مثل هذه المظاهرات على الاربعيات الشريفة ، والمبادئ الجليلة القائمة بنفوس هؤلاء الشبان الذين هم رجال المستقبل .

والغريب أن جريدة الخوارج (٢) التي نماز عن أخوانها في كل شيء بالكذب والسفاهة لم تكتف بتقبيح المظاهرات الوطنية التي تظاهر بها المصريون في باريس ، بل قالت ان الحضرة السلطانية لم تجاوب بجواب ما على الرسالة البرقية التي أرسلها اليها المحتفلون بعيدها الجليل تهنئة وتبريكا . على أن الحقيقة كما علمنا وعلم الخببرون مخالفة لذلك كل المخالفة ، اذ أن سفير الدولة في باريس شكر للجميع شكرا عاما وللمسيو ديلونكل (٣) ، شكرا خاصا ، مما يدل على أن رجال الآستانة قدروا هذا العمل كما قدره رجال باريس .

(*) نشر هذا المقال بجريدة الأهرام ، بتاريخ ٢٣ فبراير ١٨٩٥ .

(١) نولي المسيو ميلكس فور رئاسة الجمهورية الفرنسية في ١٧ يناير ١٨٩٥ ، وتوجه الطلبة

المصريون بباريس لتهنئته يوم ٤ فبراير ١٨٩٥ .

(٢) يقصد (المقلم) لصاحبها فارس صبر .

(٣) فرانسوا ، دلونكل . نائب شهير من أعضاء الجمعية الوطنية الفرنسية ، حاد إلى مصر في مارس

١٨٩٥ للاطلاع على حالة مصر لسياسية . - تمرد عليه مصطفى كامل في صيف ١٨٩٤ بباريس ، وهو

معارض لسياسة احتلنا في الشرق .

وليس من الخفة والطيش كذلك زيارة المصريين في باريس لرئيس الجمهورية الفرنسية فانما نعتبر هذه الزيارة عند كل عاقل بمنابة زيارة أدبية واجبة على كل من تربى وتعلم في فرنسا مصريا كان أو غير مصري ، اذ أن شريعة الآداب تأمر كل انسان بالاعتراف بالجميل ، فمواطنونا لم نأتوا بنوددهم للمسبو فور شيئا آخر غير القيام بهذا الواجب الأدبي الذي حق عليهم لا سيما وأن المسبو فور اشتهر بحبه لمصر والمصريين ومبله لخير وطننا العزيز .

واذا قلنا ان المهنتين للمسبو فور من أبناء وادي النيل طلبوا منه المساعدة في حل المسئلة المصرية حلا عادلا عاجلا ، فلا خلاف في أن أحسن شيء في خطابهم هو هذا الطلب وفضلا عن كونه من حقوق كل مصري ، فهو يزيد انكثرا شرفا ورفعة حيث أن المطالب لها باحترام وعودها والوفاء بمهودها يعتبر حسن الاعتقاد بها ، وبشرفها بخلاف الساكت عن مطالبتها فانه اما جبان واما سئ الظن بها .

فماذا افترى اذا مصريو باريس ، حتى اهتزت الدنيا وقام الانكليز وقعدوا وأرغوا وأزبدوا طالبين من مريض الوزارة عقابهم أشد العقاب نعتذبا لهم وعبرة لغيرهم ، مما حرك الشبخ العليل (١) الى اصدار أمره الى صنيعته أرنيين باشا بتحقيق هذا الأمر وتقرير العقاب الصارم .

وماذا أتى اخواننا ضد الانكليز حتى يطلب السير بالمر (الاقتصادي) الغناء الارسالية المصرية (٢) بأسرها وجعلها أثرا بعد عين ، ثم يعود فيطلب ابقائها ومعاقبة المسيبين لزيارة المسبو فور عندما علم (وبالعجب وطول الحجل) ان حضرات الأجلاء

= حدث خلاف بينه وبين مصطفى كامل ، وتسدل من خطاب الأخير الى أحمد شفيق بتاريخ ٦ يونيو ١٨٩٥ أنه كان يعمل في المسئلة المصرية لاطهار اسمه ، ويريد الاسفاح به وكانت نظرتة لمصطفى كامل أنه السكرتير العربي الذي أرسله الخديو .

رحل من مصر في ١٣ أبريل ١٨٩٥ واعتقد مصطفى كامل في النهاية أن ارتباط القضية المصرية بشخص دلوكل سيؤدي الى أن تخسر خصومه وخصوم حزبه .

(مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر : أوراق مصطفى كامل (المراسلات) ، اشراف د . / فوقى الحمل ، القاهرة ١٩٨٢ ، حاشية ٣ ص ٢٩ ، حاشية ١ ص ٨٣ ، حاشية ٢ ص ٨٩) .

(١) بقصد نوبار باشا رئيس النظارة التي شكلت في ١٦ أبريل ١٨٩٤ ، وقد أصيب بتدهور صحي شديد ، اضطره الى التقيد من عمله فترة غير قصيرة لدرجة أنه تقدم للمعتمد البريطاني بطلب للاعتراف .

(يوفان ليب : مرجع سابق ، ص ١٤٣) .

(٢) جاءت تفاصيل ذلك الهياج في اعتقاد نظاره المعارف تلك الريادة من قبيل المظاهرات السياسية . وقال السير بالمر المستشار المال بصفه عضوا في اللجنة المالية للمعارف ، بالقاء الارسالية كلية ، جزاء القترافهم ذلك ، وأنه أرحح الوزير نوبار باشا . ولذا كتبت نظارة المعارف العمومية الى ناظر الارسالية موحيل بك برقب الشبخ محمود أو النصر أسناد العلوم العربية باعتباره المعرف ، وتعين الشبخ عبد الرحمن سليم بدلا منه .

(زبكيكيان وشبروجيان ونجيران) (١) ، يعلمون في الارشالية على نفقة حكومتنا
لستية (أعزها الله) .

فأى سر مصون مسنن وراء هذه الأعمال ، اذا كان الانكليز لا يزالون يرددون
وعودهم الجميلة ويتنمون بنخمة ذكرها بل أية حرية يتكرمون علينا بها ، وهم ان
رأوا من المصرى احساسا سريفا قاموا عليه بالويل والنبور ، وطلبوا عما به العقاب
الالبم ، وان أبصروا كانبأ يكتب الحق ويسطر الصدق ، طلبوا نفيه عن الديار وابعاده
عن الاوطان ، كما ظهر هذا المبلى (العادل الشريف) عند جناب مكاتب النيمس في
مصر ، لما كتب رده على حديسى المشهور مع الكولونيل بارنج حيث قال (لو كان ذلك
الكاتب مصرى لعاقبناه بما يستحق) كأنه يريد وضع مادة جديدة في قانون العقوبات
يقول فيها (كل مصرى نقل الى الجرائد حديثا جرى له مع سيد من الانكليز يعاقب
بالطرد أو بالاسغال الشاقة) .

وأى حكمة وراء قول المقطم لسان حال معتمد الدولة البريطانية في مصر ، أن
المصريين لو كانوا على رأى الجرائد العربية الفرنسية (يريد بذلك على ما أظن المؤيد
الأغر والأهرام الزاهرة) (٢) لاسنعمل الانكليز معهم الشدة والقسوة بدل الملاطفة
واللين . مع علم السادة المحتلن حبيبا بأن الأمة المصرية بأسرها على رأى هاتين
الجریدتين الصادقتين .

يظهر لى أن الحكمة هي الوعيد والتهديد ودليل ذلك قوله ان نابليون كان يعامل
المصريين بالشدة ، كأنه يريد المقارنة بين عنصرين يفصلهما قرن طويل ، وبين فريقين
جاء أحدهما فاتحا والآخر قاصدا الاحتلال المؤقت والجلاء السريع .
ولكن ليهدأ المحفلون بالا ، ويسكنوا خاطرا ، فلقد علم المصريون كل ما يضمه
لهم أبناء التاميز ، ولا يزيدهم الوعيد الا ثباتا في العمل وقوة في الوطنية .

= ولما قرأ مفصل فرنسا تلك الأخبار اعتبرها اهانة لمام رئاسة الجمهورية الفرنسية ، وأقام الحجة
باسم دولته ضد نظارة المعارف ، فلم يسعها الا إلغاء أمرها الأول ، واصدار أمر آخر بقاء الشيخ
محمود أبو النصر في وظيفته .
ولزيد من المعلومات ،

(المؤيد اليومية . العدد ١٥٠٦ ، بتاريخ ١٧ فبراير ١٨٩٥ ، العدد ١٥١٦ ، بتاريخ ٢٨ فبراير
١٨٩٥ .

(١) وهم من الأرمن المقيمين بمصر ، سنعوا بالنفع على حساب الحكومة المصرية ، فكانت أول سعة
سافر بها موجيل بك من مصر سنة ١٨٨٥ مؤلفة من سعة تلامذة منهم ثلاثة من الأرمن . وكلما لاحت
فرصة قدم الأرمني على المصرى ، على سبيل المثال زبكيكيان ، كان والده أرمنى صاحب بنك مالى في
الاسكندرية ، تقدم لامتحان الشهادة الابتدائية في مصر ، ولم يوفق ، فأرسله والده على نفقته الى باريس ،
ولم يمض عليه شهر حتى صدر أمر ديوان المعارف بنقله على مصاريف الحكومة بناء على طلب مسيو
موجيل في يونيو ١٨٩٤ .

(المؤيد اليومية ، العدد ١٧١٦ ، في ٧ نوفمبر ١٨٩٥) .

(٢) ما بين القوسين تعليق شقيقه على دهمى كامل .

وإذا كان رجال الاحتلال يعتبرون كل من يودد إلى فرنسا مذنباً ، فليعلموا من الآن أن الأمة كلها مذنبية ، وإن عقلاء أكثر الناس ذنوباً ، فكلنا عارف لفرنسا اخلاصها لمصر وصداقتها للدولة العلية ، وكلنا شاكر للمسيو ديونكل وزملائه على اهتمامهم العظيم بالمسألة المصرية ، وعنايتهم العظمى بمصر والمصريين .

ولا عجب إذا كانت آلامنا موجهة لفرنسا وهي التي تبرعت بدماء جنودها الاعزاء للأمريكيين في (بوك ناو) (١) ولليونانيين في (نافارين) (٢) ، وللبلجيكين في (أنفوس) (٣) ، وللايطاليين في (ماجنتا وسولفيرينو) (٤) ، ورحبت

(١) عند نشوب الثورة الأمريكية ضد البريطانيين ، كانت فرنسا وأسيا وهولندا سهيل للأمريكيين المقي في حركهم ، ومدهم بالمساعدة العسكرية ، واستمر ذلك ثمانى سنوات ثم القور للانحليز في واهسين ، الأولى وقعت في سرائوا سنة ١٧٧٧ ، والأخرى في مدينة يورك . وكانت فرنسا قد أرسلت جيوشاً لامداد الأمريكيين . ثم انحلت هولندا وأسيا ضد بريطانيا بقصد نجيتها من مملكتها ، ونج عن ذلك أن افقت بريطانيا مع فرنسا سنة ١٧٧٨ على ارجاع أرض السغال لها ، واعليم فلوريدا لاسبانيا ، ثم اعترفت باستقلال الولايات المتحدة الأمريكية .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد العاشر ، بيروت ١٩٧١ ، ط ٣ ، ص ص ٨٦١ - ٨٦٢) .
(٣) أبحر الأسطول الفرنسي إلى بحر الأرخيبيل لمساعدة اليونانيين في ثورهم ضد الأتراك وكان الأسطول الفرنسي مكوناً من سبع سفن بقيادة الاميرال ريني . وكان الفرنسيون قد اشتركوا في معاهدة لوندرة - سنة ١٨٢٧ ، التي عدت بقصد مساعدة الثوار اليونان ، وفي ٢١ سبتمبر ١٨٢٧ سابل الاميرال ريني ابراهيم باشا ، وكرر عليه مطالب الخلفاء طبعاً لمعاهدة لوندرة ، ونصى بانسحاب الاسطول المصري للاسكندرية ، ولكن ابراهيم لم يصغ لمطالبه ، اد كات خطة الخلفاء ترمي إلى فرض شروطهم لتقييد حرية وحركة الجانبين المصري والتركي وترك اليونانيين أحراراً في حركاتهم البحرية والبرية ، وقد اسحب الضباط الفرنسيون الذين كانوا يعملون في خدمة الاسطول المصري بناء على دعوة الاميرال ريني لهم ، وأخيراً وقعت معركة نوارين البحرية في ٢١ أكتوبر ١٩٢٧ والتي انتهت بتحطيم الاسطولين التركي والمصري .

(٤) عبد الرحمن الرافعي : عصر محمد علي ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ص ٢٢٩ ، ٢٣١ ، ٢٣٤) .
(٥) نتج عن ثورة البلجيكين سنة ١٨٣٠ على الحكم البروسستاني الهولندي للأراضي المنخفضة ، انبهار مملكة الأراضي المنخفضة ، وكان الرأي العام الفرنسي متعاطفاً مع البلجيكين ، إلا أن طبيعة لويس فيليب - ملك فرنسا - المسألة كانت سارجح بين التدخل لصالح الثوار البلجيكين لتخلياً أديبا ، وبضبط من الرأي العام الفرنسي ، أرسل لويس فيليب حملة ضد الهولنديين ، استطاعت نعيم ثورة البلجيكين ، ولكن الجلترا كانت تخفى من ذلك التدخل الفرنسي ، لذا اشتركت قوة انجليزية مع الجيش الفرنسي في بخلص أنفوس من يد الهولنديين في أكتوبر ١٨٣٢ ، وبذا حصلت بلجيكا على استقلالها .

(٦) للمزيد من المعلومات : بيرونوفان . تاريخ العلاقات الدولية ، ص ص ٦٦ - ٧٤) .
(٧) تدخلت فرنسا في المعارك التي دارت بين الايطاليين والفرنسيين والنمساوية ، لصالح الجانب الايطالي ، ونجحت القوات الفرنسية في هزيمة النمساويين في معركة سولفيرينو ، ثم عقد نابليون الثالث مع النمسا هدنة فيلافراثكا ، وبمقتضاها فصلت لمبارديا عن النمسا وضممت إلى سردينيا - بيدمت - (التي تزعمت حركة الوحدة الايطالية) ، وكاتب القوات الفرنسية قبل ذلك بقليل قد أوقعت بالجيش النمساوية هزيمة في موقعة ماجنتا ، ولم تلت أن حقت هذه الانتصارات جانباً كبيراً من الوحدة الايطالية .

بالأيرلنديين سنة ١٦٨٨ ، وأحسنن للبولنديين بعد عام ١٨٣٠ (١) ، وبالجملية
برهنت المرة بعد الأخرى على أنها ظاهرة الحرية نصيرة الاستقلال .
وللسادة المحتلين أن يتحققوا من أن شدة حنقهم على المتظاهرين في فرنسا
ستزيد المظاهرات ضدهم وكنز المتظلمين لأوربا منهم ، ولا يبعد أن يأتينا الصيف
الآن بالبراهين الجمة على ذلك ، وكل آت قريب .

١٠٠ (أ. ح. ج.) ج. ر. ب. . هارولد سيمبلي : أوربا في القرنين ١٩ ، ٢٠ ، ترجمه بهاء فهمي ، القاهرة
١٩٥٠ ، ص ٣٨٩ - ٤٥٥ ، أحمد نجيب هاشم ، محمد مأمون نحا : أطلس القرن التاسع عشر ،
القاهرة ، ١٩٢٨ ، ص ٢٧٢ .
(١) شجعت فرنسا البولنديين ضد التدخل النمساوي في إيطاليا ، بأن أرسلت قوات عسكرية في
أكتوبر في ٢٢ فبراير ١٨٣٢ على أن تظل حتى تجلو النمسا بعوانها عنها ، مما كان له أثر إيجابي لدى
الجماعات الثورية الإيطالية في الحصول على عضيد الدول الكبرى لها في كفاحها ضد الاحتلال الأجنبي .
- (ولزيد من المعلومات يرجع الى : بيير رنوفان : مرجع سابق ، من ص ٨٠) .

صواعق الاحتلال ★

لله من صواعق نصب علينا بغير حساب ، ومصائب نرمى بها بلا أسباب • وبلايا نتدارك فطرات السحاب ، ورزايا تتصدع بها القلوب والألباب • حتى أصبحنا نتقلب بين أنياب هذا الشر ، وأظفار ذلك السوء ، ولا نعرف من الأيام غير ظلماتها ولا من الحوادث الا مزعجاتها ، كل ذلك على أيدي فئة جاءت البلاد بحجة الإصلاح ، فأفسدت ما شاءت ، وغيّرت وبدلت ما استنطاعت اجابة لداعي هواها ، ورغبة في بلوغ منها ، واذا سألتها ما هذه الصواعق التي تصيبنا علينا قالت انما هي أدوية أدوائكم ومراهم جروحكم فتلقوها بالصبر والسكون ، والا وضعت لكم السم في الشراب كأنما نحن أطفال صغار لا ينفعنا الا التهديد والارهاب ، ولا قوة لنا على نميز الصالح من الفاسد ، والنافع من الضار • واذا ناديناها ، لبي نداء هذا الشرف البريطاني الرفيع الذي يسالك الجلاء عن الديار ، ونترك البلاد لأبنائها ، يسوسون أمورهم بأنفسهم ، قالت : ما أقل اعترافكم معشر المصريين بالخير وأولاكم بالسوء ، أرغبون في خروج الانكليز من بلادكم ، ونكفرون بنعمة وجودهم بينكم واحتلالهم أرضكم • فلأرسلن عليكم الصواعق تأتيكم من حيث لا تشعرون ، ولأرمينكم بالمصائب تهز قلوبكم هذا وتذك وجداناتكم دكا حتى اذا علمتم بطش الانكليز وقوة البريطان اخلدتم الى السكون وجنحتهم الى عدم المطالبة بالجلاء لتتم علينا نعمة الحكم عليكم والسيطرة على بلادكم •

هذا شأنهم معنا ، شأن القوى مع الضعيف ، ينتهكون كل حرمة ، ويطاؤون كل

(★) نشر هذا المعام في حريده الأهرام بتاريخ ٤ مارس ١٨٩٥ بمناسبة تشكيل المحاكم المخصصة ، حيث صدر أمر عال في يناير ١٨٩٥ بناء على طلب الانجليز بتشكيل محكمة خاصة لكل من يعصى من المصريين على الانجليز ، وكانت تشكل من المستشار الاسكندراني للضائية وضابط كبير من جيش الاحتلال ، وفاض الحليري من محكمة الاستئناف الأهلية ، ورئيس محكمة مصر أو الاسكندرية تحب رئاسه ناظر الحسانية • وقد وافق النظار المصريون على ذلك •
(صبري أبو المحد : محمد مريد • ذكريات ومذكرات ، كتاب الهلال ، العدد ٢٢٣ . سنة ١٩٦٨ القاهرة ، ص ٦٤) •

غزير نفيس ، فلقد احتلوا البلاد بحجة الاصلاح ، وليس في تاريخ الاحتلال الا آثار الضغط واستبداد نطق حوادثه حادنا بعد حادث ، ان مراد الانكليز امتلاك البلاد وجعلها هندا افريقية يسبح أهلها من البحر المتوسط الى منابع النيل ، بذكر أبناء التاميز ويسجد الشيخ والوليد لهم احلالا وتعظيما .

ولسنا نستشهد على صحة هذا القول بحادث من حوادث الماضي ، بل نستشهد بحادث اليوم الذي جاء ضربة قاسية على النفوس ، وصاعقة شديدة الوقع على الرؤوس ، أعنى به حادث المحكمة العرفية الاستبدادية ، التي أنشئت لمراقبة كل من تعدى على جنود الاحتلال عقابا لا يدخل تحت قانون ما . تأسست بعد أن أرغمت جرائد لندرا وأزبدت وأرعدت سماؤها وأبرقت ، ووجهت الى سدة الأمير كل طعن وبذاء مما قابلناه تلك الساعة بقول الشاعر :

واذا أتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي بأني كامل

تأسست هذه المحكمة على شكل يكفى وحده لأن يبره للعالم بأسره أن الانكليز لا يعرفون للقانون اسما . وهل سمعتم يا قوم بمحكمة تحكم بما يشاء هواها . محكمة تحكم بصلم الأذن وجدع الأنف ، وسلخ الجلد وبالجلد والضرب . وهل رأيتم يا قوم في التاريخ أن أمة تحاكم على غير قانون ودستور . أجيبونا معشر المتشرعين وأسمعوننا كلمة الحق أيها المنصفون ، فقد بلغ السيل الزبي .

نعم نعم . . . أنتم تريدون أيها المحتلون بهذه المحكمة عقاب كل مصرى أمين يعرف أنكم خصوم بلاده ، وتقصدون بها اهانة الوطنيين بسجنهم السنين الطوال ، ان لم نقل باعدام كثيرين منهم .

نعم نعم . . . انتم تريدون بهذه المحكمة وضع الأساس الصالح لهدم المحاكم الأهلية ، وابدالها بمحاكم استبدادية تحكم بنفس القانون الذي تحكم به محكماتكم الجديدة .

نعم نعم . . . أنتم تريدون ذلك ، وتبدلون الجهد الجهد في سبيل الوصول اليه . والا فأى تعصب ديني في البلاد حملكم (أيها العادلون) على تأسيس هذه المحكمة التي تؤخذون على تأسيسها كل المؤاخذه بعد أن احتلتم البلاد ثمن قرن . وأى داع حملكم اليوم على المطالبة بهذا الحق ، الذي تقولون عنه بعد أن سكتكم عن المطالبة به ١٣ سنة مع ما عرف عنكم من شدة المحافظة على الحقوق ، بل بمجاوزة كل حق وواجب . لا خلاف في أنكم ترغبون قتل العواطف الشريفة الحية ، وتودون من صميم

العواد اخماد انفاس كل كاسب وكل معارض ، ولنا في الفاء مدرسة دار العلوم دليل
آخر على ذلك (١) ، فلفد أردنم أن يكون هذا الشهر شهر النصر لكم ، والخذلان لنا ،
فأرسلنم علبنا من سماء عدالتكم الصواعق نباعا حتى عسر علينا احصاؤها ، بل نعوول
كل البلايا (في ظل المحكمة المخصوصة) ، فانا لله وانا اليه راجعون .

(١) أليت مدرسة دار العلوم في ٢٥ فبراير ١٨٩٥ في صورة الخافيا كقسم عال بمدرسة
المبتديان ، ويلذكر محمد فريد في مذكراته أن هذا - بجوار انه تكاية في ناطرها ابراهيم بك مصطفى
آنذاك - صبييق دائرة المعلم في مصر ، لأن الغرض من الشائها كان تخريج طفاة شرميين مشربين
بحب الوطن والدفاع عن الوطن .
(رؤوف عباس : مذكرات محمد فريد ، القسم الاول القاهرة ١٩٧٥ ، ص ٢٣١ ، ٢٣٢ ،
أمين سامي : التعليم في مصر ، ج ٣ ص ٤٤) .

★ الشرق الأقصى

(رسالة من باريز)

لا حديث اليوم لرجال السياسة في أوروبا الا مسألة الشرق الأقصى وما أنجته الحروب الصينية اليابانية من النتائج الخطيرة ، فلقد حولت هذه المسألة كل الأنظار من (بورأدور) (١) الى فتال السويس ، وزادت في أهمية مصر حتى لم يبق خلاف بين سياسيين في أن حل المسألة المصريه صار أول واجب على الدول الثلاث بعد الفصل في الترضيه اليابانية .

وعلى ظني أن سياسة الانكليز في هذا المشكل الخطير هي التي دعت ألمانيا وفرنسا والروسيا الى العمل بالاشتراك ضد اليابان وبسمام الانعزال عن انكلترا فان هذه الدولة المشهورة بحب الذات قد ساعدت الصين بادية ذى بدء وطلبت من الدول المرة بعد الأخرى الانحداد في العمل ضد الميكادو ، فلما لم تجد سميعا مطيعا لدعوتها ، وقفت في دائرة الحيرة مترددة في أمرها حتى تم الظفر لليابان ، وعندئذ رأت الانضمام أخيرا اليها لما علمت أن استيلاء اليابان « وهي اليوم الدولة البحرية القوية في الشرق الأقصى » على جزء عظيم من الأملاك الصينية يهدد روسيا تهديدا عظيما ، ويجعلها على الدوام في شغل عن الهند وانكلترا ، وبعبارة أخرى يصير اليابان العدو الألد لروسيا بعد أن كانت بريطانيا خصمها الوحيد .

(★) نشرت في المؤيد ، عدد ١٥٨١ ، بتاريخ ٢٥ مايو ١٨٩٥ .

(١) في ٢٣ أبريل ١٨٩٥ انصبت كل من روسيا وفرنسا وألمانيا على توجيه انذار الى اليابان باسم الحفاظ على وحدة الصين ، وسحب اليابان قواتها من شبه جزيرة (لياو تونج) ولكن هذه الدول الثلاث لم تلت أن انقضت على الصين دون اعتبار لوحدها ، فاحتلت روسيا « بورت آرثر » وألمانيا « شانتونج » وفرنسا « كوانج تشوان » فردت بريطانيا بالاستيلاء على « واي هاي واي » ، وكانت بريطانيا ترى في استيلاء روسيا على بورت آرثر تغييرا لميزان القوى يهدد الامبراطورية البريطانية بخطر الحرب في أكثر من جبهة ضد روسيا وفرنسا . ومن ثم كانت سببا في المخاضات المتتالية الفرنسية للاحتلال الانجليزي لمصر .

(لمزيد من المعلومات : عبد المزيول نوار : مرجع سابق ، ص ١٢٣ - ١٢٥)

ولم يكن في حسيان رجال السياسة الانكليزية أن تعضيدهم اليابان يضر بهم في أوروبا أعظم الضرر ، ويدعو الدول العظيمة المنافسة لهم الى عمل مشترك يحبط مساعيهم ، ويزيد الاحقاد في القلوب ضدهم ، بم لم يكن يخطر على بال اللورد روزبري وزملائه ان وراء خطته التي انبجها نتائج ساسنة من الأهمية بمكان .

ولقد قام اليوم السياسيون من فرنسا وألمانيا والروسا ينادون بمبدأ جديد لا أحالهم الا عاملين به في حل كل المشاكل الحاضرة وهو « بما أن انكلترا قد رضيت بالعزلة في حل المشكل الياباني ، ورأت ذلك من صالحها ، فللدول الثلاث الحق في حل كل مشكل يكون صالحا فيه غير صالح انكلترا بدون استشارتها واعتبار رأيها » .

ولا شك أن اتحاد دولة قوية مثل الروسية مع دولتين لا ينقصان عنها قوة وعظمة مثل فرنسا وألمانيا في حل كل العضلات السياسية يكون أعظم خطر مهدد لانكلترا لأن مصالح هاته الدول مناقضة كل المناقضة لمصالح أبناء الناميز .

والانكليز أنفسهم ساعرون بهذا الخطر المهدد لهم ، فنرى اليوم جرائدهم تخبط من الحيرة في المسئلة الحاضرة « مسئلة الشرق الأقصى » خيط عشواء فتارة تلوم فرنسا ، وطورا تعنف ألمانيا وحينما نهزأ بروسيا ، وآونة تظهر الأسف بعد السرور والسرور بعد الأسف ، وليس لكل هذه المناقضات الا معنى واحد هو الحيرة والارتباك واني لا أقدم للفراء برهانا على ذلك أعظم من اعلان السير مكفرلين الذي قال فيه « انه نظرا لارتباك مسئلة الصين واليابان يسترد من البرلمان الانكليزي سؤاله المتعلق بالجلء عن مصر » .

فان هذا السير قد رأى من حكومته بعد أن أظهر رغبته في سؤالها الجلء عن مصر ، وصرح بذلك رسميا أنها في موقف حرج مضطرب تجاه مشكلة اليابان ، فلم يكن في استطاعتها حينئذ أن تجيب بكلمة واحدة عن المسئلة المصرية ، خصوصا وأنها تخشى أن تنير الخواطر ضدها ، اذا أعلنت رسميا اصرارها على خطتها السابقة مع هذا التيار القوي ، الذي تراه يتدفق في غير مجرى مصلحتها ، ويكفي القراء مطالعة كتاب السير مكفرلين الذي بعث به الى التيمس في معرفة حرج مركز انكلترا هذا الأيام وهذا تعريبه :

« ان الغرض من طلبى هو دعوة الحكومة لاجتناب الاتفاق الذي أراد عقده السير درموندوولف (١) سنة ١٨٨٧ وحل هذه المسئلة التي هي خطر دائم لنا ، والتي تخلق

(١) بدلت عدة محاولات لكسب تأييد الدول المعنية للسياسة البريطانية في مصر ، او على الأقل تحييدها ، فعقد مؤتمر لندن ١٨٨٤ للنظر في مالية مصر ، انتهى بالفشل ، وان كان قد تم عقد قرص قدره تسعة ملايين جنيه مصرى بضمان جميع الدول صاحبة المصالح المالية في مصر . وفي يونيو ١٨٨٥ حل سالدسبورى محل جلادستون في رئاسة الوزارة ، وشرع في ايجاد تسوية للمسئلة المصرية مع تركيا صاحبة السيادة على مصر ، فافهم لهذه الغاية جرى درموندوولف الى الاستانة وروده بتعليقات نقض =

المشاكل الأبدية بيننا وبين أقرب جيراننا - يعنى فرنسا ، ولكن الحالة فى الشرق أصبحت حرجة الى حد أرى معه أننى أخدم بلدى إذا أجلت المناقشة بشأن مصر الى أجل آخر . وانى أؤمل أن الحكومة ننتهز أقرب الفرص لتسوية هذه المسئلة مع الدول ذات الشأن ، تسوية يمكننا معها القيام بانجاز وعود الشرف ، وليس لنا الحق فى اعتبارنا المسئلة المصرية مسالة سياسية محضة ، فان وعودنا جعلتها مسئلة لا يخرج فيها لشيء آخر غير العلم بموعد جلاننا ، .

هذا ولا أرانى مخطئا اذا قلت ان مسئلة الشرق الأقصى خدمت مصر خدمة جليلة ، بأن وجهت اليها الأنظار أكثر من ذى قبل ، فليست الجرائد الفرنسية وحدها هى التى تطالب اليوم بالجلء عن وادى النيل ، ولكن الجرائد الروسية والامانية صارت أشد لهجة وأعظم غيرة منها - وفى قراءة مقالة النوفستى (١) الأخيرة حجة ساطعة على ذلك ، فلقد قالت هذه الجريدة الخطيرة ما ملخصه :

« ان انكلترا تهددنا باقفال قنال السويس اذا آتينا بأى عمل حربى ضد مصالحها فى الشرق الأقصى ، فعلى الدول الثلاث المتحدة حل مسالة مصر بأول فرصة ، حتى لا يصبح البحر الأبيض المتوسط بحيرة انكليزية » .

وبالجملة فانى أقول : كما أن اليابان سكرت فرحا بفوزها وانتصارها على خصمها الذى كان بالأمس عظيما فخما ، وهى تريد اليوم بلوغ كل أمانيتها ، فان الدول الثلاث أصبحت فرحة بفوزها وانتصارها فى سياستها تلقاء هذه المسئلة ، حتى فشلت سياسة انكلترا أمامها ، وأصبح المنتصرون طامعين فى بلوغ أمانيتهم بحل المسالة المصرية ، وفى مقدمة هاته الدول الثلاث ألمانيا التى لا تترك فرصة تمر الآن بدون أن

= بالصعل على تحديد موعد للجلء عن مصر فى العريب ، بشرط ضمان استمرار المصالح البريطانية فى مصر بأن يوافق السلطان على عودة انكلترا الى الاحتلال متى أرادت ذلك ، وكان السلطان عبد الحميد مسعدا للقبول بشروط بريطانيا ، غير أن فرنسا لم تقبل الموافقة على العوده من حيث المبدأ وظهرتها روسيا فى موقفها هذا .

وظلت الأمور بين أخذ ورد حتى عمدت المعاهدة المشار اليها الى نصب على العبدول من الجلء فى حالة احتمال قيام خطر داخلى أو خارجى ، لحين زوال الخطر ، ويكون لتركيا وبريطانيا حق ارسال قوات الى مصر واحتلالها فى حالة اضطراب الأمن ، وفى حالة وجود مانع لدى تركيا توفد مندوبا يبقى طول مدة احتلال الجيش البريطانى ، وخشى السلطان التصديق عليها ، حتى لا تكون سابقة للدول الأوروبية ، فندم على احتلال بعض بلاد الامبراطورية أسوة ببريطانيا ، واذا اعترض على الاتفاقية ، قد يفقد ما بقى له من سيادة اسمية على مصر ، وكان لابد من التصديق حتى تصبح سارية المفعول ، فاعترض عليها سفير فرنسا وروسيا بالاستانة ، وأسفرت مساعيهما عن عدم التصديق ، فأصبحت كان لم تكن ، وبذلك انتهت بالإخفاق ،

(رؤوف عباس حامد : مرجع سابق ، ص ص ٢٩ - ٣١) .

(١) جريدة روسية .

يظهر بغضها للانكليز ، وحقدتها عليهم وقد وافقنا أمس الرسائل البرقية من برلين
قائلة بما نصه « ان الدوائر الرسمية فيها تؤمل اتحاد الدول الثلاث في حل المسئلة
المصرية بعد تمام الفصل في مسالة الشرق الأقصى ، والزام انكلترا بالجلاء عن وادى
النيل احتراماً لوعودها وجعل القطر المصرى منطقة حرة ، تحميها أوروبا كلها » •

ولامراء فى أنه اذا دام الحال على هذا المتوال وطلت خطة الدول الثلاث بلا تغيير
نجت مصر من مخالب الأسد ، الذى يحاول افتراسها ، وبحققت أمانى محبى مصر
والمنصفين فى قولهم « مصر للمصريين » •

من أين يأتى الخطر ★

ما كتب أحسب قبل قدومى باريس أن أهلها عرفوا فى هذا العام من أحوالنا ما نعرف من أحوالهم ، وأدركوا من أسرار أمورنا ما ندرك من أسرار أمورهم . بل كنت أخال الغليل منهم مشغلا بمسألة مصر ، كما ساهدت ذلك فى العام الماضى ، حتى أبيت عاصمة العواصم فى هذه الأيام ، فرأيت أغلب من لاقيت واقفا على حقيقة آلامنا عارفا بمواضيع جراحنا مما يبشرنى بانفراج قريب للآزمة المصرية ونصرة من القوى للضعيف ، فلقد لاقيت يوم الاثنين الماضى فى وليمة تكرم بدعوتى إليها حضرة المسيو لوسيان ميلفوا صاحب جريدة الباترى (الوطن) كتبرا من رجال السياسة والأدب الذين لهم فى باريس المكانة الأولى فى التحبير والنحرير ، وتجاوزنا الحديث طويلا بشأن مصر متكلمين عن ماضىها وحالها ، وما بدأنا الكلام على حوادثها الأخيرة وما أتاه الانكليز فى هذا العام من العجائب والغرائب حتى قام أديب من كرام الحاضرين وقال :

(انى لم أكن أعلم شيئا من حوادث مصر غير أن الانكليز فيها يريدون ابتلاعها وسياستهم على شواطئ النيل كسياستهم فى كل بلد آخر ، تنحصر فى الفقر والاستعباد والتخريب ، ولكن اندهشت أعظم دهشة عندما قرأت فى الجرائد خبر تأسيس محكمة مخصوصة تقبض ببدنها على السلطة التشريعية والقضائية والتنفيذية ، وزادت دهشتى لما علمت أن الذى قرر هذه البدعة الكبرى هو مجلس النظار المصرى المركب على ما أعلم من نظار مصرى الجنسية .

ومن ذلك اليوم درست المسألة دراسة مجتهد عامل حتى وقفت على ماجريات الأحوال وعموميات الأشياء وخلاصة ما استنتجته أيها السادة هو أن مصر بلد سيء الطالع رزق فى هذا العصر المنير عصر الحرية والمدنية باحلال أجنبى يديره رجال « لا يعرفون غير الاستبداد وحب العلو والظهور والانتقام » وقوم من مصر سواء من

(★) كتب هذه المقالة فى باريس فى ٢٤ مايو ١٨٩٥ ، ونشرت بجريدة الأهرام بتاريخ أول يونيو

١٨٩٥ .

أبنائها أو من الداخلين عليها لم يأت التاريخ بذكر مثلهم ، فهم فصلوا السودان عن مصر ، ومكنوا العدو من كل شيء ، وفقدوا ما يسمونه بالمصالح الخاصة (على أنهم مخطئون في التسمية) على المصالح الهامة الحقيقية . ولقد كان نابليون يقول « لو كان عدد الخونة في فرنسا نصف ما هو عليه اليوم لكانت هذه الدولة سيادة العالم » . وأنا اليوم أقول « لو كان عدد الوطنيين الصادقين في مصر يقدر عدد المارقين والدخلاء فيها ، لكانت نحت من عهد بعبد » . فالبلاء كل البلاء في تعيين الضعفاء والبسطاء في المناصب الرفيعة ، وابعاد الصادقين الأكفاء من المصالح والادارات . والمصيبة كل المصيبة في وجود بعض مصريين لا يفهمون معنى حب الوطن ، وآخرين لا يدرون (وهم في مصر) أن مصر بوضعها الطبيعي لا بد أن تكون حرة مستقلة .

فكيف يريدون أيها المصريون حرية بلادكم ، وخروج الانكليز من دياركم وأنتم لم تعرفوا واجباتكم الوطنية ، ولم نهضوا أوروبا الى الحقائق ، بل تركتم هذا الواجب الخطير الى الجرائد الانكليزية نقص علينا من أموركم ما يناقض الحقيقة ، ويخالف الواقع ، فهي تقول لنا يوما انكم راضون بالاحتلال ، تدخلون في بابيه أفواجا أفواجا ، وتحدثنا يوما آخر عن تعصيبكم في دينكم وكرهكم لغير أبناء جنسكم ، وتذكر لنا نارة أنكم لسنم أكفاء ، ولا يليق بأوروبا أن تضع نقتها بكم ، وطوروا آخر أن الانكليز لو تركوا دياركم لصرتكم كالوحوش بل أضل سبيلا ، وضاعت مصالح المالكين ونزلت القرايطيس المصرية (١) ، بعد أن تحسنت وصعدت ، فهل قام منكم وقد جاء أوروبا متناديا بالحقائق طالبا العدل والانصاف . أما لكم في بعض العناصر الشرقية كالسريين والبلغاريين وغيرهم عبرة . واذكروا الآن الأرمن الذين لا يفضون لحظة عن تأسيس الجمعيات والقضاء الخطب ، على أنهم ما عرفوا من قبل معنى الاستقلال ، وما ذاقوا للآن حلاوة الوحدة في العمل وعدم تسلط اليد الأجنبية على بلادهم ، كما ذقتهم أنتم حلاوة ذلك في عهد الأسرة الخديوية الكريمة ، وفضلا عن ذلك فانهم ليس لهم حق يخول لهم نيل مطالبهم أما أنتم فحقوقكم أكبر الحقوق وليس لكم سبيل الى استرجاعها غير نشر الحقائق في أوروبا والاستعانة بها .

هذا خطاؤكم في سياستكم ، وليس بالعسير عليكم اصلاحه .

أما أنت أيها الشاب المصري ، فقد أحسنت عملا اذ جئتنا اليوم تنادي باستقلال بلادك ، -فأمن خيرا كثيرا ، وادع أبناء جلدتك الى الانضمام اليك ليكون صوتكم عاليا يسمح في كل الأرجاء .

(١) بدأ العمل به منذ نهاية عام ١٨٧٦ من خلال نظام الرامية الثنائية كضمان لاصحاب الأموال .

(وللمزيد من المعلومات عن هذا النظام يمكن الرجوع الى : تيودور رودشتين . فصول من المسألة المصرية ، ترجمة عبد الحميد العبادي ومحمد بدران ، القاهرة ١٩٥٦ ، أحمد صادق سعد . تاريخ الدين المصري العام المال والسياسي ، القاهرة ١٩٤٤ ، وؤوف عباس . مرجع سابق)

هذا مضمون ما فاه به كاتب سياسى خطير ولست محتاجا لأن أعرف القراء الكرام أن قوله لم يكن مؤلما فهو حق صدق وكلكم قائلون ذلك عند قراءة رسالتى .

وحما أن المصيبة فى مصر تقع على رؤوس الضعفاء منا والدخلاء علينا أكثر من وقوعها على الجنود النى تحتل بلادنا ، فرجال حكومتنا الموكلة اليهم الأعمال اما أجنبى عن مصر ، أو ضعفاء من مصر ، أو يائسون لا يصدقون بخير لمصر .

ولو عرف أولئك الأجانب عنها أن من أشرف الخصال وأجل الشرائع الاعتراف بالجميل ، ومعاملة هذه الديار بالنظر لما عاملوها هذه المعاملة ، وألقوها بين يدى أعدائها يصرفون فى أمورهم كما يشاء هوامهم .

ولو فهم الضعفاء من رجال حكومتنا أن الوطن فوق كل شيء وأن الشفقة عليه والاخلاص له يجب أن يكونا فوق الشفقة على الأم والأب ، لما كانوا سلموا أمور مصر الى أعدائها وألد خصومها يخربون البلاد ويشقون العباد .

ولو علم اليائسون منا أن كثيرا من الأمم كانت أتعبت منا خطا وأنكد طالعا ، فعملت وجدت حتى بلغت السعادة والعلاء ، بل لو كانوا تصفحوا التاريخ وقرأوا أن كثيرا من الأمم التى تعجب بسعدها اليوم رأت من العذاب أشد العذاب ، ومن الاجحاف أكبر الاجحاف لكانوا عملوا على سعادة مصر بالعزم والحزم مع الصبر والانتظار ، وكانوا لا محالة نجحوا فى عملهم الشريف .

فهذه الولايات المتحدة التى تدهش العالم كل يوم بمحاسن أعمالها ، وأحاسن اختراعاتها ، عاشت طويلا تحت نير الظلم والاسنبداد يجرعها الانكلبز كؤوس العذاب ، ولم تنهض الى المطالبة بالحرية والاستقلال ، الا باتحاد أبنائها والعزم والحزم والصبر والانتظار .

وهذه ايطاليا ، صبرت طويلا وعملت كثيرا ، فنالت الجزاء أحسن الجزاء ، وأصبحت اليوم فى عداد الدول الخطيرة .

وكذلك اليونان وغير اليونان من الأمم ، التى نالت الاستقلال بالجهد والثبات والاقدام .

وأنتم أيها المواطنون الأعزاء لا تحتاجون لكثير من التعب فى انقاذ الوطن العزيز ، اذ أن ذلك من صالح أوروبا ولا مراء فى أن الدول التى حورت سويسرا وبلجيكا لها فى تحرير مصر فوائدها فى هاتين الدولتين (١) .

(١) يرمى الى استنهاض فرنسا .

لبس على المصرى الأمين واجب آخر غير سر الحقائق عن أمه ووطنه فى أوروبا ،
وبالاستعانة بها كما استعان بها غيرنا من قبل • الا فاجمعوا كلمنكم أبناء الوطن العزيز
وأخلصوا النية فى خدمة مصر وألفوا وراء ظهوركم الشقاق والنفاق ، واختاروا سبيل
الخلاص سبيلكم حتى يشهد لكم العالمون بالكفاءة والاستعداد وصب الوطن ، ونرون
بعين المهجة والرضاء بعد زمن يسير (مصر للمصريين) •

مصر والسياسة الفرنسية ★

أن سؤالك لى رأى عن السياسة الفرنسية فيما يخص المسألة المصرية .
 لسؤال خطير جدا وعظيم الأهمية •

وان لفرنسا على ما أرى سياسيين فى مسئلة مصر ، سياسة فى أوروبا ، وسياسة
 فى مصر نفسها •

فسياستها فى أوروبا هى سياسة صريحة حازمة ، فلقد أعلنت المرات العديدة
 أنها لا ستنطيع ولن تستطيع أبدا أن نترك مصر للانكليز ، فان مركز بلادنا الجغرافى
 مهم جدا ، ومصالح فرنسا فيها عظيمة لحد يحملها على اعتبار المسألة المصرية من أخطر
 المسائل التى تهتمها مباشرة (١) •

وفضلا عن ذلك فان فرنسا بصفتها دولة حافظة على صيانة المملكة العثمانية ،
 وعلى استقلالها يحب عليها أن تحقق الاستقلال المحدود لوادى النيل ، الذى هو جزء
 من الدولة العلية •

أما السياسة الفرنسية فى مصر ، فلقد كانت – وأرائى مضطرا بكل أسف لأن
 أجيبك هكذا لأجيبك بصدق وصراحة – ولا تزال سياسة تساهل ونسامح (٢) •

(★) حديث جرى باللغة الفرنسية ، فى ٢ يوليو ١٨٩٥ بين مصطفى كامل وأحد محررى صحيفة
 الحورثال التى كانت تصدر يوميا فى باريس منذ عام ١٨٤٠ •

(١) وهذا ما تبينته فرنسا منذ حملتها على مصر سنة ١٧٩٨ •

(٢) حكمت علاقة مصطفى كامل بفرنسا عوامل منها •

أولا تربيته فى كنف الثقافة الفرنسية •

ثانيا . تلامى أهداف السياسة الخارجية الفرنسية – ولو على سبيل المناورة – مع أهداف الحركة
 لوطنية المصرية •

ولم يترك وكلاء فرنسا في مصر الانكسار يهددون فقط أعظم تهديد العمل الجليل الذي عملته فرنسا في بلادنا . هذا العمل السدني الحيري الذي ما سيناها ولا نفسها أبدا . بل انهم بصمتهم وسكونهم الذي لا يهيم له معنى ، سجعوا الانحليز على استعبادنا وسمحوا لهم أن يحولوا وادي النيل الجميل الى هند أفريقية أسوأ حالا من أختها الآسيوية (١) .

وانظر كيف أن انكلترا تزاخم النفوذ الحسي والمعنوي لفرنسا في مصر ، فهي في كل يوم تحارب لغتك (٢) التي تقبل على مطالعتها لاتقانها وجمالها ، ونعد الذين ينلقونها من التلامذة كأعداء لها فنسند في وجوههم أبواب الوظائف ، وفد فازت بتقليل

ثالثا بحالف فرنسا وروسيا في هذه المرة صد الوسع البريطاني . مما أدى بهما الى الصغط عليها لتحديد موعد لخلاتها عن مصر في نطاق المحافظة على أملاك الدولة المثمانية .

ومن ثم تمسك مصطفى كامل بأهداف الفرنسيين كامل مساعد لتحيين أهدافه الوطنية ، الا أنه كان يعطا في نفس الوقت للأوربيين عموما ، فكان يشك في بويا فرنسا دون أن يظهر ذلك ، وذلك مما طهر من خطابه الى عبد الرحيم أحمد في ١٨ سبتمبر ١٨٩٥ و ٠٠٠ فالفرنساويون مها تظاهروا لنا بالولاء هم كالاكتليز يصلون لمفعتهم ، وهم اذا تقرنا منهم وتحبنا اليهم فانما هي سياسة مناضت بها الأنام ستعملها لاستخدامهم ولتغير عداوتهم بالحلب والولاء ، وان يكن وقتيا ٠٠٠ .

وعكذا بدأ بفظه لسياسة الساحل بين فرنسا وانكلترا ، وكذلك من تخاذلها امام الغاء الارشالية العلمية المصرية اليها . د. صلاح المعاد . مصطفى كامل ، (الجمعية التاريخية : مصطفى كامل ، ص ٦٢) .

(١) اتبع الانحليز أسلوبهم السياسي التقليدي « دري سد » فسما الى تشويه حركات معارضة المحادين واندست بين الوطنيين ، ونصحت في كسب الولاء خاصة من الشيخ ، وحين ظهرت فكرة « حزب المؤتمر » لم تنفعا نبيحة قوة وطنية ، ولكن من تأليف الانجليز ، فكان يعلن الولاء العام للحكومة البريطانية مثال ذلك اجتماعه سنة ١٨٨٥ في يومئذ وعلان فائدة الاحتلال .

كما أن الانحليز أناروا أبعاد الهنوس ضد المسلمين الألفية ، بل عملوا على تقسيم المسلمين الى فرق متعددة فكان « السيد احمد خان » وجماعته ضلهم جماعة أخرى على رأسهم « جماعة ديوبند الدينيه المسلمة وجماعة أخرى في كلية « عليكرة » تحريض مديرها الانكليزي « مستر بيك » بل اشترك الانحليز في بعض هذه الجماعات ، وذلك لتعميق الشعور بالاحتلال ، علاوة على المساواة الأخرى من الاستغلال . (د. عبد المتعم النمر : كفاح المسلمين في تحرر الهند ، القاهرة ١٩٧٤ ، ص ٥٢ - ٥٩) .

(٢) منذ استمر الاحتلال البريطاني لمصر ١٨٨٢ بدأ يضرب لشر التعليم بلفقه كسهم جديد في جسد مصر ، بل وجعل يزيد عدد مدارس التي تعلم بالانجليزية على عدد الارشاليات الفرنسية مما اضطر اللغة الفرنسية ، وظهر هذا في منشور نظارة المعارف سنة ١٨٩٣ .

(يزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى جرحس سلامة . تاريخ التعليم الأجنبي في مصر ، القاهرة ١٩٦٢) .

عدد الموظفين منكم كثيرا وضعضعت الرسائل المصرية التي كانت راهرة ، فأصبحت لا تتألف الا من عشرة شبان نصفهم أرمنيين (١) ، ومن مواطني نوبار وأرنين (٢) .
ولكن الانكلبر - لحسن الطالع - لم يتمكنوا من كل مساعهم من اماتة النفوذ
الفرسوى تماما في البلاد ، وذلك لما عندنا من الود المكين لكم .

وبرهان هذا الود أننا لما اردنا الاستعانة باوربا على اسعافنا السياسي ، كان أول ما عرضنا أمرنا على فرنسا معتقدين كل الاعتقاد أنها لامتنع عن توطيد نفوذها في الشرق ، بانقاذها شعبا يد بها كل ذلك الحب .

ولكن عندي أمر أهم من كل ما نقدم أقوله لك وهو انه قد عجل صبرنا من طول الاحتلال ، فان كانت الحكومة الفرنسية عازمة على عمل فلتعمله سريعا .

واظن يا حضرة المكاتب اني أبديت لك فيما قلته رأى اخواني المصريين ، الذي هو مثل رأيي الخصوصي أيضا .

ولعل هذا القول يرشد الذين يهتمون بمسألتنا ليحسنوا المسعى في انقاذ شعب هادى ساكن مستجير وبوطيد حرية الطريق الموصلة من البحر المتوسط الى المحيط
الباسفيكي (٣) .

(١) صدر في عام ١٨٨٩ قرار الحكومة بالغاء الرسائل المصرية في أوربا ، وقرر أن تعطى بمقه لا يزيد من ٢٥٠٠ فرنك سوبا للطلبة المرسلين من قبلها للدراسة بالمدارس العالية و ٢٠٠٠ فرنك سوريا لكل تلميذ يلقى الدراسة المجهز به في أوربا ، وان لا يرسل في المستقبل لأوربا على نفقة الحكومة الا تلامذة يختلف عمرهم بين عشر سنوات ، ١٢ سنة ، ليكون لديهم الوقت الكافي لتمام الدراسة ، والواقع أن مصار ذلك كثيرة ، حيث عدم يمكن المدارس من انفاق لغته الأصلية بدر دراسته لمة وعادات وأخلاق الشعوب الأجنبية المتواجده بها . ونكفى للتدليل على نقيتها من أن احمالي الميعوس في الصر ١٨٨٢ - ١٩٠٧ بلغ ١٢٤ معوتا منهم ٧٤ معوتا الى الحليرا وخمسون الى فرنسا ، وكان هذا رد على ثقافة الزعماء المصريين الفرنسية ، أمثال مصطفى كامل بالذات وطبعة لجهوده .

(٢) للمزيد يمكن الرجوع الى حسن العمى . التاريخ النفاسي للتعليم القهر ١٩٦٦ ، ص ٤٦ ، ٤٨ . عمر عبد العزيز : دراسات في تاريخ مصر الحديث ، القاهرة ١٩٧٢ ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩ ، الجمعية التاريخية : مصطفى كامل ، ص ٧١) .

(٣) نوبار باشا رئيس الوزراء ، ويعقوب أرنين مستشار نظارة المعارف . (عمر عبد العزيز : المرجع السابق ، ص ٣٠٨ ، ٣٠٩) .
(٤) آى المحيط الهادى .

حديث مع جريدة الاكسترا بلاط بفيينا *

ذكر مصطفى كامل لمراسل هذه الجريدة « أن أمته ننظر بصبر نافذ خلاصها ونحرير وطنها وأنه من أوجب الواجبات على النمسا أن تكون في مقدمة الدول التي تهتم بشأن مصر ، لما لها من المصالح التجارية والسياسية فيها ، حتى صارت نربسنا كأنها ميناء نشارك الاسكندرية في الشفعة ونلاصفها في الجوار » .

وفضلا عن ذلك فان أمير مصر قد ربي في فيينا على مبادئ المدنية والانسانية (ومصر شاكرة لفيينا على ذلك) .

وان أخطار الاحتلال هي واحدة بالنسبة لكل الدول الأوربية ، اذ ليس الاحتلال الدائم الا اضافة مصر لأمالك انكلترا وأن حكومة النمسا والمجر النى أمضت المعاهدات المتعلقة بمصر ، وضمنت المحافظة عليها ، لابد لها أن تقضى على بقاء انكلترا في بلاد الفراعنة .

ولماذا لا نحرر أوروبا مصر ، وقد حررت بلغاريا وصربيا ؟ ألسنا معشر المصريين كالبulgاريين والصربيين في المدنية ؟ ان آلافا من شبابنا النبهاء الذين تثقفوا بالمعارف والعلوم ينظرون أشد الانتظار الساعة التي ترد فيها مصر الى نفسها حيث يستطبعون خدمها .

وأن الخطر الذي يهدد أوروبا من بقاء الانكليز في مصر عظيم جدا ، والخسائر التي تلحقها من جرائه لا تحصى ولا تقدر . فمصر هي مفتاح آسيا ، ومن ملك قنال السويس ملك مكة وبنت المقدس .

ويستحيل أن يرضى المسلمون في جميع أقطار العالم باستيلاء الدولة الانكليزية على مدينتهم المقدسة . ان ذلك اليوم يكون يوم قيام المسلمين في الأرض — وهم نحو ثلاثمائة مليون من الأنفس — ويوم اعلان حرب دينية تسيل فيها الدماء أكثر مما سالت في الحروب الصليبية .

(١) جاء هذا الحديث الصحفي في جريدة الاكسترا بلاط النمساوية ، بتاريخ ٢٨ يوليو ١٨٩٥ .

وان عاية انكلترا من امتلاك مصر هي الاسيلاء على السودان واضعاف مصالح أوروبا في افريقية وآسيا حتى نقوم مصالحها . ووظيفتها الآن اقفال المدارس المصرية لتقليل عدد التعلين من الأمة واستعمال المزابية في تكوين جيش من الموظفين الانكليز .

أخطار الاحتلال الانكليزى (*)

— استهلال —

لبس غرضي من كتابة هذه الرسالة استلغات الأنظار الى مصائب أوطاني ، وان كان هو الواجب الشريف الذي أؤديه باخلاص عظيم من صميم قلبي ، بل غرضي هنا اظهار الأسباب المادية المشاهدة التي نجعل أولئك السياسيين الذين لم نسفهم للآن بواعب الشعائر والاحساسات أنصارا لتحرير مصر لأن الموافقة على تقويض أركان هذا البلد بالسلطة الانكليزية لاتعتبر فقط انتهاكا لحرمة حقوق أمة محبة للمدنية جديرة بكل عناية ، بل هي أيضا ايفاد لنار الحرب في العالم أجمع .

وما قصدت من كتابة هذه النبذة الا السكلم عن مسائل عامه ، أما المسائل الخاصة كفوائد حاملي القراطيس المصرية التي يهددها الاحتلال الانكليزى أعظم تهديد ومقام أوروبا في الشرق الذي يضعه الآن وجود الانكليز في مصر ، ويقضى عليه اذا دام احتلالهم لبلادنا فسنوفيهما شرحا في أبحاث أخرى .

ويعلم القاريء مما أبينه هنا حقيقة ما يعتقد المصريون بالنسبة لحالة بلادهم ، والآراء التي يشاركني فيها كل أبناء وطني ، الدالة على اننا عالمون بأن وضع بلادنا الجغرافي يقضى علينا باكرام كل الأوروبيين النازلين عندنا ، ومعتقدون أن لا وجود لمصر بغير أوروبا ، ولذلك فاننا بطلبنا جلاء الانكليز عن وادي النيل ، وببذل مساعينا لنوال تحرير بلادنا ، لانريد شيئا آخر غير تحقيق سعادتها وتقدمها ، ولانطلب غير السلام في أوروبا والمحافظة على حقوقها وامتيازاتها التي قرر بها المعاهدات الدولية .

أما مبدؤنا فيكون دائما « أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا » (١) .

واننا نتحمل كل مشقة ونضحى كل ما يضحي في سبيل تنويع أعمالنا بالفلاح الأخير ، ونصرة الحق وتحرير مصر .

(*) نشرها مصطفى كامل في باريس يوم ١٤ أغسطس ١٨٩٥ باللغة الفرنسية . ونشرت ترجمتها في كتاب « مصر والاحتلال الانكليزى » ص ٤٠ .
(١) اتخلت شعارا لجريدة اللواء اليومية .

ـ الموضوع ـ

١ ـ لما كانت مصر لا تقوم بسداد نصف دينها ، اذا بيعت في مزاد عمومي ، كان من المستغرب عند بعض الناس اهتمام فرنسا وغيرها من الدول الكبرى بأمر تحريرها من النير الانكليزي .

على أن أولئك المنعجبين الجاهلين بحقيقة المسئلة المصريه لم يلفنوا الى أن محصولات مصر ليست هي داعى استتعال العالم بأمرها ، بل ان وضع وادينا الجغرافى هو السبب الحقيقى لكل ذلك الاثنغال . ومن الجلى الواضح أن الدولة التى تسولى استيلاء ناما على وادى النيل نصير بذلك ملكة افريقية . هذه الأرض العذراء التى أصبحت مطمحا لأنظار كافة الدول النجارية ، ولابد أن يكون من نتائج استيلائها على مصر ، وضع يدها على الشام وبيت المقدس ، ذلك الحرم الذى بعزه الأمم بأسرها ، والذى سبب فى الماضى حروبا امتلأ بها البحار والوديان دماء مدة قرون ، فأنجبت اضطرابا واختلالا فى أحوال الأمم التى كان لها شأن فى تلك الحروب .

وبامتلاك بغور السويس والقصور وسواكن نصير الدولة المالكة لمصر سيده ، لا خلاف فى سيادتها على البحر الأحمر ، فههد مدينة جده نهديدا مهتمرا من حيث كونها نفرا ليس فيه من القوة الدفاعية ما يحفظه ، ويكون من السهل اذ ذاك أخذ الكعبة المقدسة بكل المدافع الحديدية الطرار التى نخترق الفضاء على خط مستقيم .

ومن يتدبر هذه النتائج ويضيف إليها أن فال السويس هو جزء من مصر ، وأنه طريق الهند والصين واسناليا يعلم داعى اهتمام الدول بأمر مصر واعتبارا المسئلة المصرية مسئلة أساسية .

وعليه فان مصر بجوارها ملكة وبيت المقدس ، وباشتمالها على قناة السويس ، صارت مركز العالم كله .

وان من الأسباب المهمة التى دفعت انكلترا الى احتلال بلادنا ، طمعا فى الاستيلاء على السودان رغبة فى الاستثثار بكل نجارة وادى النيل .

ولما كان النيل أحسن السبل الموصلة الى أجمل بلاد أفريقية كان من الضرورى بقاؤه حرا ، اذ لو فرضنا أن السياسة الانكليزية نفهر قوة السودانين ، فان استيلاء الانكليز على الخرطوم يكون مضرا جدا بتجارة أوربا فى افريقية الوسطى وهى الوادى الخصيب المأهول بالسكان والذى لا يزال مؤصد الكنوز ، والذى هو بسبب ثروته مطمح أنظار الدول .

فاذا استولت انكلترا على الخرطوم ، كانت نروة ذلك الوادى الرحب لها وحدها ، غير تاركة الدول الأخرى الا مشاهدة آثار تقدمها الاستعماري العظيم .

وفى الواقع فإن اسنيلاه فرسا على الجزائر وتونس (١) لم يصر فط بالتجارة العامة للدول الأخرى ، كما أن ألمانيا وبلجيكا والبرنغال لم نستول وحدها على نجارة البقايا السوداء ، لأن أملاك هذه البلاد مفلوعة عن الداخل بصنخار ومهامه قهرة ، بخلاف انكلترا ، فانها اذا استولت على مصر « النى يكون من نتائج الاستيلاء عليها على وادى النيل كله » ، تمتد سلطتها من الاسكندرية الى رأس عشم (٢) الخير ، وتضع يدها على كل مصادر الثروة الداخلية لافريقية ، فكان أوربا لم نحارب الأمم السوداء الا لفائدة الانكليز الدهاة ، وان فى ذلك اليوم الذى تميد فيه سلطة الانكليز من الاسكندرية الى رأس عشم الخير يذهب فخار « سيسل رود » (٣) بأنوار مجد « وارن هاستنج » (٤) ، مستعمر الهند ، حيث يكون أثر هذا الفائح الجديد أعظم فدرا وأكبر فى التاريخ ذكرا من أثر ذلك المستعمر الهندى .

(١) يضح هنا مناورة مصطفى كامل فى اسئلة الدول التى أحس أنها يمكن أن يفع الى جانبها فى مطالبه ، وان كان عدم الإصرار بالنجارة العامة للدول ليس مبررا لاسنيلاه فرسا على الجزائر وتونس .

(٢) يعصد بها رأس الرجاء الصالح Cape of good Hope

(٣) سيسل جون رودس (Cecil G. Rhodes) استعمارى بريطانى ، ولد فى ستورفورد سنة ١٨٥٣ ، وباء على نصيحة طسة هاجر الى جنوب أفريقيا ، وبالدات مطقة « باتال » يصد أن طردت انكلترا الوطنيين الأمازة منها ، فوصلها فى أول أكتوبر ١٨٧٠ ، وجمع فيها ثروة طيبة ، ثم أصبح عضوا فى البرلمان بمقاطعة الرأس ، وكان عمره ٢٨ عاما .

وفى عام ١٨٩٠ أصبح ذا ثروة كبيرة من حقل الماس ، ورئيسا لوزراء مستعمره الكاب ، وكان حله اشياء خط حديدى يصل بين الكاب والقاهرة .

للمزيد من المعلومات : د. شومى الجمل : فضية روديسيا بين الأمم المتحدة والمنظمة الأفريقية . القاهرة ١٩٧٧ ، ص ص ٨٥ ، ٨٦ ، جيمرى درون . المدنية الأوروبية فى القرن التاسع عشر ، ترجمة محمد أحمد على ، مراجعة د. محمد أحمد أنيس ، القاهرة ١٩٦٦ ، ص ص ١٥٣ ، ١٥٤ .

(٤) كان هاستنج أول حاكم بريطانى نصب على الهند سنة ١٧٧٨ ، وعمل من قبل حاكما للبنغال من سنة ١٧٧٢ ، وفى سنة ١٧٧٤ أصبح حاكما عاما لجميع أملاك « شركة الهند الشرقية » وبعد أن أعلنت فرنسا الحرب على انكلترا عام ١٧٧٨ أثار على كل المستعمرات الفرنسية فى الهند ، وتحقق له النصر ، كما أثار على مدراس ، ثم عقد صلحا سنة ١٧٨٢ مع المهراجا صد حيدر على والفرسيين ، وطلب المناوشات العسكرية داهه بينهم حتى عقد صلح فرساي ، فأصبح القائد الرئيسى نو اعزل من مساعدة فرسا ، فهادن الانجليز ، وبهذا توطد الوجود البريطانى فى الهند ، ومنذ سنة ١٧٨٤ آثرت الحكومة البريطانية أن تشرف بنفسها على النشاط السياسى للشركة ، فعين حكاما عامين من غير موطنى الشركة ، وكان اللورد كورنواليس ١٧٨٦ - ١٧٩٣ قد حلف لورد هاستنج كحاكم عام للهند .

والجدير بالذكر أن وارن هاستنج بدل فصارى جهده فى سبيل استنزاف ثروات الهند ، وعلى سبيل لشال جمعه المبالغ من الأمراء الوطنيين وصول الرشاوى لغاه بعدم فرصها أكثر ، ثم العودة لها ، واستيلائه على الأراضي التى لم تدفع عنها الضرائب ، أو بيعها لأحد الأمراء الوطنيين ، علاوة على فرض « شريعة الأراضي » التى بلغت خمسين فى المائة من وحدات الإنتاج بحيث فر السكان ، وباع آخرون أبناءهم لسداد ما طلب منهم من أموال .

للمزيد : عهد المنعم النمر : تاريخ الاسلام فى الهند ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ص ٤٦٥ ، كهاج المسلمون فى تحرير الهند ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ص ١٩١ - ٢٠٧ ، ماكولى ، توماس نابجتون : لورد كلايف ترجمة محمد منير ، القاهرة ١٩٢٢ ، ص ص ١٠ ، ١٢ .

ولا يقبل العقل أن أوروبا نفقر لرجال سياساتها حدود خطر اقتصادى مثل هذا ، فان كان انكليز أو جنده (١) يسلمون بجاربهم الآبه من الحارج بواسطة طريق النيل البديع ، وفرنسا محتاجة لصرف الملايين لتحقيق أمنية السكة الحديدية التى تود انشاءها فى الصحراء ، وعندما يجد انكلير منشسر وبرمنجهام طريقى النيجر والكونغو حرة امامهم لنوصيل تجارتهم الى سكان افريقية الغربية ، ويجد انكليز الهند طريق زنجبار وانكليز واستراليا طريق زامبر لسلغوا بحيرة طانجانىكا يجد الالمانيون وزملاؤهم الفرنسيون والروسيون والنمساويون والايطاليون الآنون من البوسفور وسلايك وتريستا وبرندزى ومرسيليا عمال الجمرى الانكليز الواقفين فى دمياط والاسكندرية ، قد افعلوا فى وجوههم الطريق الوحيد الصالح لهم اعنى به طريق النيل .

ومن جهة أخرى فن مسألة امتلاك البحر الأبيض المتوسط اعتبرت دائما مسألة ذات أهمية عظمى مما حمل كل دولة على ان نبحت لنفسها على فرجه من شواطئه لسطل منها عليه ، حتى تضايقت أسبابها من وجود الانكليز فى جبل طارق وتكدرت فرنسا من احتلالهم للمالطة ، ولكن قبرص ومصر خصوصا تزيدان كثيرا من نفوذ الانكليز فى البحر المتوسط ، مما يضر على الأنص بالدولة العلية والروسيه وان هذه الأخيرة تؤمل أن يرحص لها الباب العالى بالمرور من الدردانيل حتى يكون لها فى البحر الأبيض المتوسط تمام حريتها ولنبلخ بسهولة بلاد الشرق الأقصى وهى من أجل ذلك تكره مراقبة انكلترا لها ، والدولة العلية من جهة أخرى صارت نخشى كثيرا على طرابلس الغرب التى بانت نفطة الانصال بينها وبين الممالك الاسلامية فى السودان ، وأما الفرنسيون فان فوائدهم على شواطئ الجزائر وروابطهم الدينية مع فلسطين عظيمة جدا . ويؤثر عليهم كثيرا ازدياد نفوذ دولة قوية مبارية لهم فى بحر لها فيه الآن أعظم السلطة .

٢ - اذا وجهنا الآن أنظارنا الى آسيا رأينا مصر على طريقين هما أهم طرق العالم : طريق البحر الموصل من أوروبا الى الشرق الأقصى ، وطريق البر الذى يربط الخرطوم بالآستانة والخليج العجمى عندما تنصل يافا بالاسماعيلية بواسطة سكة حديدية .

فامتلاك انكلترا لمصر يكون اذا عبارة عن امتلاكها حرية النصرف كما يشاء هواها فى علائق الدول السياسية والتجارية والمعنوية ، وأى حكومة ترى ذلك ولا تضع حدا للاحتلال ؟ أى حكومة ترضى اهمال أمر عظيم كهذا ، وتسنطيع أن تتحمل مسئوليته ؟

ان امتلاك قنال السويس فى وسط الطريق الدولى البحرى الكبير فى بلد عظيمة الثروة مثل مصر يهدد مباشرة أملاك فرنسا وألمانيا وهولانده واسبانيا .

(١) أوغندا .

ويكفي حينذاك أن هذه الدول تظاهر بالعداء لانكلترا بسبب أى خلاف لصييع
الملايين التى صرفتها ، والضحايا التى ضحتها فى سبيل الاستعمار هباء منثورا ،
وتبليت مستعمراتها ككندا والهند ، فريسة لانكلترا السعيدة الطالع الماهرة ا فأت
رجال سياسة فى أوروبا يرون هذا الخطر العظيم بدون أن يهتموا به ويتحملوا
مستولية نتائجهم .

أما حرية قناة السويس فلها فى عين المسلمين أهميه عظمى ، لأن ضياعه يحول
البحر الأحمر الى بحيره انكليزية ، فيكون من الممكن وقتئذ تعطيل أداء فريضة الحج ،
واقفال طريقه اذا دعت الحاجة بحشد الجنود الانكليزيه فى بريم وسواكن والقصير
والسويس ، كما يفلونه الآن على السودانين .

وان الانسان ليسولى عليه الحزن عندما يفكر فى نتيجة هذا الامر ، وينظر الى
هذا البحر العثماني الذى يصير اذا ملكت انكلترا مصر ميدانا لسفن جلاله الملكة ،
وهو اليوم ملتقى للبوسنيين والمراكشيين والروسين والجراكسه والجزائريين
والتونسيين والصينيين والهنود والعرب والجاويين والرنجباريين وبفيه الأمم
الاسلامية . فليس استيلاء الانكليز على مصر شيئا آخر سوى استبعاد انكلترا للأمم
الاسلام كلها !

ذلك كله غير الخطر الذى يهدد « جدة » و « مكة » متى رسخ قدم الانكليز فى
الخليج العربى (١) .

فان امتلاك جدة بعد امتلاك « بريم » يجعل بلاد العرب الجنوبية ، وخصوصا بلاد
اليمن فى حالة شبه حالة البلاد التى بعد سواكن متى احتلها الانكليز (٢) .

والناس كافة يفهمون ماذا يكون آمال الدولة العلية فى اليوم الذى نخرج فيه
جدة من دائرة سلطتها ، فان هذا الامر الذى يظهر مسيحيل الحصول ما دام البحر
الأحمر معتبرا بحيرة عثمانية ، يصبح حقبة جليلة عقب وفور أى خلاف بين الأبرك

(١) وصبت انكلترا يدما على الامارات العربيه بالخليج (سلطنة عمان) ابتداء من عام ١٧٩٨ -
١٨٠٤ ، خوفا من الوجود الفرنسى فى مصر ، وتعهد سلطان عمان بالاستثناء عن خدمات الفرنسيس
وطردهم ، وكررت انكلترا هذه المعاهدة مع سلطان بن أحمد أمام عمان مرة أخرى فى ١٨ يناير ١٨٠٠ .
على أن يفهم سيد انجليزى فاضل فى مسقط عاصمة عمان كوكيل عن شركة الهند الشرقية البريطانية ،
ولتمثيل مصالح بريطانيا فى الخليج العربى ، وثل هذا عقد عدة اتفاقيات فى سنوات ١٨٢٨ - ١٨٢٩ .
١٨٤٧ ، ١٨٥٦ ، ١٨٧٣ ، من شأنها تأكيد سلطان بريطانيا فى منطقة الخليج .
د . محمد أنيس ، د . السيد محمد رجب حراز : مذكرات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ،
القاهرة ١٩٦٦ ، ص ٤٦ ، ٤٧ .

(٢) وقعت جزيرة بريم تحت النفوذ البريطانى سنة ١٧٩٩ لايجاد نوع من التوازن لصالح بريطانيا
أثناء وجود الحملة الفرنسية فى مصر ، سنة ١٧٩٨ .
المرجع السابق ، ص ٥٣ .

والانكليز ، وفيل من السفن الانكليزية يكفى يومئذ للاسيلاء على ميناء جده (١) النى لا تحرر القوة الدفاعية الكافية ، وعندئذ يعلم فلاسعه السياسية الشرفية ورجال الفنون العسكرية الذين عكفوا على عدم الخروج من ديارهم أن الكعبة التى كانت من عهد ابراهيم عليه السلام أبى الأبياء والرسول المبارك فى مأمن أصبحت على خطر .

ومن البديهي أنه لو كانت انكلترا صديقه للدولة العلية ومن الدول الراضية فى المحافظة على استقلال أراضيها لا يتصور وقوع حادثة كهذه ، ولكن رجال السياسة الانكليزية ظهروا فى هذا العهد الأخير بمظهر العدو والألد للدولة العلية ، فهددوها بهديدا عظيما ولا يبعد أن يفوم بين الدولتين حصار عنيف ، كما لو أعلنت انكلترا حمايتها على وادى النيل ، وعندئذ لا يمنع الانكليز مانع من تحصين نفور البحر الأحمر ، وعند أول فرصة نسير سفينة من سواكن أو القصير أو من أى شاطئ من الشواطئ المصرية الى « جده » ، والفرصة لمثل ذلك سهله فكون اذا قل أحد الماطيين فى جده مثلا كما نكون لو فام من الرعاع من يدعى الخلافة ، لأن انكلترا بما تدعنه لنفسها عندئذ من حقوق الجوار ، تتداخل لنوطيد الأمن العام والسلام فى الحجاز .

ومن ذلك كله يرى أنه من المسححيل رضى الدولة العلية باحلال شواطئ البحر الأحمر المصرية ، والا فماذا يكون شأن العالم الاسلامى اذا صاعت منه مكة ، وقد قام دفعه واحدة فأزعج الأمم طرا لما ضاع منه بيت المقدس ؟ ولا جرم أن ضياع « مكة » ، يدمى بمعله المسلم الواحد ، ويؤله آلاما سديدة ، فكيف والمعمورة مسكونة بثلاثمائة مليون من المسلمين ، لابد أن يحسب لهم حساب ؟

٣ - ان أول نتيجة من نتائج اتصال السكك الحديدية المصرية بسكك الشام وضع هذه البلاد تحت سلطة الانكليز مى استولوا على مصر ، اذ ليس بخاف على أحد أنه من زمن المراعنة الاولى والحلفاء الراشدين الى الآن يرى من يستولى على مصر مستوليا على الشام لأسباب سياسية وحربية لا حاجة لذكرها هنا . فاما أن يكون حاكم الشام على مصر كما هى الحال الحاضرة ، واما أن يستولى حاكم مصر اذا أحس من نفسه بالقوة على الشام كما حصل ذلك لحكام مصر فى أدوار عديدة وان تجريدة (بونايرت) و (محمد على وقت استحكام الشفاى بيته وبين الباب العالى لمن أقرب الأدلة على صدق هذه القضية التاريخية ، ومن المسححيل أن تكون انكلترا المضروبه بطبعها الأمنال أقل حبا للصح من بونايرت ، وحينئذ فتكون النتيجة من وراء ذلك الطموح سقوط بيت المقدس تحت السلطة البرونستانتية ، وهى نتيجة لا نعرف كيف يقابلها الكاثوليكيون والأرثوذكسبون فى العالم أجمع ، ولا يخفى أن سبب حرب القريم

(١) يشير هنا الى ماضى الدكرات عن معركة حده سنة ١٨٥٨ التى كانت بناء على استغاثة ، استغلت فيها البحرية الانكليزية ، وكأنه يرمى الى القسيه حتى لا يحدث التكرار ، وهو ما سياسى ذكره مفصلا فيما بعد .

بين دولتين من شأنهما الاتحاد كفرنسا وروسيا كان هو الشعار الغائب بين الكاثوليك والأرثوذكس في فلسطين ، فماذا يكون الأمر عندما نرفع انكلترا البروتستانتية رايتها على « أورشليم » ؟ .

وعلى فرض أن البابا والفيصل (١) يغبان هذا الأمر فماذا يقول المسلمون الذين على ما كان بينهم من التفرق والشقاق دافعوا عن هذا الحرم الشريف في وقت الحروب الصليبية وقاوموا النصرانية المتحدة ؟

وبماذا نجيب عندئذ الأمم الإسلامية الحكومة العثمانية التي يسكنها وخضوعها أمام مطالب جيش ولسلي جعلت وموع هذه الحادثة السيئة بالنسبة لكل الأمم من الممكنات ؟

على أن في استيلاء الانكليز على (أورشليم) أمرا آخر هو من الأهمية بمكان ، ألا وهو فصل الحجاز عن الدولة العلية ، فتصير الدولة بعدئذ كاحدى الامارات التي لا تتجاوز أهميتها أهمية بلغاريا (٢) . الحالية . وإن خطارة هذا الأمر تظهر للفكر من أول وهلة ، فليست ثروة الشرق الأقصى وكنوز افريقية شسبا يذكر بالنسبة لجوار أورشليم .

وان الطريق بين يافا والاسماعيلية الذي يوصل بسكة حديدية من الخرطوم الى الاستانة ، ومن شمال افريقية الى الخليج العجمي وآسيا الصغرى يكون بطبعه ذا فائدة جلية لا تكتلتر ، مما يحملها على توجيه مطامعها نحو الشام ، ووجود الدروز والأرمن في فلسطين مع ما هو معلوم من ميلهم للدولة الانكليزية ، وكثير منهم آلات لها مما يسهل بعد ذلك امتلاكها فلسطين ، فضلا عن ذلك فإن التجانس الموجود بين السوريين والحجازيين والمصريين يدعوهم عند تفرقهم للاجتماع تحت حكم حكومة واحدة .

ولقد أثبتت الحروب الصليبية أعظم اثبات أن أورشليم لا يمكن أن تملكها دولة غير الدولة الإسلامية اذ بها وحدها يوجد التوازن فيها بين كل المذاهب ، وكافة الديانات التي تتنازع وطن أنبياء بنى اسرائيل وهكل سليمان ، وبغاؤها لدى الدولة الإسلامية خبر كفيل لذلك التوازن الذي نراه الآن ، وان ضياع أورشليم من يد الدولة العلية الذي هو في الحقيقة ضياع هذه الدولة نفسها ، يكون مصيبة عظمى على المدينة وعنوان حروب هائلة بين كل الأمم الممتعة لديانات مختلفة حيث لا تستطيع واحدة منها دون الأخرى امتلاك ذلك الحرم المقدس والمحافظة عليه .

ومن نتائج سقوط الخلافة الإسلامية فتح باب وراثة القسطنطينية هو الباب

-
- (١) باعتبار ان البابا حامى الكاثوليكية و فيصر الروس حامى الأرثوذكس في العالم آنذ .
(٢) يكشف مصطفى كامل عن محاولة إنجلترا تقليم أظافر الدولة العثمانية بفصل الحجاز - معقل الاسلام - عنها ، خاصة وانها دولة تقوم على الدين ، وزعيمة العالم الاسلامي آنذاك .

الذى اذا فتح اندفع تيار القلافل والاضطرابات والارتباك منه حيث يصبح العالم ولا وسيط بين الأمم الاسلامية والأمم المسيحية .

ولقد احناج العثمانيون الى زمن طويل حتى اسنطاعوا أن ينخرطوا فى سلك الأمم الأوروبية مع المحافظة على ما لها من السلطة والنفوذ المعنوى على الأمم الاسلامية .

لذلك كان الفكر يضطرب أسد الاضطراب كلما تخیل النتائج الهائلة التى ينتجها ضياع الدولة العثمانية اد لس ضباعها الا الرجوع الى حالة الهمجية حيث تفقد المعاهدات معناها وتصبح بغير عمل يوم تخرج الخلافة الاسلامية من الدائرة الأوروبية .

ومن كل ما ذكرنا ينضح جلبا أن احنلال انكلترا لمصر خطر عظيم على العالم بأسره ، وأن السباسبين الذين يعملون لاجلاء الانكلبز عن وادى النيل لا يؤدون فقط الواجب الذى تفرضه عليهم عدالة أوروبا وشرقها ، بل يعملون أيضا للسلام العام لاتحاد النصرانية مع الاسلام ، وبالجمله يعملون لنصرة المدنية الغربية والسلام .

كلمة الى المدلسين *

إذا رضيت عنى كرام عشيرتى فلا زال غضباناً على لئامها

عدرا أيها الأصدقاء الأوفياء إذا فصرت عن القيام بواجب سكركم على دفاعكم
عنى أمام طغمة المارقين الذين أقل صغابهم أن لا وطن لهم ولا خلاق . فانى أترك
الوطنيه الحقه بشكركم أجل الشكر وادع المحامد تحميدكم على رفيع احساساتكم
وجلبل شيمكم . وأسئلكم العفو اذا خصصت رسالتى هذه للرد على هؤلاء الخوارج
بلسان التاريخ فان فيه ولا مرأى أقوى مساعد على خدمة بلادهم العزيرة ونحرير
أوطانى المحبوبة . يلومنى الخصوم على الدفاع عن حقوق ضائعته وحرية مسئولة ،
ويصفون شريف الفعال بأعمال الصغار ونعم هذا الوصف ما ألد مل ذا اللوم على
أدنى ، أنى لعمر الحق ألد من بغريد الطيور ، أبلغتم أيها الخوارج من المدلس هذا
المبلغ حتى اعبرتم الفضائل نقائص ونسبتم أو نناسيتم التاريخ وأماله المضروبة ،
على تخليص الأمم من الأسر وانقاذ البلاد من خطر الضياع . فان كنتم نسيتموه فلكم
منى مذكر عادل يقول لكم ان كل أمة فى الوجود لم ترد للحياة سببلا الا على يد رجل
أو رجال خاطروا بحياتهم ، وقدموا أنفسهم ضحية لها . وأنا لمصر ذلك الفرد الذى
بضحى حياته لحباتها ويخاطر بنفسه لانقاذها من الخطر المهدد لها . فان كانت شبيبتي
داعى لومكم على فهمى لى نعم الفخار ولأبناء جنسى خير محرك على خدمة
الوطن العزيز .

نعم هى فخارى ، فانى وان آسى فى أزهر سن الشباب ، لست ممن يميلون مع
الأهواء ، ويقضون الساعات والأيام فى الملاحى والملاذات ، بل أنا ممن لا تحلو الحياة
فى عبوتهم ما دام الوطن على خطر ، والأمة على شفير هار ، أفاخركم حقا أيها الطاعنون
أمام العالم أجمع بأنى وهبت حنانى لامتى وبلادى ، وبدأت أعمالى بعد سن الدراسة
بمطالبة أوروبا العادلة حقا وانصافا . أفاخركم ساخرا من طعنكم وقد حكم بأنى

(*) نشرت بحريدة الاهرام سارىخ ٥ يوليو ١٨٩٥ .

أقتفى أثر رجال شرفهم التاريخ لما سرفوا بلادهم وأعرتهم مواطنهم لما أعزوها وأعلوا شأنها .

نعم أقتفى أثر رجل كفرانكلين (١) جاء في القرن الثامن عشر لا في هذا القرن قرن العدالة والانصاف ، مطالباً بحرية بلاده ، سائلاً فرنسا مساعدة وبعضيداً ، حيث لبث اذ ذاك نداه ورف رحمة لآتين أمنه ونصرتها في مطالبها الحققة ، وساعدتها على نيل الحرية والاستقلال ، نعم أقتفى أثر رجال مثل سكوفاس واكرانتوس وريكوس الذين سهرروا الليالي الطوال على تحرير اليونان ، ولي أحسن اقتداء بكافور وغيره ممن وهبوا إيطاليا الاستقلال بعد الجهد الجهد . كفى لا أفتدى بهؤلاء الرجال وأعمل مثل هذه الأعمال ، وقد أنقذت فرنسا من هاوية الخطر غائقة تضرب لنا وحدها الأمثال . واذا كان الانكليز يعملون الليل والنهار على امتلاك الممالك واستعمار البلاد ، ويجرون مما رزقوا من العقل والثبات وانتهاك حرمة المعاهدات في سبيل الاستيلاء على مصر ، ومد سلطتهم من الاسكندرية الى حكومة الكاب ، فهل من المستغرب أن يطالب مصري « بحرية بلاده وهو أمر طبعى بل فرض » تفرضه الحياة على كل انسان . واذا كنا صبرنا معشر المصريين ثلاثة عشر عاماً ننتظر الخلاص من انكلترا نفسها ونترقب ساعة احترامها لشرفها ، والى اليوم لم نر منها ما يدل على قرب الوفاء ، ولم يبدلنا من رجالها لا صندوق ولا وداد . فهل تعجبون با قوم اذا دفعنا احساساتنا الى كشف الحقائق والاستنجا بأمم أوروبا .

لعمر الشرف ان ما أتينا به لاحق الأمور بالأتان ، واذا كان تقديم لوحة وعريضة الى (٢) مجلس النواب الفرنسي آثار منكم عواطف الغضب والحق ، وهو أمر من أبسط الأشياء فما عساكم تفعلون غدا واللبالي حبالى وكتبنا ما يضمم ذلك « الفتى المصرى » الذى أضاعت عقولكم فعلة من فعالة خدمة بلاده وتحرير أوطانه .

(١) بنيامين ، فرانكلين (١٧٠٦ - ١٧٩٠) سياسى أمريكى ، عالم وكاتب وفيلسوف ، مثل بلاده تمثيلاً ناجحاً لدى انكلترا وفرنسا ، ولا تأرمت العلاقات بين الانجليز والامريكيين ، ولما الانجليز الى القوات المسلحة لخفض الامريكيين الذين أعلنوا (الاستقلال) في يوليو ١٧٧٦ ، وناشدوا فرنسا تقديم المساعدة لهم ، ولما وصل بنيامين فرانكلين الى باريس يعرض التحالف معها ، ولعل فرنسا وحدتها فرصة للانقسام من الانجليز ، وبالفعل قدمت المساعدات للامريكيين . ولما انتهت حرب الاستقلال الأمريكية اختير فرانكلين لتوقيع الصلح ١٧٨١ مع بريطانيا ، وانتهت المفاوضات بمعاهدة فرساي ١٧٨٣ التى نالت الولايات المتحدة بموجبها الاستقلال .

(٢) للمزيد من المعلومات : محمد فؤاد شكرى ، محمد آيس : أوروبا في العصور الحديثة ، القاهرة ١٩٥٧ ، ص ٣٠٧ ، الموسوعة العربية الميسرة (مجلد واحد) سنة ١٩٦٥ ، ص ١٢٨٢ .

(٢) يقصد لوحته التى قدمها على رأس وفد من الطلبة والمصريين الوطنيين الى المسيو بريسون رئيس مجلس النواب الفرنسي في يولييه ١٨٩٥ .

الغاء الارسالية المصرية بفرنسا *

أراني سعيدا جدا لأن أجيبكم على سؤالكم في هذه المسئلة التي نهم بلدنا كيرا ، فان الارسالية المصرية في فرنسا هي احدى النطامات الكتيرة الفوائد الجلييلة العوائد على مدنية وادى النبل وسعاداته ، فقد أسسها « محمد علي » رأس العائلة الخديوية وصديق فرنسا العظم ، بقصد نعلبم النسببية المصرية وتهذيبها ، وذريعة الى ادخال أصول المدنية الغربية في مصر ، وكانت عبارته عن بعده عدد عظيم من الشبان المصريين من وقت وآخر الى فرنسا (١) .

وقد نخرج من هذه البعنات أكبر من ألف عالم نشروا في مصر أنوار العلوم والمعارف والفنون والصنائع ، فكانوا بذلك عمالا حقيقين للمدنية . وليس بالمستطاع أن آتى لكم بأسماء كل المشاهير الذين نبغوا من هذه الارسالية وأوصلوا بلادنا الى حد من المدنية صارت معه تعد في مصاف الأمم المتمدنة ، ولكن لا أراني مخطئا اذا قلت أن أسماء « علي مبارك باشا » (٢) ، و « علي ابراهيم باشا » (٣) ، و « محمود باشا

(*) ترجمة حديث آخرته صحيفة الاكلار الفرنسية مع مصطفى كامل ساريخ ٩ ستمبر ١٨٩٥ ، بعد ورود تلغراف يفيد الغاء الارسالية المصرية في باريس .

(١) يمكن الرجوع الى حاشية رقم ٢ ص ١٦٢ (مقال مصر والسياسة الفرنسية) .

(٢) علي مبارك (١٨٢٤ - ١٨٩٣) : مؤرخ ووزير مصري ، ولد في قرية برنبال بالدقهلية ، وبعد أن حفظ القرآن الحق بالتعليم المدني ، وتخرج من المهندسخانة ، وأرسل في بعثة الى فرنسا وتقتل بعد عودته في وظائف عدة في الهندسة والتعليم ، الى أن تولى ديوان الاشغال ، وديوان المدارس ، فعمل على تحميل القاهرة وتوسيع التعليم ، وأنشأ الكتبخانة الخديوية ودار العلوم ، لتخريج المعلمين ، والى الخطط التوفيقية وهي تكملة لخطط المقرري ، ورواية علم الدين وهي سلسلة من المسامرات ، محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة سنة ١٩٦٥ ، ص ١٢٣٢ ، أحمد أمين : زعماء الإصلاح في العصر الحديث ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ص ١٨٤ - ٢٠١ .

(٣) علي ابراهيم (١٨٣٦ - ١٨٩٩) : عالم مصري ، ولد بقرية فزارة ناسيوط ، تلقى العلوم العسكرية بمصر وأوفد الى مدرسة متز فرنسا سنة ١٨٤٦ ، ثم عاد ليعمل بالجيش ، واشتغل في مد خطوط سكة الحديد ، فضلا عن أعماله العسكرية ، برزت جهوده في نشر التعليم ، فتولى نظارة المعارف سنة ١٨٧٩ ، وعمل على تأسيس المدارس بإنحاء مصر ، وتولى نظارة العدل سنة ١٨٨٢ ، فسن اللوائح والقوانين ، ثم تولى عن منصبه في أثناء الثورة العربية ، وتفرغ للدراسة والتأليف . (محمد شفيق غربال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة سنة ١٩٦٥ ص ١٢٣٩) .

الفلكي ، (١) و « رفاعه بك » (٢) ، معروفة عندكم بأبها أسماء كبار علماء في مصر ، وكلهم كانوا من أعضاء هذه الارشالية الزاهرة ، الى هدم أركانها اليوم المحتلون .

ولقد وجد الانكليز أمامهم عندما دخلوا مصر ، أمة متنورة منشرة بين جميع طبقاتها مبادئ المدنية الغربية ، فلم يكن لهم بد من إبادة النفوذ الفرنسي توصلا الى استبعادها ، ذلك النفوذ الذي أنال مصر شبيبة متنورة عارفة بما لها وما عليها ، لا تقبل أبدا ترك الغير يسلبها بلادها .

وبناء على ذلك وضع المحتلون أيديهم على بطارح المعارف العمومية ، وعينوا أساندة من الانكليز في أكثر المدارس الأميرية ، بل وأعظم من ذلك أنهم وضعوا على وكالة المعارف أرمينا اسمه (أرني) استعملوه آلة لهم ، والفضل له في نشر اللغة الانكليزية في كل الأرجاء (٣) .

ومع ان الانكليز يدعون في أوروبا أنهم لا يعملون عملا ما في سبيل تقدم لغتهم وانتشارها ، تراهم في مصر على العكس من ذلك عاملين آناء اللبل وأطراف النهار لاحتلال اللغة الانكليزية محل اللغة الفرنسية والبك البرهان :

(١) محمود الفلكي (١٨١٥ - ١٨٨٥) : ولد في بلدة الحصه بالعربية ، والنحى بأحد المدارس سنة ١٨٢٤ بالاسكندرية ، وتخرج من مدرسة الهندسة سنة ١٨٣٩ وعين أسادا مساعدا للعلوم الرياضية بها ونال رتبة ملازم ثان ، تعلم الفرنسية ، وعرب بعض الكتب الفرنسية في الرياضيات ، كما أعين دراسة العلوم الفلكية ، وأوفد الى باريس للتحصيل في الفلك ، ونشر بعض مباحث فلكية ، كما خطط معالم الاسكندرية القديمة ونقّب في حوائرها ، تولى نظارة الاشغال سنة ١٨٨٢ ، ووكيل لوزاره المعارف ١٨٨٢ - ١٨٨٤ ، وتولى رئاسة الجمعية الجغرافية حتى وفاته ١٨٨٥ .

(٢) عبد الرحمن الرامسى : عصر اسماعيل ، الجزء الأول ، القاهرة ١٩٤٨ ص ٢٦٤ - ٢٦٨) .
(٣) رفاعه رافع الطهطاوى (١٨٠١ - ١٨٧٣) شيخ المترجمين المصريين في مطلع النهضة الحديثة ، ولد في طهطا ، وقدم الى القاهرة صغيرا ثم تخرج من الجامع الأزهر ، انهز فرصة تعيينه اما لأول بعثة تعليمية أرسلت الى فرنسا ، فعمل الفرنسية ، وبعد عودته عمل مراحا في المدارس الفنية التي أنشأها محمد علي ، ثم مديرا لمدرسة الترجمة (الألبسن فيما بعد) ، قام بدور هام في تشييد الصحيفة الرسمية (الوقائع المصرية) . تخرج على يده كثير من المترجمين ، والاصناف ، وترجم نفسه كتباً عنه في الجغرافيا والقانون ، والهندسة وغيرها ، كتب وصفا لرحلته الى فرنسا « تلخيص الانريز في تلخيص باريز » ، وشرحا للنظم السياسية والاجتماعية الحديثه ، ومباحث الآلات المصرية في متاحج الآداب المصرية ، الا أن أسلوبه يحمل طابع القرون الوسطى ، الذي تجده عند الجبرتي مثلا .
(محمد شفيق غرنال وآخرون : الموسوعة العربية الميسرة سنة ١٩٦٥ ص ٨٧٣) .

(٣) نذكر الإشارة الى أنه منذ عام ١٨٨٦ أصبحت اداره التعميش تنح وكيل المعارف ، (يعقوب أرني) ، وعمل الانكليز على وضع التعميش تحت وصايتهم ، فعينوا سنة ١٨٩٠ (دوجلاس دتلوب) مفتشا عاما ، والذي اشتهر بسياسه الارهابية ، علاوة على تعيين تولى الأساتذة الانجليز وطاقت التدريس ، وكانت السياسة التي يهدفون اليها هي « المجزأة » يقصد بتحقيق أهدافهم .
ويرى محمد فريد مع تعيينات سنة ١٨٩٠ هذه انتشار اللغة الانكليزية في المدارس الاميرية .
الابتدائية ، حيث الادارة الانكليزية ، ولم يكن ذلك من قبل .
(د. حسن الفقي ، مرجع سابق ، ص ١٢٩ ، د. رؤوف عباس حامد . مرجع سابق ، ص ٩٥) .

١٧٧ اوراق مصطفى كامل -

قال اللورد روبرى فى يوم من العام الماضى على مجمع عام ان الانكليز فى مصر لا يحبون أحدا فى تعلم اللغة الانكليزية ، بل ان المصريين هم الذين يتسابقون من أنفسهم الى تعلمها ، ولكن اتفق أنه فى اليوم التالى لوم مقاله هذا توفى ناظر المدرسة التجهيزية فى درب الجماميز ، وكان مصريا ، فلما علم اللورد روزبرى بذلك أمر الوكالة البريطانية فى مصر أن تطلب من الحكومة المصرية تعين انكليزى مكانه ، فعارضت الحكومة ، ولكنها لم تغلج فى معارضتها ، وتم بعد ذلك تعيين الانكليزى ناظرا لتلك المدرسة ، وهو ما يدل على أن حرائكم الانكليز لا يتركون فرصة تمر دون استعمالها فى نقوبى أركان نفوذكم الذى يعود علينا بالفائدة ، والذي غايته شريفة .

ولقد قلت لك فى أول كلامى أن الانكليز استعملوا فى المعارف كآلة لهم أرمننا شهيرا فى مصر بجالته وكفرانه بالنعمة ، فبعد أن جعل هذا الأرمنى نصف العشرة تلامذة الذين صارت اليهم كمة الارسالة المصرية من الأرمن مواطنيه (١) المنخرطين فى سلك الجمعيات الثورية الأرمنية ألقى اليوم مرة واحدة الارسالة المصرية حتى لا تعود فرنسا الكريمة تهب مصر شبانا ، حريمتهم الوحيدة فى أعين الانكليز انهم مهذبون متعلمون وعلى الخصوص وطنيون ثابتون فى الوطنية .

ولسنا نأسف فقط على فقدان هذه الارسالة بل نكنها ، ونؤمل من صميم قلوبنا فى هذه الساعة المحزنة أن يتحقق تحرير مصر عاجلا لتبعث هذه الارسالة الى الحياة بعد موتها .

ولا تحسبن الغاء الارسالة آخر ما يأتبه الانكليز من سياسة العداء لفرنسا المتبعة من سنة ١٨٨٢ ، بل أعتقد أن العراقيل والصعوبات تقام دائما فى وجه من يتعلمون فى بلادكم ، فلقد أراد أخيرا طالبان من الذين أتموا دروسهم فى مدرسة دار العلوم الحضور الى فرنسا ليكملا فيها معلوماتهما ، فقال لهما وكيل المعارف (أرتبن) بصفة صريحة أنهما يفقدان مستقبليهما اذا توجها الى فرنسا مستندا فى قوله على أن الانكليز يعتبرون كل من تعلم فى فرنسا عدوا لاحتلال .

(١) تذكر صحيفة المؤيد أن أول بعثة سافر فيها مسيو موحيل من مصر بعد تعيينه ناظرا سنة ١٨٨٥ كانت تضم سبعة تلاميذ منهم ثلاثة من الأرمن ، وكلهم ممن دون الثانية عشرة . وكلما لاحظت فرصة قدم الأرمنى على المصرى ، مثال ذلك ما حدث مع ابن صاحب بنك مالى فى الاسكندرية ، أرمى ، فمثل فى الدراسة الابتدائية فى مصر ، فأوفد الى باريس فى البدء على نفقة ، ثم بعدئذ على نفقة الارسالية سنة ١٨٩٣ ، وكان يدعى « زككيان » . وحدث العكس مع المصرى « ابن على بن برهان » الذى لم يكن صاحب بنك، فرفض طلبه بالنقل على مصاريف الحكومة .

وأمراد الارسالية لعام ١٨٩٥ عشرة تقريرا ، بعضهم فى دراسة الحقوق وغيرهم ثمانية باسم (تلامذة السكة الحديد) ، يكتفون ثلاث سنوات يتمنون فى محطات مختلفة .

(المؤيد - يومية - العدد ١٧٤٦ ، ٧ نوفمبر ١٨٩٥) .

وان الأمل على بصدى الانكليز في مصر للنفوذ العرناوى والمحبى فرنسا
لاكر من أن نصر الآن ، ويكفينى أن أضرب لك على ذلك ملا واحدا ، وهو أنه
لما صعد مسيو فيلكس فور الى منصب رئاسة الجمهورية بعث له طلبه الارساله
المصرية في باريس رساله تهنئه نظرا لما هو مشهور عنه ، من أنه من أحياء مصر
العظام ، فتركهم مسيو فيلكس فور عندئذ بدعوتهم الى ريارته في الالبزيه فذهبوا
واستقبلوا اسنقبالا وديا لا يسونه أبدا ، حيث صرح لهم جناحه أن لهم في الالبزيه
محبيا يمكنهم من الاعتماد عليه ، فأجاب الانكليز على هذه المظاهرة برفت مدرس اللغة
العربية في مدرسة اللغات الشرقيه بباريس (١) ، معللين ذلك بأنه كان الامام
للمصريين في زورتهم لمسيو فيلكس فور ، ولولا أن مسيو كوكوردان وزير فرنسا
في مصر تداخل في الأمر لما ألقى أمر رفته الذى صدر مرتين .

وها قد أشيع أخيرا أنهم سرفونه مرة ثالثة ننفذا لفكرة عقابه على كونه ذهب
لرؤية مسيو فيلكس فور !

هذا هو الجواب الذى أجب به الوطنى المصرى على ذلك السؤال ، ولقد كان
من الضرورى كشف النقاب عن مثل هذه الأشياء وإظهارها علنا لأن فرنسا فى حاجة
الى معرفة أصدقاؤها من غيرهم .

(١) هو محمود بك أبو النصر عضو الحزب الوطنى فيما بعد ، وهو من الذين شاركوا مصطفى كامل
ومحمد فريد العمل السياسى ، وكان من أول الذين كتبوا فى جريدتى « التندار احبيشيان ، وذا اجيشيان
استاندر » ، وذلك فى باريس سنة ١٩٠٧ ، وله من المواقف الوطنية ما حمل سلطات الاحتلال على
التمتت معه ، وكان مدرسا للغة العربية بمدرسة اللغات الشرقيه بباريس . (مركز وثائق واريخ مصر
المعاصر : أوراق مصطفى كامل - المراسلات ، ص ٤١ ح ١ .

٢» بعد ارتقاء مسيو فيلكس فور منصب رئاسة الجمهورية الفرنسية فى ١٧ يناير ١٨٩٥ ، ذهب
التلاميذ المصريين لتهنئته يوم ٢ فبراير ١٨٩٥ ، فاعتبرته نظارة المعارف العمومية من قبيل المظاهرات
السياسية ، وكتبت الى ناظر الارسالية « موجيل بك » تسأله عن المثير لهذه المظاهرة ، فأجابها انه حضرة
الشيخ محمود أبو النصر أستاذ العلوم العربية ، فكتبت له برقت الأستاذ وتمييز بدلا منه ، وان كان
قنصل فرنسا تدخل وأوقف هذا القرار ، كما ذكر الطلبة أن موجيل بك هو الذى وعدم ، وأخلف ،
مرأسهم الأستاذ . غير أن بالمر المستشار المالى - بصفته عضوا فى اللجنة المالية للمعارف - قام بالقاء
الارسالية كلية ، جزاء لما افترفه التلاميذ فى فرنسا ، وطلت الصحف تتناول هذا الموضوع .
غير أنه نصر بالصحف فى ٢٥ سبتمبر ١٨٩٥ تكذيب نظارة المعارف لحبر الغاء الارسالية الى فرنسا .
(صحيفة المؤيد « يومية » العدد ١٥٠٦ ، ١٧/٢/١٨٩٥ ، العدد ١٥١٦ ، ٢٨/٢/١٨٩٥ ، العدد
١٥٢٨ ، ١٦/٣/١٨٩٥ ، العدد ١٦٧٩ ، ٢٥/٩/١٨٩٥) .

انكلترا والاسلام ★

لا يوجد أمر سياسى أو اجتماعى ولا أى حاد يسحق اسنلفات أنظار أوروبا
أكبر من حركة الأفكار الاسلامية فى الساعة الحاضرة ، فالمؤمنون كافة منحدر الفكر
لا ينفصلون فى المجتمعات العامة والخاصة الا عن انكلترا والاسلام ، وحرائدنا الافريقية
والآسيوية موافقة للرأى العام لا نمل من اظهار دلائل عداء بريطانيا العظمى للدولة
العلة والخلافه . وكل هذه الامة العظيمة الاسلامة التي لا يعمل عدد مجموعها فى كافة
الافطار عن ملايين مليون من الأنفس أصبحت معتقدة كمال الاعقاد أن انكلترا هى
الخصم الوحيد الأبدى خصم الأمس وخصم اليوم وخصم الغد .

وان انكلترا لم يكشف عنها القناع ولا عن مقاصدها وأغراضها كشفا تاما قبل
حوادث أرمينيا ، ولكن منذ عاملت حكومة جلالة الملكة وجرائد الانكليز الدولة العثمانية
هذه المعاملة العنيفة بسبب أرمينيا أخذ العالم الاسلامى يتنفض ويدرك .

وبرى حركة خواطر المسلمين فى الهند نفسها وهى البقعة الأنكليزية ليست
ناقل منها فى غيرها .

ولقد انفق لى أن قابلت منذ شهرين انكليزيا « متبصرا معتدلا » عالما بكل
ما جريات الأمور فى الهند ترجم لى مقالة ظهرت بتاريخ ٢٥ يونيو الماضى فى جريدة
مدارس الأهلية (شمس الأخبار) تظهر بأجلى بيان كنه حركة الخواطر الاسلامية
المتهبجة ضد انكلترا فى الهند كلها .

فلقد قالت هذه الجريدة بعد أن شرحت دسائس انكلترا فى ارمينيا ما معناه :
« ان الانكليز يحرضون الأرمن فى هذه الأيام ضد نركبا وبوجدون لخليفة المسلمين
كل أنواع الصعوبات والمشاكل غير مفتكرين فى نتائج أعمالهم ، فماذا يبتغون :

(★) هذه ترجمة مقالة كتبها مصطفى كامل مجلة (التوفل رفو) انان الحوادث الأرمينية ، ونشرت
بمدها الصادر ١٥ أكتوبر ١٨٩٥ .
(محمد مسعود : مصر والاحتلال الانكليزى ، ط ١ ١٩١٣ هـ ، ص ٦٧) .

أحرى دينية ؟ ليعلموها لنا حتى نسييل دماؤهم ودمائنا لأننا نفضل رؤية الموت الأحمر دون رؤية يعويض أركان الخلافة ، . فليحكم القراء على بهيج الرأي العام من هذه اللهجة الشديدة .

وليس بالغريب إذا كان مسلمو الأرض جميعاً منهيجين ضده انكلترا ساحطين عليها ، فاننا لسنا متعصبين ولا كارهين لأوروبا ، اننا نعد فوائده المذنبه حق قدرها ونريد أن نسيغ منها ، ولكن لا يستطيع أحد أن ينكر علينا أن انكلترا ندعونا للهيجان كل يوم وإلى الخروج من دائرة هدوئنا وسكينتنا إلى الحدة حتى احتجنا إلى كنوز من الصبر والجلد كيلا نظهر بمظهر العدوان .

الا أن سياسة انكلترا خطيرة عليها ، ومن الصعب بصبر أنها لا ترى ذلك الخطر ، فهل جهل رجال السياسة الانكليزية ما لأمير المؤمنين (١) من التبعوذ المعنوي في العالم الاسلامي ؟

هل جهلوا أن في استطاعة السلطان عبد الحميد أن يعيم كل المسلمين على بريطانيا في مسنعمراتها نفسها ؟ اننا لا نقدم للقراء برهاناً آخر على سلطه الخليفة العظيمة غير ما حصل في حوادث ثورة « سيبي » (٢) الشهيرة التي لم نخمد نارها الا بآمر

(١) يعصه السلطان العثماني .

(٢) حدثت ثورة الهند في أثناء حكم اللورد دالهورى (١٨٤٨ - ١٨٥٦) وحليفه اللورد كانسج (١٨٥٦ - ١٨٦٢) ، وعن أسباب هذه الثورة ما يدكره المؤرخ كس « ان شركة الهند الشرقية البريطانية أجبرت الأهالي على تنفيذ فوائده الشركة التي لم تكن متعة والوضع في البلاد ٠٠ » وقد راد القوس اشمالاً ما أهدم عليه (دالهورى) من اعمال « واجد على شاه » ملك « أود » . وضم بلاده للشركة عام ١٨٥٦ م ، وكذلك الماؤه كثر من الألعاب والمرسات التي كان يتمتع بها بإياها ملوك الولايات التي صمت للشركة من قبل مثل حاكم أركان ، ناسور ، وغيرهما . وأكثر من ذلك كله الانذار الذي وجهه « اللورد كانسج » إلى ملك المول « بهادر شاه » المسمى العاج في ملعته بأنه سيكون آخر ملك يسمح باللعب وسكنى العلة التي ستصير بعده ثكنة للحيش الانجليزى ، وبالطبع فإن الملك - رغم الصعف - كان رمزا للشعب على احلاف طعانه . وقد اجتمع العلماء قبل الثورة وأعدوا قوى ناعلان الجهاد ، ومنها عدد من السادرين ، في الوقت الذي أصدر الهندوس والمسلمين بياناً مشتركاً باختيار الملك المسمى « بهادرشاه » قائداً أعلى للثوار والقيادة العامة لبعض أبنائه مثل ميرزافعل ، وخضر سلطان أما على المدفعية فكان « بخت خان » وكان نعاون الجنود والأهالي معاً . وسجدر الاشارة لقيام جماعة بدبرون لقيام ثورة عامة في الهند سواء مسلمين أو هندوس ، حتى قبل أنهم حددوا ١١ مايو ١٨٥٨ موعداً لها ؛ وكتبوا المنشورات بذلك .

ومن المصادفات العجيبة أن اندلعت ثورة الحود في الثكنات العسكرية في « ميرث » في اليوم الذي ميل عن تحديده لأسباب داخلية تصل ناسهمار الانجليز بمقائد الجنود الهند ، وتسلفهم في المعاملة اد حلوا خراطيش مدونة بلحم الخنزير المحرم عند المسلمين والقمر المحرم عند الهندوس ، وكان على الحند أن يزيلوا ذلك ناسنابهم طبقاً للأوامر ، التي عصوها ، معاملمهم الانجليز بسوء ، وحكموا على ٨٩ منهم بالسجن عشر سنوات وتلقنوا في تعذيبهم ، وقد كانت المحاكمة في ٩ مايو ١٨٥٧ م ، وقال حاكم الهند اللورد كانسج عن ذلك « بلغ هذا الحكم من السفالة مبلغاً لا يوجد له نظير في تاريخ الهند . »

أصدره المرحوم السلطان عبد المجيد (١) لمسلمي الهند يأمرهم فيه بك كل مقاومة ضد حكومة جلالة الملكة فيكتوريا حليفته في القريم (٢) .

ولنذكر القراء أيضا بأن أعظم فشل ناله « عرابي » هو من اعلان جلالة السلطان عبد الحميد عصيانه حيث كان صدور ذلك الاعلان في خامس شهر سبتمبر سنة ١٨٨٢ ، أى قبل حدوث واقعة النيل الكبير بمائتيه أيام .

وفي هذا الاعلان الذى صدر بعصيان عرابي سمي جلالة السلطان انكلترا الصديقية الماثمة للحكومة العثمانية ، فكان ذلك من أكبر أسباب تنبيط همم كل الجنود الثائرة .

وها قد زال اليوم عن السياسة الانكليزية غشاؤها فأصبحت بريطانيا لا تملق الدولة العلية ، ولا تدعى انها صديقة السكان تلك الدعوى العتفة بل أخذت بجاهر بالعداء ضده ورجال سياستها يحرضون الأرمن ويشجعونهم على العصيان علنا ، ويحرضون المسلمين ويهيجونهم ثم ينادون بالتعصب !! .

=وبذلك اضطربت نار الثورة في اليوم التالي ووثب الجيود على رؤسائهم الانجليز في معسكر ميرت ومنها وحفوا الى العاصمة دلهي في صباح ١١ مايو ، وانهم الجنرال « كراو » القائد الانكليزي بها ثم فر جنوده . واشتعلت الثورة في المناطق الأخرى ، ففي البنغال قامت على يد « مكل نادى » . وفي ٢٢ مارس ١٨٥٧ في منطقة « دمد » ثم قامت بعد ذلك في « لكو » في « نويو » ، وكانيبور في ١٤ مايو ، اذ قام نانا صاحب المراهات بالثورة ، بيد أنه هرب بعد فشله . وقد أعمل الهنود القتل والسلب والنهب في بيوت الانجليز ، الذين هجروا الذخيرة التي في حوزتهم خوفا من اسيلاه الهنود عليها .

ونتج عن ثورة سبائى صم الهند سنة ١٨٥٨ الى التاج البريطانى ، واعتبرت بريطانيا المسلمين في الهند أكثر خطرا اذ تراوهم ذكريات الحكم العربى ، علاوة على عزومهم عن الثقافة الانكليزية .

ويرى الدكتور عبد المنعم النمر أن أسباب الفشل في انضمام السيج للانجليز في البنجاب ووف ملوك حيدر آباد مع الانجليز ضد الملوك المسلمين ، ثم تدفق الجنود الانجليز من الخارج والذين كانوا بمحض الصدفة ذاهبين الى الصين للقيام بمناورات هناك ، علاوة على تفرق الهنود مثل « ميرزا الهى بخش » صهر الملك وغيره ممن كانوا يتولون أعمالا هامة ، والبعض كانوا حوثة وجواسيس ، كما وزع الانجليز باسم الملك عشقورا ، في كثير من البلاد وقت قيام الثورة يضمن وعدا للمسلمين خاصة أنه بعد الانتصار ستوزع عليهم وحدهم الاقطاعات الواسعة ، وكان لذلك أثره المشين في بث روح الفتنه ، التي استغلوها في اشاعة الرعب بعد ذلك بين الهنود الوطنيين توطيدا لوجودهم . وللمزيد من المعلومات حول هذا الموضوع يمكن الرجوع الى : د / سميح بحر . الأقطاعات في الحياة السياسية المصرية ، القاهرة ١٩٧٩ ، ص ٤٢ ، د / عبد المنعم النمر : تاريخ الاسلام في الهند ، القاهرة ١٩٥٩ ، ص ٣٦٩ - ٤٥٨ .

ماكولى ، توماس باينجتون : مرجع سابق ؛ ص ١٣ .

(١) السلطان عبد المجيد : ١٨٢٣ - ١٨٦١ ، بولى الحكم من ١٨٣٩ - ١٨٦١ ، جابه في بداية حكمه انتصار الجيش المصرى في نزيب ١٨٣٩ ، وتسليم الاسطول التركى ، نشبت في عهده حرب العرم ١٨٥٣ - ١٨٥٦ ، وأيدت كل من انجلترا وفرنسا تركيا ضد روسيا ، أدخل اصلاحات كثيرة ، لكنها لم تعم طويلا . محمد شفيق غربال : الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١١٨٤ .

(٢) يقصد القرم .

والمستر غلادسنون الذى لا يعنيه الآن أن يدافع عن حزبه ولا يكلف نفسه كلمة واحدة فى هذا الشأن نراه يدافع عن الأرمن بغيره نادرة المثال (١) ، وهو مع ذلك يتجاسر على الادعاء بأنه لا يقصد غير الدفاع عن الانسانية وأن ليس لديه انحياز يدفعه ضد الأتراك ، ولكى يفتش على الأبصار يقول أنه لو سدى المسيحيون على المسلمين لدافع عن هؤلاء ضد المعتدين عليهم .

ليت شعري لماذا لم نر هذا الرجل الحر والحطيب صاحب الشجاعة والاحساس يحقق أقواله الجميلة ؟ فما هم البلغاريون يذبحون المسلمين على الحدود التركية ويأبون بفطائع أنبتها التيمس نفسه . فما بال المستر غلادسنون لا يدافع عن المسلمين كما دافع عن الأرمن (٢) .

وانى أتساءل ماذا يعتكر الآن المستر غلادسنون وأجباؤه فى أمر المدايح التى اقترعتها أيدي الأرمن فى عاصمه السلطنة الصمائية نفسها . أفى استطاعهم أن يدعوا بأن الصدفة (لا شيء غير الصدفة) هى التى أهدت الأرمن راية وأسلحة انكليزية ؟

ألا أن حزب الانكليز وعصبيهم ضد المسلمين أمر لا يستطيع أحد انكاره ، وقد أثبتته حوادث عديدة ، وليس العداوة فى هذه الحوادث يهف عنده حله تشجيع الأرمن ضد الباب العالى فقط ، بل أيضا هو حاصل فى نهيج وبحريش المسلمين أنفسهم .

وان للانكليز فى مصر كما لهم فى غيرها من البلاد جرائم ينفذونها أجرة على مطاعنها فى السلطان والمسلمين بأشد لهجة ، وهى مع ذلك تسمى دائما المسلمين « بالمتعصبين » ، وهى عمل يأتية المسلمون ولو كان دعوة للواجبات والآداب يعتبره الانكليز عنوانا على التعصب .

ولقد أرادوا أخيرا أن يلغوا بنهمة التعصب جريدة المؤيد - التى هى الجريدة الأهلية الصادرة بالقاهرة - ويطردوا مديرها « الشيخ على يوسف » ، ذلك الرجل المحبوب من المصريين كافة ومن الأوروبيين غير الانكليز (٣) .

(١) كان جلادسون رعيم الأحرار باحلترا يلقى الخطب الرنانة ويؤلف الرسائل المطولة ناسبا الى تركيا اصطهاد المسيحيين مشيرا الى السلطان عيد الحميد بقوله « الشيطان وعدو المسيح » . ولعلنا نلاحظ أن تلك التهمة جاءت عند رد تركيا على تمرد وثورة الأرمن ، ولم تكن من قبل .

د . / محمد محمد حسين . الاتحاضات الوطنية فى الأدب المعاصر ، ج ١ القاهرة ١٩٦٢ ، ص ٢ .
(٢) جاءت تلك الأقوال وتنوعت ، منهم من نسب بهمة الحريش الى الروسية ، ومنهم من ذهب الى انحلترا ، مثال ذلك ما ذكره عن أن المسندسات التى وجدت مع الثائرين الأرمن ، هى نفس المسندسات التى يستعملها البوليس الانجليزى فى انحلترا ، وكان دافع انحلترا إبعاد الأبطال عن المسألة المصرية .
د . محمود نجيب أبو الليل : مرجع سابق ، ص ١٥٧ .

(٣) وافضح هنا حسن العلاقة بينه وبين الشيخ على يوسف فى هذه الفترة .

فأى ذنب افتقره المؤيد حتى يصبح الغاؤه ؟ افتقر ذنب أرسناد الجرائد الانكليزية الى الصواب ومنعه اياها - بما له من التأثير والنفوذ العظيمين بين الأهلين - من أحداث هيجان أو اضطراب .

ولقد أحدث الانكليز في جده معركة (١) جرح فيها قناصل انكليزا والروسيا وفرنسا . ولا يجهل أحد في الشرق أن هذه المعركة دبرها الانكليز ليسيروا في

(١) أعطت حرب العرم قناصل بريطانيا وفرنسا نفوذا ومكانة كبيرة أثارت حسد المواطنين الأراكان الذين كرهوا القناصل الأجانب الذين كانوا يفضحون أحوالهم وسرفاتهم ، وفي مطلع شهر يونيو ١٨٥٨ حدث نزاع حول ملكية السفينة (إيراني erance) لفرانساج Pag - القنصل البريطاني - انها ملك اثنتين من الرعايا البريطانيين ، غير أن ذلك لم يصبه حركات عنيفة رغم تحريك مشاعر أهالي جده ، ولكن حدث في ١٥ يونيو ١٨٥٨ أن سحب اثنا من اليونانيين من ميناء جده الى السفينة البريطانية (سيكلوس Syclops) الراسية في الميناء ، وألقوا قضاها في تعرض المسيحيين في جده للابادة كبيرة قتل فيها عدد من المسيحيين ، قدر بحوالي ٢١ شخصا كان من بينهم (ايفيلارد Eveillard) القنصل الفرنسي في جدة .

وقد اضطرت القبطان وصول الولا العثماني (نامق بك) من مكة الى جده ، فوصل في ٢٠ يونيو ، وكان مقروضا أن يرسل المشتبه فيهم الى الأستانة ، غير أنه وجد من بينهم أحد المقرين اليه ، مما جعله يعدل عن تنفيذ فكره ، بحجة أن مشكلة السفينة « إيراني » هي التي أثارت أهل جدة .

وبذكر رواية أخرى أن أسباب هياج سكان جده كان على أثر شائعة وطء القنصل البريطاني بعدمه العلم العثماني الذي كان نأخذ البواخر الراسية بالميناء ، فعند ذلك اهابة لمرمى الاسلام فعملوه وقلوا معه القنصل الفرنسي وبعض الأتراك ، ونهوا دورهم ، فما كان من بريطانيا الا أن أرسلت الى جده بعض قطع أسطولها تهديدا ووعيدا ، وضربها بالقنابل ولم تقم القلعة البحرية اذاعها بشيء من الدفاع نظرا لقدم مدافعها .

وبنت تسوية هذه المسألة الخطيرة من الدولة العثمانية بعزل عدة أشخاص من أهل جده ، وقد ذكر أن (لبريجادير وليم كوجلان) المقيم السياسي البريطاني في عدن حصل على قائمة بأسماء المشركين في تلك الحركة ومنهم ، القائمقام إبراهيم أغا - الشيخ باجفر رئيس التحار الذي قاد الهجوم على مقر شركة توماس سافا Thomas Sava and Comp وهي تحت الحماية البريطانية ، عبد الله المحتسب من موظفي الإدارة العثمانية في جده وهو أصلا من صعيد مصر ، وقاد الهجوم على القنصلية البريطانية ، سالم سلطان واحد من تجار جدة ، وكان ضمن القتل عبد الله المحتسب السابق ذكره ، سعيد العامودي ، علاوة على اثني عشر شخصا من عامة القوم .

وقد طلب الباب العالي من والي مصر التوجه على رأس قوة مصرية من ٤٩٤ جنديا لتوطيد الأمن ، فبعثت على عدد من الأبرياء ، وكانت الحكومة البريطانية قد أصدرت تعليماتها للبطان بولين Pullen قائد السفينة سيكلوس ، لينجيه من السويس الى جدة لتسلم المسئولين عن المرد والتهديد بضرب جدة بالمدافع ، ووصلت هذه السفينة في ٢٣ يوليو ١٨٥٨ وأندرت تسليمهم المتهمين في خلال ٣٦ ساعة ، وبعد مرور ٢٤ ساعة بدأ نصف المدينة بالمدفعية لمدة ١٠ أيام حتى ٤ يوليو سنة ١٨٥٨ ، وقت عوده الحجاج ، مما أدى الى فرار الأهالي والسكان . ثم أفلح بولين بعد الحصول على ترخيصات كاملة . على أن الحكومة الفرنسية وقلت هي الأخرى تدافع عن رعاياها في جده ، ولم تكتف بما تم بل سارعت الى تشكيل لجنة على مستوى عال للتحقيق في الموضوع ، وخاصة فيما يتعلق بمسلك « نامق باشا » وعمره ، مما أدى الى عزل القائمقام ، على أن بريطانيا رفضت تأييد فرنسا في مطالبتها بتوقيف « نامق باشا » وأصاب رعاياها =

الروسيا وفرنسا عواطف السخط على تركيا ولجملوا هابن الدوليين على زياده
التداخل في المسئلة الأرمينية (١) . لانه يلزم أن يكون الاسنان سادجا جدا حتى
يظن أن الوفاق بين معركه حده ويدخل الدول اللاب في مسئلة أرمينيا أوجدته
يد الصدفة .

وان كل دسائس الانكلتر ضد الدولة العلية عليها اليوم المسلمون جميعا في
أنحاء الأرض وأصبح . جميعهم على الدوله الانكليزية سديدا ، ولكن هلا يجب أن
نساله بلقاء هذه الحالة أي حطة بخارها الروسيا وفرنسا ؟ أبينان حطة انكلترا
وبعلنان الحرب على الاسلام " كلا ان هذا المسحيل .

ان الشرقيين عموما يوافيهم على طسي بأن دولس كروسيا وفرنسا بدل
ماضيها وحاضرها على عدم تحزيبها ضدنا وعلى منلها لنا لا تعيران سياستهما
التقلبية حيث نخدمان بالنبات عليها صالحهما وصالح السلام العام .

فيجب عليهما إذن أن لا يحدو حدو انكلترا . وان سياسيين ماهرين كمسيو
هانوتو ومسيو لوبانوف (٢) لا يكمها أبدا ترك هذه الفرصة بضيع دون أن يقويا
احرام بلادها ويعودها في الشرق . وانه يكفى العمل ضد انكلترا لسكين خواطر
المسلمين ونيل ثقتهم .

فعلى فرنسا والروسيا اجراء الاصلاحات بالسلم والوداد مع التركية والسعي
لتحرير مصر - التي لا يقهر المسلمون أبدا أمرا احلالها - وترك انكلترا ملاقي
وحدها نتائج سياستها العدائية للاسلام .

الا ان الفرصة جميلة لا يصح اعقالها حيب انتهازها واجب لبعقق السلام
العام الا لانكلترا .

= من أصرار . وانتهى التحقيق في أول يناير ١٨٥٩ مؤكدا أن الثورة ضد المسيحيين في جنة بعد حادث
سطو وسرقة ليس له علامة بالنواحي الدينية . عند العدوس الأصاوي . تاريخ مدينة حنة ، جنة ١٩٦٣
ص ص ٧٥ ، ٧٦ ، ٧٧ / د فاروق عثمان أباطة عدن والسياسة البريطانية في البحر الأحمر ، القاهرة
١٩٧٦ ، ص ص ٢٩٠ - ٢٩٣ .

(١) عاش الأرمن ضمن رعايا الدولة العثمانية حتى منتصف القرن التاسع عشر وطبقا للقواعد
المتروك بها من السلطان مند عام ١٨٦٢ فقد ظل الممثل الرسمي لهم هو الطريك . الا أنه بعد ذلك
انتقلت السلطة الى المجالس المليية والعلمانية المنتجة من المجلس التمثيل المؤلف من ١٤٠ عضوا ، حيث عهد
السلطان عبد الحميد الى المخلصين منهم بوظائف هامة . وبعد حرب ١٨٧٧ - ١٨٧٨ تطلعت روسيا الى
مصادمة الأرمن والسلاف مضايقة لتركيا فاثارتهم لنوال استقلالهم عن الاتراك ، كما اثارتهم للقيام بعدة
مظاهرات من شأنها اضطراب الأمن ونالفت جميعية ثورية في علبس وعدة عواصم أوربيه لماصرة الأمن .
وقد اختارت تلك الجمعيات مسرحا لعملياتها البلاد التي يكثر فيها الاتراك ويقل عدد الأرمن ، ومن ثم
فانلت تركيا هذه العمليات بالمثل ، مما دفع دول أوربا للتدخل سنة ١٨٩٥ .

(٢) اسكندر سعيد عمون - الاسيايات الأحسية والعمليات التركية ، القاهرة ، ١٩٥٠ ، ص ٢٧ .
(٢) لوبانوف : Lopanof اسندت اليه ادارة الشؤون الخرجية البريطانية في الخارجية الروسية .

تحالف يتحتم *

(السلطان وأوروبا) *

لقد مضى جلالته السلطان في الشهر الماضي على مشروع الإصلاحات الأرمنية (١) طائفاً أنه يضع بذلك حداً للاضطرابات التي نقيمتها انكلترا في مملكته ، وأنه لتحقيق

(*) نشرت هذه المقالة بمجلة « التوفيل ريميو » وهي من المجلات الفرنسية الشهيرة ، بتاريخ ١٥ نوفمبر ١٨٩٥ .

(١) جاءت الإصلاحات بعد أن ثارت المسألة الأرمنية بثورة الأرمن على النظام التركي الخاص به ، وظهرت أحداث دامية أدت إلى تدخل الدول الثلاث فرنسا وروسيا وإنجلترا وحاولت التوصل مع تركيا إلى إصلاحات من شأنها إسكات ثورتهم .

وبعد مراسلات بين سفراء الدول الثلاث في ٢١ أكتوبر ١٨٩٥ مع الباب العالي صدرت الإصلاحات وكان الباب العالي قد صدق عليها في ١٧ أكتوبر ١٨٩٥ . أما مشروع الإصلاح فهو بمثابة إعادة للفوانين التي كانت موجودة ويريد عليها تعيين معتمد عثمانى سام وهو شاكرباشا ، واسحب مفتحي بك ناعوم وكيللا له ، وأن يكون لتراجمة سفراء الدول الثلاث حق مخاطبة رئيس لجنة المراجعة . أما نص لائحة الإصلاحات الأرمنية فتحتوي على ١٦ فصلاً ، ٣٢ مادة ، والحقت بتعديل . ونورد فيما يلي أهم البود التي وردت ولها تأثير مباشر :

الفصل الأول : الولايات والمصرفيات (مادة ١ ، ٢) :

مادة (١) يعين لكل ولاية معاون غير مسلم ويساعد معاون في أعمال الولاية العمومية .

مادة (٢) إذا كان المتصرف في الصناعات والأراضي مسلمين يعين لهم معاونون مسيحيون متى كان عدد الأهالي المسيحيين بالغاً حد الكثرة المسوغة لذلك .

الفصل الثاني . العائقيميون (مادة ٣ ، ٤) :

مادة (٣) ينتخب وزير الداخلية بصرف النظر عن ديانتهم من الحائزين لشهادة المدرسة الملكية ويعين بموجب إرادة سلطانية .

مادة (٤) يستمر الموظفون بدون شهادة طمعا للكمأة وإذا كان عدد المسلمين الحائزين للشهادات غير كاف يعين الذين يكونون في الحكومة بدون شهادة إن كان كثرة الوظائف القاقمية .

الفصل الثالث : في نسبة المسيحيين في الوظائف العمومية :

مادة (٥) : يعين في الوظائف الإدارية المسلمون وغير المسلمين من رعايا الدولة بنسبة عدد الأهالي من غير المسلمين في مصلحة البوليس والجندرية .

الفصل الرابع : في مجالس الصناعات والأراضي (مادة ٦) :

الفصل الخامس : في ترتيب التواشي (مادة ٧ - ١٢) .

بالشكر على سماعه بصائح فرنسا والروسيا بقاية الحكمة اذ ان قراره على الاصلاحات الارمينية دعت اليه الحوادث ، وكان ضروريا لنجفين السكينة والطمانينة ، ويود اليوم

= مادة (٨) يعوم بإداره كل ناحية مدير ومجلس مؤلف من أربعة أعضاء ويتحدون من الأهالي وحدا المجلس مؤلف من أربعة ينتخب من أعضائه المدير أو الوكيل ويكون المدير من أكثرية أهل الناحية والوكيل من العريق الآخر ويعين للمجلس كاتب .
ماده (٩) اذا كان سكان الناحية من طائفة واحدة انتخب أعضاء المجلس منهم ، واذا كانوا من طوائف كان للطائفة الأقل أعضاء بالنسبة الى عددهم بشرط ألا يكونوا أهل من ٢٥ بيتا .
مادة (١٢) لا يجوز انتخاب مديري المجالس المحلية من أئمة الدين ولا من القسوس ولا أساندة المدارس ولا موظفي الحكومة .
المصل السادس : قري النواحي (من ١٣ - ١٦) :
ماده (١٥) يمن مختار لكل قرية نايبة للناحية واذا وجدت حملة حوار يسكنها الأهالي على اختلاف الطوائف عين مختار لكل حارة ولكل طائفة .
ماده (١٦) لا يجوز أن تكون قرية تابعة لمديري في آن واحد .
المصل السابع : في العدلية (مادة ١٧ - ١٩) .
مادة (١٩) يعين المفتشون القضائيون بحيث لا يكون عددهم أقل من ستة ويكون لصفهم من المسلمين ٥٠٠ ويكون المفتش بمعونة اثنين من المفتش أحدهما مسلم والآخر غير مسلم .
المصل الثامن : في اليوليس (مادة ٢٠ ، ٢١) :
مادة (٢٠) : تكون من رعاية الدولة العلية المسلمين ومن غير المسلمين نسبة عدد سكان الولاية .
المصل التاسع : في الجندرية (مادة ٢٢ ، ٢٣) :
ماده (٢٢) يؤخذ ضباط الجندرية وعساكرها من رعاية السلطنة المسلمين وغير المسلمين بتسبة عدد كل منهما .

المصل العاشر : في عساكر الرديف (مادة ٢٤) .
المصل الحادي عشر : في السجون والتخفيق الابتدائي (مادة ٢٥ - ٢٨) .
المصل الثاني عشر : مرسا الجندي .
المصل الثالث عشر : في حجج المعارف (مادة ٢٩) :
تشكل لجان لمراجعة الحجج في سادر كل ولاية وصيحي مؤلف كل لجنة من أربعة أعضاء نصفهم في الأشغال العمومية بالنقد أو بصلة عن .
المصل الرابع عشر : في جباية الأموال (مادة ٣٠) .
المصل الخامس عشر : في العشور (مادة ٣١) :

يلقى الالتزام الاجمالي وتحصل كل قرية مكوسها باسم سكانها والغيت السخرة ، ويصير دفع الاجر في الأشغال العمومية بالنقد أو بصلة عن .
المصل السابع عشر : في لجنة المراقبة الدائمة في الاستامة (مادة ٣٢) .
تشكل لجنة مراقبة مستديمة في الباب العالي تحت رئاسة موظف عال من المسلمين ويكون نصف أعضائها من المسلمين والنصف الآخر من غير المسلمين العثمانيين ، حيث يفوض لها النظر في الفساد الاصلاحات بالضبط ويكون لتراحمه سفراء الدول حق عرض النصائح والبلافات والاحبار التي يكتفون بها من قبل سفرائهم فيما يرون لزومه لاتخاذ هذه الاصلاحات المدونة في هذا الاتفاق ، ومتى اتفق الباب العالي والسفارات على أن هذه اللجنة أدت مأموريتها انقضت .
ومد الحق بهذه اللائحة ذيل تضمن ما يأتي :

الرأى العام الذى أبعثته منذ أشهر المظاهرات الأرمنية أن يرى السكوت سائدا فى تركيا ، وانا نود ونمنى ذلك كله ، ولكننا لا نطن امكان نفعه . لا لأن تركيا بغى شيئا آخر غير السكينة ، ولكن لأنه يظهر أن انكلترا غير راغبة فى الكف عن تشجيع المهيجين على القلاقل والمورات .

ولقد ظهرت الآن مشروعات بريطانيا العظمى ووضح سر سياستها فى الشرق : فما دامت مشكلة مصر قائمة ، وما دام الباب العالى لا يتنازل لانكلترا عن حقوقه فى وادى النيل بدوم القلاقل وكندر مشكلة الأرمن صنفو السلام ، ولا يمضى زمن يسير حتى تخلق مسائل أخرى .

وليس القصد من كل الدسائس البريطانية والطرف المقوتة التى يستعملها المهيجون الانكليز والخطوة التى انبعتها الجرائد الانكليزية الا الخط من معام الحضرة السلطانية والخفض من كرامتها وبغريز العالم الاسلامى بأن انكلترا تسير الحوادث فى أوروبا كما يشاء هواها . ويؤمل الانكليز من اضطهاد جلالة السلطان اكرامه على الاعتراف رسميا باحتلال مصر ، أو على الأقل ايهال مسئلتها مدة من السنين فى زوايا النسيان ، وهذه المسئلة الحيوية التى يطالب مسلمو الأرض كلها بحلها .

ويتساءل الكل هل أفلحت السياسة الانكليزية فى أحد الأمرين ؟ واذا لم تكن أفلحت فهل فى امكانها أن تفعل ؟

أما الجواب على الأمر الأول وهو اكرام الحضرة السلطانية على الاعتراف رسميا باحتلال مصر ، فمستحيل فلاح الانكليز فيه ، لأن جلالة السلطان عبده الحميد ينكر على نفسه صفته أميراً للمؤمنين اذا اعترف لانكلترا بالبقاء فى مصر ولو بصفة نظرية ، لأن مصر هى مركز الاسلام ومفتاح مكة والمدينة ، وما اعطاء مصر لانكلترا الا اعطاء السلطة الاسلامية الدينية والدنيوية الى الملكة فيكتوريا ، وبذلك لا يكون السلطان خليفة للمسلمين ويمضى بيده على فرار ضياع حقوقه .

١ - يعين الباب العالى موظفا جديرا بالرعاية من كل وجه ، ويلعب هذا الموظف بالمدحوب العالى للنظر فى تنفيذ الإصلاحات ومباشرة اجرائها واذا عاب هذا المدحوب العالى أو طهر عدم كفاءته عين حلاله السلطان موظفا بديلا له مسلما أيضا ، وعلى كل حال يكون فى مميته معاون غير مسلم .

٢ - بما أن جلالة السلطان المعظم منح فى ٢٣ يوليو ١٨٩٥ الأرمن الدين اتهموا بذنوب سياسية والدين صدرت عليهم أحكام بسببها عوا ، ينفذ هذا القفو أيضا على الدين حبسوا قبل هذا التاريخ ولا يرالون مسجونين ما لم تثبت عليهم مخالفة هذا القانون .

٣ - يؤذن للأرمن الذين طردوا أو هاجروا من أوطانهم أو الذين يكونون قد هاجروا الى البلاد الأجنبية بالعودة الى أوطانهم متى أقتوتوا تبعيتهم للدولة العلية ، ومتى ثبت حسن سلوكهم .

٤ - تعدد المادى المسطورة فى كل قضاء يكثُر فيه عدد غير المسلمين يعرفه .

للمريد من المعلومات يرجع الى المؤيد ع ١٧١٥ ، ٦ نوفمبر ١٨٩٥ .

وأما حمل السلطان على افعال أمر مصر حينما من الرمن فميسر لانكلترا اذا لم يبرهن الروسيا وفرنسا للحكومة العثمانية على رغبتهما المشتركة في المحافظة على حقوقها في وادي النيل .

ولقد رأينا أن انكلترا تسعى على الخصوص لأن يبرهن للعالم الاسلامي بأنها المنتصرة الفادرة في أوروبا . ويحزننا أن نقول أنها كادت تنجح في هذا القصد (١) ، اذ أن نصف المسلمين يظنون اليوم أن في أوروبا نصبا ضد الاسلام ، ويطن النصف الآخر أن انكلترا تمل رغباتها ليس لألمانيا والنمسا وإيطاليا فقط ، بل أيضا لفرنسا والروسيا اللتين يعلم عنهما أن مصالحهما مناقضة كل المناقضة لمصالح بريطانيا ، وكشف لا يظن المسلمون أن انكلترا هي الدولة الأمرة في أوروبا ، أو أن النصرانية كلها متمصبة ضد الاسلام ، عندما يرون أمورا كالتى رأوها أخيرا في تركيا .

رأوا هناك الأرمن ملطخين بدماء جرائم عديدة ، رأوا الأرمن متزيين بزى المسلمين وغالبا ترى العلماء ليظن أن المسلمين هم المعتدون ، وآوهم يجتزمون كل الفطائع ويقتربون ذنوب المذابح التى يقدمون عليها متمسحين بأسلحة انكليزية ، رأوهم هناك يبدرون بدور البغضاء والموت فى كل أنحاء المملكة ، ثم ينالون جزاء على سمائتهم هذه تعظيها وتشجيبا ، حتى أن الروسيا وفرنسا اضطرتا الى المداخلة فى امثالتهم ذلك الجزاء .

وبدهى أنه كان من الصعب على الدولتين الحبيبتين أن تعملتا غير ما عملتا . ولكن الثلاثمائة مليون من المسلمين لا يمكنهم ادراك أسرار السياسة ولا يحكمون على الأشياء الا بظواهرها .

وانا نعلم حق العلم نحن الذين نعلمنا فى فرنسا أن ليس فى أوروبا تعصب ضد الاسلام ، وليس لانكلترا أقل يد على فرنسا والروسيا ، ونعتقد كل الاعتقاد أن هاتين الدولتين تداخلتا فى المسئلة الأرمنية لا كعدوتين بل كصديقتين ، تداخلتا لكيلا

(١) تبلور ذلك فى أحد أشكاله بالمفاوضات الانجليزية الإيطالية ابتداء من فبراير ١٨٨٧ ، اللتان اتفقتا سرا بخصوص الرغبة فى الاحتفاظ بالوضع القائم فى البحر المتوسط ، وتأييد إنجلترا فى مصر . ثم انضمت النمسا والمجر الى الاتفاقية فى ٢٤ مارس ١٨٨٧ ، ووجدت أنها مرتبطة بأهداف ألمانيا التى ترمى الى عزل فرنسا وإبطال مقول روسيا رغم عدم التوقيع على اتفاق ، وتحد اتفاق القسطنطينية ٢٩ أكتوبر ١٨٨٨ الخاص بحرية الملاحة فى القناة لبريطانيا ، وفى عام ١٨٩٠ اسفل بنافسها الى فارس حيث عرصب المساعدة المالية على حكومة الشاه لتمتع الروس من الحصول على المكاسب الاقتصادية ، وفى ٦ مايو ١٨٩١ تحدثت معاهدة التحالف الثلاثية ، وأشارت إيطاليا الى اتفاقيات البحر المتوسط ، غير أن بريطانيا قامت بإعطاء ضربة أومعت بها السياسة الفرنسية فى الهند الصينية ، وهذا يبرهن على عظم النفوذ البريطانى ، ومحاولة الهيمنة أو الاتفاق مع عالمية دول أوروبا ، ورغم أن العزلة الروسية دفعتها للتحالف مع فرنسا فى ١٨ أغسطس ١٨٩٢ الا أن العهد البريطانى العالمى كان أعمق .

للمزيد من المعلومات ، انظر : بيير روفان : مرجع سابق ، ص ٥٩٦ - ٦٢١ .

تتركنا تركيا معرضة وحدها لهجمات انكلترا ، ولكن لسنا الا عددا قليلا ومن الأسف أن المجموع نحكم بعكس حكمنا .

ولذا فإنا في هذه الساعة نرى أنفسنا أمام سلطنة عثمانية ضعيفة وأمم اسلامية قليلة الثقة في فرنسا والروسيا الدولتين الأكبر احتياجا الى زيادة احترامهما ونفوذهما في الشرق ، واطرادا لخطنها بعد هذا النجاح ، نرى انكلترا تقلب الأمور وتشجع المجرمين على الجرائم وتبذر بذور الشقاق في قلوب المؤمنين ضد أوروبا كلها ، وسفر هاوية عميقة بين الاسلام والنصرانية لصالحها الخاص ، لا لشيء آخر غير مصالحها .

وعلى ذلك فمادا يلزم لعدم نجاح انكلترا في نواياها وفشلها ذلك الفشل الذي يكون عنوان السلام في العالم ؟ الجواب على ذلك هو أن يختار الباب العالي بكل صراحة الحطة التي تأمره بها رغبة المحافظة على ملكه .

ولقد أتبعنا تركيا من عام ١٨٧٧ الى الآن سياسة ضارة بها ، سياسة عزلة وانفراد جعلتها في كل الحوادث آلة في يد انكلترا (١) . وتاريخها في هذه النمانية عشر عاما الأخيرة يشهد خطرها هذه السياسة .

فلقد اختلست منها انكلترا في عام ١٨٧٨ وقب اجتماع مؤتمر برلين جزيرة

(١) اتخذت السياسة التركية منذ عام ١٨٧٧ سياسة عزلة صارها بها ، حملها آلة في يد انكلترا ، مثل نفع الاتراك ثورة أهل الوسنة والهرسك إذ أعلن العيص الروسي في ١١ نوفمبر ١٨٧٦ ، تصميمه على استخدام السلاح اذا لم تقرر الدول التدخل بقوة لدى الحكومة العثمانية وبعد فشل مؤتمر المسططينية في ديسمبر ١٨٧٦ في مشروع العمل الجماعي ان انفتحت النمسا والمجر مع روسيا لابعاد تدخل انكلترا واعلنت روسيا الحرب في ٢٤ ابريل ١٨٧٧ وتقدمت القوات صوب القسطنطينية فخاضت بريطانيا ذات المصالح من تقدمها ، فاندت روسيا وعقدت الهدنة في ٣١ يناير ١٨٧٨ ، وفي ١٥ فبراير ١٨٧٨ قررت الحكومة الانجليزية أن تدخل أسطولا الى بحر مرمرة لطباعة السلطان العثماني ، وبعد أن تحقق المعاوض مع روسيا ، وفي مايو ١٨٧٨ عرضت الحكومة الانجليزية على الحكومة العثمانية تحالفا دفاعيا لحماية تركيا الآسيوية بشرط أن يضع السلطان تحت تصرفها قاعدة بحرية ، ووافق السلطان حيث كان في حاجة الى قرض مالي ، فوضعت قبرص تحت الادارة المؤقتة البريطانية مافاق ٤ يونيو ١٨٧٨ ، وعلى الجانب الآخر كانت السياسة الالمانية ترمي الى تقسيم الاملاك العثمانية .

وكان الاقتراح البريطاني الفرنسي لمرل الحديو اسماعيل ووافق عليه السلطان في يونيو ١٨٧٩ ، وكانت الحماية الفرنسية على تونس في مايو ١٨٨١ ، التي كانت تحت السيادة العثمانية ، ثم ما كان من دور انكلترا في تصفية الثورة العرابية سنة ١٨٨٢ ، وأخذ النفوذ البريطاني يتسحق في مصر بعد ذلك ، وهكذا نجد أن الدولة العثمانية ذاتها لم تكن من العوة نتيجة الصراعات الداخلية والتكتلات الأوروبية التي اهتمت بمصالحها ، الأمر الذي كان عاملا هاما ، في سيطرة النفوذ البريطاني الى حد ما - على السياسة التركية .

للزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى : بيير روفان ، مرجع سابق ، ص ص ٥٤٧ - ٥٥٤ .
د. شوقي الجمل : تاريخ كشف إفريقيا واستعمارها ص ص ٤٨٣ - ٦٢٧ .

فبرص مقابل وعدها لها بالمساعدة في الحالة التي يسعى فيها روسيا لامتلاك بعض
أراض في آسيا .

وبعد ذلك بعامين حدث حادث (دولسينيو) (١) التي ظهرت فيه انكلترا بمظهر
العدو للدود للدولة العلية ، فلقد كانت تشجع فرنسا على أن تطلب من أوروبا عقد
مؤتمر لسلب (دولسينيو) من التركية وتدعوها الى عمل مظاهرة بحرية ، وفضلا
عن ذلك فانها كانت تعد روسيا بالاتفاق معها على محاربة تركيا اذا لم تتنازل هذه
عن (دولسينيو) وانكلترا التي كانت تتظاهر عام ١٨٧٨ بالدولة الغيرة على استقلال
الدولة العثمانية ظهرت عام ١٨٨٠ بمظهر دولة تسعى الى تقسيم تركيا ، فلم تترك
فرصة تمر دون أن تتعدى بأشد وطأة على العثمانية ، ولما تغرت الوزارة التركية في
١٢ سبتمبر عام ١٨٨٠ وتولى سعيد باشا منصة الأحكام فان اللورد غرانفيل قبل
أن يعرف رأى الصدر الأعظم الجديد في مسئلة (دولسينيو) - التي كما يعلم كان
يطلب اعطاؤها الى مونتيجرو - دعا دول أوروبا الى عمل مظاهرة بحرية تحت قيادة
القائد الانكليزي سيمور .

ولقد تأثر كثيرا وقتئذ سياسيو العثمانية من هذه الحطة العدائية ولكنهم
بالأسف نسوها بعد ذلك بقليل حين ظهور المسئلة المصرية في عالم الوجود ، تلك
المسئلة التي أطاعت فيها تركيا انكلترا اطاعة الصبي لولى أمره وسببت بطاعتها هذه
احتلال الانكليز لبلادنا .

وفي الواقع فان الدسائس الانكليزية نجحت تماما في تركيا عامي ١٨٨١ و ١٨٨٢ ،
فما تظاهر عرابي بمظاهراته الحربية التي كان القصد منها عزل الوزارة المصرية في
سبتمبر ١٨٨١ حتى شجعت انكلترا الباب العالي على اقتهاز هذه الفرصة لنوال سلطة
فعلة على مصر . وما رأى الانكليز فلاح سياستهم في الاستانة وسماح نصائحهم
حتى زادوا منها وغرروا بالتركية ، اذ منوها بالوصول الى محور امتيازات عائلة
« محمد علي » وإعادة وادي النيل الى ولاية تركية بتشجيعها عرابي والحزب الوطني ،
ولم تكتف وقتئذ وزارة لندن بتشجيع الباب العالي على تعضيد عرابي ، بل أوجت
الى الجرائد أن تساعدها على ذلك . فرائيناها حين ذاك تسبب أوروبا أن الطريقة الوحيدة
لايقاف تيار القلاقل في مصر هي نداخل تركيا في الأمر .

(١) دارت الحرب بين الروس والأتراك عام ١٨٧٧ وكانت سحالا بين الفريقين تقدم فيها الروس أول
الأمر ، ثم تغلب عليهم الأتراك ، ثم عاد الروس فاتجزعوا كثيرا من المواقع الحصينة من أيديهم آخرها
Dulcigno امتلك بعدها الاسطول الروس زمام البحر الأسود وهددوا القسطنطينية
ما حال انكلترا فارسلت بعض قطع أسطولها لحماية الأتراك في الوقت الذي كان التصب تسرب الى
الروس برا وبحرا ، وانتهز الروس فرصة طلب السلطان عبد الحميد الهدنة فوالفوا واحتج مندوبو
الدولتين فوراً وأبرموا معاهدة سان استفانو في ٣ مارس ١٨٧٨ دون الرجوع الى دول أوروبا .
د أحمد عبد الرحيم مصطفى ، كامل جرجس : أوروبا المعاصرة ، القاهرة ١٩٥٠ ص ٧٢ ، ٧٣ .

وقد دفع الباب العالي هذه الدفعة في غير طريق الهدى أرسل الى القاهرة لجنة تحقيق مركبة من أحمد أسعد أفندي وقدرى أفندي اللذين لم تكن مأمورينهما في الحقيقة الا أن يحققا لعرايى عضده الخليفة ، الأمر الذى دفع بعرايى الى الأمام وحمله على الظن بأنه النائب الحقيقى عن الخليفة في مصر . ولذا كان يرى في كل مظاهراته مدافعا غيوراً عن حقوق جلالته السلطان .

وما نال عرايى ثقة المصريين الا بمدافعتة عن تركيا وبظاهرة بالولاء لها .

ولم تغفل انكلترا وقتئذ عن تشجيع الباب العالي على تعضيد عرايى ، ولكي تزيد نداخله في الأمر أمرت وزارة لوندرة وكيلها في مصر « السبر ادوار ماليت » أن يطلب من الحديوى أن يرجو تركيا في ارسال مندوب عال ، وبالفعل كان ذلك ، ووصل درويش باشا الى القاهرة في ٧ يونيو سنة ١٨٨٢ (١) وبعد وصوله بأربعة أيام حدثت مذبحة الاسكندرية ، وبما أن الانكليز شعروا حينئذ بأن الحوادث داعية الى تشجيع عرايى زيادة عن ذى قبل ، حمل اللورد دوفرين الباب العالي على الانعام على عرايى بالنيشان العثماني ، ذلك الانعام الذى صارت بعده الحوادث كما يشاء الانكليز ، فلقد ضربت الاسكندرية في ١١ يوليو وغرر الانكليز بالباب العالي مرة أخرى ، فرفض الانضمام الى مجتمع الاستانة الدولى بحجة انضمامه اليه يعد انكاراً لحقوق سيادته على مصر . وأخبرنا لما كلفته الدول رسمياً في ١٥ يوليو عام ١٨٨٢

(١) أحاب السلطان الحديوى على رساله بعد ثوره الصباط أنه سيعت له للتحقيق ، وعن مصطفى درويش باشا مضمداً سامياً عثمانياً ، وعهد اليه برياسة الوفد لمعالجة الأمور في مصر ، وفكره السلطان أن مثل هذا الاجراء يفسى عن عقد مؤتمر دولى للنظر في المسألة المصرية ، وان ذلك يحول دون تدخل انكلترا ، وتوهمت أن عدم اشراكها في مؤتمر الدول يحول دون اتخاذ قرار سنان مصر ، والواقع أن الوفد كان بمثابة المظاهرة للاعلان عن استمرارية سعة السيادة العثمانية في ألومب الذى نواجذت فيه بوارح الاسطولين الفرنسى والانجليزى . ووصل درويش باشا في ٧ يونيو ١٨٨٢ واضمح نية تحرش الانجليز ، وخطة الوفد المتظاهر لكلا الفريقين العرايى والحديوى في الوقت الذى ازداد موقفه سخفاً ، واقضاح عزه عن معالجة الموقف ، حيث وقعت مذبحة الاسكندرية في ١١ يونيو ١٨٨٢ ، فكانت اعلاناً واضحاً عن اخفاق مهمة المندوب العثماني ، الذى حضر ضرب الاسكندرية في ١١ يوليو ، ثم اعلم الى الاسكندرية في ١٩ يوليو ١٨٨٢ .

أما المذبحة فقد وقعت في الثانية بعد ظهر يوم الأحد ١١ يوليو ، بحركة مدبرة نتيجة شجار وقع بين أحد المايليين المقيمين في مصر وأحد الوطنيين حيث طعن الأول الثاني مما أفضى الى موته ، وذلك بسبب مطالته اياه بأجرة ركوبه الحمار ، وعلى أثر ذلك تجمع الاحاب في الاسكندرية وبدأوا في اطلاق البيران لتبدأ مذبحة الاسكندرية .

والمستوليه العامة في الحوادث تبع على عاقب السياسة البريطانية والفرنسية التي تحرشت بمصر بارسال الاسطولين ثم بحريص فحصل انكلترا في الفجر للرعايا البريطانيين بالإضافة الى أن أول من أشعل الفتنة كان أحد خدام القنصل البريطانى ، ولا يمكن أن يكون هذا من قبيل المصادفات . عند الرحمن الرافعي : الثورة العربية والاحتلال البريطانى ، القاهرة : ١٩٦٦ ص ٣٢٣ ، ٣٢٤ ، ٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣٤٥ .

أن يحتل مصر قبل الانضمام الى المجتمع الدولي عوضا عن قبول هذا التوكيل الصريح . وبعد قبول تركيا الانضمام الى المجتمع بأيام قبلت التوكيل وطلبت جلاء العسكر الانكليز الذين احتلوا بعض الاراضي المصرية عقب ضرب الاسكندرية ، ولما كانت انكلترا اذ ذاك في آخر فصل من الرواية لم ترفض صريحا الجلاء ، ولكنها عرضت على الباب العالي وضع اتفاقية حربية . وعلى ذلك انفضى كل سهر أعسطنس في المخابرات واجابة لطلب انكلترا أعلن جلالة السلطان في ٥ سبتمبر عصيان عرابي . ولم يكن بن الانعام عليه بالنيشان وأعلن عصيانه الا سهران !! .

وبعد سائبة أيام من اعلان عصيان عرابي انهزم هو وجنوده في وافته النل الكبير ، وفي ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ دخل الانكليز العاصمة ، وبعدها بثلاثة أيام اخبر اللورد دوفرين الباب العالي أن لا حاجة هناك لارسال جنود تركية في مصر ، وانتهت على هذا الشكل هذه الرواية المضحكة المسكية بفهفهة صحك الانكليز أى الذين أداروا سبائر فصولها .

وبعد هذه الرواية المحزنة لعبت انكلترا رواية أخرى محزنة أيضا : رواية السودان ، فلفقه انتهزت فرصة هيجانه (١) المتشجع عليه احتلال الانكليز مصر ، وطلب اللورد كرومر (وكان اذ ذاك السير اعلان بارنج) من الحكومة المصرية فصله عنها ورفض حقوقها عليه ، الأمر الذي حمل شريف باسا على تفضيل الاستعفاء عن الرضى بقبول مثل هذا الطلب ، ولكن نوبار الارمنى رضى بما لم يرض به سلفه وفصل مصر عن السودان المصري ، فرائنا عندئذ الفصول الأخيرة من الرواية . انهزام الجنرال هيكنس باشا وفشل شاكر باسا في طوكر وضياح سبكات وطوكر وشنلى واستيلاء غردون باشا على الخرطوم وانتصار الجنرال « ستوار » فى أبى قاعة وموت غردون وتتمة لكل ذلك استيلاء الطلبان على مصوع اتباعا لارشادات الانكليز . وبذلك تعدت انكلترا أعظم تعد على حقوق جلالة السلطان بعد أن خدعت تركيا بكل مهارة واحتلت مصر .

ولقد استعمل الانكليز دائما القوة العلمية سلاحا لأغراضهم ضد صواحها نفسها ، ففي عام ١٨٨٥ ، لما اشتد الخلاف بين انكلترا والروسيا بسبب الأفغانستان أرسل اللورد سالسبورى الى الأستانة السير درومندولف بحجة الاتفاق مع الباب العالي بشأن مسئلة مصر . ولم يكن سر مهمته الا التظاهر بذلك والتأثير على تركيا تأتبرا حسنا ينال منه التقرب منها فى الحالة التى تشتعل فيها نيران الحرب بين انكلترا والروسيا ، ولكن لما سوى الخلاف فى لندن ١٠ سبتمبر سنة ١٨٨٥ بترك (ميروسحاق) (وذو الفقار) الى الأفغانستان وأخذ روسيا « البندجية » لم تكن هناك حاجة للتقرب من تركيا وشعر بذلك سياسو لندن وسبان بطرسبورغ كما شعر

(١) يصد الثورة المهدية .

به سياسو الأسبانية ، ومع ذلك فلم يترك السير درومندوولف الأسبانية واسنمر يخبر طاهريا مع النية السابتة في عدم الاتفاق على شيء ما ، ولقد سافر الى القاهرة مع مندوب عثماني بعد افامته في الأستانة ، وقضى كل عام ١٨٨٦ يتخبر مع مخار باشا ثم عاد فجأة الى لندره وترك مخار باشا وحده وهو لا يزال الآن في مصر متمحبا من سلوك السير درومندوولف ومن ماجريات الأشياء ، واذا دعت وزارنا باريس والأسبانية وزارة لندن الى تفسير كل هذه الأمور عاد السير وولف الى الأستانة ومع اتفاقيته المشهورة (١) التي كانت قاضية القضاء المبرم على مصر ، وكاد يمتضى عليها حلالة السلطان . والفضل في عدم امضاء السلطان عليها عائد الى فرنسا والروسبا اللتين عارضتا حين ذاك أشبه المعارضة ، واذا لم تفلح الاتفاقية عاد السير درومندوولف الى لندن مبرقا لها .

ولم يحدث بعد ذلك مخابرات بشأن مصر الا في عام ١٨٩٠ وفي هذه المرة رفض

(١) كانت بعثة السير درومندوولف Sir Henry Drummondwolff تهدف الى عقد اتفاقية بشأن جلاء البحير عن العطر المصري ، ولكن وولف عقد مع الباب العالي اتفاقية في ٢٤ أكتوبر ١٨٨٥ ، ٢٢ مايو ١٨٨٧ على أساس أن إنجلترا لا يسعها أن يترك مصر والسودان تها للعوى حسبما رأى هو ذلك ، فكانت الاتفاقية بمثابة اعتراف من الباب العالي باستمرار الاحتلال الانجليزي لمصر ، واداموا لا يطمئنون الى استقرارها وقيام حكومة ترعى شئونها ، ولم يقلل من قيمة هابي الاتفاقية أن الباب العالي رفض أن يصادق عليها ، وبعد ذلك بدأت إنجلترا تعمل على استرداد السودان ، وأخذت الدول الأخرى تنشط في عملية اقتطاع أجزاء منه ومنذ يوليو ١٨٨١ نحد الاطماع الإيطالية في مصوع رغم احتجاحت مصر بأن حقوق السيادة العثمانية على جميع الساحل الغربي للبحر الأحمر .

وطور الأمر بعد اتفاقات انجليزية ايطالية أثمرت عن تعاون ونسطة حركات المقاومة من الدراويش والأقباش مضيقا انصارات ، وعلى ما يبدو أن مصادر تسليحها كانت فرنسية وروسية .

غير أنه كان هناك دلائل على معارضة بين الفرنسيين والأقباش ، أسفرت عن انعاز الفرنسيين بأن تجهز الفرنسيين حملة تزحف من مراكزهم في السودان الغربي صوب السودان الأوسط ، لترفع العلم الثلث الألوان على ضفاف النيل الأبيض ، بينما يزحف الأقباش بدورهم من الشرق حتى يعابلوا مع الفرنسيين في فاشودة ، ومن ثم يعمل الفريقان على توطيد سلطانهما في جميع ربوع السودان والعضاء على حقوق السيادة المصرية في تلك الأصابع ، وفي مواجهة بريطانيا التي أحلت نوطه نفوذها منذ اتفاقية السير درومندوولف تترك فرنسا حثا التدخل ، إذ تحدها بعد أن وقعت بريطانيا اتفاقية مع الكونغو البلجيكي في ١٤ مايو ١٨٩٤ تنازلت لها بمقتضاها عن الأراضي التي توجد على النيل الأبيض من بحيرة البرت حتى فاشودة وكانت هذه ضمن أراضي السيادة المصرية ؛ وقد سمعت فرنسا معذرت اتفاقية هي الأخرى مع ولاية الكونغو في ١٤ أغسطس ١٨٩٤ نالت بمقتضاها منطقة نفوذ تصل الى مشارف بحر الغزال وتشمل جزءا مما تنازلت عنه إنجلترا ، وأعدت العدة لارسال حملتها الى النيل الأعلى . ولمسه وصل الى علم مصطفى كامل أثناء تلك الاتفاقيات التي تضر بالسيادة المصرية العثمانية في السودان لكنه استمع فرنسا لما يمكنه من عاطفة لها ؛ متوهما أنها لن تضحي بمصر في سبيل اطماعها وكان الأحدر فرنسا أن تتحرك في الاتجاه المضاد .

للمزيد من المعلومات : د. محمد فؤاد شكرى : مصر والسيادة على السودان ، القاهرة ١٩٤٦ ، ص ٦٠ - ٦٤ .

اللورد سالسبورى صراحة بعدد بعض مناقشات تحديد أجل الانجلاء فغابت تركيا بذلك مرة فوق الحار الأخرى .

واذ لم يسر الانكلبر من عدم اسبيلاتهم على مصر بما عاكسب انكلترا الدولة العلية فى كل حجة بعد رفض اعافية السبر دورمندولف .

ففى يونيه عام ١٨٨٩ ذهب الى جزيرة كريد انكليزى ذو دسائس اسمه (ستيلمان) أحد مكاتبى جريدة التمس ، وأهاج سكان كريد ضده الباب العالى ، واعدا اياهم مساعده انكلترا ، وفى ١٦ يوليو من السنة نفسها قال اللورد سالسبورى فى خطاب القاء فى وليمة بلندن أن فصل كريد عن الدولة التركية من الأمور الجائز وفوعها ، فأحدثت أقواله نايرها المرغوب ، وحدت معارك عديدة بين المسلمين والمسيحيين ، ولولا أن المشير ساكر باشا جاء معيدا للسكينة بنشاطه وهمته لاستمر الهيجان زمانا طويلا .

وبعد كريد أهاج الانكليز اليمن (١) ، فان لهم فيها صديقا لا يخالف لهم أمرا اسمه محمد بن حميد الدين ، وهو رئيس قبيلة من العرب وله نفوذ عظيم ، وما أوحى

(١) حرص الاتراك على بقائهم فى اليمن ، ففى ذلك تميز لقايم بالحجاز علاوة على الجزء الجنوبى من ممتلكاتهم ، ولذا اتعوا سياسة الحكم المركزى فى ادارته شئون هذه الولاية حتى يحكموا قضيتهم غير أن تلك السياسة اصطلمت بطبيعة الشعب اليمنى القبلية ، علاوة على ضعف الدولة العثمانية وعدم القدرة على تنفيذ سياستها فى تلك الأراضى الحلية الوعرة . وفى ذلك الوقت بدأت المساوىء المثيرة للناظر من حائف الولاة العثمانيين ، من ذلك ما يرويه المؤرخ اليمنى د الواسعى « عن اشتداد الظلم واستحلال المحرمات ، وترك ما أمر الله به من الواجبات وارتكاب المعاصى مثل شرب الخمر ، وبلغ سوء الادارة الى الاعتداء على الحريم فى بعض الأحيان ونهب المنازل ولا مبالاة الموظفين العثمانيين .. ولا يمكن انكار الخلاف اللهى بين اليمنيين الزيديين والعثمانيين السنيين والتعاضد هؤلاء الى القوانين ومحرر أحكام القرية ، فكان ذلك مدعاة لاستقلال الأئمة الزيديين ، وقيادتهم للثورة ضد الاتراك .

واذا كان الحديث عن الثورة والأحداث الكبرى التى حرت باليمن ١٨٩٠ - ١٨٩٢ فانه علاوة على ما سبق هناك حقائق لا يمكن تجاهلها :

الأولى : لم تكن ثورة اليمن عملا مفاجئا للدولة العثمانية ، فقد حدث أن نشب نزاع بين حاكم ذمار الركى محمد رشدى باشا وبين أحد رؤساء القبائل اليمنية بالقرب من هذه المدينة سبب الضرائب .
الثانية : كانت حكومة اليمن العثمانية تدفع إعانات مالية لبعض السلاطين والمشايخ تعضن الولاء ، ومثل ذلك فعلت بريطانيا والتى لم يكن هدفها معروفا لدى الاتراك ، وإن كان مرجحا تأمين قوافلها التجارية من عدن الى بقية أجزاء اليمن من عدوان القبائل أو على الأقل مهادنة تلك المنطقة .

الثالثة : وجد بعض الولاة العثمانيين المصلحين أمثال عثمان نورى باشا الذى تولى الحكم سنة ١٨٩٠ وسع الرشوة الأمر الذى أحدث تأمرا عليه وبالنسبة عزله مما أساء اليمنيين وخلفه اسماعيل حلى باشا ، وكأما العوامل قد جاءت معا ، ففى الوقت نفسه توفى الامام الزيدى الهادى شرف الدين فى مدينة صنعاء وتولى من بعده الامام المنصور بن يحيى حميد الدين . وينبغ أن القبائل اليمنية التى بايعت المنصور بالامامة ١٨٩٠ قد توسعوا فى دعوته الفرج مما حل بهم خاصة وأنه تعرض من قبل للاضطهاد واعتزل فى عهد الوالى مصطفى عاصم باشا ، مع زمرة من العلماء .

له الانكليز بالهيجان حتى هاج وصار العصيان في بلاد اليمن عاما ، ولم يحمد ناره الا في عام ١٨٩١ ، ومن ذلك العهد صارت الاضطرابات في اليمن ثانوية كما هي في كريد .

وفي ابان ثورة اليمن هذه بدل الانكليز جهدهم في الاستيلاء مرة على ساطي . « وو » الكائن على منبع نهر « ساء العرب » ومرة أخرى على حذيرة « سبجري » بالقرب من « متلين » .

ولما لم نفلح مساعيهم في كريد واليمن أعلنوا من عهد بعيد مسئلة أرمينيا ، فمن عام ١٨٨٩ ، استغلت الدسائس الانكليزية في آسيا الصغرى والسوم نراها عانا ، ولقد كبرت المسائل الارمنية التي لم تبلغ من العمر الا ست سنين ، ومنشؤوها تكبرونها بمهارة خاصة بهم ، فلا يغفلون آونة عن المهكم على الدولة العلية وسبها بمناسنة هذه المسئلة ولا تقصرون لحظة عن أن يطهروا لدولنا عداهم لها .

★★★

يظهر اذن جليا أن كل حوادث هذه النماية عشر عاما من تاريخ تركيا تعارض

دع الإمام المصور الى صعد فاحسب به العلماء والأعيان وبايوة تم وصح بده على ما كان قد جمعه شرف الدين ليت المال استعدادا لبدء الحرب مع العثمانيين ، واسفل الى حل الاصنوم في عام ١٨٩٠ ومنه أحد يرسل رحاله وأساعه الى جميع الجهات لث الدعوة ودعوه القبايل الى حرب الأتراك . وعندما علم السلطان عبد الحميد رأى أن يتبع الأسلوب الدبلوماسي فكتب الى الإمام يدعوه للكف على ارامة الدماء ويرهه ويفريه براس شهرى ومرنة عظيمة . غير أن الصائل اتجهت الى محاصرة صنعاء في ١٨٩١ بعد أن سيطرت على حصون طعر حجه ، مسور ، الشرف ، بريم ، ذمار ، حفاش ، ملخان ، الروضة وعمرها ، وهرم الأتراك في بلاد الشرق بل قبل فائد الحامة المركبة ويدعى محمد عارف ، وكان لذلك اثره في نفوس الأتراك .

وفي محاولة للإصلاح أوفد السلطان أحد رجال الدولة هو « نامق بك » سنة ١٨٩٢ . غير أن ربارنه اسبب وأعادت الدولة العثمانية لفس العرش معة أخرى من أربعة عشر رجلا للوقوف على أسباب الثورة ، غير أن شيئا لم يأت بنتيجة أفضل ، بل ان الوالى التركى أحمد فيفى ناشا ازداد فى الطلم ، الى أن تم حصار صنعاء وفشلت القوات التركية فى أول الأمر فى رفعه ، الى أن تمكن أحمد فيفى من احلاء الثائرين وانهاى الثورة عام ١٨٩٢ .

وتحدر الإشارة الى أن الكاتب الانكليزى هاريس Harris زار اليمن فى أثناء الثورة عام ١٨٩٢ ومضى عليه وعلى خدمه وألمى بهم فى السجن وعدم الاتراك حواسيس رغم حوارات السعر وأطلق سراحه بعد مرضه الشديد بالحمى ورأيهم التخلص منه حيا . ويروى هاريس أن عددا من الأتراك أكد له أن الحكومة البريطانية فى عدن كانت تمد النوار اليمنيين بالأسلحة والمساعدات لمحاربتهم ، وبالطبع فى محاولة منه للدفاع أوضح أن الأسلحة كانت تهرب الى اليمن من أبوك - المياء العرسى المواجه لسواحل اليمن بواسطة التجار والمغامرين .

للزيد . أحمد حسن شرف الدين : اليمن عبر التاريخ ، القاهرة ١٩٦٤ ، ص ٢٦٥ .
السيد مصطفى سالم : تكوين اليمن الحديث ١٩٠٧ - ١٩٤٨ ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٣٤ - ٥٦
فاروق عثمان أناطة : الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨ ، القاهرة ١٩٧٥ ، ص ١٢٩ - ١٤٢ .

خسد سياسته العزله وبعبارة أصبح سياسة الانصياع لانكلترا . وأنها الى الابد مغفونه
هذه السياسة الضارة .

وان الحالة الحالية للدوله العليه ندعو جلاله السلطان الى الدخول فى اتحاد
يكون له منه فوه وفائدة . فلكى ينجو من نسيبهم ملكه الساعية اليه انكلترا يجب أن
يدخل فى الاتحاد الثلاثى أو فى الاتحاد العرساوى الروسى ، ولا يوجد سلك ما فى
أمر الاختيار .

وليس هناك لأمانيا والنمسا مصالح متحدة مع مصالح التركيه وإيطاليا ، بهدى
هدى انكلترا ونهتد دائما أبدا الباب العالى بالاستيلاء على طرابلس كما استولى
على مصوع وكسلا .

أما فرنسا والروسيا فصوالحهما فى كل مكان فاضية بالمحافظة على حقوق
جلالة السلطان وليس لهما صالح مناقص لصوالح تركيا ، ولهما مع القسم الأعظم
من المسلمين علائق دائمية ومحاجتان الى البقاء الى الابد فى سلام مع العالم الاسلامى .

ولا يوجد على الأرض مسلم واحد يستطيع انكار هذه الحقائق ، ولكننا ربما
اعترض بعض الناس بنية سليمة على اتحاد تركيا مع فرنسا والروسيا بأن هذه
لدولة الأخيرة كانت فى أزمة كبرى عدوة للدولة العثمانية ، فأحيب على ههنا
الاعتراض : نعم حاربت الروسيا تركيا ، وكانت عدوة لها ولكنها كانت عدوة صريحة
ظاهرة معلنة عداها وانتهت عداوتها بالامضاء على المعاهدة المعروفة انهاء الحرب .
راكن انكلترا التى يجب أن يبالف النحال ضدها كانت دائما عدوة فى زى صديقة
فكانت أدنى الأعداء الى الدولة وأشداهم خطرا عليها ، من غير أن تقسم سلاحا فى
وجهنا وقهرتنا كنرا بالمكر والدسائس ، أما الروس فلم يجرحونا الا فى برار .

وفضلا عن ذلك فان الروس والترك لهم أن يشسبكوا من انكلترا خصمهم
المشتركة ، فان من صالحها أن تراهما فى شقاق ، ولفائدتها فى الهند وفى آسيا
الصغرى دفعتهما دائما ضد بعضهما . واذا أدركوا اليوم أعمالها المظرة المحزنة
فليتحدوا ضدها .

فلنكن اذا ذوى صراحة الصماثر ولنجب صوب السرائر ولنبذل كن قوانا
لنحقق التحالف مع الدولتين الحبيبتين فان بحالفا كهذا يكون أقوى التحالفات وينتج
عنه تحرير مصر وبهضة تركيا ، وأخيرا الاتقاء الأبدى بين المسلمين والمسيحيين .

فليمد جلاله السلطان يده الى فرنسا والروسيا ، ولنحقق هذا التحالف .
فانه اذا تحقق كان ضمانه عظمى للسلام العام . ويرضى به ولا شك تمام الرضى
مسلمو الأرض الذين فلبت انكلترا أحوالهم وأصبحوا فى أسد الحاجة للطمأنينة
والسلام .

حديث لجريدة الجولوا ★

سأل المراسل مصطفى كامل :

- ١ - هل في فدرية مصر اذا رحل عنها الاحلال أن ندير شؤونها بنمساها كما بديرها الأجانب الآن ؟
- ٢ - وما هي الضمانة التي نقدمها مصر للدائنين محافظة على ديونهم اذا انجلى الائتلاف عنها ؟
- ٣ - وما هي طرق الاصلاح التي يريد المصريون سلوكها اذا سلمت اليهم مقاليد الأمور ؟

وكانت اجابته كالآتي :

« انك سألتنى أولا عن أمر أدهشني كثيرا لأنك تعرف سبلي أنه يكفى لاستنفامه الاعمال في أى بلد أن يكون مديرو دفتها مخلصين لها حاملين لرؤوس اسفست من موارد العلم الصحيح وهذا هو الحال في مصر ، فان ما غرسنه فرنسا من بذور العلم في بلادنا سواء بواسطة أسانذتها الذين نوظفوا في مدارسنا أو بواسطة مدارسها التي علمت ارسالياننا السنوية العديدة قد أخرج رجالا يعدون الآن بالآلاف وفيهم القابونى والمهندسين والحكيم والصيقل فضلا عن الكيريين من ضباط الألوكان الحرب الذين تعلموا تعليميا كبيرا عالما سواء في أوروبا أو في مصر .

وانى أؤكد لك أن الاحلال وغلطاته عامتنا كيف يصلح ما أفسده الدهر علينا ، ويكفى أن تقرأ تاريخ دى فوجانى وغبره ممن كتبوا عن مصر الحديثة لعرف كيف أن في مصر جيوشا من الرؤوس العامرة والقلوب الوطنية الحكيمة المخلصة ونحكم معى بأن مصر قادرة في كل وقت أن تحكم نفسها .

(١) حديث صحفى لمصطفى كامل أجريه مع كل من صحفى الجولوا والمترال الفرنسيين ، (على بهى كامل / مصطفى كامل ٣٤ ريبما ، ج ٣ من ٢٣٤ - ٢٣٧) .

وانما يا جناب المحرر اذا كنا سسيمييت بأوروبا لتجبر انكلترا على نهيى
وعودها وعهودها فما ذلك الا لاننا نخاف كثيرا أن ينقرض مع هذا الاحتلال الجليل
الذى تعلم تعليمنا صحيحا فى مدارسكم ، أو على أيدي معلميك ، ولا نجه من يقوم
مفاهم من الدين يتعلمون اليوم تعليمنا انكليزيا .

وانى أؤكد لك مرة أخرى أن الانكليز فى مصر ليسوا الا هادمين لبنيناكم الادبى
مدمرين كل حصن علمى مطلقين كل نور يسعين به المصريون على كشف مساوئهم .

أما السؤال الثانى وهو الضمانه التى يقدمها مصر للمدائنين اذا رحل الانكليز
من ديارنا فهى أكبر من الضمانه التى يقدمها الانكليز اليوم لانهم ألغوا المرافقه
السنائيه ليتمكنوا من الصرف كيفما ساءت أهواءهم ، وآثارهم بأموال البلاد (١) .

أما نحن فنقبل كل مراقبة دولية على ديون مصر ، والجره الذى يخصها من
ميراثية البلاد ، ويكفى فى ذلك وضع البعه بأعضاء صيدونى الدين الذين يملكون
المدائنين أحسن تمثيل (٢) .

(١) انجبت الأدهان فى أثناء النزاع الذى نشب بين الوزارة والمندوبين من جهة والمندوبين والوزراء من
جهة أخرى ، وظهور السور العومى فى الثورة العرابية الى إلغاء نظام الرقابة واستبداله بنظام آخر .
ولما حضر اللورد دوفرين الى مصر ، قدم الى حكومه اقتراحا بإلغاء المراقبة السنائية والاكفاء بمراتب
انجليزى ، وملا قبل هذا الاقتراح والعت هذه الرقابة بأمر عال فى ١٨ يناير ١٨٨٣ على الرغم من
معارضة مرسا وعبي السير اوكلند كولفن مستشارا ماليا للحكومة المصرية . على أن يخص بالاشراف
على المصالح المالية بوجه عام ، ويكون له نفس الاحصاصات التى كانت للمراقبين وله حق حضور
جلسات مجلس النظار . وبذلك أصبح الرقابة المالية تحت المود الانجليزى ، وبم المود دومين
الادارة المالية على هذا الأساس . ولا ريب أنه لم تلغ الرقابة الاحسية بالغاء الرقابة السنائية ، وانما
استبدلت برقابة مربية على أن يعوم بها الحكومة الانجليزية فى شخص المستشار المالى الذى أصبح فى
نطاق عمله ما كان للمراقبين مما من احصاصات ، وقد تحلست انجلترا من فرنسا بهذا الإلغاء الذى
كان تعارض فيه لأنه يحرمها - بطبيعة الحال - من حق الاشراف مع انجلترا فى الاشراف الفعلى على
شئون البلاد ، سيما رأت انجلترا أن سائر لنفسها بهذا ، والواقع أن وجود هذه الرقابة يعد الاحتلال
لم يكن له ما يبرره حيث أن هذا الوجود لم يكن فى الحقيقة الا استمرارا لحكم حملة السندات الذى بدأ
فى سنة ١٨٧٦ ، ولكن مع هذا العارق الجوهرى وهو أن نظام الرقابة لم يكن ماليا فحسب بل احد
شكلا سياسيا .

ولرى قول « السير شاول ولكى » وكيل وزارة الخارجية ساعا فى مجلس العموم سنة ١٨٨٣
« انه كانت ثمة مرافعان ثنائيان الأولى التى أشاعها اللورد دري وساليسورى والثانية التى حمل
عليها خطباء الأحرار حملة شعواء وفيها حرمت الحكومة حق عزل المراقبين وفيها تعلل التدخل الأحمى .
(أحمد صادق موسى : مرجع سابق ط ١ ، ص ١٥٠ - ١٥٣) .

(٢) امتصت الحكومة الانجليزية عن تعيين مندوب لها فى صندوق الدين ولم يكن فيه الكفاية
لصمان مصالح الدائنين على حين رصيت فرنسا وكان مندوبها دى بلنبر
واشارت النمسا فون كرمر Kermer وإيطاليا السور نارافلى Baravelli
وحاررت انجلترا أن من الواجب وضع نسويه أخرى والواقع كانت ترمى الى وضع نظام يمكنها من =

وأما طرق الإصلاح التي نعوم بها متى سلمت اليها الاحوال فهي لا يخرج عن طرق الإصلاح في أية مملكة رافيه فيسر العلم بأسهل الطرق ونوفد البعثات الى أوروبا ، ونعزز الصناعة والتجارة بما نشهد به أثر الزراعة ، وكذلك نضع حد لفوضى العواين التي أصبحت خليطاً من نظريات عميقه لا تصلح لأحقر أهمه في الوجود . . . الى غير ذلك من الإصلاحات التي تكون رسل خير من العباد ومن البواعث على خدمه الانسانية . .

« ان(*) العالم كله معوق على أن الافصل لكل قطعة من الأرض أن تكون مملكه فويه في دابها عوصاً عن جبرئتها الى جماعه مما لك صثيله صعيقة كذلك الحال في الدوله العلية فابها دوله فويه يسهاده العدو والصديق ولكن اليد السياسية الدوليه التي لا يسنريخ لها بال الا بمساغبات دولنا المنصورة تغش بعض سكانها من المسيحيين وتدفعهم الى مناوأة حكومتهم وسلطانهم باسم الاستقلال الموهوم فيشأ عن ذلك ارافة الدماء وخطف الأرواح .

وهذه اليد هي يد انكليزيه قامت لسعل أوروبا عن مسئله مصر ، فحرك بك الجماعة التي طلت من حيب طمع في ملك كبير وسلطان عظيم .

واني لا أشك في أن العالم كله سيفف على حقيقه السياسة الانكليزيه التي لا يخرج تاريخها في كل أطواره عن الدسائس ونصب الاشرار لكل الدوله على السواء وكيف لا وهي السياسة التي نجد الشرف في كل حيلة بها فصل الى نيل بغيتها ولو احمر وجه البسيطة من دماء البشر لملك بيها واحدا .

وانه يدهشنا كثيرا موافقة الدول لانكلترا في كل عمل يريد القيام به صد الدوله العلية ، وهن لا يفتن لمنرى هذه الحركة وهم معمدو انكلترا وقناصلها في الخارج الذين يبرون الخواطر بكل الوسائل ثم يحتالون على معتمدى وقناصل الدول

= التدخل الفل في اداره الحكومه المصريه ولكي يهد الى هذا اوفدت الى فرنسا أحد أعضاء البرلمان الانكليزي وهو مسر حوش Gochen وجاء معه جوبير الى الخديو في أكتوبر ١٨٧٦ لمرص مطالب الدائى ويدخل اللورد فيفيان Vivian فصل انكلترا والبارون دي ميشيل Michels فصل فرنسا ، هم الصعد على الخديو الذي كان رافضاً ، وصدر مرسوم ١٨ نوفمبر ١٨٨٦ في مصرى الرقاة الاحسيه وأن يولوا مرافقاً بوطيفة معشبن عموميين أحدهما انكليزي لمرافقه الايرادات العامة ، والآخر فرنسي لمرافقه المصروفات . وصفت المادتان ٦ ، ١٨ من مرسوم ١٨ نوفمبر ١٨٧٦ على بقاء صندوق الدين هيئة دائمة الى أن يسدد كامل الدين العام ، ولأعضائه أن يسلموا الايراد المحصنة لاستهلاك الدين ويرسلوها رأساً الى سكي انكلترا وفرنسا ويكون تعيين أعضاء صندوق الدين ساء على طلب حكوماتهم .

عند الرحمن الرافعى . عصر اسماعيل . ج ٢ ، القاهرة ١٩٣٢ ، ص ص ٧٢ - ٧٨ .

(*) جاءت اجابة من مصطفى كامل عن سؤال حول المسألة الارمنية لصحيفه الجورنال الفرنسية ، عن على فهمى كامل : مصطفى كامل في ٣٤ ربيعاً ، ج ٣ ص ص ٢٣٧ - ٢٣٩ .

الأخرى فيريون لهم الباطل حقا والحق باطلا . وهؤلاء يبعون سفاربرهم السريعة
الى لو تلب على حماد لداب من هول الافصاح بأبسع عماره صد الدولة العلنه والدول
لا سوانى ادا فى ارسال أساطيلها عفت انذارانها المكرره .

فادا ارادت أوروبا أن تسريخ من هذه الماعب فليعرف كل دولة مركزها باراء
الأخرى . ولستخذ التاريخ عبرة وتحترم شعور بلامائة مليون من الانفس . فلا سعادى
بلا حق على دولة لا ذنب لها ، الا أنها اسلامية وعرضه لدسائس انكلترا .

الوزارة الفرنسية الجديدة ★

لما سقطت وزارة المسيو ريبو اجتمع رئيس الجمهورية الفرنسية برئيسي مجلس النواب والشيوخ وبرؤساء الأحزاب ذات الشأن لبحثهم في أمر تشكيل الوزارة ، فأشار عليه المتطرفون والمعتدلون معا بتشكيل وزارة من المتطرفين برئاسة المسيو بورجوا فعمل الرئيس بما أشاروا به وكلف المسيو ليو بورجوا بتشكيل الوزارة فشكلت منطرفة محضة وألقى رئيسها بالأمس خطابه الافتتاحي مبينا فيه سياسة وزرائه الجديدة وقد آن أن نبحث في هذا الخطاب ووقعه عند النواب .

نذكر للقراء لماذا أجمع الأحزاب على تشكيل وزارة منطرفة عندما سقطت وزارة المسيو ريبو عقب المناقشة في مسألة سكة حديد الجنوب فالاشسراكيون والمنطرفون والمتحدون (وهم الذين لم يكونوا جمهوريين ثم رضوا بالجمهورية) طلبوا تشكيل وزارة منطرفة لأنهم لم يفلحوا مع الجمهوريين المعتدلين ، ولم يستطعوا تنفيذ مطالبهم ، فضلا عن أنهم أعداء لهم ألداء وسقوط الوزارة الأخيرة كغيرها من الوزارات لم يكن الا لتحزب هاته الفئات المختلفة ضد حزب الوسط (أى حزب المعتدلين) وانضمام حزب اليمين (حزب الملكيين) اليها .

أما الجمهوريون المعتدلون فقد طلبوا من رئيس الجمهورية تشكيل وزارة من المتطرفين لأنهم لما رأوا أن رجال هذا الحزب يسعون دائما في إسقاط الوزارة المشكلة من حزبهم أرادوا أن ينتقموا ويسقطوا وزارتهم الراديكالية ، وبذلك يبرهون لهم وللأمة الفرنسية كلها على أنهم وحدهم القادرون على تولى الأحكام وأن غيرهم اشتراكا كان أو متطرفا لا يستطيع مجازاتهم ، وإدارة الأمور منلهم فلذلك ألحوا كثيرا على المسيو فليكس فور الذي افترع المتطرفون ضده في انتخابه رئيسا للجمهورية أن يشكل منهم وزارة نقضى بنفسها على حزبها .

وما تشكلت وزارة المسيو بورجوا حتى رأينا الجرائد جميعا تندد بها ونندد

(★) مقالة نشرت بحريده الأهرام اليومية بتاريخ ١٣ نومبر ١٨٩٥ بمناسبة الاربعة الوردانية الفرنسية .

- بعرب سقوطها ويعللون بها هذه النبوءة السياسية ببلاده أسباب
- **أولا :** حضور النواب المعدلين الدس كانوا مغيبين عن المجلس
- **ثانيا :** وجود المسيو كافينيك في وراة الحريه
- **ثالثا :** عدم رضى المسيو هابوبو بالوجود مع وراة النوم

وعلى ذلك لا يبعد أن نحدث قريباً أزمة وراية في فرنسا سلم بعدها الأحكام للمعدلين كذى قبل ، والجمعاء الذى أظهره بالامس حزبا الوسط واليمين للوراة عند فراءة رئيسها حطة سره يدل على ذلك • والذى يحمل الكبرين من الكتاب على القول بأن عمر هذه الوراة لا يتجاوز السهر هو أن حزب اليمين يفيض المتطرفين أكثر من بغضه المعدلين فمصم هذا الحرب الى حرب المعتدلين الذى يريد عدد أعضائه عن نصف أعضاء المجلس نحو ٤٠ نائبا •

والمسائل الاصلية التى جاء بها خطاب المسيو بورجوا هي مسئلة سكه حديد الجنوب والمحز على النواب من الدحول في شركات مالة ومنافسة الاحصام في المرافعات بعضهم بعضا ونشر الصحف العضائية والاقتراع على الميرانية قبل آخر العام وم مسئلة الصرائب التدريبية وتعديل الصرائب على المسروبات الروححة والمحصولات ، وسن فوائى خاصة بالعمال وحرية الشركات ومشروع اساء جيس اسسعمارى وأخيرا المحافظة على الروابط القوية التى تربط فرنسا بحلفتها روسيا • (١)

ولا غرو اذا كانت مسئلة سكه حديد الجنوب هي المسئلة التى لعنت الانظار أكثر من غيرها ، اذ بسببها سقطت وزارة المسيو ريبو وبها بدأ المسيو بورجوا خطابه الذى دل فيه « أيها السادة : أن افراع مجلس النواب في جلسته الأخيرة أوجد أمام الرأى العام مسئلة يجب أن يجنب عليها أولا من دعمهم نفه رئيس الجمهورية الى حكومه البلاد » ، ولذلك فانا نطيع أمر المجلس باحراء بحققنا بكميلة في هذه المسئلة التى افترع عليها أخرا (أى مسئلة سكه حديد الجنوب) ومهما كانت نتائج هذه التحقيقات فاننا ننشرها بتمامها لنسمح بذلك للمجلس أن يحكم حكمه السياسى والأدبى على الأمور التى يظهرها الصحفي •

(١) كانت السياسة الروسية تبيل الى فرنسا وأن نأجل اعلان هذا الميل عشرون عاما لحرا لموقف بسمارك العدائى لفرنسا ، وقد ظهر هذا الوفاء حليا بعد وفاء بسمارك سنة ١٨٩٠ ، بعد أن تعرضت المصالح الروسية في الشرق للخطر فصلا عن حاجتها الى المال ، أما فرنسا فكان لزلها وحاجتها الى المعونة أكثر دافع لاتمام هذا التحالف ، وفي أغسطس ١٨٩١ أعلنت المخطوط العامة للاتفاق الودى بينهما ، وتبادل الرأى في أى قضية تهدد السلام خاصة اذا تعرض احداهما للتهديد أو العدوان ، وفي ٢٧ ديسمبر ١٨٩٣ ألقى بهذا الاتفاق ميثاق عسكري يلخص في اعلى روسيا على مساعدته فرنسا لها اذا حاجتها ألمانيا أو النمسا والمحز ، وكذلك عطلت فرنسا الفروض الروسية في باريس ، ووصح هذا التحالف حليا في سنة ١٨٩٥ حين وقع التحالف الثنائى (روسيا وفرنسا) وحيا لوحه أمام التحالف الثلاثى (ألمانيا والنمسا وإيطاليا) •

١- ح حرات ، هارولد ميرلى أوربا في القرنى التاسع عشر والعشرين ، ترجمة محمد عل ابو درة - ٢ ، القاهرة ١٩٦٧ ، ص ص ٧١ - ٧٢ •

ومن هذا التصريح الوزاري أن المتهمين في مسألة سكة حديد الجنوب لا نثبت عليهم نهمه الا اذا أمر المجلس بعد مطالعة أوراق العصبه بمحاكمتهم ووصى عليهم القصاص بما ينسبونه النهم .

ولم يكن في استنطاعه وزاره المسيو بورجوا محاكمة النواب المتهمين في هذه المسألة قبل أن يصدر المجلس أمره بذلك لانه لا قانون يسوغ محاكمة نائب من النواب قبل تصديق المجلس ولا قانون هناك يحجر على النواب الدخول في شركات مالية وما ينسبونه للمسيو أنين وروش وروفيه ودلونكل والآخرين هو أنهم كانوا أعضاء في شركات فرعته من شركة سكة حديد الجنوب وأنهم لم ينعدوا المبالغ التي نقدوها الا لأنهم نواب ذوو كلمه ونفوذ لا لأنهم أعضاء في الشركات يستحقون هذه المبالغ مقابل أعمالهم وأعبائهم .

فوجه النهمه هو أنهم استعملوا نفوذهم في المجلس ، ولدى الحكومة في عهد شروط مصره بصالح الحكومة وموافقه لصالح الشركة ، وعما قليل تلبس هذه المسئلة العربية بوبها الحقيقي ويكشف عنها السار .

ولابد أن جرائد الاحلال (*) في مصر انتهزت الفرصة ونددت بالوطنيين العاملين على تحرير بلادهم من النير الانكليزي البفيل قائله كعادتها أن المسئلة المصرية قبرت الى الأبد وأن المسيو دلونكل نصيرها الوحيد نلطح بالنهم ، فلم يعد لها في أوروبا معضد ولا نصير ، وقد كان بالأمس بشري (ولسب أدري بأى مال) الجرائد الروسية والاماسة والعرساوية .

ولسنا في حاجة لأن نجيبها على هذه الأقوال السافطة اذ كل عاقل يعلم أن المسيو دلونكل هو نائب من النواب الذين بهمهم مسألة مصر وأن المصريين اذا كانوا احتراموه وأكرموه فلم يقوموا الا بواجب تفرضه عليهم الوطنية الخفة .

وسواء ثبت على المسيو دلونكل بهمة سكة حديد الجنوب ، أو لم تثبت فلا ضرر على مسألة مصر التي ان فقدت نصرا واحدا وجدت بدله أنصارا وان عذمت واحدا فلم نعدم آلافا .

ولا تعجب اذا كان الانكلسر وحدهم هم الباكون غدا على ما أصاب المسيو دلونكل لأنهم كانوا يستعملون اسمه للقصاص على كل ما يعمل في مصلحة مصر ، فان كتب كاتب عن مصر ، قالوا عنه أنه مأجور للمسيو دلونكل وان خطب خطيب قالوا الخطابة كتبها المسيو دلونكل حتى عندما نأسس حزب مصر لم يستحيوا أن يقولوا عنه حزب دلونكل مع أن المسيو دلونكل ليس الا عضوا كسائر الأعضاء .

(١) يقصد صحيفة المظلم .

وبالجملة أن أفعال الجرائد الانكليز هديان في هديان ، وأحمل جواب بحبيب به
المصريون على أكاديبها هو ولأندع قول فيكتور هوجو ساعر فرنسا الشهير وفيلسوفها
الكبير . « ان للحفصة والحربة مزية خاصة بهما وهي أن من يعمل لهما أو ضدهما
يخدمهما على السواء » والسلام .

★ فى الحملة الدنقلية

كلا وألف مره كلا . بعلم المصريون اليوم ان انكلترا لا تريد بارسسـال الجنود المصرية فى السودان الا اطلاله أهد الاحلال الانكلبرى اطالة لا نهاية لها ، فهم ييكون أسائهم واحوانهم الذين سبضحون فى سبيل نجفوق مقاصد الانكليز وليس بكأؤهم لاأقاربهم عن ضعف فى فلوبهم أو عن جبن . بل بالعكس كان المصريون يعدون أنفسهم سعداء لو كان أبناء الوطن ذاهبين لأن يكتبوا بدمائهم صحيفة فخر ومجد نصر ، ويردوا هـ مصر المصريين « لا هـ مصر الانكليز » الأراضى المفقودة ، ولكن المصريين تعلموا من التجريبات التعسة لعام ١٨٨٣ و ١٨٨٤ و ١٨٨٥ (١) أن أقاربهم جاربوا ويأاربون السودانين لمصلحة انكلترا لس الا .

(★) شر بحريده (الاكلبر) الباريسية بتاريخ ٧ أبريل ١٨٩٦ ، وهو اجابة على كتاب مدر الحريده ، يسأله الرأى فى حملة دنقلة .

(١) أ - أله ترايد خطورة الموقف وحرص بريطانيا على عدم الورط فى عمليات عسكرية فى السودان ، اتسمت السياسة البريطانية بالحد الشديد وسد مكاسات شرف باننا وجرافيل ، واقعب الحكومة البريطانية فى ١٤ ديسمبر ١٨٨٢ على تعيين الكولونل ولنام هيكس رئيسا لأركان حرب الجيش فى السودان وكانت مهمته احماد الثورة المهدية فى سنار .

ومن ثم كانت الحريده الأولى لعام ١٨٨٣ الى مات بالعثل حيث أرسلت قوات كردفان وانتشرت الثورة فى السودان ولقى هيكس حتفه فى ٥ نوفمبر ١٨٨٣ فى شبكان وجميع الضباط .

ب - أحسب بريطانيا ضروره اسداء النصح بأحلاء السودان فاستعال على اثرها شريف باشا وتولى بونار ناشا فى ١٠ يناير ١٨٨٤ ، ووقع الاحييار على الحمرال غوردون لتنفيد سياسة الاحلاء التى اختلف المفهوم حول طبيعتها ، بينه وبين الحكومس البريطانية والمصرية أنها بمريريه استشارية أم استشارية تنفيذية ، وفى ٢٦ يناير ١٨٨٤ كان فرمان الحديو تمنعه حكمدارا للسودان ، ولم ينجع غوردون فى كسب حاب المهديس ، بل اردادت انتصارانهم ، وبوال هرائم غوردون .

ج - وفى عام ١٨٨٥ جاءت بدايته مع ارسال حملة الانعاد بقياده السير جارت ولسللى Sir Garnet Wolsely) ثم تحريده أخرى تحت أمرة السير هررت سيورات H. Stewart وقتل هذا الأخير فى قرية حبة قرب أمى حمد فى ١٨ سبتمبر ١٨٨٤ ، ومنذ ٢٧ يناير ١٨٨٥ ، كان الحصار الشديد مؤذنا بسقوط الخرطوم ، ثم قتل غوردون ورماعه ، وتم اخلاء دنقلة بواسطة الحمرال ولسللى فى ٥ يوليو ١٨٨٥ .

ويقول الناس كافة هنا أنه ليس ببعيد عن ذهن الانكليز أن يكون المقصد من الحملة ابادة الجيش المصرى والاضطرار عندئذ لانشاء جيش جديد مما يحتاج لأعوام وأعوام .

والذى يزيد هذه الفكرة قوة ويحمل على قبولها هو ما يحس به المشتغلون بالسياسة فى مصر . من أن انكلترا تفتح باب المسئلة السودانية عندما تطلبها أوروبا - وفرنسا على رأسها - بالجلد عن مصر .

وبالاخصبار أقول أن المصريين عر راضين بالجملة ويخافون أن يتخذ أوروبا أيضا هذه المرة . والمصريون كافة بهولون اليوم ويكررون هذه العبارة : « أننا نريد حقا استرداد السودان ولكن قبل استرداد السودان نريد استرداد مصر نفسها » (١) .

كيف يسير رجع السودان ؟ - لا يسير رجع السودان بالحرب . ان السودانيين هم مسلمون متحصبون فى الدين ذوو صلابة وعناد ، ولم يقبلوا ولن يقبلوا أبدا أن نحكمهم انكلترا ، وأول نتيجة لجلد الانكليز عن مصر تكون استرداد السودان

= ثم وصفت قوات لحماة حدود مصر الحوييه عند أسوان .
ثم حدثت الحركة المهدية بعد وفاء المهدي واصراف حليمة العاشي فى امور أخرى ، وكانت حامية المطاف واصمة حسمى فى ٣٠ ديسمبر ١٨٨٥ والتي حققت فيها القوات المصرية الانجليزية بضعة انتصارات .

ومى رأينا أن التحريكات كان ولا بد أن نوء بالمثل ، اد أن القوات المهدية اتحت فى عملياتها طابعا عسكريا مطما مجهدا للقوات التى يحاربها . وأيضا الموقف المالى المصرى كما أن بريطانيا كانت مشاركتها فاصره على الضباط فقط ، وعدد قليل منهم ، بيد أن فشل الحملات كان دافعا قويا لاستمرار الاحتلال البريطانى لمصر بحة وجود خطر من قبل المهدية .
د / محمد فؤاد شكرى . مصر والسودان ، وحده وادى النيل السياسية ١٨٢٠ - ١٨٩٩ ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ص ٢٨٠ - ٣٧٠ .

(١) كانت مصر ترزح تحت الاحتلال البريطانى ، ومن ثم فمسلكتها الخارجية ليس بادارة مصرية حاصلة ، اما من ناحية السودان فإن انكلترا أحدثت من خطر الدراويش دعما لقاتها فى مصر ، وكانت سياستها بحر المهدية قائمة على الزام الدفاع ، وهى لا ترغب الانادة التى تكلعها بعات ناهضة ، أو تدفعها الى الرحيل بعد روال الخطر . الا أن الأسباب بدأت تتجمع لدى بريطانيا منها الرأى العام نفسه فى أعقاب الهزائم ، ثم اطمئنانها عن ذى فعل للاحتلال ونطلعها الى الكسب الامتصادى من مصر ومن ثم قائم المسئولون عن اخلاء السودان ، وفى مصر كانت حكومة رصاص ناشا (يونيو ١٨٨٨ - ١٨٩١) ترى ضرورة استرجاع دنقلة ، وكان السير فرنسيس جرنيل ١٨٨٥ - ١٨٩٢ سردار الجيش المصرى يقوم بتظيمه وتدريبه . وفى السودان اندلعت الثورات الداخلية على عهد التمايشى ، وتسانقت الدول الأوربية على اضطلاع آراء من السودان ، وعلاوه على ما سبق افردت بريطانيا بالعمل فى مصر بعد أن وضع محل تركيا بعد اتفاقية دووموند وولف معها ، ومن ثم بدأ تفكيرها فى استرداد السودان ، وفى أعقاب مراسلة نارنج (٢٧ مارس ١٨٠٩) وافق اللورد سالسبورى على العمليات العسكرية فى السودان ، وكان البدء احتلال طوكر فى فبراير ١٨٩١ ، ثم احتلال السودان بأكمله بعدد .

بلا حرب ، ويكفى أن يعلم السودانيون ان الانكلسر قد تركوا وادى النيل ليعودوا
تحت راية مصر التى هى راية حلفه الاسلام .

وانا بمحاربيننا لهم اليوم بحملهم على أن يعبروا أصدفاه أو فناء لانكلسرا . وبذلك
لا يعسروننا مباحين .

ودد أوصح هذه الجمعية بكل صراحة العارى محارب ناشا (١) - وهو الرجل
العظيم الكفاءة فى مثل هذه المسائل - فى تقريره الذى كتبته فى عام ١٨٨٦ عندما
أرسله الباب العالي بقصد سوبه مسئلة مصر مع السير درومندوولف .

وما هو مقصد انكلسرا الجمعية ؟ وماذا نكسب ايطاليا من هذه الحريره
- لقد أحسنت انكلسرا اختيار الفرصة ، فانها لما رأب ايطاليا معلوبة النحاسى ظهور
فى الميدان وأعلنت رعبها الكريمة فى انفاذ ايطاليا ٠٠٠ وكيف ذلك ؟ بنجر يده على
دققة (٢) ، ولكن كسلا لا ننفذ بواسطة دققة ، لأنه يلزم على الأقل مسيرة خمسين

(١) العارى أحمد مختار ناشا كان المندوب السامى العنماني (فومسيير) المكلف بمحصى المسألة
المصرية مع المندوب الانكليزى السير دروموند وولف مند ٢٤ أكتوبر ١٨٨٥ . وتحديد موعد الجلاء
وصل الى مصر فى ٢٧ ديسمبر ١٨٨٥ وقدم تقريره الى الباب العالي فى ١٤ مارس ١٨٨٦ ، وكان من رأيه
عما يتعلق بالسودان ان اسرحاح دققة ضرورى لقمع الثورة التى لازالت مشتعلة بالرغم من وفاة
المهدى ، وان يكون القمع على يد جيش مصر ولا نفع فى قمعها حشش انكليزى او جيش خليط من حدود
مصريين وانكليز ، وان تكون دققة هى قاعدة الأعمال العسكرية المنتظرة ، وعارض وولف فى مدكرة
بتاريخ ٢٥ أبريل ١٨٨٦ فى الأمور المتعلقة بالجيش وتنظيمه وزماده عدده والاسماء عن منصب السردار
ندعى عجز مصر عن تحمل أية رزاده فى النفقات متعلقة بزيادة الجيش ، أو ما كان متعلقا باسترحاح
دققة حيث سياسة الحكومة البريطانية اخلاء السودان وحمل حدود مصر عند وادى حلما .
(د . محمد فؤاد شكرى . مصر والسودان ١٨٢٠ - ١٨٩٩ ، ص ٤٣٠ - ٤٣١) .

(٢) تحريده دققة كاتب الأقطار المصرية والبريطانية سطلع معا الى اسروداد السودان ، أم ايطاليا
بعد أخذت فى التوسع فى تلك الأراضى التى لا صاحب لها واسولت على كسلا ، الا أن نظره الحكومة
الايطالية نعرب مع بولى وزارة السنيور دى روديسى Di Rudini ومحاوله بولير النعاب
الحربية . عندئذ وقع الانكلسر مع ايطاليا اعاما فى ١٥ أبريل ١٨٩١ أهم ما جاء به اعراف ايطاليا
بحقوق مصر على كسلا . وهوذ ايطاليا المؤقت عليها ، مما أدى الى التخلي مؤما عن مشروع استرداد
دققة .

وفى يوليو ١٨٩٤ احتلت ايطاليا كسلا على غير ما رجحو بريطانيا ، وازداد خطر الدراويش فهددوا
الايطالىس أنفسهم ، وكان التحالف بين ملكى الشامى ، والحلفاء عند الله النعاشى لقيام المشقة والسودان
بمعمل مشترك ضد ايطاليا . وحيث اقتراح أن تسير القوات فى مطاهره لارهاب الدراويش من سواكى
الى بربر ، وإزاء الشائعات عن خطورة الموقف ، أدرك كرومر أن مجرد مطاهره لن تحدى ، وفى ١٣
يناير اتفصحت بيعته فى مساعدة ايطاليا ضد الدراويش . ولكن الصعوبة هى عدم موافقة الحكومة المصرية
على النفقات .

وفى فبراير ١٨٩٦ أحطرت ايطاليا بريطانيا بانها ستخلي كسلا . وفى أول مارس ١٨٩٦ هزم
الأحاش ايطاليا هزيمة ساحقة فى عدوة .

يوما للذهاب من كسلا الى دقلة ، ولا نطن أبدا أن الدراوينس ينركون كسلا ويسبرون حمس بوما للمدافعة عن دقلة ، وادا كانت انكلترا نربد حبيقة خدمه ايطاليا كان يجب أن نسر الحريده من سواكن الى (بربر) الى هي أهم كثيرا من دقلة والتي هي على بعد اثني عشر يوما من كسلا .

وعلى ذلك فلا نكسب ابطلها سبنا من هذه التجريده ، ومن الذي سيمسب اذا من كل ذلك ؟ انكلترا وحدها .

وحس أن التجريده سائرة فماذا يكون ؟ يكون ولا شك أحد أمرين . اما اقتصار حدود مصر واما انهزامهم ، فان انصروا فدقلة تكون المحطة الاولى ، وانكلترا نظهر ونبتد الحاجة للتقدم نحو الامام لاسترداد السودان كله . وان انهزموا يضطر انكلترا الى المدافعة عن مصر بنفس جنودها ونعمل لتنظيم جيش حديد ، الامر الذي يؤجل في الحالين ميعاد الجلاء .

ولا تنس أن المال والرجال لازمان في الحالبين ، وعلى فرض أن صندوق الدين سيدفع الخمسمائة ألف حنبة المطلوبة ، منه فمن المسحجل أن يدفع فيما بعد غير ذلك مما يجبر انكلترا على أن سفق من جيبها الخاص ، الأمر الذي يريد الأحوال بعقبدا .

أما من جهة الحنود ، فالحيش المصري لا يكتفى أبدا لفهر السودانين ، وانكلترا مضطرة لأن تكمل الفنوح بجنودها وهذا مما يزيد الأمور تعقيدا على تعقيد ، وينشئ المشاكل فوق المشاكل .

= حينئذ انجبت الآراء الى ضرورة احلال دقلة الى سيجمل مصر بمقاتها ، ومن ثم اتجهت الحطة البريطانية الى الرحف عليها بدلا من امساح فيام مظاهرة عسكرية على سواكن ، وأصبحت وجهة النظر البريطانية الانحطاط بدقلة . وأمر الخديو تحت ضغط كرومر - في ريفيه الى الباب العالي في ٢٥ مارس أن الحملة من بربر الحوتمس ، وثولي فيادنها السير هربت كسندر . وبحس الاسراف الكامل لكرومر ، وتوالب الاسعارات حتى أحل الدراوينس دقلة دون قتال في ٢٣ سبتمبر ١٨٩٦ ، حيث احتلها الجيش الراحف . وأقيم بها الحاميات وطبب الادارة ، ثم عاد كشر الى القاهرة في ١٣ أكتوبر ١٨٩٦ ، وفي ١٥ أكتوبر ١٨٩٦ جلب بحريته دقلة .

ولمخ - علاوة على ما ورد بالمعال - نسر اللورد سالسوري للحملة في كانه الى اللورد كرومر في ١٣ مارس ١٨٩٦ - أنه أراد قبل عصفوريين تحقيق امتداد السادة المصرية ففضل الاحلال عن الحرك من سواكن أو في نجاه كسلا . ثم مع الدراوينس من نعتق أي انصار .

وبرن أن أهداف بريطانيا الحقيقية أنها تحاول أن تقف أمام الاطماع الدولية التي ظهرت آنذ مثل الاطماع العرسية والاطالية . وبحكم احلالها مصر يكون لها السادة على تلك المناطق ، علاوة على أن التكاليف نعل المراسلة المصرية المرحمة أساسا .

محدد مؤاد شكرى . المرجع السابق ، ص ٤٣٣ - ٤٥٧ .

ومن ذلك كله يرى أن الحملة السودانية بعسبة مشؤومة ، والحقن العظيم الذى يتظاهر به المصريون الآن ضد الاحتلال ليس فى غير موضعه .

وقبل الحسام أذكر لك أمرا غريبا ، وهو أن انكلترا ندعى أمام أوروبا أنها ذاهبة - الى السودان لنصرة ايطالبا وتوعز بها لوزراء مصر أن يجنبوا على احتجاج جلاله السلطان ضد الحملة « انها لم سير الا لأن الدراويش مشغولون بكسلا عن غيرها . وليس من مدافع عن دنقلة أليس هذا الأمر غريبا ؟ .

أو ليس من الأغرب أن الايطالبيين لا يزالون يظنون أن انكلترا ذاهمة الى السودان لاسعافهم .

ولفرض أن انكلترا ذاهبة حقا لانقاذهم ، أليس حقيقة من الأمور الفاسية التى يرفضها العقل أن المصريين الذين سلبهم الطليان كسلا يذهبون لانقاذهم فى كسلا نفسها .

(المسلمون والنجريد) : انى أعتبر الحملة على دنقلة بمسأبه بهيج للأمة الاسلامية بأفريقيا فان هذه الأمم على جانب عظيم من النعصب والصلابة ، ومن مبدأ الاحتلال الى الآن لم يحج الى مكة مع بقية الأمم الاسلامية بسبب افعال طريق مصر فى وجوها ، ولذا فانها نائمة على مصر وتنتظر الفرصة المناسبة للهجوم على بلادنا رغبة فى تأدية فريضة الحج .

وانى أخاف أن الحملة على دنقلة تهيجهم وتكون بسبب ذلك مبدأ أعظم المصائب وأسند البلايا .

يوم ٤ يوليو ★

يا لك من يوم مشهود يا هذا اليوم ويا لك من تذكارات مجيدة يا هذا المذكار .
ان في ملك منذ مائة وعشرين سنة مضت انشرفت في الآفاق أنوار أمة حديثة ونودى
في العالم بالحديث بمبادئ العدل والانصاف وشيد الحرية والاستقلال ببيان مبين
واستنداد الانسان بحقوقه من نفس الانسان .

أجل انه في يوم ٤ يوليو من عام ١٧٧٦ أعلنت الولايات المتحدة بأمريكا استقلالها
ونادت بتحريرها من ربة الترانكليزي فلذلك كان هذا اليوم في تاريخ الحرية
اعظم يوم وكان هذا التذكارات في تاريخ الانسان اشرف تذكارات .

أيها معشر الامم يكانس يحق لكم ان ترفعوا اليوم اعلامكم وتقيموا الأعياد وتحيا
ذكرى هذا اليوم السعيد الذي يذكركم بما آتاه آباؤكم العظام من جلائل الأعمال . بل
يحق لكم ان تقوموا اليوم في وجه الامم مفاخرين وتتلوا على الشعوب آيات مجدكم
وفخاركم . يحق لكم ان نباهوا العالم بتاريخكم وبجلائلكم واشتغلتكم وعلى الخصوص
باتحادكم وقوى ائتلافكم .

ان ذكرى هذا اليوم تبعث في قواي أما لا كبار لانها تذكرني ان الامريكانيين
ما وصلوا الى ما هم عليه من الرفاهية والسعادة والحرية والاستقلال الا باتحاد الكلمة
واجتماع القلوب على محبة الأوطان . وأذكر أن بنى وطني يحسون اجسبا حادقا
بالمصائب الشديدة التي تتساقط على بلادهم . ومقرر أن المصائب تجمع بين المنافرين
وتوحد بين المنبغضين فلا يتقص أبناء مصر للوصول الى المأمول من الحرية والسعادة
الاجتماعية الا بالائتلاف والاتحاد . ولذا . كان هذا اليوم يوم ٤ يوليو يبعث في نفسى
أمالا كئارا وتحملنى على الاعتقاد بقرب تحقق الائتلاف والاتحاد بين مصر المخلصين
لها المتأملين لآلامها .

١٧

(★) نشرت في المؤيد يومه ١٨٨٨ ١٨٨٨ بمناسبة ذكرى اعلان استقلال الولايات المتحدة
الأمريكية ١٧٧٦ ، ٨٣٦٠ ربه ٢٢٢١ قهلقا / ربه

ولكن ذكرى هذا اليوم نفسه بعثت في فؤادي حزنا وكآبة لأنها فريضة الذكرى من يوم منسثوم وتذكاري بعس اد ذكره المصري ذكر المصائب الحسام .

الا وهو يوم ١٢ يوليو تذكاري ضرب الاسكندرية (١) .

حفا ان المعاربة بين يومى ٤ يوليو و١١ يوليو لمن أشبه المغاربات نائرا على النفوس فذلك اليوم تذكاري أمة عظيمة أراضا الانكليز من الظلم أعظم الظلم ومن الاستبداد أكبر الاستبداد فقامت منحدرة مؤلفة وطردت الانكليز من ديارها وأعلنت للعالم كله تحريرها واستقلالها . وهذا اليوم تذكاري ضرب أول المغور المصرية بل ول تذكاري النذل والهوان تذكاري العار والشنار . تذكاري الشقاق والانقسام ! فما أسعد رجلا تذكاري بلاده يوم ٤ يوليو وما أسقى رجلا تذكاري بلاده يوم ١١ يوليو .

ان أقوى سلاح ينسليح به المطالبون بحرية بلادهم المحاطرون بأنفسهم حبا في انقاذ أوطانهم واعلاء شأن معاهدهم هو الانحداد فهذا السلاح المتين كان سلاح الأمريكانين وغيرهم من الأمم الحرة ويكون سلاح المصريين ان أرادوا عزا ورفاهة وحريه واستقلالها . وأحسن مل أفدته لبنى مصر على قوة الاتحاد هو أنه لما أعلنت الولايات المتحدة استقلالها انتخب السبع لجنة لسن الدستور . فكان وراء رئيس هذه اللجنة صورة بمل الأفق ونصف الشمس ظاهر منه والنصف والآخر مخضج نحتة - وكان لا يعام أصل هذه الصورة شروق الشمس أم غروبها لأن علماء التصوير أقروا على ان لا نميز هناك في التصوير بين صورة شروق الشمس وصورة غروبها - فلما أمت اللجنة أعمالها وسنت الدستور القويم الذى سارت عليه الولايات المتحدة م. يوم تحريرها الى هذا اليوم .

قام فرانكلين الشهر وقال لأعضاء اللجنة ما معناه :

« أبناء وطني - لقد كنت أنظر من أول يوم اجتمعنا فيه الى هذه الصورة الموضوعة خلف الرئيس ، وكنت مرابا في أمرها ، هل هي صورة شروق الشمس أم صورة غروبها فلما أمتنا اليوم أعمالنا بالنجاح والاتحاد ولم نخلف على شيء ما علمت انها صورة شمس مشرفة وهي شمس الولايات المتحدة فلندم الاتحاد ، قولوا « لندم الاتحاد » .

(١) كانت الية مينة عند الانجليز لمرو الاسكندرية . لهذا سلبت سحق واهيه لصربها ومنها انه في أول بولته سنة ١٨٨٢ أرسل الأمرال سيمور الى حكومته سبها أنه اكسف بعض ترميمات نونم بها المصريون في حصون الاسكندرية ، وانهم يركون طائرات حديدية بحاه توارحه وان عرابي معرم سد بوعار الاسكندرية لحصر البوارح الانجليزية التي كانت راسية في الماء . وفي صبيحة ١٠ يوليو سنة ١٨٨٢ أرسل الى محافظ الاسكندرية اندارا بهانيا يطلب منه تسليم الطائرات المصونة في الحصون القائمة برأس النين . وما ان جاءت صبيحة ١١ بولته سنة ١٨٨٢ حتى أعطى سيمور اشارته الصرب . واستمر الصرب ١٠ ساعات الى أن استولى الانجليز على المدينة .

عد الرحى الراعى . الثورة المرامية والاحتلال ح ١ القاهرة ١٩٦٦ ص ص ٣٦٨ ، ٣٧٧ ، ٣٩٤ .

ما سبق لكم أيها الغراء البلاء هذا الحديث الا لأناديكم باسم الوطن السريف
أن نخلعوا عنكم أنواب السفاى والنفور وحب الذات ونجمعوا كلمتكم على خدمة مصر
ومحبها فان الوطن على خطر وما يدبره أعداؤه لا عظم مما رأيتم .

نعم أناديكم فى هذا اليوم العظيم مما رأيتم . نحفل فيه أمة عظيمة بسعادتها
واسقلالها أن يعملوا كما عملت هذه الأمة لا أن سوروا بل سجدوا قلبا ولسانا
وتسمعوا الملا الأوروبى أصوات الشكوى . ولا يكن مبلغكم من الصعب مبلغ مريض
ينألم ولا يشكو أو مبلغ صاحب دار سلبها منه خصمه فتركه فيها أما مطبنا يعمل
دون أن يسأل القضاء عدلا وانصافا .

ارلوا يا قوم الى أعماق نفوسكم وناجوا سرائركم واسألوا ضمائرهم هل انتم
فى ضبر أم فى حير . وهل انتم على سفاء أم على هناء . ولئن أحسنتم الاصغاء سمعتم
سرائركم بجيبكم انكم أذل الالم اليوم وان الروح الدين كسم سيخدمونهم عبيدا
أرقاء أصبحوا أسيد محافظه منكم على حقوق الأوطان .

أما فى مصر رجال يشعرون بأن من العار الكبير أن يعيش المصرى فى سعة من
العيش مرناح الببال وأمة الشفوقة الحنونة نهان أعظم اهانة وبلوب كرامها كل يوم
فيقومون ويطالبون بحقوقها ويسمعون أربا صوت شكائنها !! .

أما نفوس أبيات لها همم

أما على الحق أنصار وأعوان

أسطر هذه السطور وأسمع صدى لما يردده الخائفون أسمع هذه العبارة !! انما
نحب من صميم أفئدتنا وطننا العزيز وبريد حما اسعاده ولكن اذا قمنا مطالبين
بحقوقه اختصمنا الانكليز وخربوا ديارنا وأملأنا فلا ينالنا الا الضرر والوبال .

انه لخير لكم أن يسالكم الضرر والوبال أيها المصريون ان كان فى نيلهما اياكم
خدمة للأوطان .

نعم ليعيش الأحرار منكم فقراء ولكن ليعيشوا أحرارا !

أنحسبون يا قوم ان ما يرويه اليوم من المصائب والبلايا هو منتهى ما يأتى
الانكليز فى مصر من الظلم والاذلال أن دام الاحتلال . لا نحسبوا يا قوم أن الله
ينصركم وانتم على هذا العشل كيف ينصركم ربكم وقد خذلتم أنفسكم ؟ كيف
ينصركم ربكم وقد وهبكم سريعه نامركم بالاتحاد والائلاف فنبذتم أمرها ظهريا
ووهبكم وطننا سعيدا غبا كريما فاحمرموه وما فدرموه قدره ووهبكم ذكاء عاليا
فاستعملتموه فى دنيا الأمور وصغار الاسباب . أنظنون أن من وهبكم هذه النعم
الكبيرة بهكم الحرية والاستقلال على غير حق . كلا . انه لأعدل العادلين .

فهبوا اذا من رقدتكم وقوموا مطالبين بحقوق دياركم واسمعوا الأمم انكم أمة
نستحق العناية والرعاية . والا فان كنتم قد استسلمتم للذل والهوان وأدعنتم
للمذلة والاستعباد فودعوا الحباة الوداع الأخير وودعوا الحرية والمستقبل المنظر وودعوا
الأمم كافة . وقولوا اننا قد ظلمنا أنفسنا بأنفسنا وما ربك بظالم للعبيد .

هذه كلمات يملها على فؤادي برسم الليل والنهار بقول الشاعر العربي :

(لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الخنظل
ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل)

مصر وفرنسا ★

ماذا يرى المصريون الآن في مسألة بلادهم ؟؟

ان المصريين لم يياسوا من الخلاص ولكنهم ينظرون الى المستقبل بقلق شديد فان أعمال انكلترا ومطامعها على شواطئ النيل أصبحت مشهورة عند كل انسان وليست مسئلة مصر اليوم بمسألة الاحتلال المؤقت بل أصبحت مسئلة برك مصر للانكليز .

فهل نترك أوروبا ووطننا لانكلترا أم تردده اليها ؟ أما كره المصريين للاحتلال تيسرايد من يوم لآخر . وقد علمنا الآن حق العلم أن انكلترا سيعمل كل الوسائط بما فيها « النصف البريطاني » للوصول الى عاينها في مصر وليس لها من غاية هناك سوى الاستيلاء على بلادنا .

وان الامة المصرية لساكنة اليوم سكوا جيدا وصابرة صبر اجميلا ولكن لا أعرف ماذا يمكن أن ينشأ عن حقدنا الشديد على الاحتلال والمحتلين .

وماذا يظنونه في فرنسا بمصر ؟؟

يسوءني أن أقول لك جوابا على سؤالك ان احترام فرنسا في مصر أصبح الى حد معلوم وهو ان لم يكن يتناقض فانه لا يريد واننا ما شاهدنا من فرنسا في مصر منذ أربعة عشر عاما الا فشل سياسيتها المتكرر فمتلا حينما بقررت حملة دنفلة كنا معتقدين أن فرنسا نعمل « عملا ما » ضد هذا القرار .

وقد اضطرنا ذلك ولا نزال ننتظر .

وانى أعلم أن فرنسا (١) لا يمكنها أن تعلن الحرب لأجل مصر ولكن مع ذلك

(★) جرى هذا الحديث بين محرر حريده الليبر دارول الفرنسية وبين مصطفى كامل أثناء وجوده في باريس في ١٨٩٦/٩/٧ وتناول فيه الأحداث التي كانت دائره حين ذاك بالنسبة للأساسة والمسئلة المصرية .

(١) موقف فرنسا من الاحتلال البريطاني .

أصبحت مصر بعد الاحتلال حاصعة لسلطان دولي تركيا وبريطانيا فضلا عن الوصاية المالية النائية وكان أصعب ما صادف كرومر في مصر تعدد الادارات والنظم الدولية مثل المراهبه النائية

أظن انها مع محافظتها على السلم وبمساعدة روسيا (٢) يمكنها أن تعمل كثيرا .
وفضلا عن ذلك فمن عادة الانكليز - وذلك أمر مشهور - أن يصاعوا ويظاغطوا
رؤوسهم مني كماهم خصيهم بصوت عال .

« يرون أن أوروبا منعصبة ضدهم اد أنها في كل المسائل المتعلقة بالمسيحيين
تنعمل وتجتمع ونفق للعمل في مصالحهم ويعرف عندئذ الانسانيه والمدنية والحق
واعتراف المعاهدات ولكن عندما يكون الأمر منعقفا بما مصر المسلمين فالانسانيه
والمدينة والحق واحترام المعاهدات وكل شيء من هذا القبيل يحمله أوروبا » ١١

والامتيازات الأجنبية ، كذلك اعتبرت فرنسا أن احتلال الانجليز لمصر جعل التوازن الدولي في البحر
الموسط أمرا مستحيلا فعزل من تعوى فرنسا في منطقة الشرق الأدنى وقد نجح كرومر في وضع الخطه
لإبعاد فرنسا من طريق انجلترا في مصر فآلفي المرافيه الثانية في ١٨ يناير سنة ١٨٨٢ وبذلك حصر
فرنسا نعودها لتتوى في مصر ولم يعد أمامها أما أن تعلن الحرب على انجلترا أو أن تسقط في يديها
حتى تمنعها من الاستئثار بمصر ، وقد ساعد بسمارك فرنسا في الرأي الثاني . فحاولت إثارة الدول
الكبرى على انجلترا وأيدت الباب العالي في شكواه الدائمة وعصبت الحكومه الروسيه في سانسها
الوطني الاستعماريه في أواسط آسيا وفي الشرق الأقصى والبلقان ، ثم عارضت فرنسا في الاشتراك
في مؤتمر لندن الا بعد أن تحدد انجلترا موعدا للحلاء وحرضت على منع أي اعاق بين تركيا وانجلترا .
ولم يترك فرنسا يد انجلترا مطلعه في مصر الا بعد ابرام الاناي الودي سنة ١٩٠٤ اد معاهدت فرنسا
في هذه الاتفاق بالآلا بمرحل مساعى انجلترا في مصر فلا نطلب تحديد موعد للحلاء في معادل اطلاق
يد فرنسا في مراكش .

محمد مصطفى صغوت مرجع سابق ص ٧٤ - ٧٦ .

(٢) موقف روسيا من الاحتلال الانجليزي .

كانت حكومه العيصر تهتم بكل المسائل المناصه بالدولة العثمانية ونعصر نسبها الى درجه كبيره
ورينه الدولة العثمانية في أوروبا على الأقل ، وكانت لا تعارض في أن تأخذ انجلترا في أن تأخذ انجلترا
مصر بشرط أن يوافق على التسليم ممتلكات الدولة العثمانية ، وحين ثارت مسكلة الرجل المريص سنة
١٨٧٦ كانت روسية تخص مصر من نصيب انجلترا وسوريا من نصيب فرنسا . هذا اذا وافقت انجلترا
على مشاريع روسيا في تسليم ممتلكات الدولة العثمانية ، ولكن انجلترا كانت ترفع موقف العداء أمام
مشاريع روسيا ، كما دعمت انجلترا الحركات التي تكونت ضد روسيا ، بل كان رسو الاسطول الانجليزي =
= في مياه الدولة العثمانية عمه حالب دون تحقيق آمال العيصر في البلقان والبحر المتوسط ، لذا عارضت
روسيا رغبة انجلترا في التدخل منفردة مع فرنسا في شئون مصر ووقفت أمام رغبهم في أن سندبهما
الدول لحل المسأله المصريه ، وأندت كل رأي ينادى بالتدخل الجماعي ولم يرض طرأ الاسكندرية ولم
يسرها انصار انجلترا في البلقان رغم عدائها المعروف مع تركيا ولم يكن اهتمام روسيا أفريقيا بل
كان آسيا وبلغاريا ولدا لم تكن تستطيع أن تترك مسألة مصر حديا خوفا من أن تترك انجلترا مسألة
بلغاريا ومنذ سنة ١٨٨٢ كانت مياله الى مناصره فرنسا على انجلترا ، وكان لموقف روسيا العدائي
وبهديداتها للباب العالي أثر كبير في فشل مشروع دروموند وولف ١٨٨٧ واشدد تأييد روسيا لفرنسا
بعد التحالف الروسي الفرنسي في أواخر القرن التاسع عشر عبر أن روسيا لم تكن مستعدة لإعلان الحرب
على انجلترا من أجل مصر أو فرنسا فلم تكون لها مصالح حيوية في مصر حتى نجد هذا الموقف .

د / محمد مصطفى صغوت الاحتلال الانجليزي لمصر وموقف الدول اراهه القاهرة ١٩٥٢ من
ص ١٧٢ الى ص ١٧٥ .

لماذا تجبر أوروبا الدولة العلية على احرام المادة ٦١ من معاهدة برلين « المتعلقة
بالأرمن » ومعاهدة هالبا « المتعلقة بالكريديت » ولا تجبر انكلترا على احرام المعاهدات
المختصة بمصر .

حديث مع مصطفى كامل *

دخل الانكليز مصر القاهرة في يوم ١٤ سبتمبر سنة ١٨٨٢ ومضى عليهم ١٤ عاما لم يسألهم أوروبا فيها الجلاء عنها احتراماً لوعودهم المؤيدة لذلك بعد بوطيد الامر الا بكل فتور وبلا جدوى .

فنه تكون في بلاد مصر - التي هي الصلة بين آسيا وافريقيا والتي أصبحت بوضعها الجغرافي وبمدننها الرائدة عن مدنبة غيرها من البلاد الاسلامة قلب الاسلام - حرب (١) وطني على رأسه رجال تربوا في أوروبا وعلى الخصوص في فرنسا . ولقد أدرك الوطنيون المصريون بمهارتهم الشرفية أسرار السياسة الأوروبية وعرفوا الأسباب الحقيقية التي تجعلها عاجزة عن العمل على تخليص بلادهم . وأخذ يلاشئ من نفوسهم أملهم في الخلاص على يد الدول الأوروبية . ولكن كانوا حزب صبر وانتظار . ولا يبعث أن يصيروا يوما من الأيام حزب أعمال ذات تأثير فعال .

(*) نشر هذا الحديث في جريده الاكلير الفرنسية في عددها الصادر بتاريخ ١٥/٩/١٨٩٦ .

(١)

شكل في شكل جمعية سرية قدر لها أن تكون نواة الحزب الوطني فيما بعد ، وهي جمعية الحزب الوطني، ترعها لطيف سليم الحجازي وكان أعضاؤها مصطفى كامل ومحمد فريد ومحمود أنيس ومحمد حلوصي وأحمد الصوفاني وعبد اللطيف الصوفاني .

ثم في عام ١٨٩٥ ألف الحديو لجنة سرية بالاتفاق مع مصطفى كامل وجماعته بالاضافة الى بعض الفرنسيين الذين كانوا يشغلون مناصب في مصر ومن بعض الصحفيين الفرنسيين أو دوى الميول والشفاعة الفرنسية وأطلق على هذا الخليل المحابه للاحتلال اسم (جمعية احياء الوطن السرية) وكان من الاسماء اللامعة فيها :

اسماعيل السمي - يوسف صديقي - محمود سالم - أحمد شوقي - رحاوي Gavillot
الصفي الفرنسي ونائب الحالية الفرنسية في مصر ومسيو آن ماري ومسيو حورداي بيثري ومسيو بروب
Pront المندوب الفرنسي في السكة الحديد - ومسيو بونون رئيس اللجنة المحتلطة للدموم والمسيو
بروتيه Prutieres رئيس المحكمة المحتلطة الابدائية بالقاهرة .

المصري مذكرات الحديو عباس الثاني ١٤ مايو ١٩٥١ .

أحمد شفيق - مذكراتي في نصف قرن - ٢ القاهرة ١٩٣٤ من ١٩٠ .

أحمد شفيق : أعمال بعد المذكرات القاهرة ١٩٤١ من ٣١٤ .

تذكار دخول الانكليز مدينة القاهرة ★ (١٤ سبتمبر)

١ - يوم ١٤ سبتمبر :

أى تذكار محزن ١ وأى ذكرى نعسه مؤلمة ٢

لعد مصر على الأمة ١٤ عاما وهي معزورة مضغوط عليها من قوم يلعبون أنفسهم بممدينى العالم وأن الانسان عندما يفكر أن الانكبر مضى عليهم أربعة عشر عاما وهم بهدمون كل بنياى فى مصر ويحاربون أوروبا والمدنبة الأوروبية على شواطئ نهر النيل ويقوضون أركان نفوذ فرنسا واحترامها ويقهرون المصريين ٣ كل ذلك ودول أوروبا ما عملت ولم تعمل سبعا ما صد الاحلال يظن أن أوروبا بلاشت من على وجه الأرض وان لا وجود لها اليوم ٤

وليس تذكار ١٤ سبتمبر تذكار حداد للأمة المصرية فقط بل هو أيضا - واسمح لى أن أقول لك ذلك - عار وخجل على سياسة أوروبا ومدنيتها ٥

٢ - سياسة الانكليز فى مصر من عام ١٨٨٢ :

سار الانكليز فى مصر من عام ١٨٨٢ الى اليوم على سياسة واحدة ما تغيرت قط ، وهي هدم السلطة الخديوية (١) والاستيلاء على الادارة المصرية مع العمل

(*) حديث صحفى لجريدة البرلينا جيلاط أكتوبر ١٨٩٦

(١) منذ تولية عباس النامى أريكه الحكم أحد يرسم سياسته على مقاومة الدخل الانجليزى والتمسك بحقوق مصر وعدم السارل عن حقوقه وكانت الامة الوراقية سنة ١٨٦٣ أول احتكاك بين الخديو والانجليز ، فقد حاول الخديو نصر الوارده الفهمية الموالية ساما للانجليز والمدنبة لأوامر كرومر ذ فالانجليز فرصة مصر مصطفى فهمى رئيس الوارده وأعلى تكليف ببحران باشا رئيسا للنظاره الخديوية ولا أحد رأى كرومر رفض صحة عداة تمحرا للانجليز ، كما أنه أرمى مسيحى لا يستطيع قياده الراى العام الاسلامى ، حيث رأى الخديو أنه يمكن أن يعي رئيس نظارة مسلم دون الرجوع الى كرومر فاعلن اعلاء مصطفى فهمى وتكليف حسن فخرى بكرومى الوارده ، وامسح كرومر هذا الصريف فلما لمعان السلطة

ضد أوروبا عامة وفرنسا خاصة ولقد كان من سكوت أوروبا أن صارب انكلترا ببالع
فى السعدى على الحقوف وهى نعلن اليوم على السنة جرائدها انها يريد سراء الدين المصرى
كله وإلغاء المحاكم المحتلطة (١) وكل المنظمات الدولية ليسقط بالمرّة كل حق لأوروبا
فى مصر .

ولم يكتب الانكليز بالسعدى على حقو أوروبا ومصر بل بعدوا أيضا على
المسلمين فهم يندرون بلغينا رسائل الطعن على الدين الاسلامى ويوزعون فى المدارس
كبا يحقر الرسول محمدا (عليه الصلاه والسلام) (٢) ويسأجرون حرائد نطن
ليلا وبهارا على المسلمين وحلبه الاسلام .

= ومحاولة من جانب الحديو لصرب النفوذ البريطانى وبعد مداوات لمعرب وجهات النظر أعلى الحديو امامه
حسبى فحرى وتكليف رياض ناسا صديق الاسطير لاليت الوراى الحديده وكان هذا ارساء للانجليز
مع توجيه نظر الحديو الى بحث اصيل العلاقات الودية مع انجلترا وأن يسع فى المستقبل صانحةا من
المسائل الهامة .

عيد المنعم الجميى : (مرجع سابق) ص ٧٥ الى ص ٧٠ .
ثم صبح الحديو بوفيق للسيطره البريطانىة ولعبيد الاخلال كرومر الذى امن بان تطبيق خطط
انجلترا فى مصر لن يسع الا ينعين عدد من الانجليز فى الادارات الحكوميه المحتله مما أدى الى بىوية
فبصه الاداره الانجليزىة على مصر ، وبالفعل نعمل النفوذ البريطانى ممثلا فى كرومر صاحب اليد
العليا فى تسيير شئون الحكومه لحاب موطعه فى المصالح المحتله فسردار الجيش انجليزى وكبار الصباط
من الانجليز كما أن البوليس حسب لاشراف معتنى بريطانى عام كذلك الحفاية من سنة ١٨٩١ خصص
للمستشار القضاى البريطانى كما أن القضاء الانجليزى فى محكمة الاستئناف والمحكمة الاهلية سيطروا على
القضاء المصرى وهكذا استمر النفوذ البريطانى يعمل من عهد وراة رياض فحد أن وراى الداخلية
والأنعمال مصرى لوكيل انجليز والماليه فى يد المستشار المالى واستمر الحال كذلك فى عهد وراة
مصطفى فهمى وحتى اعلان الحفاية سنة ١٩١٤ .

- عيد الرحمن الرافعى . مصطفى كامل باعب الحركه الوطنيه ١٩٦٢ ص ٢٠ ، ٢١ .
- د. عبد المنعم الجميى المرجع السابق ص ٣٠ ، ٣١ .
(١) ياردياد نفوذ المحاكم الفصلية فيما يخص بمخالفات الرعايا الاحاب فى مصر قدم نوبار ناسا
فى عهد اسماعيل مسروع يعمل سلطه هذه المحاكم الى محكمة محتلة عاليه مضاهيا من الاحاب ومن
النساء هذه المحكمه فى سنة ١٨٧٥ ومن احصائها .

١ - الفصل فى الممارعات المدييه بين المصريين والاحاب .
٢ - فصل فى الممارعات المعاريه اذا كان أحد الطرفين من الاحاب .
٣ - فصل فى المسائل الحائيه بالحكم على المهين الاحاب فى بعض المخالفات السيطه .
٤ - أما المنح والحفايات التى تقع من الاحاب فلا تحتص بالحكم فيها بل من احصاى المحاكم
الفصليه بمد الرحمن الرافعى عصر اسماعيل ح ٢ - ط ٢ . العاشره سنة ١١٤٨ ص ٢٤٠ .
(٢) عن هذه الكتب يمكن الرجوع الى
محمد لطفى حمدة حاة السرق ، القاهرة ١٩٣٢ .

حيث عرض أمثلة لهذا وهو كتاب (مهدى الله من ناريج أحمد محمد الدهلاوى) وهديم بسرسل له
وطنه على النى الكرم وعلى الدين الاملاى .

ولقد عام كافة الناس أخيرا ان انفس من الأهالي حكم عليهما بالسجن نمانه عشر شهرا لأنهما سبا ملكة الانكلس فهل عملا شيئا خلاف الجارى في مصر ؟ كلا لأن محررى جرائده أخرى « يخيلفون عنهما بأنهم ليسوا بمصريين وأنهم يحتمون بالانكلير » طعنوا قيلهما ولا يرالون بطعنون أشد الطعن على سلطان مصر الذى كان حليفه الاسلام . فلماذا عوقب الطاعن في ملكه الانكلير ولا بعاقب الطاعنون على حلاله السلطان ؟ على انه يجب ان يحرم جلالة اسلطان في مصر أكبر من أى ملك كان لأنه سلطانها الشرعى الذى لا يعارض أحد في سلطته الشرعة .

وقد بطول بي الكلام اذا أردت ان أعدد لك أعمال الانكلير صده المسلمين وأن آخر مثل حاضر في الاذهان هو مسئلة الجامع الأزهر .

٣ - أوروبا ومصر :

ومن يوم أن سلمت معاليمه أمور مصر (١) لمحمد على الكبير دخلنها المدسه الاروروبية وسارت في طريق التقدم معصده على اخلاص أوروبا والأوربيين بحوها ولما دخل الانكليز بلادنا لم يكن فيها يومئذ مصرى واحد يمكنه أن يظن أن دولة متمدينة مثل انكلترا تعمل صده تعهداتها وعهودها بل كان المصريون كافة معقدين اعتقادا ثابتا أن انكلترا تسحب عساكرها على اثر اخماد نيران النورة (٢) واستنباب الأمن في البلاد غير انها نرى الأمن توطد من سنين والانكليز لا يزالون حيلن . ومن ذلك الحين فقد الانكليز نفقة المصريين . وفقهها جميعا كنه أغراضهم ولكن أوروبا لم تفقد ثقتها بها معمدن عليها مؤملين الخلاص على يديها . ولهذا اليوم ما عملت شيئا مذكورا ولمه كادت نصبا بها نزول سببا وسببا .

ولقد أصبح اليوم كبر من المسلمين (الدين كانوا فيها قبل أعظم أصدا- أوروبا) يعتقدون أن أوروبا يحارب المسلمين كافة وبدون استثناء حربا صليبية في شكل سياسى وفي الواقع أن أوروبا حررت في القرن التاسع عشر أهما مسيحية عديلة (٣) لم يحرر أمة واحدة اسلامية وأن مصر السى هي مجزع المسلمين ومحط = أما الجرائد السى كانت تحاول النيل من ندر السلطان فهي الجرائد الاسجليزية وما سار في ركانها مثل (المقطم) .

(١) منذ تولية محمد على الحكم سنة ١٨٠٥ .

(٢) بقصد نالنوره المراسمة .

(٣) حسب مؤتمر برلين سنة ١٨٧٨ ثم استقلال الدول الآبية

التي تحررت في القرن التاسع عشر عن الدولة العثمانية

١ - بلاد اليونان سنة ١٨٣٢ .

٢ - رومانيا سنة ١٨٧٨ .

٣ - الصرب سنة ١٩٧٨ .

٤ - الجبل الأسود سنة ١٨٧٨ .

٥ - بلغاريا . سنة ١٨٧٨ وتم الاستقلال التام سنة ١٩٠٧

أنور الرفاعى - شاكى مصطفى مرجع سابق ، ص ٣٤٢ .

حديث مع جريدة «برلينر تا جبالط» ★

١ - أرى أغلب المصريين كارهين للاحتلال الانكليزي .

- نعم . نعم . نعم . حيا ان الامة المصرية لمألة كثيرا من أعمال الاحتلال الممقونه ويؤمل من صميم فؤادها أن نخلص من ربهة هذا الاحتلال . وأن الاحساس الوطني المنتشر في كل بلاد مصر وهو ان لم يكن في استنساخه وادبه كما هو عند الأمم الأوروبية لكنه قوى ومنتشر بدرجة يسبب معها حب الأمة لحريتها ورغبتها العظيمة في استرداد حقوقها المقدسة وأن سكوت الأمة المصرية لا يدل على سئ آخر غير انصافها وتمسكها بالصبر .

وقد يستدل بعض رجال السياسة في دول السجالت (١) البلاني بالسكينة السائدة في مصر الآن على أن المصريين راضون بالاحتلال ويفتكر أولئك السياسيون أنه لو كانت مصر تريد اجلاء الجلود الانكليزية عن ديارها لدارت من زمان ضدهم ولكن هؤلاء السياسيون مخطئون في هذا الاعتقاد إذ أن المصريين وطنيون صادقون المحبة لبلادهم وإذا كانوا يرفضون الاحتلال بغضا سديدا فابهم كذلك يكرهون الخرائم والمذابح . اذا فهم يريدون استرداد حقوقهم بالسكينة والسلم وهم عالمون أن أوروبا المنمدنية لا تزال موجودة في العالم ولا تزال نحن معتقلين بها مؤمنين فيها . ولكن مع هذا وذاك لا أنكر عليك أنه اذا أهملنا أوروبا رمسا طويلا ولم تجبر انكلترا على الجلاء فيضطر المصريون الى التظاهر بطرق أخرى (٢) عبر ما لبنا على السنين الطوال وحينئذ فليست المصالح الانكليزية هي التي نقع وحدها في الخطر بل يلحق ضررا بالمصالح الأوروبية جميعا .

(*) جرى هذا الحديث بالعربية في مصطلح كامل ومطبوع جريدة برلينر تا جبالط « الألمانية » أثناء وجوده في العاصمة الألمانية في إحدى رحلاته الاعلامية للعصبة المصرية وقد محدب الصحيفة الزعيم المصري وناركت خطواته في سبيل بلاده . على فهمي كامل : (مصطلح كامل في ٣٤ رسعا) ح ٥ ص ١٩٩
(١) ألمانيا - النمسا - إيطاليا .
(٢) وهذا التسوء تحقق في شكل ثورة عام ١٩١٩ .

٢ - ماذا يظن المصريون في حطة ألمانيا نحوهم وماذا ينظرون ما ؟

لقد أمل المصريون دائما أن الحكومة الألمانية تنضم الى الدول التي لها صالح أكبر من غيرها في جلاء الانكليز عن مصر بصديقا لنصريح البرنس بسمارك لسفر فرنسا في برلين سنة ١٨٨٧ لما كان السير درومندو وولف (١) يشغل في الاسنانه ليحصل على توفيع جلاله السلطان على الاتفاقة المشهورة بشأن مصر وهو قوله « ان الحكومة الألمانية مسعده للعمل في سبيل بحقق الجلاء عن مصر ، والمصريون يعتبرون هذا النصريح من أهم النصريحات السياسية التي صرح بها من يوم أن احبل الانكليز مصر » .

وانى لا أظن ان استعداد الحكومة الألمانية للعمل في سبيل بحقق الجلاء الذي كان موجودا في سنة ٨٧ قد فقدته الآن ولو أن حملة السودان (٢) لم تقرر الا بعد رضى الحكومة الألمانية التي كانت تؤمل بجريدها مساعده جليدها ايطاليا . بل يظهر لى أنه من الأمور المستحيلة قيام حكومة جلاله الامرطور تاجوم بوما ضد حقون مصر المقدسة .

(١) عندما وجهت ألمانيا أنظارها الى تركيا اسع الامراطور الألماني مع تركيا حطة حديده ميترتها انها لا تستدعي منه تكاليف حمله مسلحة وفي الوقت نفسه لا تلى معارضة مكسوفة من قبل أى دولة أوروبية . وحينما رأت ألمانيا استحاله الصام بأعمال عسكرية فصلت عليها سياسة التطلع السلمى الامون الناتج ، وقد كان هناك أكثر من سمب يدعو الى ميل السلطان عبد الحميد نحو الامان الدين لم يظهروا نحوه من العداء ما أظهره الانكليز والدول الأخرى في قضايا الارمن ومعدونيا وخاصة بعد أن اضطرتهم انجلترا الى السارل لها عن حزيه مصرى اثر انعقاد مؤتمر برلين . وهكذا وادق السلطان بهانيا في سنة ١٩٠٣ على منح الامان امتياز مد سكه حديد بغداد ، فبدأت انجلترا وفرنسا وروسيا يحارب معيد المشروع وسست أرمات حاده بين السلطة العثمانية والانجليز حول مد سكة حديد بغداد والحجاز أهمها وأحدها بالذكر أوما الكويت وطامة ، توفيق على برو العرب والترك في العهد العثماني ، رسالة ماحستير غير منشورة ، القاهرة ١٩٦٠ ص ٣٧ ، ٣٨ .

(٢) كان من مسلحة الماسا بقاء مساله مصر معلفه ومعده وموضع سارع من انجلترا وفرنسا حتى يعمل انجلترا على صروره المحافظه على صداقه ألمانيا . وكانت حكومه ألمانيا تعمل على أن تكون سياستها بصفة عامة مبهمة لا تعرف انجلترا بدورها ولا منهاها ولا مصلحتها ، وان يكون تأييدها لسياسة انجلترا في الماسات المتعلقة حسب ما يلقى والمصالح الألمانية وحس فررب انجلترا بالاشراك مع مصر ارسال حملة الاسبرحاج السودان أعلن فيصر الماتيا تأييده لسياسة انجلترا تأييدا تاما مد فرنسا حتى هدفها بالحرب ووادق الفيصر الألماني على أن تقوم المالة المصرية بمعات الحملة الى دمهله كما انه حتى اذا لم يؤيد انجلترا في مسألة السودان وربما تفكر انجلترا في بصر سياستها بصر ألمانيا ونهجه لاصلاح العلاقات مع فرنسا والاصنام الى الحالف الساتى القائم بين فرنسا وروسيا كما أن تأييد ألمانيا لانجلترا كان ضروريا أيضا لصره ايطاليا صديدها . وكانت ألمانيا دائمة الاتصال بانجلترا لمعاونة الايطاليين الذين همروا هزيمة منكرة من الأحاش ولقد حاولت حكومة انجلترا ترير حملتها على السودان امام دول الحالف الثلاثى ألمانيا - النمسا - ايطاليا برعه انجلترا في بصره الايطالى المهروس .

(٣) محمد مصطفى شعوت - مرجع سابق ص ١٥٠ - ١٥٢ .

وها نحن نرى أن الحكومة الألمانية تعمل بالاتفاق مع الدول في مسئلتى الأمرين
وكريد ولبس لها صالح مادي خاص في هاتين المسألتين بل هي تعمل عبيدا بقصد
وطيئد أركان السلام العام واحترام سعيها المعاهدات الدولية وإذا كان هذا مقصدها
الطبعي فواجب أن ننظر لمصر • اد لو أقام الانكلترا فيها طويلا لكدرت لا سك صعو
السلام فضلا عن أن هناك معاهدات يجب احترامها أيضا كما يجب حمل انكلترا على
احترامها •

واننا نرى أن التحالف (١) الثلاثي لو بقي على الجهاد لا لنا ولا علينا لنبلغ مع
ذلك اماننا لان انكلترا سفي يومئذ منفردة امام الدولة العلية وفرنسا والروسا - هذه
الدول الثلاث التي يطالبها عندئذ أن تحرم عاجلا المعاهدات والعهود العلية •

(٣) الانخافون أن فرنسا تضال مصر اذا حرح الانكلترا منها ؟ (٢)

- كلا • فاني عرفت بكل تدقيق حقيقة احساس الامه والحكومة الفرنسية
نحوها • وأقول جازما أن فرنسا مخلصه النية في رعيها لجلال الانكلترا عن مصر •
اذن فهي لا تريد بأي صفة كانت احلال مصر بعد خروج الانكلترا منها وهي تدر
كفاءة المصريين حق قدرها وتعلم من جهة أخرى أن مصر بموضعها الجغرافي وبأهميتها
السياسية لا يمكن امتلاك أى دولة اباها بل يجب أن تكون حرة وتبقى مفتوحة الأبواب
لتجارة العالم كله ولصناعته •

وان الانكلترا يشيعون في كل مكان ان الفرنسيين اما يعملون للجلال لبأخذوا
محل بريطانيا في مصر ولكنها اكدوبة سافطة وخب النية ظاهرا فيها حليا •
فالانكلترا بهذه الاكدوبة يريدون أن يغشوا المصريين وأن بعدوكم أنتم معشر الألمانين
عن الدولة الراغبة للجلال •

واننا نؤمل أعظم الأمل أنكم لا تعشون بالأباطيل حتى تساعدونا على اسرداد
حقوقنا الشرعية المسلوبة •

(١) ألمانيا - النمسا - إيطاليا •

(٢) هو تخويف للمصريين وارد في السياسة البريطانية عندما دخلت مصر باعفاء حمايتها •

مصر وانكلترا ★

« لا يخفى ان حل المسألة المصرية ذو فائدة عظمى لآلمانيا اذ لابد لنا ان نهتم بأمر حياة السويس بعدما تقدمت مستعمراننا فى أفريقيا وانشرت تجارتنا فى الشرق ويهمننا أن نكون هذه الطريق المائية حرة • ولا يشك أحد اليوم أن انكلترا تعمل لامتلاك وادى النيل أو بعارة أخرى لامتلاك قناة السويس •

وبسبب هذه الاعنبارات أحدث الأمة المصرية شتعل بمسألة الاحلال • هل نرضى به ونحمله الى أمد طويل بذلة وهوان • أم نحصل من ربة أسرة ؟ •

ومن الأمور المعقولة والطبيعية قيام كل الذين لا يرضهم حالة بلادهم الحاضرة لغرض استمالة دول أوروبا نحوهم والعمل لتخليص بلادهم ولهذه الغاية نفسها حرك المصريون الوطنيون الساكن من مسئلة الجلاء عن مصر بالخطب والرسائل السياسية واعتنوا بنشر أفكارهم فى كل أصقاع أوروبا •

(١) أى مأمورية سياسية أنت مكلف بها فى حضورك الى برلين ؟؟

« أنى مكلف من لقاء نفسى وبواجبى الوطنى بمأمورية وطنية محضنة يدفعى اليها الاحساس النفسانى فانى لما فكرت فى الحالة النعسة التى فيها وطنى وشعرب من نفسى بأننى انسان عليه واجبات لأرض آبائه وأجداده رأيت بعد التروى مع أصدقائى الوطنيين أن آنى لأوروبا • وقد مضى على عاما وأنا مشغول بعملى هذا مدافعا عن قضية بلادى ضد الانكلز المحتلن لها بالرغم من المعاهدات الصريحة القطعية وأعظم التعهدات العلنية صراحة •

ولقد وجدت انما كنت تعضد محبى « الحق والعدالة » وهم لله لسوا بالقليل العدد فى أوروبا • وانى أخاطب الأمم والحكومات وسواء سمح صوتى الآن أو بعد

(★) حديث صحفى أخرته صحيفة دى بوست الالمانية مع مصطفى كامل فى سورة أسئلة يجيب عنها وسر ذلك تاريخ ١٧ أكتوبر ١٨٩٦ ، بعد مقدمة تعبر بالشاء عليه •

الآن حتى لو كان سماعه بعد موبى فاني عامل ما عشت لاداء واجباني بحو وطنى
وانادى كل ذوى الصمائر الحرة من جميع الامم للعمل لانقاذ مصر .

ومع كونى لا أعرف من اللغة الألمانية الا بعض كلمات فاني حثت برلين لأسمع
صوت مصر المضغوط عليها لأنه لا بهم الناس اللسان الناطق به الانسان ما دام موضوع
كلامه حقاً وصدقاً واني أظن انكم لا تبخلون بأموالكم لامة حديرة بالرعاية والعناية مثل
الامة المصرية .

(٢) هل فقد الانكلس حقيقه ثقته المصريين واصبحتم فى يأس من أن يقوموا
بوفاء وعودهم ؟

- أحل لقد فقد الانكلس ثقة المصريين واصبحنا جميعا لا نفل انهم بعموم يومنا
ما من تلقاء أنفسهم بوفاء وعودهم وأن ثقة المصريين بالانكلس كانت فى بدء الاحتلال
كثرة لأننا لم تكن بحسب مطلقا أن أساسا ممددين نسون لامة بلغت من العظم
والمرتبة مبلغ الأمة الانكليزية بنقضون وعودهم وبمظاهرون باحتقار شرفهم وشرف
الأمم الأخرى نأخذ ما يمكن من ضروب الاحتقار علنا . نعم اننا ما كنا نحسب قط أن
الانكلس يتأخرون بشرف البرلمان الانكليزى وبشرف حلاله الملكة وهامم الآن أولئك
الذين دخلوا مصر ليعيدوا الامن فيها ولسلحوا عنها بعد زمن قليل أصبحوا يدعون
أنهم حماة النمل !!

وان سوء مقاصد الانكليز نحونا أصبح واضحا تمام الوضوح حتى الأحرار (١)
الذين يجاهرون بأنهم نصراء الجلاء هم خبيثو النية ولسوا فى الحقيقة الا (انكلرا)
أقل صراحة من غيرهم وأن الحوادث الأخيرة أنحفنا بأعظم الراهن على ذلك .

ولقد كتب لى المستر غلادستون فى الشتاء الماضى كتابا سياسيا صرح فيه
بأن زمن الجلاء عن مصر قد حان منذ أعوام أى أنه كان يجب ولا يزال يجب على
الانكليز أن ينحلوا عن مصر . وبناء على هذا التصريح العظيم الأهمية القريد فى مانه
كتبت أخيرا الى المستر غلادستون أسأله أن يلقي خطبة على مصر بذكر فيها حكومة
الملكة بأن هنالك معاهدات يجب عليها احترامها على شريطة أن
المستر غلادستون يجب عليه أن ينصم حكومته باحترام المعاهدات التى يجب عليها
احترامها قبل أن ننصحها باحترام تركها على احترام المعاهدات المختصة بها و عادها .

وقد كنت انتظر أن المستر غلادستون يقبل رحاى الا انه أحاسى بأنه سيجس
لكل الأشخاص المجردين من كل حبة وسلطة فلا يسوغ له التدخل فى مسألة مصر
مع أن المستر غلادستون هو بعينه ونصفه أحد الافراد المجردين عن كل سلطة
وحيثية يتدخل ويتدخل فوق ما يلزم فى مسألة الأرمن . وهذا مما شئت سوء
نات الانكليز حتى القائلين منهم بضرورة الجلاء عن مصر .

(١) بقصد الأحرار ناسحلوا مثل غلادستون .

(٣) هل احساس الخديو نحو الانكليز على مثل احساسات امه نحوهم ؟

حقا أن الخديو لا يريد الا أن يكون حاكما حقيقيا في بلده فصلا عن كونه مصريا يحب وطنه حباً صادقا . وهو يريد أن يكون حالسا على أريكته ملكه وأميرا على بلده ولا يقبل بحال من الأحوال أن يكون تحت حماية أى دولة أجنبية ومنذ ما اسلم زمام الخديوية أظهر علنا وبكل صراحة احساساته الوطنية الشريفة وبذلك أوجد في مصر سارا وطنيا يقوى ويرداد من يوم الى آخر وهذا التثار هو اليوم أقوى منه في سائر الازمان . وكل الذين يعرفون اخلاقه وصفاته يعلمون حندا ان خطته الحالية لا تشير الى تجديد ضعف عبده ولا تدل على تنازله عن حقوقه ولكن تدل على أنه صابر يرقب القصر والحوادث .

وأنا معشر المصريين نعلم جميعا أن خديونا المعظم يفكر دائما في تاريخ عائلته الكريمة المحتد ولا يغيب عن ذاكرته قط مجد جده « محمد على » الذي طرد في أول هذا القرن (الانكليز) المحتلين بذلهم (١) . عندما حاولوا أن يسلبوا مصر وان عباس باشا لجدير بأن ينال هذا الفخار .

وبالجملة فأنتى معتقد بأن الخديو عباس باشا لا يعتبر للمحبة قيمة في جانب المحافظة على حقوقه التى هى اقدس شىء عنده خصوصا اذا كانت المحافظة على هذه الحقوق مرتبطة بمحبة امته اياه وبشرف عائلته المجيدة .

(٤) هل من الجائز أن بغض المصريين للانكليز ينحول الى بغض كل الاوروبيين النازلين في مصر ؟

حقا ان هذا السؤال لمن أهم الاسئلة . فان الامة المصرية عاصت من عهد المغفور له محمد على الى هذا اليوم مع الاوروبيين على أكمل وماى وأصفى وداد والاوروبيون والمصريون يخلصون لبعضهم في المحبة ولا خلاف يفرفهم ولقد كان دائما ساهلنا الدينى أحسن موافى بيننا وبينهم ومودتنا للأوروبيين مستمرة لا تتغير ولبدأ الذى حرى عليه انشاء وطنى دائما مع النزلاء هو « أحرار في بلادنا كرماء لضيوفنا » .

ومنذ احتلال الانكليز لمصر انفقنا معاسر المصريين ونزلاء بلادنا في المطالب والأمانى . وانا نعلم علم اليقين أن مصالحنا ومصالحهم محددة ضد مصالح الانكليز وأملنا أن أوروبا تخلصنا من يد هذا الاحتلال الثقيل فتزداد بذلك محبتنا للأوروبيين وتعظم ألفتنا مع نزلاء بلادنا منهم .

اذن فان أوروبا اذا أجابت نداءنا وحقت أمانينا ومطالبنا وحصلت الانكليز

(١) حملة فريزر سنة ١٨٠٧ .

ـ وهي قادرة ـ على احترام المعاهدات بقى الاتفاق والوثام بين المصريين والنراء
الاوروبيين نامين كما هما الآن بل وام . اما اذا أهملت أوروبا زمنا طويلا حل المسئلة
المصرية فأمنا تصطر عندئذ للاعتماد بأن كل أوروبا موافقة على الاحلال راضية به
واما بغض كافة المسلمين بغضا دينيا ومنحاملة عليهم . وهذا يحمل الأمة بالطبع
على كره الاوروبيين عموما كرهها للمحتلين . وهذه نتيجة خطيرة من البديهي أن أوروبا
لا تعمل للوصول اليها .

المسئلة المصرية

(حديث سياسى) (*)

« نعم انا متألمون من الاحتلال الانكليزى لانه مسقط لكرامتنا باعبارنا آمه وصلا عن كونه محدسا لنلادنا حسا ومعنى فاننا آمه بقدر محبه الوطن حق قدرها ونعلم أن بلادنا مادامت تحت يبر الاحتلال الأجيبى ومادمننا لا ندير سؤونا بأيدينا فلا حق لنا فى أن نحسب انفسنا آمه من الامم التى لها حقوق محرمه ولهذا نرعب من صمم افئدتنا النخلص من الاحتلال الانكليزى ولعد وعدت انكلترا أوروبا بالحلء عن مصر ونطق ورراء الانكلبز بذلك فى نصريحانهم العلبيه المكررة وضمنت أوروبا بالمعاهدات التى عقدها مع الدولة العلنه حقوق الحديويه ومن الواجب احرام هذه الحقوق . وأوروبا التى سأل اليوم جلالة السلطان احرام المعاهدات يجب عليها أن نسأل انكلترا قبل كل سىء هذا السؤال .

ولما كانت الامه المصريه مثاله ولها حقوق الحلاص من النير الانكليزى فنرى للوصول الى غرضها سبيلين . سبيل النوره والسبيل السلمى .

فأما سبيل النوره فنحن لا نريده لاننا قبل كل سىء قوم مشهورون بالدعه وحب السكينه وبغض المذابح والجرائم ومن جهه أخرى فان لاوروبا عندنا مصالح فد نصر بها النوره .

وحيث كنا نحترم حقوق أوروبا ومصالحها فى مصر وربما أن الامه اذا نارت صلت عن سبيل الرشاد فلا يميز بن الانكلبز وعمرهم من الأوروبين اذ نقول وقتئذ « لقد بظاهرت أوروبا صندا بموافقتها على الاحتلال ومن الواجب اذا العمل ضدها » لذلك اعرضنا عن سبيل النوره الذى نكرهه بفطرننا .

وعلى ذلك قد اخبرنا السبيل السلمى ورفعنا صوتنا الى مسامع أوروبا المتمدنة بمطالبنا الحقيقية . وان الساعة قد أذنت ولا محالة ونحن على أوروبا أن نكره الانكليز على الجلاء عن مصر .

(*) حديث مع جريدة الاكسترا تاحلاط المساوية ايان تواحد بالحصا من ٢٤ أكتوبر حتى ٣٠ أكتوبر ١٨٩٦ اذ سئل عن موضوع (المصريون والاحتلال) فكانت اجابته .

ولقد كان الاحدر بانكلترا ان سبت عدالها ومحبها للانسانيه بوفاء عهودها
ووعودها والجلاء عن مصر لا مظهر محبها للأمرن وشغفتها ٠٠ عليهم ١١
ومن الوجهة الادارية يرى الانكلير قد أضروا بمصر صررا بليغا حسا ومعنى
فهل الانكليز لا يزالون محضين العطر المصري لاعاده الأمن الى ربوعه ٩٠ كلا ٠ فان
الأمن قد تأيد في مصر بعد مضي أيام فليله من سجن عرابي وأنه يكون من العار
العظيم على الانكليز ان يدعوا بأن الامن لم يتأيد مع احلالهم لمصر ١٤ عاما ٠

أو هل الانكلير محضون الديار المصريه الآن لتعوييه سلطة الحديو على اريكه ٩٠
كلا ٠ فانه لم ينل أمير من امراء مصر احترام سعبه ومحبه مثل ما نال
منها حديونا الحالي عباس الثاني وان الانكلير هم وحدهم الذين يعملون في مصر ضد
سلطته فلا يستطيع أن يستعمل أول حق من حقوق الولاية والملك الا وهو حق اخيار
الوراء الذين يديرون شؤون البلاد باسمه فان انكلترا هي التي سميهم له وقد
اعترضوه اعراضا وفحا لما لاحظ على جيشه بعض الشيء الذي رآه وبالجمله فهو
لا يمكنه اليوم أن يعمل ضد رعية الانجليز (١) وحس لا يمكنه أن يزور باريس بصفة
غير رسمية الا وسببه ونطاول على مقامه السامي الجرائد الانكليزية البذيئة

(١) اسم الحديو عباس الثاني بامر الخيس مند اعتلائه الاريكة الحديوية ، فوطد صلته به . وأمر
سرية الكثير من الصراط المصريي ، وكان يسهر المناورات الحربية بنفسه ، ويعوم بالعيش على الثكاث .
مما أعجب اللورد كتشسر Kitchener سردار الجيش المصري ، فاحج لدى كرومر ، واستقر الأمر على
اسهاز أول فرصة لحق اهتمام الحديو بالجيش . لكنه تمكن بعد تعيينه العربي ماهر ناتنا في وكالة
الحربية من الوموف على حقيقة أحواله علاوة على بثه بعض العيون في فرقة ووحداته التعليمية ٠

وبمنااسبة الاحمال بعيد الجلوس الحديوي في ٨ يناير ١٨٩٤ سافر في اليوم الثاني للاحتفال الى
الصعيد لتفقد أحوال الجيش الرابط في أسوان وجوبها يصحبه عمه الأمير أحمد فؤاد ومحمد ماهر
باشا ٠ وكبار رجال المعية ، حيث كان الضباط المصريي قد قدموا اليه شكوى من سوء معاملة
فائدهم ٠ ويروى أن هناك سببا آخر للسفر ، هو علم الحديو بحطة سرية أعدها كتشسر ، وتتضمن
ارسال خيس لمحاربة التماينس ويدو انه كان في يمه توجيه الانتقادات للضباط الانجليز الذين يشرفون
على الجيش المصري ، فكان استعراضه قوات الجيش في وادي حلغا في ١٨ يناير ١٨٩٤ مندبا اسعادانه
وملاحظاته على سير الاورطتين الثانية والحادية عشر ، وطلب القومندان تأخر الطايور وأبدى لهم ملحوظاته
ثم المى خطبة على مسامح الضباط اسعد فيها طريقة التعليم التي يسهرها الصباط البريطانيون اراء
الجيش المصري ٠٠ فنار كتشسر مدعيا امتحان كرامة الضباط الانجليز ، وقدم استقاله وحاول الحديو
اثفائه عنها وان ما وجهه أمر يراه كمصري وكقائد للجيش ٠٠ ولم يهصد سوى لغت نظر القائدين الى
ضرورة السهر على الكمال والنظام وفعل ذلك مدموعا بحبه لجيشه ٠٠ ولكن كتشسر صعد الأمر وافتعل
أزمة حاده بما يوحى بها كنية مبيتة وصور لكرومر أن الأمر غاية في الخطورة وأوصى له بمنااسبة الفرصة
لعزل ماهر باشا المناويء للانجليز ٠٠ واستكمالا للصعيد أحيطت الحكومة البريطانية علما - وجاء ردها
يعبر عن الاستياء فكان التهديد بخلع الحديو اذا لم يصدور ويسحب انتقاداته ، وأصر كرومر على ذلك
ولم يسمح قنصل فرنسا والروسيا سوى التوفيق بين الطرفين وأراء التهديدات أبلغ الحديو اعتذاراته
وترضيته كرومر ، في نصريح رسمي باللغة الفرنسية والعربية ، الأمر الذي أصاب هوده صربة قوية
وصدعت هيئته بالفوس ٠

د، عبد المنعم الجيمي / مرجع سابق ص ٧٨ الى ص ٨٩ ٠

وفصلا عن ذلك فان للانكلير في مصر جرائد ينفدونها أجره الطعن على الامير والعمل للعض من واجب احترام مقامه في عين الامة ولا يمكن أن يحسب راضيا بهذه المعاملة ولكنه متبصر وصبوراً على أنه لا يوجد عند الأمة شيء أقدر من كلمة الامير لو أراد شيئاً .

أو هل الانكلير محتلو مصر لربيه المصريين وتعليمهم سنون بلادهم ؟ كلا . فان أعمالهم جميعاً سبب عكس ذلك . انهم يفعلون المدارس في أوجه الطلاب . وها هي مدرسه الطب أوضح مثال فقد كان عدد تلامذتها قبل الاحتلال أكثر من مائتي طالب ولكنهم الآن لا يزيدون عن التسعة وهم يفسدون احلاف التلامذه حبب يطمعونهم على الجرائد الانكليزية المملوّه طعنا على الامير والوطن المصري ويعطوهم كتب تاريخ نسب الرسول وتسخر بالعقيدة الاسلاميه وبالجملة فهم يربوهم على أن يكرهوا وطنهم ويجحدوا قوميتهم كل الجحود ويكونوا خدما وعبيدا للانكلير . وفي الادارات (١) والنظارات استولى الانكلير على أهم الوظائف حسب ابعثوا الوطنيين منهم وفربوا الاجانب والدخلاء الذين يسهل عليهم فسادهم وربما فربوا بعض السذج والحوه من الوطنيين لبسبوا بذلك كله ان مصر غير قادرة ان تحكم نفسها بنفسها .

أو هل الانكلير محتلون مصر لسعادة العالين وحيثهم ؟ كلا . فالانكلير يحتفرون قبل كل شيء المصريين احتقارهم للمعاهدات واني أقدم لكم مثلاً على ذلك . ذهب يوما من الايام احد عمال مصلحة التلغراف بحمل سحبه تلغراف الى مهندس انكليزي فلما قدمه اليه سألته آداء لوظيفته أن يمضي على وصول الاستلام فرفض الانكليزي وكرر ساعي التلغراف الطلب لانه لا بد ان يأخذ وصل الاستلام بمقضى وظيفته فما كان من الانكليزي الا ان ساول بتدوينه واطلقها على المصري المسكين فسقط مصرجا بدماثة . ولم يعاقب الساده الانكلير هذا المهندس الا بنقله الى الهند ! (٢) .

ولا ننس المحكمه المخصوصه التي تحكم في المنازعات التي نفع بين المصريين والعساكر أو البحارة الانكليز وهي تحكم لغاية الاعدام بلا قانون وأمر بتنفيذ حكمها في الحال فينفذ .

(١) انظر الى تعليقا على حديث ١٨٩٦/٩/١٥ .

حاشية رقم ٢ ، ص ٢١٩ .

(٢) وقع هذا الحادث في سنة ١٨٩٦ ذلك ان أحد عمال مصلحة التلغراف قد حمل تلغرافا الى مهندس انكليزي بالجنس البريطاني ، ولما طالته ساعي التلغراف بالتوقيع بالاستلام رفض المهندس الانكليزي ولما كرر ساعي التلغراف طلبه بالتوقيع أطلق المهندس سدينيه عليه فارداه فيلا . والتفريق ان المحكمة المخصوصة بدلا من معاقبه الخالي برأيه وسب حكمها على أن العقيل قد اثار منهم مما دفعه الى ذلك التصرف .

واكتفت المحكمة بنقل الضابط الى المستعمرات الانكليزية بالهند . ولم تكن تصرفها ناعدا الصابط المهندس عن البلاد حرصا على مشاعر أهل العقيل بل حرصا على المحافظة على حياة هذا الصابط التي هي أثمن في نظرهم من حياة أى مصرى .

جريدة المؤيد اليومية ٢٦ نونية سنة ١٨٩٧ العدد ٢٢١٠ .

وأما من حيث الوجهه الماليه فلما كان الانكلسر مصطرين لدفع مربيات بإهطه لموظفيهم قد أعلوا الضرائب حتى أصبحت مصاريه الاداره المصريه سبعة ملايين من الجنيهات خلافا لاتفاقية (١) لندره التي حددتها بخمسة ملايين فقط .

واديون العلاحين لم تكن قبل الاحلال الانكليزي الا سبعة ملايين جنيها بلعب اليوم اكبر من اثنين وعشرين مليوناً .

أم هل الانكليز محلولون مصر اليوم لمصلحه أوروبا ؟ كلا . ثم كلا . فإن أول عرض للانكليز من احلال مصر هو تعويض أركان النفوذ الاوروبي لا ليعود ذلك على مصر بالاستقلال في المستقبل ولكن ليحصرها القوه في ايديهم .

ولقد أقزعت تصرفاتهم الماليه حمله الفراطيس (٢) المصريه ونراهم اليوم . « أي الانكليز » يجهدون في الغاء المحاكم المخلطه التي هي أعظم ضمانه لاوروبا في مصر .

ومن جهة أخرى يجب أن لا ننسى المسئلة الجارية فان للانكليز في الجمهورك وزاين وعيارين ولست في حاجة لأن أقول لك أن التجارة الانكليزية هي المميزه بجملة مزايا خصوصيه .

وبالاحصار فان انكلترا محله العطر المصري لمصلحتها الخصوصيه ليس الا .

وان كانت أوروبا تريد تحقيق السلام وصمانه حقوقها وانصاف أمه مسمديه معتدله كريمه فعليها وجوب حمل الانكليز على الخروج من وطننا في اقرب وقت والسلام .

(١) عقدت هذه المعاهده في ٥ يوليو سنة ١٨٤٠ بين انجلترا وروسيا والنمسا وروسيا وتركيا ولم تذكر هذه المعاهده بالتحديد قيمة الجزيه السنويه التي تدفعها مصر الى الباب العالي ولكن في ١٣ فبراير سنة ١٨٤١ صدر فرمان حدد قيمة هذه الجزيه وهو أن ربع ايرادات الحكومه المصريه الحاصل من دخل الجمارك والجراح والضرائب يرسل الى حرية الباب العالي ويخصص الثلث الارباح الأخرى لشؤون مصر من نفقات الجبايه والاداره العسكريه والمدنيه وحاجات الحكومه والعلل .

ويبدو أن مصطفى كامل حدد مبلغ الخمسة ملايين جنيه الخاصه بمصاريه الاداره المصريه من دفع اندخل الحاصل في الخزانة والذي وجدته بها في هذه السنة ١٨٩٦ .

(٢) عيد الرحمن الراصي - عصر محمد علي ، القاهرة ١٩٥١ ، ص ٣٣٤ ، ص ٣٦٤ .

(٢) بدأ العمل بنظام الأسهم منذ نهايه ١٨٧٦ من خلال المرافيه الثنائيه الأولى وهي الفتره التي بدأت بين صندوق الأمر الحديوي بعض ماليه مصر وبين ناليه الوزاره الأوربيه في أغسطس ١٨٧٨ والتي بولي فيها موظفون أوروبيون ماليه مصر لصالح حمله السداد وان كانوا طاهريا في خدمه مصر وطهرت كفايه هذا النظام في السرعة التي تم بها دفع فوائد شهر ساير وقد أدى ذلك لوفوف الأعمال الصناعيه على اظهار أموالهم عبوه ثم سريخ عدد من رجال الجيش وجيش ، مرشات الموظفين . ويعول روزشتين « . . . ان المقريرات الوارده من أحاء العطر متعمه على أنه قد عمل بجمع ايراد السنه المعيله فيسل دخولها ١١ وقد نابع هؤلاء استعراج ربح الدين من العلاج المصري والحكومه المخربه .

ويعد أن وصعب انجلترا يدها على مصر رسميا وبولي لورد كرومر الأمر فيها عمل على تشكيل لجنة هو أحد أعضائها لتعطيه ما تراكم من الديون السائره وتعديل قانون الصعيه وقد رأت اللحه أن السبيل الوحيد لحل مشكله الديون هو بيع ارباحها بمقدار ٢/١ أو بعبارة أخرى اعلان افلاس جديد وقد وصح كرومر بصت عيه تركيز عنايه الى الاداره الماليه وكذلك عني بكل ما له صلة مباشره به .

- تيودور روزشتين ، ترجمة عبد الحميد العادى ومحمد بدران ، فصول في المساله المصريه ،

القاهرة ١٩٥٦ ، ص ٢٦ .

حديث عن المسألة المصرية ★

« لا نظن يا حضرة المكاتب ان المسلمين يكرهون المسيحيين أو في نفوسهم شيء من البغضاء لهم . وان الذين يصرحون في أوروبا بنعصب المسلمين الديني إنما يضرون الضرر بمسحى الشرق فاداً فساهل أوروبا ربما طويلاً وأعضب عن الكتابات والخطابات العدائيه ضد الاسلام اضطر المسلمون عندئذ ان يجرموا بأن أوروبا فاطية منعصبة صدهم محاربه لهم حرباً دينية وان نتيجة انتشار اعماد كهذا الاعتقاد في العالم الاسلامي لعظيمة الخطر على العالم كله . »

وماذا نقولون معشر الاوروبيين اذا قام اليوم علماء الاسلام وفلدوا فسوس الانجليز والعوا في الجوامع والمساجد الخطب الدبية ضد النصرانية والنصارى وحرصوا هذه الأمم التي يبلغ عددها بلانمائه مليون من النفوس ضد المسيحيين ؟

ولقد رأيت بنفسك يا حضرة صاحب المكاتب في الحوادث الأخيرة برهانا واضحا على عدم نعصب المسلمين ضد المسيحيين فهل نال أحدا من الاوروبيين شيء من الاذى ؟ كلا لم كلا إنما بغض الأرمس وان كان سديدا فانه طبيعي لأن هؤلاء القوم الدين كانوا في رغد تام من العيش وفي نعمه زائدة لم يجدوا وسيلة يظهر بها امتنانهم للدولة العلية غير البورة والجرائم والمذابح !! فاولئك المجرمون هم المسؤولون وحدهم عن مصائب اخوانهم الارمن الذين ماتوا أبرياء وذهبوا صحبه عمل فريق منهم .

واذا كانت أوروبا نريد حفيقة العمل للتوفيق بين المسلمين والمسيحيين وعليها أن تجبر انكلترا على احترام المعاهدات وحقوق السلطان في مصر التي هي من الخلافة الاسلامية روحها وقلبها . واعتقد يا حضرة المكاتب أنه متى انحلت مشكلة مصر لا يكون لانكلترا فائدة من الآن في دس الدسائس للدولة العلية . .

(*) أجرى هذا الحديث مع جريدة فريكلور تركوييه الألمانية أثناء وجود مصطفى كامل بالاستانة في ٢ نوفمبر سنة ١٨٩٦ .

او ليس من الغرائب أن أوروبا الممدييه بهمل حمل انكلترا على احترام حقوق
السلطان في مصر ثم هي نفسها أوروبا التي سأل السلطان بعنه احترام
المعاهدات ؟؟ .

أما الجواب على سؤالك لي عن يعود حليعه الاسلام المعوى بن الأمم الاسلاميه
فقطعي لا ريب فيه . وان للحليعه الاسلامي يعودا هائلا لا يدركه الفكر بين كل الأمم
الاسلامية . واذا كان يوجد في أوروبا أناس يقولون عكس ذلك فابهم يغشون أوروبا
ليلفوها في هاوية خطر عظيم .

ويكفني أن أقول لك أن كلمة واحدة من حلاله الخليفة تكفي لتسير الأمم
الاسلامية كلها في أي سبيل يشاء فلسفظ لذلك الامر محبو السلام في أوروبا .

كشف الغطاء عن دسائس الانكليز ★ السياسة ذات الوجهين

ما هي احساسات المصريين نحو الانكليز ؟

ان عموم المصريين كارهون للاحتلال الانكليزي وهم يعتقدون اليوم ان عناية السياسة البريطانية املاك كل وادي النيل . ولذلك وعدوا الآن ما كان عندهم من الثقة في وجود الانكليز . وبالاختصار فقد علمنا من الاحتلال الانكليزي أن نعتقد بأنه لا سرف ولا دمه في السياسة .

ما هي رعايب الوطنيين المصريين او الحرب الوطني في مصر ؟

ان الحزب الوطني (١) في مصر هو عبارة عن الأمة بأسرها تجاه الاحتلال ورعايبه هي رعايبها . وأهم هذه الرعايب تحقيق الجلاء عن مصر من غير أحداث (٢) أي اضطراب أو أي أمر من شأنه تكدير الامن العام .

ولهذا الغرض فمننا نستلعت أنظار أوروبا اليها بالعلم واللسان ولسنا يغير القلم واللسان نريد أن نخاطب أوروبا ونسفرها للطر في مصلحة بلادنا . أما الانكليز الذين يدعون أنهم احلوا مصر لتأييد الأرمن فيها فابهم يعملون جهد استناعتهم لاحداث اضطرابات في البلاد فهم يجنهدون في اهاجة حواطر المسلمين ضد المسيحيين وينشرون رسائل تطعن على الدين الاسلامي وتدعو المسلمين لاعناق النصرانية ويطعنون في جرائمهم على خليفة الاسلام الذي له في مصر سلطة معنوية لا يحدها العقل . كل هذا مع احصاءهم لسائر المنظمات والقواعد الشرعية .

(*) حديث مصطفى كامل الى حريده نيويورك هيرالد في ١١ نوفمبر سنة ١٨٩٦
علمت الجريدة أهمية على رياره مصطفى كامل للاستانة في تلك العبرة المحدودة سابقا واعبرتها مرصة ساحة لاطهار ولاء المصريين للباب العالي بعد اشاعة الفئور في العلائق الحديوية بالعرش العثماني .
(١) هكذا كانت فكره نكويين حزب وطني براود مصطفى كامل ، على أساس ضرورة ايجاد تجمع وطني منظم يرفع في وجه المحتل يحمل اسم أول حرب وحد عام ١٨٧٩ ، (ركرنا سليمان الحزب الوطني في ١٩) .

(٢) كان مصطفى كامل في جميع مراحل كفاحه يبغض العنف والثورة في تحقيق الجلاء .

ولذا كان عمل كل وطني صادق في مصر موجها الى تسكين حواطر الأمة الى
من الجائر أن نصور يوما بسبب نحرصات شعبة الانكلز .

ولكن قل لي لماذا يرغب المصريون في الجلاء والانكلز يشعرون أنهم في أرغد
عيش تحت سلطتهم ؟؟

— أننا نعمل للجلاء أو تحرير وطننا أولا لأننا نشعر بواجبنا وحقوقنا ونعتقد
ان من واجباتنا القيام بعمل هذا العمل الشريف وأن هبنا من الحياة ما يكفى لثمننا
بكل حقوقنا .

أما ما يشيحه الانكليز من أننا سعداء بحب سلطتهم فهذا كذب فام بدحضه
البرهان اذ الحقيقة أن المحتلين فرقوا مصر أحزابا حسا ومعنى .

هل لك أن تقول لي ما هي خطة مصر بازاء الدولة العلية (الجواب على هذا
السؤال وعلى الذى بعده هما ولاشك بيت الفصيدة من هذا الحذب) .

أن سياسة مصر نحو الدولة العلية — وهي السياسة التي يجرى عليها الوطنون
المصريون هي سياسة حسن التقرب منها ونوطيد العلاقة الحسنة على قدر الامكان بين
السابع والمتبوع .

فالتاريخ يندرننا بالأنا ننبع سياسة أخرى غير سياسته المحاسنة لانه اذا كان
الانجليز في مصر الآن فالسبب في ذلك ولاشك هو النفور والخصام اللذان كانا
مستحكمين قبل الاحتلال بين جلالة السلطان (١) والخديو السابق توفيق باشا .
ولقد نجح الانكليز في التفريق بينهما بالسر على سياسة ذات وجهين ، فأفهموا
جلالة السلطان وقتئذ ان خديو مصر عدو له بعمل لاسقاط جلالته عن عرش الخلافة
ليجلس هو عليه كما سعى لذلك من قبله حـده الاكر (محمد علي) وافهموا
المرحوم توفيق باشا من جهة أخرى ان السلطان يعمل ضده ويسعى لعزله عن كرسى
الخديوية ليعود مصر ولاية عثمانية كما كانت عليه من قبل العائلة الخديوية .

(١) لم يطر الى الخديو توفيق في الاستانة بين الرضا والمطع لأن السلطان عبد الحميد لم
يعمر له عدم ذهابه الى عاصمة السلطنة من ولايته الحكم ليعدم له فروص الولاء ، وكان السلطان العثماني
قد اسهر فرصة تولية توفيق بعد اسماعيل وحاول ان يعص من دعوى الملاد السياسية وهي الحقوق
التي حدها فرمان سنة ١٨٧٣ وكان يسمد أن الحقوق التي منحها لاسماعيل لا داعي أن يسمح بها خلفه
الذي لا يروق له لا سيما وأن اسماعيل لم يحسن استغلال الامتيازات التي منحت له لهذا وجد السلطان
في الثورة العراقية فرصة سانحة للتدخل في مصر وانتقام من سلطة الخديو بدليل انه اوسل وعد
عثماني بقيادة على نظامي باشا بعد واقعة عاندين دون علم الخديو أو دون استشاره مصر في ذلك في
٦ أكتوبر سنة ١٨٨١ .

(د . محمد مصطفى صفوت — مرجع سابق ص ٢٩ ، ٣٠) .

فلما قام مسئلة عرابى رأى الانكليز من تمام المهارة ومن وسائل توسيع خرق الشقاق أن يبرهنوا للخديو على كراهة السلطان له فسعوا عند الخليفة سعى الصديق حتى حلوه على تقليد عرابى بالنشيان العثماني الاول !! ومن هو عرابى ؟ هو الذى كان يدعى يومئذ بأنه المدافع عن حقوق السلطان فى مصر . وهذا الأمر أوغر صدر المرحوم نوفق ياسا والقاء فى حضيض الانكليز . وها هم الانكليز الآن يعملون جهد استطاعتهم للشقاق والتعريق بين الجباب الخديو وحلالة السلطان ولكن ما نعهد فى امرنا الحال من التنصر والحكمة والوطنية يحقق لنا أنه يعمل دائماً لتأبسد المحاسنة والتقرب من الدولة . وهى السياسة التى فى اناسها سلامة الكرسي الخديوى والوطن المصرى .

هل يمكنك أن توضح لى السبب الحقيقى للحملة على دقطة (١) ؟

ان مرمى السياسة الانكليزية من يوم احل الانكليز مصر هو الاستيلاء على السودان . فهم يرغبون امتلاك هذا الوادى المملوء بالخيرات والثعمن وهم أدركوا أن من ملك السودان يملك مصر وانهم اذا اضطروا احالة لقرار أوروبا للانجلاء عن مصر يبقى السودان تحت سلطتهم .

ولا يخفى أن السودان بلاد لا ديون عليها لاوروبا كمصر فامتلاك الانكليز لها يجعلها مستعمرة انكليزية مطلقة وكل أعمال الانكليز من يوم الاحتلال موجهة لهذه الغاية .

فلما احس ابناء التامز (٢) فى سنة ١٨٩١ أن فرنسا والروسا تشتغلان بوضع اساس اتفاق لحل المسألة المصرية وخافوا أن هاتين الدولتين تمضدان النحاشي (٣) بالضباط والاسلحة فسير بجيشه الحار الى السودان . هم يدركون عواقب ذلك - أوقعوا بن ابطالبا والنحاشي ، ولم يكن ثم غرض لهم الا ان يمنعوا ملك الحبشة من التقدم فى السودان وقد نجحت سياسته نجاحاً عظيماً ، القب ابطالبا بنفسها بن بدي الاحباش وما عمات شتاً غير كونها خدمت سياسة الانكليز ومشروعاتهم الخفية بمالها ودماء ابناءها .

ولمهاراة الانكليز فى سياسهم انتهبوا فرصة انهزام الايطاليين وقرروا حملة دقطة بحجة مساعدة ابطالبا المنهزمة لسنالوا بهذه الحجة رضى التحالف الثلاثى عن الحملة وموافقتة عليها .

(١) انظر تعليقنا على حملة دقطة فى الحديق الذى دار بين مصطفى كامل وحريدة الليبرارول الفرنسية فى ١٨٩٦/٩/٧ ، ص ٢٠٨ ، ٢٠٩ حاشية (٢) .

(٢) يقصد الانكليز .

(٣) ملك الحبشة .

ونرى الانكليز يريدون الآن تميل آخر فصل من هذه الرواية بطلبهم ابتغاء
كسلا من ايطاليا ١١

وبمثل هذه الاعمال نسخر انكلترا من اوروبا باسرها حيث لم تعمل هذه عملا
ما لاجراج تلك من وطننا العزيز ١

«دعوة للأمة الألمانية» (*)

« انى أنقدم للأمة الألمانية فى هذا اليوم التاريخى الذى يجعل فيه بالعيد السعيد لتذكرك حلاله الامرطور غلوم سائلا اباهة معونه بلادى ومساعدة وطنى السىء الحظ .

وأنى أعلم علم اليقين أنه لكى تجرى أمة من الأمم فى سبيل سياسى يلزم زمن طويل وعمل عظيم ولكى أعلم أيضا أن الحصة لو كانت معلنة على لسان رجل واحد تكفى وحدها للناس على الصمائر والافكار ، ولا سىء بشجع النفوس المباله للحرية مثل مثل الأمم الحرة الى نشر الحرية بين سائر بى الانسان وانا تعلم جيدا أن الأمة الألمانية لا تستطيع مطلقا الا المناداة بحرية مصر والمساعدة على الوصول اليها وان بلادنا لجديرة حقيقة بالرعاية والعناية من الأمم الحرة لأنها برهنت على شدة احترامها للمدنية والانسانية وما وعود الاحتلال الانكليزى فى ربوعها الا برهان ساطع على نقتها بدول أوروبا حيث أنها بنقنها هذه قبلت توسط انكلترا فى اعادة الأمن الى البلاد بعد ثورة عراقى .

ولقد تأيد الأمم فى مصر فى العام الأول من الاحتلال ولم يعد هناك حاجة ما لوجوده الا تحريه وادى النسل حسا ومعنى .

فعوضا (١) عن تأيد سلطة الحديو وهو السبب الأول للاحتلال صار الانكليز اليوم لا يعملون الا على تقويضها الى حد أنهم أصبحوا يعضدون الرجال الذين اشترتهم انكلترا والذين هم قليلون جدا كما هم محتقرون للطعن على (٢) سمو الحديو والتظاهر ضده .

(*) نشرت بحرنده برلينرا حلاط الألمانية ١٠ ٨ فبراير سنة ١٧٨٧ بناسنة الاحفال بعيد ميلاد الامرطور غليوم فى ٢٧ مارس سنة ١٨٩٧ .
(١) انظر تعليقنا على عدم سلطة الحديو ونقيصها فى حديث جريدة الاكلير الفرنسية فى ١٥/٩/١٨٩٦ ، ص ٤١٩ ، ٢٢٠ حاسية (١) .
(٢) المقصود جريدة المقطم وهيئة تحريرها .

عائلتك الانكلسر ناعنهم الذين كانوا يعتبرون سابعا سخط العرايين على
الخديو توفيق جريمة لا نغفر اصحوا اليوم يعتبرون محبة سمو الخديو (عباس
حلى) جريمة الجرائم .

هم دون أن يأنوا بأى نافع لمصر نفسها ما عملوا الا على تخريبها وتدمير معالمها
فلقد بلغ فقر الفلاحين لازدياد الضرائب مبلغا لا يحده الفكر واصبح اليوم غايات
الانكليز الشخصية ذات المفعول الاسمى وباتت العدالة اسما بلا معنى وبلغ الظلم
العسف نحت حكم انكلترا الى حد أن الانكلز صاروا الآن يحرقون الناس جهارا وهم
أحياء .

ولما رأت الأمة المصرية مقدار احتقار الانكلز لكل الحقوق الشرعية وشعرت
تمام الشعور بالأمها ومصائبها نطقت بحكمها النهائي على الاحتلال الانكلزى بأن
قضت عليه شر قضاء فلقد أعلنت مصر بأعلى صوتها باقلام كتابها الفضلاء وعلى
السنة خطباتها ونوابها الذين تنتخبهم انها لا تستطيع مطلقا تحمل الاحتلال الانكلزى
وانه يجب أن تعيش أمة حرة وأن تحقق أوروبا لها هذه الحرية الى الأبد .

وان القضاء على الاحتلال الانكلزى من الأمة المصرية بهذه الصورة الجهرية
لقضاء ذو قيمة عظيمة فى نظر العالم بأسره فان أمة تستطيع بما لها من الكفاءة
والمدينة أن تحكم نفسها دون أن يضر ذلك بمصالح الدول المتعدنة يجب أن تحرر
ويجب أن تعيش حرة .

نعم ان مصر يجب أن تحرر ويجب أن تعيش حرة لس فقط لأنها تستطيع هذه
الحرية بل ايضا لان فيها المصلحة السامية لكل العالم فلقد رأى الناس طرا أن انكلترا
تهدم مصالح مصر ومصالح أوروبا الاساسة واصبحت بريطانيا العظمى بلا ريب تعمل
الوم على خرابنا وامتلاك بلادنا فماذا تنتظر أوروبا اذا ؟

أن هذا السؤال يلقى صراحة على الأمم الأوروبية وهو هل ترضى بأن تقتل أمة
حبة علنا فى آخر القرن التاسع عشر ؟ كلا انا لا نظن ذلك . ولذا أخذنا على عهدتنا
مناداة الأمم الأوروبية وقد جئت اليوم اناى الأمة الابانية العظيمة السطوة .

لقد تعهدت انكلترا لأوروبا بأسرها أن تنجلى عن مصر متى استتب الأمن فيها .
وتعهدت الدول نحو بعضها بالمحافظة والدفاع عن سلامة مصر واستقلالها . فلماذا
ترك انكلترا تحكم بلادنا ؟ أن تركها بحكم وادى النيل لمسة علنية لأوروبا ولمسة
كبيرة للمدينة الغربية .

وبديهي أن لكل أمة تريد الاستقلال والتخلص من النير الأجنبى الحق فى رفع
لواء الثورة والعصيان وازهاق النفوس وأسالة الدماء وللامة المصرية كذلك هذا الحق
الشرعى الذى لا ريب فيه . ولكن أليست أمتنا أجدر حقيقة بالرعاية والمساعدة اذا
كانت هى حتى الآن متعدة عن سسل الثورة لوثوقها بعدالة أوروبا .

أنا منذ سنين عديدة حافظنا امام شعوب الارض على السلم وبرهنا على اسا أمة
نريد من صميم قؤادها نيل الحرية وعمل للوصول اليها بدون اسالة الدماء .

وأمة هذا سنانيا من المدسه وهذا سنانيا من الوثوق بالمدسه هي بلا محاله حدره
باتعطاف الامة الالمانيه نحوها ومساعدتها لها .

ولقد نجحنا من ظروف عديده ان فرنسا وروسيا نريد ان مساعدتنا على تحرير
وطنا (١) أما ألمانيا فقد نصبت على الحساد . فلم لا نتحد مع جارتها في تحرير مصر
ذلك التحرير الضامن للسلم والعدل والانسانية .

لقد صرح في يوم ١٦ نوفمبر الماضي بأعلى صوته من مبر خطابة مجلس
الريشناغ البارون فون مارشال وزير الخارجية الالماني بأن « من مصلحة المانيا
السمر مع فرنسا وروسيا بالاتفاق في جملة مسائل سياسية خارجة كما حري ذلك
في مسألة الصين واليابان » وبديهي أنه ليس هناك من مسألة تتحد فيها مصلحة
المانيا مع مصلحة فرنسا وروسيا مثل المسألة المصرية .

فساعدتنا اذا أبتها الامة الالمانيه على استرداد حريتنا واستقلالنا .

ألا أبتها الامة الالمانيه الا أنها الامة المتعدنة العظيمة ان الانكلز محتلي بلادنا
بمثلونك لنا بألة في أيديهم وبمديية يقبضون عليها للقضاء على حباتنا ونقمس عمرنا
مع أن الحقيقة والتاريخ يرهنان لنا على ضد ذلك .

(١) لقد كانت « مسألة مصر » في أول الأمر مرتبطة في ذهن المستشار الالماني سمارك بمسألة بناء
الدولة العثمانية ودمصرها ولم تكن سياسة سمارك في السنوات العشر التي تلت سنة ١٨٧٠ سياسة
الحماطة على كان هذه الدولة أو سلامها ، فقد صرح مرارا انه ليس للحكومة الالمانيه مصالح مهمة تدعوها
المدخل في شئون الدولة العثمانية لصالح مسيحوا أو مسلمو هذه الدولة وان كل ما نهمه ان يضع
نفسه في خدمة أصدقائه وليست الدولة العثمانية واحدة مهم وكان سمارك هو الذي دعا الانجليز الى
أحد مصر ، وهو الذي عمل على تثبيت أقدامهم فيها وعقد سياسة الاحتلال في سنة ١٨٨٢ ، قائد
الاحتلال تأييدا لا تشوبه شائبة ونصرها بكل قوة ، وحمل من مسألة مصر وسيلة لربط احتلرا بدول
الحالف الثلاثي المكون من ألمانيا والنمسا وإيطاليا للمحافظة على مركز ألمانيا المفقود في أوروبا .

واسمرت ألمانيا على بعضيها للاحتلال الى أن عارضت احتلرا سياسة ألمانيا الاستعمارية سنة
١٨٨٤ ، حينئذ هددت ألمانيا أنها ستناقش مركز احتلرا في مصر ومناصرة فرنسا عليها وقد اضطرت
احتلرا امام معارضة فرنسا وناييد روسيا للسياسة الفرنسية ان تحي الرأس امام ألمانيا فقادت الحكومة
احتلرا امام معارضة فرنسا وناييد روسيا للسياسة الفرنسية ان تحي الرأس امام ألمانيا . ما لشب
هذه السياسة أن شايها شيء من النصر بعد روال سمارك من مسرح السياسة الألمانية فالنمس العيصر
الألماني معارضة سياسة احتلرا في مصر ، مسعلا مصر وسيلة لحل مشكلة الكونصر لصالحه ، ومن ثم
اصح لا نهمه في ذلك الوقت ان يشجر الرياح ن الحدودو عباس والانجليز ، ولا يهمه نمو الشعور
القومي المصري اذا ما عارض مع المصالح الألمانية .

(محمد مصطفى صفوت مرجع سابق ص ص ١٢٠ ، ١٥٠ ، ١٥١) .

كلا . انتم لستم اذا افوياء لسركونا بموب '

كلا . انتم لستم اذا احرار لحكموا علينا بالعبودية للانكليز '

مصر كلها بفل في هذا اليوم السعيد انكم تتحدون مع الدول الاربعة اصنافا
ويعملون معها على رفعنا الى مكانة الشعوب الحرة .

ونؤمل جميعا ان نذكر ميلاد حلاله الامبرطور علوم نعود على العالم بالسلام
ما هي الحالة الحقيقية السياسية في مصر الآن ؟

مصطفى كامل في برلين *

ما هي الحالة الحقيقية السياسية في مصر الآن ؟

- انها لحاله فوضى عمومية في ادارة البلاد وقلق شديد في أفكار الشعب المصري . فلقد أصبح بين المصريين وحكومهم - كما يوجد بينهم وبين الانكليز - هاوية عصقه جدا . فان حكومة بلادنا ورجالها من صنائع الانكليز - يعمل في مصر كل ما ينافي رغبة الأمة فكم من مرة طلب مجلس الشورى وهو الهيئة السيادية عن القطر اجراء اصلاحات في الادارة والتعليم والحكومة بدلا من أن نخضع لرغبة الشعب كاس نقابل المجلس باللوم بكل خشونة ونجرى ضد رغائبه ومطالبه . والفضل في ذلك لعضيد الانكليز فأصبحت الأمة المصرية اليوم لا احترام لها لحكومها اما سمو الخديو فهي تعلم أنه رئيسها الوحيد الذي يحرم ادارتها ويحبها ويرغب في خيرها وسعادتها فلذلك ترى مصر كلها مجمعة على محبته منتظرة أن تنال على يده مستقبلا سعيدا .

ومصر الآن بلاد قائم الاحترام المعنوي بها دائما بين الشعب والحكومة ، وحكومتها تعتبر نفسها مجرد آلة في يد الانكليز ، وسمو الخديو يرى بعينه مصائب وطنه ولا يستطيع الى دفعها سسلا ، حتى أنه يرى في بعض الاحيان جماعة من مآحوري الانكليز يتجاسرون على الطعن في مقامه الرفيع .

أما النزلاء الاوروبيون فقلقهم مثل قلقنا فهم يرون انفسهم مهددين من الانكليز الذين بدؤوا في هدم ما بنته أوروبا في مصر واعلنوا بعصارات ملؤها الكبرياء انهم سيقضون على المحكمة (١) المختلطة بعد عامين . وليس بعد هذا تهديد لمصالح أوروبا في مصر .

فقال المكاتب . وهل ترى علاقة بين مسائل تركيا ومسئلة مصر ؟

(*) حديث نشرته جريدة الرليتزما حلاط الألمانية في ٧ أبريل سنة ١٨٩٧ .

(١) انظر الى تعليقنا على المحاكم المختلطة في مقالة ١٨٩٦/٩/١٥ .

قال . لا ريب في ذلك فان الواقع على ما جرى بين تركيا وانكلترا منذ بدء الحوادث العرايية الى اليوم يعلم يفينه ان غاية انكلترا الوحيدة من حوادث الشرق واضطراباتة هي تحويل نظر أوروبا عن مصر .

فلما نبأ سمو الحديوي الحالي الاريكه الحديويه تغير مجرى الامور اذ أدرك سمو الامير ان الجفاء بين مصر وتركيا عقبه في سبيل انقاد مصر من مخالف الانكليز فجرى على غير تلك الحطة فسعى الانكليز في الاسنانة نفسها ضد الجانب الحديوي فلم يفلحوا ، ولما رأوا ذلك هاجوا ضد السلطنة والسلطان لينسفوا أوروبا عن مصر وفوق ذلك فانهم يريدون بأعمالهم في الشرق أن يدخلوا في أدهان المسلمين أن أوروبا عدوة لهم منعصبة ضدهم مما يثبط بلا شك همه كل دى وطنية في مصر ولكننا أدركنا قصدهم فلم نبأس من مستقبل بلادنا المرجو . على أنه من المهيجات للخواطر أن أوروبا بأسرها نترك انكلترا بحدها مل هذا الخداع .

ثم نكلم عن الاكتتاب الجارى في مصر لمساعدته الحكومة (١) العثمانية فقال : أنه وان كان المصري لا يعرف الا وطنه واحدا وهو مصر فمن الامور الطبيعية المحصنة أن يساعد المصريون جيش الدولة والحلافة ويظهروا بذلك امسانهم للدولة لانها لم ترد ان تكون آلة في يد الانكليز ،

(١) مند أوائل مارس سنة ١٨٩٧ وقعت عدة حوادث عدائية بين اليونان وتركيا في جزيرة كريت فمكر كثير من أكابر المصريين في جمع اعانة مالية بواسطة الاكتتاب وارسالها الى الدولة العلية . وفي ١١ مارس سنة ١٨٩٧ ذهب وفد يمثل كبار الباشوات في مصر الى الحديو يلتصمون منه أن يكون الاكتتاب بحسب رعايته فقبل الحديو هذا الالتماس .

وقد وصفت صدايق في المساجد وهي بعض المحال التجارية لقبول تمردات العامة . وقد رادت السرعات عقب وصول أبناء تفيد احراق اليونان للحدود التركية واعتدائهم على الجيش العثماني مما اضطر تركيا الى اعلان الحرب رسميا ، والحدير بالذكر أن كثيرا من ضباط الجيش المصري تقدم للتطوع في الجيش العثماني وكذلك الكثير من الاطباء .

(أحمد شوقي : مذكراتي في صنف قرن قسم أول ج ٢ من يناير ١٨٩٢ - ١٩٠٢ ط ١ ص ٢٣٩)

اعانة المصريين للدولة

تكذيب صريح

جناب مدير جريدة الليبرنيه

فرأت ما نقلتموه عن جريده الايجيپسيان عاريت الانكليزية التي يصدر بهجر الاسكندرية واتهمنا فيه نحن الوطنيين المصريين بالسعى في اثاره الخواطر والتحريض على احداث القلاقل والاضطرابات ولو علمتم جنابكم أنها جريدة الاخلال وان اخلاقها علينا أصبح أسهر من نار على علم ما نقلتم عنها سىء . لأننا اذا كنا ندافع عن حقوقنا السلويه فذلك بالاعتدال والسكينة والطرق المشروعة واننا ما فكرنا أبدا في الاعداء على النظام لأن هذا يضر كثيرا بمسئلتنا الحيوية ولأن نعوسنا الوطنية ندرك مصالح أوروبا في مصر .

وانى أرجو جنابكم أن تسمح لى بأن أصرخ جهارا بأننا لم نفكر قط في الطرق السوريه للوصول الى تحرير وطننا العزيز لكن الانكليز هم الدين يلغون بدور الشفان في مصر ويسعون بما لديهم من الوسائل الى احداث الاضطرابات فيها فلم يفلح سعيهم لأننا قاومنا حركاتهم بكل قوتنا .

ان مصر الآن سرعت في جمع اعانة وطنيه للجيش العسائى وليس سبب ذلك البغضاء للمسيحيين مهما كانوا بل ان الذى يعنهم على ذلك واحباتهم لخليفة المسلمين لاسبما الواجب الوطنى .

نعم أقول أن واجباتهم الوطنية هي التى بعثهم على ذلك اد يهمنا أكثر من غيرنا سلامة المملكة العثمانية لأن سلامة ممالكها هي الاساس التى تبنى عليه حقوقنا الشرعه

(ج) كان مصطفى كامل قد سافر الى باريس فاحس بتيار معاد له في الصحافة الفرنسيه شيحه نشر مقالة في جريدة (احشيان عازيت) فيها طعن على أسلوب مصطفى كامل ثم نقلتها عنها الليبرنيه مما كان سببا في اثاره الخواطر في مصر وخارجها ، من أجل هذا سعى مصطفى كامل لهذا الرد ارجاعا للأمور الى صانها ، وكان ذلك بتاريخ ١٧ أبريل ١٨٩٧ .
(على مهى كامل ، مصطفى كامل في ٣٤ ربيعا ج ٥ ص ٢٢٩) .

صد عمل الانكليس يجب ان نسي ان كل ما بديه من مساعده تركيا نطرق وبراى فيه المسئلة المصريه ضد الانكليس (١) .

وانه اذا كان يسوء الحكومه الانكليزيه ان تكون وطنيين محلصين للدوله العليه النى مسئلتنا مسئلتها فنحن لا يهنا ارضاؤهم لاهم حصومنا العاصيون وسنسير فى طريقنا الذى رسمناه لانهنا وجعلنا أساسه المطالبه بالجلاء رضوا أم لم يرضوا ! .

انا نعلم قبل كل شئ انما فى حاجه الى مساعده اوروبا فكيف اذا نحرص على النوره ضد الاوروبيين الذين يعيشون فى مصر . وهل لجريده الايجيسيان غارب أو غيرها ان ندلنا على شخص قال او جريده كذب بما يؤخذ منه التحريض على الاضطراب !! .

المسئلة مسئلة شعور نحو الدوله فاذا بظاهرها اليوم بمساعدتها فى حرب بسبت على غير أساس الشرف بل على المطامع فانما تمثل ما ملئه الأمم الأخرى من قديم الزمان وهو عطف الاخ على أخيه فى زمن الشده .

ان الذين يحرضون هم الانكليس أنفسهم لاهم كيف يسحبون الى المصريين الهيج والاضطراب عندما يتصافرون لاه الدوله بالمال فى الحرب التركيه اليونانية ولا ينسون انهم هم أصل هذه الحرب وانهم هم الذين حرصوا اليونان ولا يزالون مدونها بكل شئ ان لم يكن فى الجهر ففى السر .

(١) هذه كانت سياسة مصطفى كامل ان يظل تحت حاح الدوله العثمانية الوصية السريعة على مصر حتى تكون استلترت غير دى صفة رسمية فى وجودها فيها . ثم بعد ذلك تكون تصفية الحساب مع العثمانيين (الرجل المريض) .

نحن واليونان ★

الاسكندرية في ١٦ مايو سنة ١٨٩٧ .

حصرة مدير الفارد السكندري .

لقد فرأت بكل اسعراب في عدد أمس من جريده الفار العبارة المحتصبه بالتلفراف الذي أرسلته الى باشكاتب جلالة مولانا السلطان (١) ولا شك أن الذي بـرجم اليكم من العربية هذا التلفراف خطأ في فهم مرادى .

فانى ما فكرت فط في أن الانقسام من محلى بلادى أى الانكليز يكون بأن سسحق الجنود العثمانية اليونانيين في أراضي تساليا (٢) .

(★) هذه المقالة نشرت بجريدة الريفورم الفرنسية التى تطبع بالاسكندرية د ملا عن مصطفى كامل ٣٢ ربيعاً ج ٦ ص ٧ - ٩ .

(١) التلفراف المشار اليه هنا أرسله مصطفى كامل بمناسبة عيد الاصحى وكان فيه د أرجو مكم أن يرفعوا الى جلالة مولانا أمير المؤمنين أجل وأصدق تهناتنا بعيد الاصحى المبارك وانتصار الحسود الشاهانية المظفرة ، وان جميع المتعلقين بعرش الخلافة العظمى يؤملون ان حالة السلطان يحيى لابي مصر المسلوقة الحقوق بسلطة الاحتلال الانكليزى فيشترط على دول أوروبا جلاء الانكليز عن مصر مقابل جلاء العساكر الشاهانية من بلاد اليونان ليتم بذلك فوز تركيا وحلاص مصر .

وقد اعتبره اليونانيون دليلاً على كراهية مصطفى كامل والمصريين لهم ، وصرحت بذلك حريدة الفارد لكسندري وصاحبها اليونانى المتصغر فرد مصطفى كامل على هذا الاتحاه بهذه المقالة .
(على فهمى كامل . مصطفى كامل في ٣٤ ربيعاً ج ٦ ص ٥ ، ٦) .

(٢) كانت ثورات جزيرة كريت المتكررة ضد الاتراك هى الشرارة التى أدت الى الحرب بين اليونان وتركيا سنة ١٨٩٧ والتي انتهت بسحق القوات اليونانية ، الا انه لم تحج تلك الثورات لنقص الدحيرة والصلاح وتغوى الحيوى التركية ولما كان السلطان عبد الحميد قد وعد بمنح الجزيرة حكماً ذاتياً سنة ١٨٧٨ وسنة من واداتها لتحسين حالها ولما لم يس بوعده عادت الثورات للطهور وكان أشدها ثورة ١٨٩٦ التى انترمت بطنان سديدة بين سكان الجزيرة من الترك واليونانيين الذين يمثلون أغلبية السكان حينئذ أسرعت الحكومة اليونانية لمساعدة بني جنسها من الكريتيين بارسال جيش واسطول وحاولت اثاره يونان مقدونيا ضد الدولة العثمانية فأعلن السلطان عبد الحميد الحرب على اليونان واتصر عليها =

ولكن ما لا ريب فيه هو أن حل المسئلة التركية اليونانية لا يتعلق فقط بالدولتين المحاربتين بل أيضا بدول أوروبا وامي أطن أن فى الظروف الحالية لجلاله مولاما السلطان أعظم فرصه لافاهه المسئلة المصريه فان الدول الأوروبية النى تريد أن بجبر جلالتة على احترام رعبها وسحب عساكره الشاهانية من ساليا يجب عليها أيضا - وذلك مالا يكره أحد - أن بجبر انكلترا على الجلاء من مصر .

فلماذا تتدخل أوروبا فى المسئلة التركية اليونانية ولا تتدخل فى المسئلة المصرية ؟ لماذا نريد أوروبا أن تحمل جلالة السلطان على احترام رعبها ولا نعمل هى على اجبار انكلترا على احترام حقوق جلالة السلطان فى مصر ؟

هذا هو رأى وهذا هو فكرى ولعله لا يرضيك ولعلك يا جناب المدير لا توافق على آرائنا وأفكارنا . ولكنه يجب عليك أن نحرمها كما أننا نحترم احساساتك وأرائك فأت ترى الأسياء من حيب المصلحة اليونانية وأنا أراها من حيب المصلحة المصريه . ومن العدل أن يكون كل ما لوطنه . لا غير وطنه .

وأن اليونان بالرغم عن المحبة النى ينظاهر بها عدد مهم لمصر لا يمكنهم أن يطلبوا منا أن نرى كما يرون ونفكر كما يفكرون وعلى الخصوص أن نحن لبلاد اليونان أكثر من حناننا لمصر !

وبقطع النظر عن كل هذه الاعتبارات السياسية وعن احساسات أممتنا فأتنا نعجب حقا بوطنية اليونان اذ أن كل مصرى محب لوطنه لا يمكنه مهما كانت آراؤه السياسية واحساساته الا أن يحترم كل المدافعين عن وطنهم من أية جنسية كانوا ويعجب بهم .

ومما لا شك فيه أن مصلحة المصريين فى الظروف الحالية هى ومصلحة اليونان على طرفى نقيص . ولكن هذه الاعبارات كلها لا يجب أن تخلق اشكالات لا لزوم لها .

== انتصارا ساحقا فى تساليا وحشيت الدول الأوروبية متاعه النصر واعاده اليونان للحكم العثماني بعد أن أصبحت أثينا تحت رحمة الجيش الرسمى مدخلت لوف القنال فى مايو سنة ١٨٩٧ واحسرت اليونان على ارضاء تركيا بقسم صغير من تساليا ، ومن ناحية أخرى قررت حلاء الجيوش التركية عن كريت وأحلت محلها حاميات دولية لحفظ الأمن بعد أن يعام فيها حكم داني تحت السيادة الاسمية التركية وعينت الدول الامير جورج ثامى اولاد ملك اليونان حاكما على كريت ولم تنصم كريت رسميا الى اليونان الا سنة ١٩١٢ .

(انور الرفاعي ، شاكى مصطفى : مرجع سابق ص ٢٨٥ - ص ٢٩٠) .

وانى اول من تشير على ابناء وطنى معاملة اليونان الآن - وهم مهزمون -
باللطف والرقه ٠٠٠ اذ خسر ما يسمى لمصر من حيث روابطها بالاوروبيين هو أن
يعيش أبنائها فى اتفاق مع النزلاء الأوروسين المخلصين لها .
وانى أرحو منك يا حصره المدير أن يعصل بقول فائق احترامى .

مصر والدولة العلية ★

لقد لعبت أحياء جريده (برليير بويست بخرسمن) أنظار أوروبا الى احتلال انكلترا لمصر . وأبانت ضروره عقد اتفاق بين فرنسا وألمانيا والروسيا لمعارضه الاحتلال الانكليزي في مصر تحقيقا للجلاء السريع وأنه لرأى حق وصواب فان الظروف الحالبه أحس الظروف لوفوف المطامع الانكليزيه عند حد محدود . فلقد نساهلت أوروبا كثيرا مع الانكلبز وصار من المحتم عليها الآن أن نحرمهم على احرام المعاهدات الدوله واحترام الحقوق الشرعيه للأمة المصريه .

وان البرس بسمارك بعسه الدى حبر الانكلير أكبر من كل سياسى فى العالم هو أول من يوافق بل ينصح بجلاء الانكلبز من مصر . وقد صرح بهذا الرأى جملة مرات وعلى الخصوص وقت المداولة فى معاهدة درومند وولف الشهيرة (١) .

ولم تبق مسئلة (٢) البرسفال ريبا عند أحد فى ألمانيا بشأن ما تدعيه الحكومة

(١) هذه المعاله مشوره فى صحيفة المويد العدد ٢١٨٢ بتاريخ ٢٦ مايو ١٨٩٧ تمريفا فى جريدته (برلينونويست تغرشتن) التى كانت تصدر فى برلين - ألمانيا .
(٢) عقدت عام ١٨٨٧ وسبقت الاشارة اليها .

(٢) دخلت مستعمرة الكاب الهولنديه ضمن مستعمرات الامبراطورية الانكليزية رسميا بموجب قرارات مؤتمر لندن سنة ١٨١٥ . ولكن اصهاد الانكليز لجماعة البوير دفعهم الى الهجرة للمناطق الداخلية فى الشمال فى الفترة من ١٨٣٥ الى سنة ١٨٣٦ حيث استقروا فى جهات ناتال واورانج والترانسفال ، وأسسوا لهم جمهوريتى الأورانج والترانسفال وقد اضطرت انجلترا سنة ١٨٥٤ الى الاعتراف باستقلالهما . ثم بدا الصراع بين البوير والانكليز اداء محاولة رودس ربط القاهرة والكاب بخط حديدى واحد عبر أفريقيا وحيث اكتشفت مناجم الذهب والماس فى اراضى البوير سنة ١٨٨٠ فقامت انجلترا من جانبها بمحاولات لغزو الترانسفال والمناطق المحيطة بها ، ولكن أحلام انجلترا اصطدمت بوجود بول كروجر رئيس جمهورية الترانسفال الذى كان يطمح هو الآخر فى تكوين جمهورية للبوير فى جنوب افريقيا لا تكون تحت رحمة انجلترا ، كما كان كروجر يطمح فى ضم بتشوانا لاند باعتبارها مخرجا طبيعيا للبوير الذين بدأت تضيق بهم اراضى الترانسفال وهى نفس أطماع رودس بقصد فتح الطريق امام انجلترا من جنوب افريقيا الى الشمال . وازاء هذه الأطماع المتشابهة بدأ الصدام بين انجلترا وكروجر حاصلة وأن الحكومة البريطانية قررت فى ذلك الوقت ضم الترانسفال وما حولها من مناطق البوير الى حظيرة السيادة البريطانية

الانكليزيه من احساسات العدل والحق والانسانيه التي تعود سياستها • على أن سلوك الانجليز في مصر أسد ظلما منه في الترسعال وانه لمن الواجب على أوروبا ألا تجعل أظارها محوله فقط للمسئله التركيّه اليونانيه بل يجب عليها أن ننظر أيضا نحو انكلترا • هنالك يعرف السياسيون في أوروبا أهميه المسئله المصريه في الظروف الحاليه اذ ليست مسئله الترسعال هي الساعله وحدها للسياسه البريطانيه بل ان هذه السياسه الماكره يؤمل اليوم أكثر من كل يوم وضع يدها بصفه نهائيه على جميع بلاد وادي النيل •

وفي الواقع فان الانكليز - قد عرفوا في كل بلاد العالم بأنهم أمر من يخلق الاضطرابات - يريدون انهار فرصه استغال أوروبا بالحرب بين تركيا واليونان لتهييج المسلمين في مصر ضد اليونانيين واليونانيين ضد المسلمين ليحدثوا اضطرابا على سواطيه نهر النيل تكون لهم به الحجة التي ينظرونها من زمن طويل للاستيلاء على بلادنا • وهم يظنون أن أوروبا لاستغالها بمنح حدود حرب عمومية لا نقدر الآن على مقاومه مشروعاتهم ورد أطماعهم •

واذا دلت أعمال الانكليز على هذه الرغبة فمن واجب رجال السياسه في أوروبا ورجال الفكر والاحساس أن يعلنوها صراحة ويقصوا عليها أسد قضاء • ومن الواجب

فلم تجد البوير بدا من استخدام القوة واستطاعت فوائهم أن تلحق بالعوات البريطانيه الهزائم في عدة مناطق الى أن كانت الهزيمة الساحقة للانجليز في نلال ماحوبا في سنة ١٨٨٠ وفي سنة ١٨٩٥ اتجه جيمسون على رأس حملة لمهاجمة التراسعال ولكن البوير هزمهم وصلوا الكثير من قواهم وأسروا جيمسون •

ولما كثرت شكوى البريطانيين الموجودين في جمهورية التراسعال من سوء معاملة حكومة كروجر لهم اوسلت الحكومة البريطانيه لجنة يرأسها العريد ملر لمحاولة التوفيق بين التراسعال وبريطانيا سنة ١٨٩٩ ولكن كروجر لم يعبل امراحات ملر فحدثت بريطانيا فواتها على حدود التراسعال حينئذ أرسل كروجر الدار الى بريطانيا في أكتوبر ١٨٩٩ • بضرورة سحب فوائهم ورفضت بريطانيا هذا الادار أعلنت الحرب بين الطرفين في أكتوبر ١٨٩٩ وقد فشل الانجليز أول الأمر في حربه البوير الى ان عين كتشنر قائدا عاما للقوات المتحاربة في جنوب أفريقيا في ديسمبر سنة ١٨٩٩ فكان مبعينه نقطة تحول في مجرى هذه الحرب حيث سقطت مدن البوير تناعا في يد الجيش البريطاني الى أن سقطت برييتوريا عاصمة التراسعال فهرب كروجر الى أوربا طلبا للمعونة من الاصدقاء ولكنه فشل فبعي في أوربا الى أن توفي واتبع كتشنر في حربه مع البوير أشنع صنوف الوحشية والحرب من حرق للمدن وابادة للسكان حتى كانت سنة ١٩٠١ •

فظهرت محاولات للصلح ولما اشتربت انجلترا لانهااء الحرب تارل جمهوريتي البوير عن استقلالهما رفض بوت Potba رعيم البوير الصلح واستؤف المال مره أخرى الى ان اضطر البوير الى عقد الصلح في ٢١ مايو سنة ١٩٠٢ سبعة الوفاء والدمار الذي أصابهم مع وعد من انجلترا لمنحهم استقلال ذاتي فيما بعد •

- أنور الرفاعي ، شاكرو مصطفى : مرجع سابق ص ٤٣٤ - ص ٤٣٦ •

- د • شومي الجمل : تاريخ كسلف أفريقيا واستعمارها • ط ٢ / ١٩٨٠ ص ٢٨٠ - ٢٩٥ •

علينا معشر المصريين أن ننذر أوروبا بما يويه ضدنا الانكليز فمهما كانت اشتغالات الدول اليوم فمحتم عليها أن تلنعت لأحوال وادى السل .

ولقد أراد كتاب الانكلبر وصنائعهم أن يسهلوا على أصحاب الدسائس عملهم الديء فأخذوا ينسلحون بالسلاح القديم البالى وأعى به سلاح التعصب الدينى . فأشاعوا ولا يرالون يشيعون أن المصريين على وشك القيام بنورة دينية ضد المسيحيين عموما وانيونانيين خصوصا . وان القائمين ينشر هذه الاشاعة يغشون ولا محاله أوروبا بأقبح وجوه الغش وأدناها فان المصريين عرفوا عند سائر الأمم بأنهم أمة هادئة حرة معتدلة . واننا لنفخر بهذه الصفات ونحافظ عليها بكل ما فى استطاعتنا . ومن البديهي أنه ليس لنا اليوم أقل مصلحة فى العمل ضد ماضينا ولا فى القيام بما يفقدنا مبل أصدقائنا فى أوروبا وعملهم لحل مسئلتنا على أنه ليس لنا فى مصر غير عدو واحد هو الاحتلال المفتال لوطننا . فلبس لنا غرماء سواء من المونائين أو النزلاء الأوروبيين .

وأي مصلحة تدفعنا ضد المسيحيين ؟ ؟

لسنا لنا مصلحة فى معاداتهم أما من بدعى أن الاكتتاب للاعانة العسكرية هو نتيجة كراهيتنا للمسيحيين فمخطيء خطأ كبيرا خصوصا وأن أغلب النزلاء الأوروبيين فى مصر مبالون لتحرير وطننا مجاهرون بهذا المل الشريف .

وأهم معنى سياسى فى الاكتتاب لاعانة الحبش العثمانى هو القيام بمظاهرة من الأمة بأسرها ضد الاحتلال الانكليزى فان المصريين يعلمون علم اليقين أن كل دسائس انكلترا فى الشرق ترمى الى امتلاك وادى النسل وأن الانكليز لم يستطبعوا استمالة حلالة السلطان الأعظم اليهم ضد الخديو المعظم وضد مصر وبلاد العرب واعلان سيطرتهم على الاسلام كله .

فقد أعلنت السياسة الانكليزية عداها للدولة العلية من عام ١٨٩٤ أى من ذلك اليوم الذى خالف فيه الخديو (عباس حلمى) سياسة المرحوم والده وعمل بكل همة واقدام على توثيق العلائق بينه وبين حلالة السلطان الأعظم (١) واذا أبان التاريخ

(١) كانت العلاقة بين الخديو والسلطان علاقة يشوبها الحذر والشك خاصة وان القوى المؤثرة على الوضع السياسى فى مصر حاولت أن تظم الخديو الى صفها بينما حاولت تركيا طباحة السيادة الشرعية فى مصر أن تسيطر على الخديو وظهر ذلك حليا حينما طلب السلطان من الخديو زيارته أثناء وجوده فى أوروبا وقبل توليه عرش الخديوية فى مصر ولكن الخديو توجه مباشرة الى مصر تحسبا لصفط السلطان حينئذ حدد السلطان محاولاته لسحب الامتيازات التى حصلت عليها مصر منذ عهد محمد على واقتطاع شبة جزيرة سيناء من مصر ولكن تحت صفط الحلترا أصدر السلطان لفرمانه السلطانى بحولى عباس الثانى عرش الخديوية مع ادارة مصر شبة جزيرة سيناء . =

أن الدولة العلية حذعت عام ١٨٨٢ بالانكلز وعملت من حب لا تشاء على احتلال الانكلز لمصر فمن الضروريات أن تكون الدولة العلية نفسها الآن أول دولة غامنه لجلاء الانكاسر عن مصر . وليس من سىء بعف بعدم الانكاسر فى مصر ربعتل علمهم سياسهم مثل نفوية السلطه الشرعه للمعاهدات الدوله المخصنة بمصر . ويعلم الناس أجمع أن كل هذه المعاهدات حرت بين الدولة العلية وبين دول أوروبا . فما دامت مصر معبره قطعة من الدولة العلية فليس للاحتلال الانكلزى أدنى فوه سرعة بل وليس له أدنى صفة سرعة فى وجوده .

ظهر اذن حليا من ذلك أن المصريين هم أول المهتمين وأول من يحب عليهم أن يهتموا بالمحافظة على سلامة الدولة العلية . فالذين يستقدون اكتئابا للجيش العثمانى يجهلون تماما حقيقة مركزنا وحقيقه واحبابنا وحقيقة احساسنا ومن الجائز أن بعض سواس (١) أوروبا يكونون ضد الدولة العلية فى بعض مسائل سياسة أو غير سياسة ولكنهم جميعا معها ويجب أن نكونوا كذلك فى مسئلة مصر . خصوصا وأن مصر لم تنألم قط من سيادة الدولة العلية عليها اذ لها عائلة مالكة خاصة بها واستقلالها الداخلى تام وخاص بها . ومع ذلك فسواس أوروبا لا يجهلون مطلقا أنه بصبر من الصعب جدا حل المسئلة المصرية ادا انفقت تركيا مع الانكلز على احتلالهم لوادى النيل .

يتضح للقارئ من هذه الكلمات أن مقاصد المصريين كافة سلمية معدلة وان نبات الانكلز بعكس ذلك . فهم الذين يوافقهم أن يعملوا لاحداث اضطراب وفلافل ولكن صار من اللازم اعلان هذه السات للملا كله باستمرار وبلا توان . اذ الموقف عسير والساعة حرجة . ومن العار على أوروبا أن تترك الانكلز يبنهزون فرصه اشتغالها بأمر خطر ويهزمونها فى مصر هزيمة نكون ولا شك قريبه فى بابها .

= وقد حاول الحديو مد جسور التعاون بينه وبين السلطان من أجل وقف سيطرة بريطانيا على مصر استنادا على تنحية مصر للدولة العثمانية ولا للسلطان من فوه روحية يعتد بها الحديو والمصريين - ولكن عد سنة ١٨٩٤ اتحدت العلاقة بين الحديو والسلطان شكلا بعيدا عن التعاون .

عند المعجم الجيمعى - مرجع سابق ص ٥٨ الى ص ٦٠
(١) أى سياسة أوروبا .

الأحوال في مصر وتركيا ★

« قال مصطفى كامل فيما يتعلق بمصر »

— أما ما يخص مصر فلم يحدث تغيير في حالها الأولى إذ لا يزال الانكليز يحاربون كل ما كان مصريا أو أوروبا بمعنى أن أوروبا بأسرها أصبحت محتقرة في نظرهم بالقطر المصري ، ولا شك في أنها إذا لبست محافظة على سكونها هذا تجاه الاحتلال الانكليزي فإن نفوذها لمحي شيئا فشيئا ونعلوه غيرة الانحطاط والتلاشي ، ويتألم أبناءها النزلاء كما نتألم نحن • وسحاول الانكليز في السنين الآتية إلغاء المحكمة المختلطة ، ولست أدري إذا كانوا يستطيعون تحقيق هذه البغية وإنما أقول انهم إذا توصلوا إلى إزالة معالم تلك المحاكم فإن أوروبا تفقد كل حياة ووجود في القطر المصري •

ويذهب الكثيرون في الدوائر الانكليزية وغيرها إلى القول بأن اليونانيين الكثر في العدد في القطر المصري — ولهم معظم القضايا التي تقدم إلى المحاكم المختلطة — ربما يساعدون انكلترا على إلغاء المحاكم المختلطة وتحرير ذلك انهم بالنظر إلى كثرة قضاياهم ترى أن معظم إيرادات هاتة المحاكم منهم فإذا تحولوا نقصت الإيرادات نقصانا فاحشا يتخذ المحتلون حجة لنيل مقصدهم • ومن المحتمل لدينا أن تكون هذه الفكرة وعدا من الوعود التي عللت بها الوزارة اليونانية الحكومة الانكليزية في مقابل ما نالته من مساعدتها أثناء الحرب •

واني لم أطل الكلام في هذا الموضوع إلا لكي أطلعكم على مكونات الدساتير الانكليزية الموجهة للمحاكم المختلطة التي هي أكثر التأسيسات في مصر فائدة وموافقة للصيغة الدولية العمومية ، وصيانة لحقوق أوروبا ضد الانكليز في القطر المصري • أما نفوذ فرنسا فما بنا فلا يزال موضوع جهاد متوال من الانجليز ولذا يرون أن المصريين الذين هم أصدقاء الفرنسيين في كدر من حراء ذلك وهم ينظرون كثيرا من

(★) حديث أخرته معه حريدة « الاكلير » الفرنسية في ١٦/٨/١٨٩٧ بمناسبة وصوله إلى باريس

نادما من بوداست •

فرنسا ولكن طاله الانتظار ولا بد لي هنا من ملاحظه أن المطاعن الموجهه صدد الاسلام من بعض الكتاب الفرنسيين كان لها التأثير المؤلم في القطر المصري .

وأما مايتعلق بالنفوذ السياسى الفئصلى لفرنسا فابى آسيف مثل بقية أبناء وطنى من وقوفه عند الحد الذى كان عمده ، وهو مجرد التأمل فى الحوادث وتدوينها ، ولست أقصد بهانه الكلمات الطعن على المسبو كوكردان والسديد بموقفه ازاء تلك الأحوال بل بالعكس فان هذا الوزير حائز لميل المصريين وهو محترم منهم الى الغاية ولكنه لا يستطيع سلوك خطة سياسية شخصية . نعم انى لست من الواقفين على استمرار السياسة الفرنسية غير أنه يظهر لى كما ظهر لكبرين ان موقف فرنسا فى مصر يجب أن يكون مؤسساً على هذا المبدأ وهو مؤازرة الحناب العالى الخديو .

فان سموه هو الممثل لحقوق الشعب المصرى وحقوق أوروبا أيضاً ، ولا يذهب عن خاطرا أحد أن الخديوية المصرية مقبولة مكفولة من أوروبا ، فنبغى والحالة هذه أن تقوم أوروبا بالدود عن حياضها ووقايتها من كل مساس يكون مصدره أوروبا على العموم وفرنسا على الخصوص ولو كان الحناب العالى مؤيد الجانب من فرنسا لتمكن من تغير كل وزير لا يخدم البلاد بصدق وتحسنت الحالة عما هى عليه ألف مرة .

والامر الذى لا يختلف فيه اثنان هو أن الحناب العالى لا يزال محبوباً من جميع المصريين وكلما اشتدت حملات الانكلز على حقوقه وحاولوا أن ينقصوا من قدره فى أعين الأمة كبر فى أنظارهم وعلا شأنه دائماً . والشعب المصرى لا ينسى أبداً أنه مدن للخديو عباس(١) باشا لكونه أيقظه من سبات الخمول وأن ثباته ونشاطه ووطنته وجبى فضائله قد نشت فى روح كل مصرى ان الانكلز ليسوا فى القطر المصرى بصفة أصدقاء أوداء بل بصفة مغررين وستبقى الخديوية المثقلة فى ذات صاحب السمو عباس حلمى باشا مرتبطة فى مصر بنفس تلك العواطف والمسول فى الاستانة العلية .

» وقد بارحت الاستانة العلية وأنا على اعتقاد وطيد بأن انتصارات الجيش العثمانى قد أسكرت بخمرة الفرخ جميع الشعوب الاسلامة فى إقطار العالم ورفعت

(١) ناعلاء عباس الثانى عرش الخديوية فى مصر بداب مرحلة جديدة من مراحل الحركة الوطنية فى مصر . فقد أسعد المصريين تصريح الخديو سعفه للاحتلال وعدم رضائه عن سياسة والده الذى كان يسر فى ركاب الانجليز ورسم لنفسه سياسة مقاومة السيطرة الانجليزية فى أوائل حكمه بعد أن تكون له يد فى ادارة الحكومة وقد ابرجت الحكومة البريطانية من سياسة عباس ولكنه استمر فى سياسة مقاومة سلطات الاحتلال ، فتقرب الى الشعب وكان يستقبل طوائفه كل شهر ليستمع الى شكواهم وأمرح من بعض مسجونى الثورة العربية وعيهم فى وظائف خارج الجيش وفروع المطارات والأموريات وأعاد اليهم جميع حقوقهم المدنية ومن هؤلاء عبد الله النديم .

وهكذا اعتبر الشعب ان الخديو عباس الثانى أيقظه من سباته العميق .

د عبد المسم الحيوى - مرجع سابق ص ٩٧ - ٩٨ .

في أعينهم شأن جلالة السلطان الأعظم ويعوده . فإذا كان أهالي أوروبا يعتبرون جلالة السلطان مستولا على كل ما يقع من الحوادث في ممالكه وبلاده فإن المسلمين أيضا ينسبون شرف تلك الانتصارات وفخرها إلى داب جلالة السلطان الأعظم (١) ، ولا ريب في أنه لا يذهب عن خاطر أوروبا أن مركز جلالته نحاه العالم الإسلامي أصبح وطيدا جدا .

ومما زاد في عجبى واندعاشى هو سوء الظن والاعتقاد الذى بته أوروبا في قلوب المسلمين نحوها إذ من المستحيل اليوم اقناعك أحد المسلمين بصدق إخلاص أوروبا نحو العالم الإسلامي أو أنها لا تتحيز ضد الإسلام ، وهذه مسئلة تسالبا حات مثبتة لذلك الاعتقاد وموطدة له عقب كثر من المسائل غيرها وهو يعبر مجاهرة أوروبا لجلالة السلطان بأن أوروبا المسيحية لا تسمح بإعادة أرض مسيحية إلى حكومة إسلامية إعلانا للعالم الإسلامي بأنها لا تريد سوى الشر والضرر للحكومة العثمانية والإسلام - هذا فضلا عن نظر المسلمين وقتئذ لكل مشروع يتعلق بالإصلاحات بعين الغضب والازدراء ، ولست أود الكلام على النظام في نركنا أو على عدل الإصلاحات وإنما أردت أن أفقكم على ما وصلت إليه حركة الأفكار بين الشعوب الإسلامية .

ويوجد في الشرق حزبان يرى أحدهما أن أوروبا عدوه لدوده له ويرى الثاني عكس ذلك . أما الأول فبقوى عنصره كل يوم وتزداد شوكته والسبب في ذلك سلوك أوروبا وفي الواقع أن المسلمين كثيرا ما يتساءلون عن أسباب انقسام الدول الأوروبية وانشقاقها بشأن اتخاذ الوسائل اللازمة لإكراه اليونان على الجلاء عن كريت (٢) وأسباب اتحادها واتفاقها على إخراج العثمانيين من تسالبا وكف أن أوروبا كثيرا ما تفتخر بمحافظتها على مجموع أملاك الدولة العلية ووقايتها من الجزء ثم هي تباشر تبديد أجزائها وتمزيق أعضائها مستندة على المبدأ المذكور بعينه .

(١) لانتصار تركيا في الحرب التركية اليونانية سنة ١٨٩٧ .

(٢) كانت جزيرة كريت تابعة للسلطان العثماني مما أثار اليونانيين فأسسوا جمعية سرية في أثينا اتصلت سرا بزعماء كريت وحضتهم على الثورة ضد تركيا ، فاضطرت الأخيرة إلى تشكيل مجلس وطني منتخب في كريت سنة ١٨٦٨ يمثل أغلبية السكان ، وكانت غالبية أعضائه من اليونانيين الذين يمثلون أغلبية سكان الجزيرة وثار كريت عدة مرات بتحريض من اليونان وطالبت لجنة يونانية تقييم في أنسا بضم كريت إلى اليونان ، ونزل جيش يوناني في كريت فاعلن السلطان عبد الحميد الحرب على اليونان في سنة ١٨٩٧ وانتصر عليهم وحصل منهم على منطقة تساليا وتدخل الدول أحررت تركيا على الجلاء عن كريت وحلت محلها حاميات دولية لحفظ الأمن بعد قيام حكم ذاتي للجزيرة تحت المصفاة الاسمية لتركيا - والحدير بالذكر أن الدول الأوروبية حملت على حكم كريت أحد أبناء ملك اليونان مما يجعلنا نفكر في أقوال مصطفى كامل في هذه النقطة على أنه يريد إثارة عواطف الدول الإسلامية ضد الدول الأوروبية تمهيدا لحركة الجامعة الإسلامية التي كان يدعو إلى قيامها تحت حلافة الدولة العلية .

(أورد الرفاعي - شاكرا مصطفى - من ص ٢٨٥ إلى ص ٣٥١) .

أوراق مصطفى كامل - ٢٥٧

المسئلة الدينية

« يلومون السلطان لأنه يحض المسلمين على الاتحاد ويسعى في جمع شتات المسلمين(١) ووضع زمام الاسلام في قبضته . أما أنا فأرى الدول الأوروبية نحض المسلمين على ذلك أكثر من جلالتهم ويدعوهم الى الانضمام والاتحاد يدا واحدة فان أوروبا لم تخاطب المسلمين في أمر ما الا وكان كلامها باسم النصرانية ، وهي لم تتكلم قط باسم التمدن الأعم على أفراد البشر من مسائل الدين . ولكي أمثل لكم الحالة التي وصلت اليها خواطر المسلمين أذكر لكم الحملة التي فاه بها جلالة السلطان الأعظم لكاتب جريدة نبوفرى بريسة النمساوية التي تصدر في فيينا حيث قال « أوروبا تحاربنا حربا صليبية في شكل سياسي » وقد أعرب جلالتهم بهذه الحملة عما يخالف أفئدة أفراد المسلمين في العالم بأسره .

وقد نسبت أوروبا في الغالب أن الواجب في الشرق مراعاة الرأي العام الاسلامي ولا يخفى أن المقصد الذي تسعى وراءه أوروبا إنما هو تحصيل السعادة والهناء للأقوام المسيحيين العائشين في الشرق وتوطيد دعائم السلام في الممالك المحروسة .

وعلى ظني أن هذا المقصد لا يمكن نبذه الا بتسكين الخواطر الهائجة وتمكين روابط الاتفاق بين المسلمين والمسيحيين ولا يوجد دولة غير انكلترا تستفيد من سوء ظن المسلمين بأوروبا ومن النزاع بين المسلمين والمسيحيين في الشرق . وتقضي مصلحتها أيضا أن تمحو ذكر مصر من أذهان أوروبا بحادثته من الحوادث في الاستانة الحالية وقد يمكن أن يلحق المصريين القنوط بسبب ما تقدم لأنهم بما انهم مسلمون ربما اعتقدوا أنهم فقدوا مبول أوروبا وعضدها .

وحملة القول أن البحث في المسائل الشرقية على مبدأ الدين من أكبر الوسائل لتوليد الأحقاد والضغائن وتأجيل نوطيد السلام العام في الشرق الى زمن مديد فنبغي أن نكون أوروبا والحالة هذه عادلة نحو جميع الناس بلا فرق وهي اذا أخذت على عهدتها الزام الغير باحترام الحقوق والعهود من الواجب عليها أيضا أن تسوى المسئلة المصرية وتبرهن للعالمين الاسلامي والمسيحي على صدقها وإخلاصها وعندئذ لا يتسنى لأي مسلم أن يرتاب في ذمة أوروبا ونماتها .

(١) الدعوة الى الجامعة الاسلامية .

خطة الانكليز ★

في مصر

انى أسنمىح قراء « البرلينرنا جبلاط » الاذن لاحادهم اليوم فى شئون مصر بلاد الفراعنة وبلاد العجائب . فان اهتمام المالبيا بالمسئلة المصرية فى هذه الأيام يضمن لى أن الرأى العام الألماني يعطى فضاءه العادل على هذه الأسالب الغربية التي يسعملها الانكليز فى مصر . أولئك الذين سموا وبسمون أنفسهم بممدنى العالم البشرى وحماة الاسانبة .

ما قرأ أحد تاريخ المصريين القدماء الا اسفرب عايه الاسفرب من عنايهم الزائدة بأمر القضاء والعدل . فقد أدركوا أن قوام الهيئة الاحماعية المنتظمة المتمدنة اعطاء كل ذى حق حقه ورفع راية العدل والانصاف بين الناس بلا نمبر ولا محاباة وهذه الحقيقة النابتة التي أدركها ورفع شأنها آباؤنا الأولون هى فى هذا العصر أول الحقائق والعدل هو أساس المدنية الغربية لا محالة . والانكليز يقدرون العدل فى بلادهم قدره ويفتخرون الفخار العظيم بسمو شأنه فى ديارهم ولكنهم قد لا يبصرون الحرف الأول من حروفه ولا يفقهون له معنى فى بلاد مصر . فلا عدل فى مصر الا وهو مشوب بالسياسة ولا قضاء الا وهو مشوب بها كذلك .

والقاعدة الأساسية للعدل فى عرف الانكليز أن يحكم على المصرى متى كان عدوا للاحتلال وأن يبرأ الانكليزى حتى ولو حنى أفطح جنائية وأن أموراً تجرى على هذا الأساس يجب أن تعرف فى أوروبا ويجب أن يقضى الرأى العام الأوروبى عليها قضاءه الشديد وتحتج ضدها ضمائر الشعوب المتمدنة ..

(★) كتبها مصطفى كامل فى ١٧/٨/١٨٩٧ عقب مقالة شرعتها جريدة الديش كلونيكال الماريسية مى على وطنية مصطفى كامل ودعوته الأمم الأوروبية للاهتمام بمسئلة مصر والتخل عن فكره العنصرية والتعصب حتى أن أعداء مصطفى كامل حاولوا تشكيك الرأى العام فى صحة نشر هذا المقال وارجحته الى الحاج واستجداء مصطفى كامل لنشر هذا المقال مما يدل على مدى حقهم عليه من أعماله الخبيثة لخدمة المسئلة المصرية .

وقد نشر هذا المقال فى جريدة البرينرتاجلاط الألمانية . فى ١٧ أغسطس سنة ١٨٩٧ .

فلقد رأينا العدل آله سباسبه بد الانكلسر واني لا أضرب على ذلك غير مال واحد وهو مال قصبة المؤيد الشهرة فان هذه الجريدة حريدة مصرية تصدر في القاهرة باللسان العربى الذى هو لسان مصر ويحررها رجل مصرى . الخ . رأى الانكليز أن هذه الجريدة تحارب الاحتلال بسلاح الحققة الساطعة فاضطهدوها وساقوا مديرها للمحاكمة بحجة انه ساعد على اذاعة تلفراف رسمى نشره فى جريدته وقد احدثت هذه القضية فى مصر نائبرا كبرا وكانت المسئلة الوحيدة حين ذاك الشاغلة لأفكار المصريين والأوربين عامة (١) .

وقد برأت المحكمة الجزئية صاحب المؤيد براءة جاءت ضد رغبة الانكليز وجاءت بعد تهديدات طويلة عريضة هددوا بها القاضى المصرى العادل واستأنفوا القضية مؤملين نبل عقابه فكان استئنافهم للقضية استئنافا للبراءة مما شرف القضاء المصرى وبرهن على ان فى المصريين رجالا لا يخافون الاحتلال بل يأتون العدل بكل قوة وثبات . فلما يثس الانكليز من استعمال قضاء مصر المصريين آلات لرغائبهم وحبا للانتقام والبطش وهدم قواعد العدل عنوا عقب هذه البراءة المزدوجة ثلاثة قضايا من الانكليز فى محكمة الاستئناف ليزداد عدد الانحليز بها وليكون الحكم على أعداء الاحتلال أمرا سهلا ههنا ! ! !

أما من حيث الوجهة الانسانية فلا قيمة لحياة المصرى فى أعين الانكليز فالاعتداء

(١) تتلخص هذه القضية فى أن حريدة المؤيد نشرت تلفرافا سريا أرسله اللورد كتشتر سردار الجيش المصرى فى ٢٨ فبراير سنة ١٨٩٦ الى وزير الحربية بخصوص أحوال الحملة فى السودان واصابات الكوليرا التى وقعت بين أفراد الجيش هناك وقد ذكر التلفراف تفصيلا حالات الكوليرا التى وقعت . وكان السؤال عن كيفية حصول الشيخ على يوسف (صاحب حريدة المؤيد فى ذلك الوقت) على تلفراف سرى من وزارة الحربية رغم أن أخبار السودان كانت موصوعة عن الجرائد الوطنية . وتوصلت الحكومة بالبحث فى الأمر ان موظف التلفراف الذى تلقى الرقية من السردار وهو توفيق كركس قد أبلغ محتويات التلفراف الى المؤيد واسطاع الشيخ على يوسف بالاتفاق مع موظف التلفراف بأخذ الرقية ونشرها فى المؤيد ، وبناء على طلب اللورد كنشتر أفاضت النيابة الدعوى العمومية على الشيخ على يوسف وتوفيق كركس والحديث بالذكر أن المؤيد كانت لسان حال الحركة الوطنية انداك مما أعطى القضية صفة الوطنية ووضح ذلك من ازدحام المحاكم على محكمة عابدين التى نظرت فيها القضية . وقد برأت المحكمة الشيخ على يوسف وحسن توفيق كركس ثلاثة أشهر وذلك فى ١٩ نوفمبر سنة ١٨٩٦ ونظرا لاستياء الانكليز من أحكام القضاة فقد أوعرت الى النيابة باستئناف الحكم ونظرت القضية أمام محكمة المتع المسانعة أول ديسمبر سنة ١٨٩٦ .

ثم تأجلت الى منتصف الشهر حيث صدر الحكم بتأييد براءة الشيخ على يوسف وبراءة توفيق كركس وإلغاء الحكم السابق عليه .

ومن ذلك يتضح مدى ضلوع القوى القومى فى ذلك الوقت وبرهانها على كراهية الشعب المصرى للاحتلال واعوانه ممثلا فى اهتمام الرأى العام المصرى بهذه القضية .
د . عبد السم الحميمى - مرجع سابق ص ١٥ - ص ١٧ .

على الحياة البشرية في مصر مبدأ من مبادئ البناء التاميز - ممدى العالم وحماه
الانسانيه - وليحكم العارى على ذلك بهذه الأمور .

سأل يوم من الأيام عامل من عمال البلعاف (١) مهندسا انكليزيا كان حاملا
اليه تنغرافا ان يمضى وصل البلعاف كما هي العاده في مصر فرفض الانكليزي
ذلك . فكرر موظف البلعاف الطلب اباعا لأوامر المصلحه فعد الانكليزي ذلك منه
سوء أدب يستحق العقاب عليه فعام بعايه السكون وساول بنديينه وصوب رصاصها
في صدر المصري المسكين حيث سقط يحيط في دمه كأنه حيوان صغير حمير
والانكليزي ساكن القواد . ولا بد ان العارى يسأل عند فراه هذه المسئله « وأى
عقاب نال الانكليزي ؟ » « فأجيبه - لا شيء لا شيء أبدا اما نغله احواله الانكليزي
الى الهند ! !

وقد رفض طلبه الأزهر مرة أن يسلموا مريضا مهم الى السلطه العسكريه
فحاصر البوليس مدرستهم الكليه بأمر فائده الانكليزي والقى الرصاص عليهم حيث
جرح كنيرون ولم ينل الضابط الانكليزي أهل توبيخ بل لا يزال موظفا كبيرا
أمنا مطمئنا .

وفي النساء الماضي اشتهر قصة حريق (٢) البليبا التي ذهبت فيها أرواح

(١) وقع هذا الحادث خلال عام ١٨٩٦ - وملخصه أن أحد عمال البلعاف حمل تلغرافا الى أحد
صباط الجيش البريطاني وهو في نفس الوقت مهندس وطالبه بالوفيع بإسلام البلعاف ولكن الصابط
البريطاني رفض الوفيع بالإسلام مما دفع ساعي البريد بإعادة مطالبه بالوفيع كما هو متبع في مثل
ذلك الأحوال مما كان من الصابط البريطاني الا أن أطلق بندييه فاردي ساعي التلغراف فيلا .
الا أن المحكمة المحصونه بدلا من معافيه الجاني برأه وانهمت القتل باثارة العائل مما دفعه لهذا
التصرف واكتفت المحكمة المحصونه بعمل الصابط البريطاني الى المستعمرات بالهند .
ويجد أن هذا الحادث يدل على اسهوار السلطات البريطانيه بإسائيه ومشاعر أفراد الشعب
المصري حتى وإن أدى الأمر من قبل جود وصباط الاحلال الى قتل المصريين أثناء أداء العمل الرسمي .
ويدلا من أن يكون الحكم بالعدل وهو ما يفترض في أداء المحكمة كان حكمها اللوم على القتل
المتسبب في قتل نفسه أما العائل المضرب فانه يكتفى بإبعاده عن موقع جريمته واقصائه عن البلاد ليس
حرصا على مشاعر أهل القتل بل حرصا على مصالح البريطانيه المشمله في مهندس صابط بالهوات
البريطانيه والتي تعتبر المحافظة على حياته أثمن من حياة أى مصرى .
وقد تكرر حكم المحكمة المحصونه المجهف بالمصريين في حوادث شتى مثل تلك ولعل أبرزها فيما
بعد حادث دشنواى عام ١٩٠٦ .

(٢) قتل عصابة من اللصوص عددها ثمانية أشخاص ملاحظ بوليس مدينة أبو شوشة بنجع حمادى
المؤيد : ٢٦ يولية ١٨٩٧ العدد ٢٢١٠ .

وكان هؤلاء الاشقياء يترددون على أرض عبد الشهيد بك بطرس من أعيان البليبا وكان يعلم بوجودهم
في أرضه فمقد منهم اقلنا بالأمان بينه وبينهم بطر عدم الاصرار بإملاكه وانزلهم سحابة في عزته هير
مطروقة ، ثم ابلغ عنهم سرا معاون بوليس البليبا وعدتها وحشرت نوة من البوليس وأحاطت بالخزاة
المقفل من الداخل بواسطة العصاية ومن الخارج بواسطة حدم عبد الشهيد وطلب البوليس من العصاية =

نمانيه اشخاصى حرفا بالنار ومآل هذه الحادثة ان عصابة لصوص اعتدت على ضابط بوليس رقبته فأخذت الحكومة ببحب عنها حتى أشعرها يوما من الأيام أحد الأهالي بأنه احوال على رجال العصابة وأغلق عليهم قاعة في دائره فأرسلت الحكومة رجالها وبوليسها وسألت هؤلاء الرجال أن يخرجوا من القاعة فامتنعوا فوجدت الحكومة أن لا اسنطاعه لها على احراجهم وأن خير عمل يعمل في هذه المسئلة هو احرافهم جميعا فأمرت - أوامر الانكليز - بأبعاء النار في القاعة على من فيها فأحرفت وأحرق النمانيه الذين كانوا فيها وقام الحريق دليلا ساطعا مألثا على ماهية العدل في مصر تحت سلطه الانكليز .

والى القراء أمر آخر حدث أخيرا وهاجبت له ضمائر المصريين كافة ونزلاء مصر غير الانكليز وهو أن عسكريا انكليزيا قتل صبيا مصريا (١) كان يرميه بالحصى . ولما سيق العسكري الى مجلس المحكمة الانكليزي اعترف بجريمته - ٠٠٠ برأه المجلس براءة لا ريب فيها واسى أقسم للقراء أن هذا الأمر الفطيع بل هذه الجريمة البهيمة أنى بها الانكليز أبناء الانكليز لا الصييون ؟ .

ولمذ أحدثت براءة هذا العائل في مصر تأثيرا سيئا جدا في الرأي العام ورفعت أم القليل قضية مدنية أمام المحاكم المختلطة وقدم لسمو الخديو وفد من أعيان

= تسليم أنفسهم ولكنهم رفضوا وبادلوا اطلاق النار مع البوليس وحشى البوليس حلول الليل ويمكن للصوص من الهرب فاتفقوا على شق سقف الحراة والعوا عليهم عار السرول والقش والخطب واشعلوا النار فيهم وبذلك تمكنوا من الخلاص منهم حرقا .

وتعثر هذه الحادثة رغم بساعتها من الحوادث العادية في محاربة المحرمين المسلحين والمطيرين على الأمن في ذلك الوقت والدين تعودوا على معارمة البوليس بالسلاح وهى من الحوادث المتتاده في منطق الصعيد بالذات .

جريدة المؤيد . ٢٥ يناير سنة ١٨٩٧ عدد ٢٠٩٤ ، ٢٦ يناير سنة ١٨٩٧ عدد ٢٠٨٥ .

(١) في ١٧ يوليو سنة ١٨٩٧ وقع هذا الحادث المؤسف وهو مقتل ساتب مصرى بطلق نارى وطهر ان الذى أطلق عليه الرصاص جندى انجليزى من قاعدة المسكر الانكليزى يسراى رأس السى ، ولما قدم هذا الجندى الى المحاكمة أمام المحكمة المصلية اعترف بأنه اطلق الرصاص حقيقة ولكن على سبيل المزاح والمكاحه مع هذا الشاب ، وبالرغم من هذا الاعتراف الصريح بالقتل وشهادة الشهود ومن يسمهم حصادم انجليزى كان ملحق بحاشية الخديو - برأته المحكمة المصلية . وكان لهذا الصرف ردة استياء عامة بين المصريين ، فقد دلت على استحقاق المحتلين بأرواح المصريين ودليل على أن الجهات الانجليزية لا تعيم وربما لأرواح المصريين وقد رار وعد من أعيان الاسكندرية سراى الخديو اعترافا عن استيائهم من هذا الحادث وانتهاء المسألة بلا تحقيق جندى وعادل وقد وصح تعاطف الخديو معهم حيث انه وعدمهم بالإجماع مع وزادته للوصول الى وصح حد لهذه الحوادث ولما كان العاؤون يعفى نالا بحاكم المههم مرتين على تهمة واحدة ، فقد رفعت والدلة القتل دعوى بالتعويض المدنى أمام المحاكم المختلطة تطالب فيها بتعويض مالى عن فقد انها وعائلها .

أحمد شفيق ناشأ - مذكراتى في نصف قرن ج ٢ - قسم ١ ص ٢٤٥ ، ص ٢٤٦ .

الاسكندرية رفع لجانه ما عم الناس من الكدر والافعال سبب سرته محرم مسحق
الصرب بالرصاص .

هذه صحيفه من صحائف احوال مصر اذا فرأها العارى وتمسها عرف كنه
ما يجرى على سواطيء وادى النيل . وهذه الامور النى انيت عليها يعرفها فى مصر
المصرى والعريب ولكنها مجهولة كل الجهل فى اوربا . وأن الواجب على كل رجل
مبسن وقف على هذه الامور أن يحسج صد الاخلال الانكليزى لمصر .

وانى أعرف أنه لا يرال فى المانيا بعض رجال يعجبون بحرية الانكليز فى انكلترا
أيها المعجبون بالانكلير أن اردنم حقا أن تعجبوا بهم كل الاعجاب فاحسبروا أعمالهم
فى غير بلادهم بجدوهم يجهون أقطع الجرائم ويعندون على حقوق الأمم وعلى حياه
الأفراد ثم يتركون أحرارا بغير عتاب . . .

فلى اسنطاعه أحقر الانكلير أن يعندى فى مصر على أرفع المصريين بدون أن
يعاقب اقل عقاب . ولكن اذا مس مصرى أحد الانكليز كان أكبر الجناه وأعظم المجرمين
وفد اسس محتلو مصر محكمه مخصوصه واسعه السلطة والاراده لا قانون لها
ولا مرد لأحكامها بحكم على من يعندى من المصريين على أحد العساكر أو البحارة الانكلير
وليس للمصريين من يحميهم من الانكلير فهى هى المحكمه المخصوصه التى تكفى
وحدها لتعريف أوربا أحوال مصر وسير الانكلير فيها . اذ هى أفصح وأبلغ من
كل الخطباء !

الخدوية المصرية *

• لقد وجه الانكليز أكبر عيائهم من أول يوم احتلوا فيه مصر للفضلاء على الخديوية المصرية ومحو آثارها من الوجود ، فاستعملوا وها هم يستعملون اليوم أكثر من ذي قبل كل الوسائل لجعل خديو مصر بلا نفوذ فعلى في بلاده .

وهد كان المرحوم الخديو السابق توفيق باشا مدينا للانجليز بندها لهم لمصلحته (١) أثناء الثورة العرابية وكان يرى ضياع سلطته وقوته الشرعية بمساعي الانكليز ولكن لم يكن يستطيع الاحتجاج علنا ضد أولئك الذين كانوا يسمون أنفسهم أصدقاءه .

ولا ريب أنه كان يظن ككثير من المصريين وقتئذ أن حكومة جلالة الملكة تقوم من نفسها بالوفاء بوعودها ونحرم شرفها ناحلاء الجنود الانكليزية عن مصر يوما ما .

وبينما كان الانكليز يعملون في مصر على تفويض السلطة الخديوية في عهد المرحوم توفيق باشا كان وزراءهم وكانت جرائدهم في لندن ينادون امام أوروبا وأمام العالم كله أن وظيفة جنود دولتهم ورجالهم في مصر تقوية السلطة الخديوية وإعادة احترام الخديو وحقوقه الشرعية الهه .

(*) شرما عام ١٨٩٧ في حريئة الرليز تاحلاط الالمية وهذا يعربها كما ورد في كتاب مصطفي كامل في ٣٤ ربيعا ج ٦ ص ١١٧ .

(١) كان الخديوى توفيق يقيم أثناء ضرب الاسكندرية في ١١/٧/١٨٨٢ سراى مصطفى باشا فاصل بالرمل بعيدا عن الضرب ، ويتلقى أخباره من اتعاه ، لم تكن عواطفه مع حماة الحصون ، بل كان قليل الاكراث بها أصابها وأصاب المدينة وكان الخديوى ينفذ عرامى ، حتى أن الخديوى شعر بالسرور لأناء سقوط الاسكندرية مما جعل العرابيين يحاصرون السراى للقض على الخديو والانتقام منه ، وحس فكر الخديوى في المودة الى رأس التين أرسل يستطلع رأى الاميرال الانجليزى في هذه المودة فأمنه الاميرال سيمور ووضع الحرس الكافى على العصر عند عودة الخديوى وعند وصوله الى العصر في ١٣/٧/١٨٨٢ استعمله الاميرال سيمور ومعه صباط انجليز وفرقة من جنوده ومن ذلك الحين انضم الخديوى الى الانجليز وأصبح في حمايتهم وامتنع مصيره بانتصار الانجليز بل أصبح مدينا للانجليز سقائه على العرش وسلامته . (عند الرحمن الرافعى - الثورة العرابية والاحتلال الانجليزى ٠٠ س ٤٠٤ الى ص ٤١٥) .

فإن سمو الخديو عباس حلمي باسا المملوء بالنسب والسهامة لما جلس على أريكه مصر رأى أن عمل الانكليز في بلاده مناقض كل المبادئ لصريحات ورائهم الرسمية وقرارات حرائدهم المعتمدة وساهد أنه عوضا عن نفوذه سلطنة المدبوبة بعمل الانكلز لاصعافها .

ومن البديهي أن نسا طاهره وروحا سريفة كروح سمو أميرنا لا يمكنها أن تفعل هذا الموضوع المخجل وترضى بصناع سلطنتها مع نهيم العالم كله أن المضيعين لها يقوونها ويؤيدونها^(١)

ولما وجد سموه لحقوق ملكه وحقوق أمته فوه عظيمه ولشرف بريطانيا مكانا عاليا ولشرف أوروبا احراما خاصا صرح علنا وجاهر بأنه يتنفي ويريد ارادة قاطعة أن ننصح بحقوقه الشرعة التي لا خلاف فيها (١) .

فكان هذا التصريح ناعيا على المعارضة اللدودة العلنية من قبل الانكليز .

ولم يجهل أحد منذ ذلك الحين أن اعداء الانكلز على سلطنة الأمير صار ببنا مستمرا . وقد ابتدأت مطاعن الانكليز ضد الخديو عباس باشا بكل قحة ودناءة في حين أنه ليس لسموه في أعينهم ذنب آخر غير أنه يريد نخليص أمه من النير الانكليزي وقيادتها متى صارت حرة قابضة بيديها على زمام أمورها في طريق التقدم والمدنية .

ويستحيل أن يقرأ الانسان مطاعن أسهل وأدنى من المطاعن الموجهة من الجرائد الانكليزية ضد خديونا المعظم ولقد حرفت هذه المطاعن السافله سموه في مصر وفي أوروبا كثيرا خلاف ما ينسبها الانكليز وأظهرت مقدار شجاعته فزاد بذلك نفوذه المعنوي ولكنها في دأها تدل دلاله واصحه على أطماع الانكليز في مصر بل أقول أنها الرهان الساطع على نلون رجال السياسة الانكليزية وتدليسهم في بصرياحهم .

ولقد ابعت الأمة المصرية نحو سمو أميرها المعظم وتنبح اليوم وفي المستقبل سياسته النعلق الشديد والارباط المكين بسحب سموه كما أظهرت الماراة العديده التضامى المشترك بين حقوقها وحقوق الخديوية الجليلة . وإذا وجدت في شخص سمو الخديو الخالي اسمى وأعظم مدافع عن هذه الحقوق المشتركة الشرعية فقد علقت حظها ومستقبلها بحظي سموه ومستقبله وقالت بلسان الأعمال والمظاهرات الفصيح ، أن احلاصها لسمو لعزیز يزداد كل يوم » .

وفي الواقع أن أمتنا لم ننس مطلقا هذه الكلمات الصادرة عن شرف الاحساس

(١) كان هذا مسلك الخديو عباس حلمي الثاني عند بداية توليه العرش الخديوي .

والوطنيّة الصادقة والنبأ النى فاه بها سمو الحديو عباس باشا عام ١٨٩٣ « انى
أفضل الموت على النازل عن حوى ملكى وحقوق أمى » .

واذا كان عاية مرمى الانكليز اضعاف السلطة الحديوية فقد اسنعملوا للوصول
الى هذا السبيل أدنى الوسائل فصار كل عدو للامير محبوبا منهم مكافأ بل صاروا
يشجعون كل خائن وكل أجنبى يجاهر لمصر بالعدوان وصار كل محب لسمو الامير
مبغضا منهم مهدد الحياه . فمحبية الحديو - صاحب السلطة الشرعية النى جاؤا مصر
بحجة لدفاع عنها وجمع القلوب حولها - صارت اليوم فى أعين أبناء التاميز جريمة
لا تغفر وذنب لا ينسى ١١

ولكن بالرغم عن هذه الأعمال وهذه الحطة التى لا تلىق شرف بريطانيا فان الأمة
المصرية بقيت كما ذكرت صادق الولاء نحو العزيز . وقد زار سمو عباس باشا فى
الأيام الأخيرة بعض مديريات الوجه البحرى فقبول من سائر الأهالى والسكان أبدع
وأجمل وأصدق معايلة . واحتفل المصريون فى هذه المديريات بزيارة سمو الامير احتفالا
ما رى انسان له ميلا .

وانى أقول ولا أحتى فى الحق لومة لائم أن أرض المراعنة ما رأت فى تاريخها
الطويل أميرا محبوبا من أمته هذا الحب الصادق غير سمو الحديو (عباس حلمى
الانى) .

١٠ ' وقد اغماط الانكليز كثيرا من هذه السياحه الداله على حقيقة ميول المصريين .
وحققوا اليوم جيدا أن كل دسائسهم ضد شخصه الكريم وكل أعمالهم المدبرة بقايه
المهارة يكفى لاسقاطها وضباع نتائجها يوم واحد !!!

وان أمل . لانكليز فى هدم السلطة المعنوية لسمو الامر باطل لا محالة ١١

وبينما الانكليز يدسون الدسائس المختلفة فى مصر ضد الامير يعمل رجالهم
وسواسهم فى أوروبا لظهار سموه بمظهر العاجز عن ادارة شؤون بلاده . ولكنها
وشاية لم تنتج شيئا آخر غير لعت الانتظار الى امور مصر .

اد لا يستطيع أحد أن ينكر أن آمال سمو العزيز عباس باشا أوجدت فى أوروبا
للمسئلة المصرية حياة جديدة . واذا كانت الحكومات الاوروبية لم تقرر الى اليوم أمر
الجلاء فمن الأمور النى لا خلاف فيها أن الرأى العام الأوروبي قضى هذه السنين الأخيرة
على احلال الانكلر لمصر أسد القضاء .

أما فى الاسانة فدسائس الانكلر ضد أمبرا المعظم دبرت فى الأيام الأخيرة
بمهارة ونشاط عجيبين فان سواس انكلرا رأوا فى التعرب الحاصل بين جلالة
السلطان الأعظم وجلالة الامبراطور غلوم خطرا عظيما على بقائهم فى مصر اذا كانت
العلائق بن يلدز وعابدين حسنة طيبة . فذلوا جهدهم فى القاء بذور الشقاق بين

السلطة لعماليه والحديويه المصريه • وان الناس كافة يعلمون ان للسياسة الانكليزية في الاسانة عمالا سريين يدعون اياهم ابراك وما هم الا سعله لا وطن لهم وهؤلاء العمال اعتادوا أن يرفعوا للمباين التعاريف عن بعض الأمور واني لا أقول أن لهذه التقارير سجه أو نابرا ولكن العائمين بهذا الأمر يظنون انها ان لم تؤثر كلها فلا يبعد ان يؤثر بعضها •

وفد دعى هؤلاء السفلة في تقاريرهم ان سمو الحديو عباس باشا يطمح في الخلافة الاسلامة (١) وهي دسيسه سسجل على العقل فبولها ولكن أصحابها يؤملون منها ولو سويش الادهان في يلدز •

ولما أرسل مولانا الحديو في الصيف الماضي سفينه حاملة لبعض الذخائر الى طنسبور وعبضت عليها سفن اليونان دعى هؤلاء العائمون بنسر الاكاذيب ودس الوشائيات أن الحديو قد أرسل هذه السفينه لمساعدة اليونان ضد الدولة العليه وأن 'مر القبض عليها ليس الا لعبوة احدى عليها من قبل بين الحديو وملك اليونان •

وفد سافر أخيرا الى بلاد العرب البرنس عزيز بك واسيع قبل سفره انه يقصد رياره الأمير ابن الرسيد المعروف بسفوده العظيم في جزء كبير من بلاد العرب • فاسهر ارباب الدسائس في الاستانه هذه العرصه للوفيعه بسمو الحديو وادعوا أن البرنس عزيز بك أرسل من لندن أمير مصر للاتفاق مع ابن الرسيد على بهيج القبائل العربيه ضد الحكومه السلطانيه • مع أن سمو الحديو قد بذل جهده لارجاع البرنس عزيز بك عن قصده الذي ليس وراءه شيء ماواني لا أشك لحظة واحد في ان جلالة السلطان « عبد الحميد » مدرك بمهارته الفائقه وبصره البادر المليل أسرار هذه الدسائس وهي لا تصيب منه أقل اصغاء • كذلك قد رأى جلالته في حكمه الطويل من السياسه الانكليزية أمورا كثيره تبين لجلالته بأوضح بيان ان الدسائس الموجهه ضد عزيز مصر قد دبرت كلها بأيدي الانكليز !

وليس من ينكر أن الموجد لسياسه الميل للدولة العتمانية والنعلى بها أشد التعلق التي ابعنها الأممه المصريه في هذه السنوات الاحيره بكل ظهور وبها اما هو سمو

(١) فكر الحديو عباس في أن يتخذ من سمعة الارهر وعلمائه في العالم الاسلامي سندا دينيا يرححه على امراء المسلمين ويعطيه الاحقيه في تحقيق حلمه في تولي الخلافة الاسلاميه ، وحين النى الحديو عباس بحمان الدين الاعماى عند رياره للاستانة طن السلطان ان القائهما تأمرا على تحويل الخلافة عباسيه في مما دعا الافغانى الى نعى هذا القول باعتبار أنه لا يملك حق توليه الخلافة لمن يشاء ، كذلك بلغ ان الحديو عباس أرسل ابن عمه البرنس عزيز حسن الى بلاد نجد لمعايلة آل الرشيد للساحت في موضوع الخلافة العباسيه • وفي الواقع أن الحديو عباس لم تكن لديه العدره التي تمكنه من تنفيذ فكره الخلافة العربيه وان الأمر لم يكن الا محاولة للضغط على السلطان للحد من محاولاته استرداد الامسيارات التي نالتها مصر من قبل ووقف تدخله في شئون مصر •

د • عند المسم الحييمى - مرجع سابق ص ١٧٠ - ١٧١ •

الحديو (عباس حلمي باسا) فهو الذي أدرك قبل كل انسان الأهمية السياسية العظمى للانفاق بين السلطنة العثمانية والحديوية الجليلة . فضلا عن ذلك فان جلالة السلطان الأعظم « عبد الحميد » تعلم علم اليقين ان مشكلة مصر بالنسبة للخلافة الإسلامية هي مشكلة حيوية . ويعلم كذلك ان احتلال الانكليز لمصر هو أكبر وأعظم اعتداء حصل ضد سلطته العالمة واحرامه العظيم .

ولكن الذي يظهر جليا من كل الدسائس الانكليزية هو رغبة الانكليز في هدم الحديوية المصرية . وقد نسأل كل انسان ما واجب أوروبا أمام هذه الرغبة وما هي رعبها ؟ لا مرأه أنه اذا كانت حقوق مصر مرتبطة بحقوق الحديوية كل الارتباط فانه لا يمكن كذلك احرام حقوق أوروبا والدفاع عنها الا بالمحافظة على الحديوية المصرية واحرام حقوقها الشرعية .

فالحديوية المصرية هي السلطة العالمة التي قبلتها أوروبا وضمنت وجودها والتي تضمن في مصر لأوروبا حقوقها ولرعاياها الراحة والأمان .

واذا وصل الانكلبر الى هدم الحديوية أو الى اضعافها فمط فان حقوق أوروبا في مصر تفقد كل ضمان وبضيق كلها يوما ما .

وان مصر بلا حديوية تكون بلا أوروبيين أي بلدا أفريقيا محضا .

ولو أن دولة واحدة أوروبية ساعدت سمو الحديو مساعدة فعلية لخدم سموه مصر وأوروبا خدمة جليلة للغاية . ولكن خطأ الماضي لا يصح البقاء عليه في المستقبل ! فان شرف أوروبا ومصالحها يفضيان عليها بتخليص مصر من رغبة الانكليز .

وفد بدت لنا جملة أمور تدل على أن في أوروبا دولا عظمى نريد تحرير مصر ووادي النيل . فلتعجل بالعمل أن كان في النية عمل فقد رأينا من الآلام ما يستحيل أن نرى بعده شيئا .

وان اليوم الذي ترد فيه أوروبا لوادي النيل حباه وحرية تجد أمامها فيه أمبرا على الذكاء شديد الوطنية محبا للعدل والمدنية تتبعه الأمة المصرية بأسرها . وما هو يحد اليوم وبجواره طبقه حرة متعلمة مهيبة ذكية مكونة من رجال لا هم لهم الا خدمة الوطن المصري بصون و خلاص والعمل لبقائه الى الابد حرا سعيدا متمدينا .

جنت مدير جريدة لوريان ★

« قرأت في أحد الأعداد الأخيرة من جريدتك جملة على الوطنيين المصريين كتبت بنحيز كبير للاحتلال الانكليزي وأشياعه وليسست عليها مسحة من الحق . ولما كنت أعنقد أن مبادئكم حرة وشريفة وانكم تستظلون بإرادة الحرية والاخاء والمساواة ورأيت أن أرسل اليكم كتابي هذا خدمة للحقيقة راجيا نشره في المكان الذي نشرتم فيه مقالتيكم التي نسبتم الى فيها امورا أنا أبعد الناس عنها وكذلك أبناء وطني جميعا . »

يعول مراسلكم المصري « أي المصريين عمى لا يفهمون ولثام لا يعترفون بجميل » ويدعي في مقالته أن الاحتلال الانكليزي أحسن البنا فنظم مالينا ورد السودان ونشر المعارف بيننا واحيي فينا « مصطفى كامل » ٠٠٠٠ الى غير ذلك مما عده نعا وجهها الانكليز واتهمسا بنكرانها والعمل على اشعال نار الثورة في بلادنا .

ولذلك هو يسأل أوروبا أن تعطى الانكليز الحرية البامة في ناديينا حتى لا نعرض بمالها ومصالحها الجمة في مصر للضباع ٠٠٠ الى آخر ما افترى »

هذا ما افترى مراسلكم علينا به ويعلم الله أنه ماجور من الانكليز لأن يدا تتصل بقلب طاهر يشعر وبعين نرى لا تكتب على نفسها اما كما كئبت يد هذا المراسل .

ان الانكليز العاملين دخلوا مصر بعد أن قضى فيها الفرنسيون العلماء ٦٥ عاما بين اطباء ومهندسين ومعلمين ومالين فاقاموا معالم الدوارس واوجدوا من أفريقيا مملكة أوروبية كبيرة .

اني يا جناب المدير لو أردت أن أشرح لك ما سبقت شرحه في أغلب عواصم أوروبا بالفلم واللسان حملت نفسى فوق طاقتها ولذلك أرسل اليكم حطة باريس التي

(*) كتب مصطفى كامل هذه المقالة في شكل رسالة ساريح الخميس ٣ فبراير سنة ١٨٩٨ رد على ما أهاجته الصحف الاوربية وعلى رأسهم جريدة لوريان صده من انه كان يفسر القيام بثورة .
(على فهمي كامل مصطفى كامل في ٣٤ ربيعاً ح ٦ من ١٥٣) .

القيتها في أواخر سنة ١٨٩٥ بعاهه الجمعية الجغرافية ورساله « حطر مصر » اعلمكم مى قرانموهما تعرفون كيف بدد الانكلز اموالنا وحملوا الأمة ديونا عموميه وخصوصية ونسفوا القضية من العلم واختاروا قشوره وهجروا لبابه . وانهم لم يصموا السودان البنا بل استندلوا دماءنا في فتحه ومن يعرف ماذا تكون النتيجة .

أما مصطفى كامل الذى قال عنه مكاسم انه من عمل الانكلز الصالح فهو فول مردود لأن الانكلز لا يؤهلون المصريون ليقفوا فى طريقهم ويذكروهم بشرف ناجهم وكرامة أفسامهم !!

نعم ان المراسل سى عملنا على اللؤم وكران الجميل ولكن 'سمح لمصرى مى ان يسالك سؤالاً بسيطاً .

« أبعد الدفاع عن الأوطان فى نظركم لؤما . ولا تعدون السكوت عنه جنبا وخيانة » اذا كنتم أنتم أبناء الأمة الفرنسية قد فتمت فى وجه حكومتكم الأهلية الرؤوفة بكم عدة ثرات وهى منكم لانكم شعرنم سظالمها فكيف نجدون من اللؤم قيام أمة جاءتها المظالم من سلطة أجنبية عنها طامعة فيها !!

ألم تكن بشرا ملكم نشعر بما نشعرون وننألم كما تتألمون أنسبنم مركزنا السياسى ؟ أنسبنم مصالحكم عندنا ؟ ان كنتم نسيتم أو نناسيتم كل ذلك فانكم لا شك ذاكرون وطننكم التى لمست الا دروسا نفشت على كل قلب يقول فرنسا !!

يا كلما رتقنا خروف سياسة حكومتكم ووطننا العلائق بين أمتنا العزيزة وأمنكم الكريمة فام منكم من يجد الحاة فى وحدة فرنسا وعزلتها فعمل على انساع الحرو .

انك يا حناب المدير لو كنت نقرأ العربية لكنت بعنت اليك بننف من سباب اذئاب الانكلز ومأجوريهم ضد الوطنية والوطنيين لترى لى أى حد نهان كرامة الوطن والوطنية فى بلادنا . الى أى حد يغرى الاحتلال الدخلاء والمنافقين على هجو أمبر البلاد ورئيسها الشرعى .

ولو سألتى ما دسب الأمر وما عمله . لقلت لك أن ذنبه الوحيد فى نظر الانكلز انه صديق جلالة السلطان المخلص له المطيع لاوامره المحترم لتبعيته بنما بربد الدهاء الانكلزى صمه اله حنى نضج مصر (لا قدر الله) .

هذا ما اكتنه لحنا بكم اليوم وأرجو منكم ان سعوا بصداقة المصريين ووطنيتهم الصادقة التى مندوها « احرار فى بلادنا كرماء لضوفنا » وان تفضلوا بقول أجل اعتمارى واسمى احترامى .

الجيش المصرى ★

« انى أجد الشرف منبهي السرف فى أن أخاطب فراء مجلة كبرى كهذه المجلة المقروءة المؤثرة فى شئون جيش حينا له من حب البلاد لأنه المدافع عن حوزتنا الساحر على صيانتها الحامل لراية وطننا الا وهو الجيش المصرى »

انى لم أكن عالما بفنون الحرب ونظام الجند حنى أصنفهما وصفا دقيقا ولذلك أنكلم هنا على أعماله العديمة والجديدة وفخره الذى سطره له التاريخ وما لحقه من الغبن فى هذا العصر الذى حرت فيه كلمات الرقى والمدنية والانسانية حنى على لسان من لم يشبوا عن الطوق بعد !

كان فى مصر جيش كبير نظمه المرحوم محمد على باشا (١) رأس العائلة الحديوية حنى كاد يكون أول جيش فى العالم الشرقى بعد الجيش العثمانى الباسل وقد غزا به

(*) كان هذا رد مصطفى كامل على تساؤل المسيو فراسوا دى مين مدير مجلة العالم الاسلامى التى كانت تصدر فى فرنسا حول حالة الجيش المصرى وموقعه بالنسبة لعوى الاحتلال .

(١) تحول الجيش المصرى فى عهد محمد على من جيش غير نظامى الى جيش نظامى ، كما تحول صفة التسمية للجيش الى الصفة العومية . بعد كان الجيش المصرى فى بداية حكم محمد على مكون من مريح من الترك والألبان والمعاربة والدلاة . ورغم أن محمد على قد حقق بهذا الجيش انتصارات حربية كثيرة فى بداية حكمه الا انه قرر تكوين جيش على أحدث النظم حنى يستطيع أن يحقق به آماله فى بناء امراطوريه ، ولتحقيق ذلك شعث محمد على الحدود غير النظامية التى كان يكون منها الجيش ووزعهم على الشور والاقاليم ، ثم أخذ فى تكوين النواة الأولى للجيش فى أسوان وكانت تكون من خمسمائة من خاصة مماليكه ، وخمسمائة من مماليك بعض رجاله واستعان فى تدريبهم بالكولونيل سيف Sévès الفرنسى - سليمان فاما بعد - وذلك ليكونوا ضابطا . وبعد الانتهاء من توافر العدد لكافى من الضباط أخذ فى التفكير فى الحدود ، وقد تحسب فى البداية بحديد الأرفاءود خشية نردهم كما تحسب الفلاحين المصريين خشية وضع السلاح فى يد من لا يملكون ولما الى تحييد السودانيين وأقام لهم المعسكرات فى أسوان ومنفلوط لتدريبهم على النظام الحديث ولكن التحربة فشلت فاتحة الى تحييد المصريين ، وهكذا وضع محمد على وائراهم أسس الجيش المصرى والأسطول الذى كان لهما شأن عظيم فى حروب محمد على .

ثم انتقل الجيش فى عهد عباس الأول (١٨٤٨ - ١٨٥٤) الى مرحلة الاضمحلال رغم أن عباس نفذ بعض الاصلاحات الحربية التى فكر فيها ابراهيم باشا قبل وفاته كتحديد الاستحكامات والقضاء الطرق =

محمد علي بلاد كنبه لا أود ذكرها لأن في ذكرى بعضها ما يحرك اسجابي ويؤلم
فؤادي بصعني مسلما مخلصا برى القوة في الدولة العلية والمجد المقبل في
سلامها والالتفاف حول رأيها .

= الحربية الا أن الجيش في الجملة لم يكن موضع عناية ، فأصبح في عهد عباس الأول مثال الفوضى وسوء
الإدارة ، وقد راد من صفه انه أدمج فيد نحو سنة آلاف من الارباءود وجعلهم خاصة جنده وسلاحهم
بالمسدسات وكانت لهم السطوة وتعالوا على المصريين حودا وأمرادا وطل سليمان باشا الفرنساوي القائد
العام للجيش المصري ولكن يده غلت عن النهوض به واصلاح شؤونه .
وتولى سعيد حكم مصر بعد عباس (١٨٥٤ - ١٨٦٣) عاد الجيش المصري الى عظمته وبطامه بعد
اشتهر سعيد بميله الى الجيش فعزل على ترقية شئون الجيش من الوجهتين المادية والمصرية وصفه بالصيغة
الوطنية ، فخص مدة الخدمة العسكرية وحلها في الوقت نفسه احبارية للجميع بعد أن كانت قاصرة على
العلماء ، فرغب الأهل في الانضمام في سلك الحدية ، كذلك عني بترويه حالة الحود والترقية عنهم من
جهة العذاء والسكن والملبس وحسن المعاملة ، وكان لهذا الاصلاح أثره في تقدم حالة البلاد الاجتماعية
لأن المحدثين حين يعودون الى القرى بعد اسهاء مدة خدمتهم كانوا ينقلون اليها مبادئ النظام والتقدم
والنظافة التي تعودوها في طل الحدية ، وقد رقي كثير من الضباط المصريين الى المراتب العسكرية العالية
بعد أن كانت قاصرة على الترك والفرانكة .

ولما كان مشهورا عن سعيد انه لا يستقر على وثيرة واحدة فنحده في سنة ١٨٥٦ قد صرف معظم
الجيش ولم يبق منه الا ست أوط من المشاة وثلاثة بلوكات من الفرسان وبلوكن من المدفعية وفي سنة
١٨٦٠ أعاد تنظيم الجيش مرة أخرى وإعاد اليه صباطه ونظم فيالفة ، وكان غرضه اسعدادا للقنال بعد
أن توترت العلاقات بينه وبين تركيا ، فكان عند الجيش ومنتد ٦٤٠٠٠ مقاتل كما اعتنى بالاسطول وعمل
على احياء البحرية المصرية ولكن الحلترا أوعزت الى تركها ان يمنع سعيد من تحديد الاسطول صحة
انه خطر على تركيا اذا قوى شأنه .

وتولى الخديو اسماعيل عرش الخديوية سنة (١٨٦٣ - ١٨٧٩) وصح اهتمامه الكبر بالجيش وتنظيمه
فارسل البعثات الحربية الى فرنسا لتعريف الضباط المصريين على نظام الجيش الفرنسي واقتباس حرة
قواده وصباطه فدرسوا النظم العسكرية الفرنسية والاسحكامات الحربية وعمر ذلك من فون الحرب والقتال
كما أحضر بعثة حربية من فرنسا مؤلفة من بعض الضباط الفرنسيين لتنظيم المدارس الحربية المصرية ،
كما عهد الخديو اسماعيل الى طائفة من الضباط . الامريكيين لتأسيس هيئة أركان حرب للجيش المصري
تألفت هذه الهيئة من الضباط المصريين العائدين من فرنسا علاوة على الضباط الامريكيين وعلى رأسهم
الجنرال ستون Stone وقد بلغ تعداد الجيش سنة ١٨٧٣ ١٢٠٠٠٠ مقاتل . كذلك اهتم اسماعيل
بتحديد الاسطول فبعث البشاة في ترسانة الاسكندرية وصنع السفن الحربية المدوعة في ترسانات أوروبا
كما حدد المدرسة البحرية بالاسكندرية وأحضر لها المدرسين الأكفاء من أوروبا ومصر وعهد بنظارتها
الى صابط البحرية الانجليزية ويندى مكيلوب بانها وكانت تدرس العلوم البحرية التي كانت تدرس في
المدارس البحرية الأوروبية كما أرسل البعثات من حربي هذه المدارس البحرية الى انجلترا لاصحام دراسة
العلوم البحرية .

ولما اشتدت الأزمة المالية والدخل الأحصى الفرنسي والانجليزى سنة ١٨٧٨ سرح اسماعيل الصباط
الامريكان جميعهم ما عدا جنرال ستون الذي بقى رئيسا لأركان حرب الجيش المصري حتى أوائل الاحتلال
البريطاني فاستقال بدخول الانجليز مصر .

وكان الجيش المصري قبل صرب الاسكندرية يقدر بحوالي ٣٦ ألف مقاتل حسب قول عراي ولكن
الراعي يعتقد ان هذا العدد مبالغ فيه فلم يكن يزيد عن ١٩٠٠٠ مقاتل مورعين من مختلف المواقع ولما =

بلغ عدد هذا الجيش في مدة محمد علي مائتين ألف جندي وقد جلب له من أوروبا أساطين الحرب وفواد الجيوس الذين اشتهروا بسعة الاطلاع وقوة الابداع في سسنى النظام ورسب الجنود ومنهم الكولونيل سنف الفرنسي الشهير الذى أسلم وغير اسمه وأصبح سليمان باسا الفرنسي .

فاد محمد علي هذا الجيش في بعض الغزوات ولكن الذى اشتهر بعيادته زمنا طويلا هو ابنه ابراهيم باشا الذى بولى ملك مصر زمنا قصيرا وقد أنسى المؤرخون جميعا على استعداد المصرى للجنديبة غير أن الأزمنة المختلفة التى أهاجت حب منافسة معاصريه واستنلاء الأجنبي على بلاده لم تمكنه من التدريب على القيادة العامة فصار مرؤوسا مطعما حازما ولعله يكون كذلك اد جاءه حظ التراس في مقتبل الأيام !

جاء بعد محمد علي أدوار الحديويين والجيش كما هو في كفاءته وعدده حتى زمن حكم اسماعيل باسا الحديو السابق فان الجيش المصرى بلغ فيه مبلغا عظيما من الرضى . ومن يراجع تقارير صباط الأركان الحرب الأحانب الذين استخدموا فيه كالجنرال

- طالب عراسى سنة ١٨٨١ زيادة مرتبات الضباط والجنود وافق مجلس الوزراء مقابل تخفيض المصروفات العسكرية البرية والبحرية وتخفيض عدد الجيش الى ١١ ألف مقاتل ولما طالب عراسى في مطاهرة عاندين زيادة عدد الجيش رفض الحديو تحت تأثير المرائب المالى أوكلند كللى بحجة أن مالية الحكومة لا تسمح .

وبعد خمسة أيام من احتلال القاهرة أصدر الحديو مرسوما بتسريح الجيش ، ثم أصدر أمرا عاليا في ٢٤/١٠/١٨٨٢ بتحريد الضباط الذين اشتركوا في الثورة العرابية من رتبهم . وفى نفس الوقت بدأ اهتمام إنجلترا بانشاء قوة عسكرية حديثة تحتل محل الجيش الملغى وبإاءا عليه أرسلت الحكومة البريطانية لورد دفرين في أكتوبر سنة ١٨٨٢ في بعثة لهذا الغرض ، وتم الرأى على تكوين جيش جديد على ألا يزيد عن ستة آلاف مقاتل ووجه في ذلك أن مصر محاطة بالصحراء ، ثلاث جهات وهذا المدد كاف في نظره للوفاء بالانغراس التى تحدث عنها ، كما رأى دفرين استتقاء جميع العناصر الانكشافية الاحسية سواء كانت من الترك أو الالبانيين أو الشركاسة ولكنه استثنى الاتراك المتصرين أو المصريين من الأصل التركى وذلك لتدعيم صفوف المحاربين الحدد ، كما قرر أن يضع الجيش تحت الاشراف المباشر لجنرال انجليزى وبعض الضباط الانجليز ومن ثم فان أربع أشرطة مشبابة من ثمان سو فيكون ضباطها في جميع الرتب من أعلما لأدناها من المصريين ويرأسهم لواء مصرى أما الأربع أشرطة الأخرى فيكون القائد الأعلى انجليزى وكذا مساعده وناقله بالاصافة الى ثلاثة ضباط انجليز ، ويطلق هذا بالنسبة لسلاح المدفعية فيكون تحت قيادة كولونيل من سلاح المدفعية الملكى ، أما سلاح العرسان فيتكون من ٥٠٠ حدى قائده وناقله انجليزىين .

وهكذا تحد أن الاحتلال الانجليزى صنع الجيش المصرى مصففة انجليزية وسيطر الجندى الانجليزى على الجندى المصرى .

(١) عبد الرحمن الرافعى - عصر اسماعيل ج ١ ، ط ٢ القاهرة سنة ١٩٤٨ من ص ٧ الى ص ١٨٦ .

(٢) عبد العظيم رمضان ، مرجع سابق من ص ٨ الى ص ٤٣ .

أوراق مصطفى كامل - ٢٧٣

سنون (١) وغيره يعلم مقدار عدده وعدده فقد بلغ عدد رجاله في وف من الاوفات من ضباط وصف الضباط وجنود ١٢٠ ألف سمة . كما بلغت عدده من الطراز آخر طراز .

لأن اسماعيل كان مغرماً بتأسيس مملكة ضخمة فأنشأ السفن وبني الحصون واستنجلب العدد واستخدم الأوروبيين لتدريب الجند وهو عمل كان يجب معه أن يكون مقتصداً لتأمين الوقوع في غائلة الدين وضيق ذات اليد .

ولو كان اسماعيل مع نشره المعارف واصلاحه البحرية والحربية عول على وضع نظام مالي قائم على أساس منبني ما كانت البلاد وقعت في هذا المرض المالي العضال وما كان الأجنبي وجد باباً يدخل منه هذا الغبط الذهبي تحت هذه السماء المادرة المثال ١١ .

ذهب اسماعيل وجاء بوفيق وقد اسلم ملكاً كبيراً مديناً وظن الناس جميعاً في مصر وفي غير مصر انه سيكون النوفيق حليفه في خديويته ولكن الحوادث خاضه ولينه المتناهي وطبئته التي كادت تكون زهداً أضعت كتباً من جاهه وقوت كثيراً جهلاء قادة الجيش والذين نهجوا منهجهم .

ذلك أن الجيش المصري كان على رأسه في ذلك الأوان فواد من العنصر الشركسي المحبوب الباسل (٢) ولكنهم كانوا على ما يظهر من الذين لا يحسون كثيراً سياسة الجند ومن سوء حظهم أو من سوء حظ مصر أن وجد بجانبهم رؤساء فرق مصرية لم يخرجهم المدارس العالية بل أخرجتهم صفوف الجند وهم من سلالة مصرية صرفة . وقد حقن هؤلاء على أولئك واشتباك التباض الجنسي بينهم مما أدى الى النزوع الى الثورة العرابية التي انتهت فصولها باحتلال الانكليز لمصر .

دخل الانكليز مصر في وقت كانت فيه الثورة السودانية (٣) فائمة بعد أن أحكمت السياسة الانكليزية حلفائها وعرفت كيف سر لهيئها . فرأى من رأسوا الجيش المصري

(١) هو صابط أميركي على حارب كثير من الكفاءات والسياسة عادر الولايات المتحدة بعد انتهاء الحرب الأهلية وجاء الى مصر وعرض خدمته على الخديو اسماعيل فألعه بالجيش وعهد اليه سنة ١٨٧٠ برئاسة هيئة أركان حرب الجيش المصري لما أسسه فيه من الكفاءة وأبعم عليه رتبة اللواء وصار يعرف بالجنرال سون ناشا واضطلع بالمهمة التي أسندت اليه واستعان على إحياء هذه الهيئة ونظمها هيئة من الضباط الوطنيين والأمريكيين وبطائمه الميكانيكيين والمهندسين والسياسة في علم طبقات الأرض ، وأشياء في هذه الهيئة قسم للجغرافية مهمة وضع الخرائط الطبوغرافية الدقيقة عن اتحاد مصر والسودان وبولي بحطيط هذه الخرائط صابط أركان الحرب المصريين والأمريكان فحالت أعمالهم عاينه في الدقة والإحكام .

وقد عادر جنرال سون مصر نهائياً سنة ١٨٨٢ حين عزم الانجليز وصح أيديهم على الجيش المصري عند الرجوع الراجعي المرحح السابق ص ١٨٠ .

(٢) أسلوب تحب من مصطفى كامل للترك يحمله محل تساؤل .

(٣) ثورة المهدي .

من صباط الانكليز ان يفتوا ما بقى من جيشنا القديم وقد بم لهم ما ضمروا اذ بددت
فرو هذا الجيس العس (١) فى وفائع كبره اشنبكت فيها وفى جهات شتى بالسودان
مع أهله ودراويسه .

بعد ان بم للانكلبر هذا الأمر بسهولة غريبة أسسوا جيشا جديدا لا يتجاوز
العشرين ألف جندي وقد وضعوا على رأسه عدد كبيرا من الضباط البريطانيين ليكون
لهم أحسن مدرسة حربية مصرية يجربون فيها كل نظام بخطر ببالهم لا ليكون أساندة
ماهرين يلقتون فنون الحرب الحديثة لمن ائتمنتهم أوروبا على احتلال بلادهم !

فان الضابط الذى لا تتعدى رتبة الملازم فى الجيش الانكليزى يلحق بجيشنا
برتبة البكباشى وينتقد من المرتب هنا ما هو ستة أمثال مرتبه هناك . وهو ما لم
تسمع به فى التاريخ !

للجيش المصرى الآن وفى كل مدة الاحتلال ثلاث نقط يوزع فيها قسم فى السودان
الشرقى ومركزه سواكن وقسم بالسودان الغربى ومركزه حلغا وقسم آخر بمصر
ومركزه العاصمة .

وهذه الأقسام يحل بعضها مكان البعض كلما لاح للرؤساء تبديل وتغيير .

والنظام المبيع الآن أن فى الجيش ثمانى عشرة أورطة مصرية بباده منها اثنى
عشرة أورطة من المصريين وست أورط من السودانيين ولا يوجد على رأس هذه الاورط
مصريون الا فى أربع منها فقط واما الاربع عشرة أورطة الأخرى فجميع روسائها من
الضباط الانكليز .

وكذلك بطربات الطوبجة فلا يوجد فيها بالمره رئيس مصرى أما آلابات السوارى
فمعها بعض المصريين وكذلك بقعة فروع للجيش .

ان فى كل جيوش العالم لا يشتغل الجندى ورئيسه الا بكل عمل حربى كانشاء
القلاع والحصون وحفر الحنادى ووضع العراقيل والتعلم العسكرى بكل أنواعه ولكن
الحال فى مصر عبر ذلك فانه بينما يصع الجندى المصرى راميته لبسنريح من عمل
عسكرى أو واقعة حربية نناديه أعمال الفعلة التى لم تكن من شؤون الحند بالمره فينقل
أكياس الغذاء وحرم المواد من بر الى بحر ومن بحر الى بر وينشئ السكك الحديدية
ويبى القناطر والكنات وبالجملة يطلب منه شبيد مدن فوق جماجم الذين قتلهم
برصاصه أو مزق أجسامهم كل ممزق تقنابله .

(١) التحريكات الثلاثة سنة ١٨٨٣ ، سنة ١٨٨٤ ، ١٨٨٥ .

فالجندى المصرى (١) نجار وحداد وبراب وبناء وفاعل وجمال وخدام وجندى كل ذلك فى حرارة السودان ونحت سلطة الانكلز .

أحبرنى موظف ملكى من موظفى نظارة الحربفة فى بلادنا أن العساكر المصرية يحملون حتى غذاء وملابس ومواد الجبود الانكليزية المرافقة لحملة السودان من جهة لينقلوها الى جهة أخرى . فهل بعد هذا استعباد للأمم فى صورة المدنية؟؟؟

ان الانكليز أول المدعين أنهم ممدينو العالم رحماء بالجنس البشرى وأنهم ما دخلوا مصر الا ليقسموا فيها ستة أشهر حتى يستتب الأمن ثم يعودون من حيث أتوا فما بالهم استخذوا الحدود المصرية بعد أن استتب الأمن داخل البلاد عكازا يتعكزون عليه كلما ضابقتهم المطالبة بالجلء أو لاحت لهم لائحة من أوروبا يكون وراءها حرمانهم من البقاء فى أرض الفراعنة . الا أن الانكليز أصبحوا يسخرون من العالم كله وقد سجلوا على أنفسهم بهذا الاخلاف فى الوعود عارا فى صحف التاريخ لن تمحوه حسناتهم حتى لو كانوا مصادفة يأنون بالحسنات .

انى أرى ان المثل الذى ضربته على نفس حالة الجندى المصرى واستخدمه فيما لم يكن من شأن الجنود لم يكن شبيهاً المذكوراً بجانب ما سأقصه على قراء مجلة العالم الاسلامى .

اختص رئيس الجبش ذلك الرجل الجبار كنشتر باشا أحد الأورط بنقل التعيينات من شاطيء النيل الى القطار فلما رأى رئيسها المصرى ان المرض المسبب عن النصب الزائد أهلك الكثير من رجاله شكوا حالهم الى الرئيس لرحمهم ويستبدلهم بغيرهم فهز الرئيس الانكليزى الممتدين العظيم كتفيه وقال « ان موت أورطة بأسرها لا يهمنى فالأمة المصرية تعد بالملايين ومن يموت من الجند نجد عوضه فى الحال » .

(١) استخدم الجيش المصرى فى بناء السودان وتعميره صناعة خاصة فعندما انتهت موقعة أم درمان ، اتجهت السياسة البريطانية الى حمل الخرطوم عاصمة للسودان ، ولما كان السودان حال من الصناعات وكانت مصلحة الأشغال بالجيش المصرى عبارة عن قسم صغير من الصناع العسكريين فقد رأى زيادة هذه الصناعة وتكبيرها ، وسرعان ما تم تحديد سائى وسخارين وسخاتين وباشاش وحدادين وبرادين وغير هؤلاء من صناع المعمار . وامتدأ هؤلاء الصناعة يصلون الى الخرطوم سنة ١٨٩٩ وقد قام هؤلاء الصناع بنشاء أهم المنشآت الكبيرة المدنية والعسكرية فى الخرطوم هذا بالإضافة الى ما أشىء فى الأسعاء الأخرى . وكانت أورطة السكة الحديدية أكبر أورطة فى الجيش المصرى فقد قامت هذه الأورطة على صيانة السكك وبعدها بالاصلاح وتنصح صعوبة وقوة العمل الذى قام به الجيش المصرى فى قول أحد الضباط « أنه توجد تحت كل شبر فيها حثة جندى مصرى » .

واتسعت ميادين الخدمة لفيلق العمال المصرى لتتجاوز حدود مصر فشملت فرنسا والدردييل والعراق وفلسطين فضلاً عن سيناء . فقد قاموا بأعمال عديدة منها مد السكك الحديدية وأبائيب المياه ومرش الطرق السلكية وتوزيع شحنات الواحر والقطارات وشحنها وحفر الأنار وإدارة القوارب الساحلية .
د . عبد العظيم رمضان - مرجع سابق من ص ٨٠ ، ص ٨٢ ، ص ١٢٤ .

من هذا المل وغيره يدرك القراء أن الشدة قد بلغت من نفس هذا القائد الأوروبي مبلغ القوة مع أن العدل يقضى بالتبديل والتغيير في كل عمل واجب النفوذ فما بالك بعمل كهذا ليس شرعيا ولم يكن بالمرّة من اختصاص الجيود ؟ نعم أن السرعة التي ترى السياسة الانكليزية وجوب اتباعها في فتح السودان تحتم هذا العمل الذي يعوق سيرة التبديل والتغيير كما يقول بعض الضباط الانكليز وجرائد الاحتلال • ولكن ليس في ميزانية الجيش الذي لا يعرف لها حساب ما يكفي لجعل الاورطة المخصصة لأي عمل ما أورطتين •

وبالجملة فإن حالة الجيش المصري حالة تعسة للغاية لا يمكن تطبيقها على حالة أهل الجيوش الأوربية استعدادا ونظاما •

أن الجيش المصري الذي هو جزء من الجيش العثماني لا ينفذ الدولة اليوم في أي حرب لأنه فضلا عن أن نظامه مخالف للنظام الحديب الأوروبي كما يقول الكثيرون فإن الانكليز لا يسمحون بانضمامه إلى جيش الدولة إذا دعت الحالة إلى ذلك •

نعم أن الوقت الذي فيه ثارت الحرب الأخيرة بين الدولة (١) واليونان كان الجيش المصري مشغولا بما هو فيه الآن من استرداد السودان ولكن ليس الانكليز هم الذين اشعلوا نار هذه الحرب ليشغلوا الدولة عن مسئلة من أهم المسائل العثمانية في أفريقيا أنهم خافوا أن نوعز الدولة الألمانية - التي هي العدو للدود للدولة الانكليزية - للدولة العثمانية بأن نحدث القلاقل على حدود مصر السريسة وتسوق جنودها إلى داخل البلاد في وقت نكون قد رحلت فيه الجند المصرية والانكليزية عن مصر لاسترداد السودان وبذلك يقعون في فخ السياسة الألمانية ويصيح منهم الأبيض والأسود •

أن كبار السياسيين في أوروبا منفقون على أن الانكليز يخلقون كل يوم جديده في عالم السياسة لمبلغهم الغاية التي يرمون إليها فليس يبعد بل من المعقول جدا أن يخلق الانكليز أنفسهم في الغد شيئا آخر في نفس جسم الدولة العلية •

نعم أن تنافس هاتين الدولتين الألمانية والانكليزية يفيدنا كثيرا لأن فيه صاعقة مقبلة تقضى على احدهما بينما تضعف الأخرى وترتكها في النزاع زمنا طويلا • هناك يقوم المصري ليسترد حقوقه أن لم تكن أوروبا قد قامت بواجبها نحو صيانة مصالحها وتاديب الدولة الطامعة الساخرة منها وكل آت قريب •

(١) الحرب اليونانية التركية سنة ١٨٩٧ •

الأحوال المصرية ★

المكاتب : يشيرون في الدوائر السياسية الأوروبية أن المصريين قد نسوا مسئلة الاحتلال ولم يعد لهم صوت يرتفع بعد الآن . فهل هذا صحيح ؟؟

المرجع - قد دهشني سؤالك هذا غاية الدهش لأنه كيف ينسى المرء أمه الخنوع التي لا رحمة في الوجود تعادل رحمتها ولا شفقة تشبه شفقتها . ان الذين يقولون أن أصواتنا أخفقت يظنون أن بلادنا أصبحت مستقلة سعيدة عالية الشأن .

نعم أن يوما فيه نرى مصر قد أخذت مكانها اللائق بها بين الأمم هو يوم لا يشكو فيه من ظلم ظالم أو جور جائر بل نكون ككل الأمم التي ترتفع أصواتها أمام حكومة أهلية لحسن قيادة دفة مرافق البلاد .

ان الرجل الذي له وجدان يتألم لا يستطيع رؤية أم عزيزة ندبح في رائحة النهار بدون أن يحرك فنحن كذلك مع هذا الاحتلال غير الشرعي الذي طال عليه القدم ومنزل أكبر دور من أدوار الفش والخذاع لا نسكت حتى اذا بحث أصواتنا أو عصبت ألسنتنا في أفواهنا . لأنه العار الأبدى المسجل علينا ما دام فينا والوصمة الوطنية التي تنكرها حقوق الأوطان مادام بين ربوعنا .

اني أؤكد لك يا جناب المكاتب أن قلب المصري يذكر في كل خفقة من خفقاته الجلاء لأن السعادة لا تكون في الشقاء كما أن الاستقلال لا يكون في الاحتلال .

فقاطعه المكاتب وقال : « ان أحد المصريين الذين حادثته أكد لي أن المصريين اليوم اسعد حالا مع الاحتلال الانكليزي مما كانوا قبله . وقولك مناقض بالمرّة لقول هذا البعض » .

فأجابه المرجع على الفور « ان الدين حادتهم ان قلوبا أو كبروا لبسوا على ما أظن الا دخلاء (١) بغشون من كان ملك بانهم مصريون وهم ليسوا في الحقيفة

(*) حديث لمصطفى كامل أحراه معه مراسل حريده الاكسيرا حناية المساواة في فيا في ٢٣ فبراير ١٨٩٨ - ١٨٩٧ ، ود أشار على فهمي كامل للمراسل « المكاتب » فيما أشار الى مصطفى كامل « المرجع » وهذا تعريبه .
(١) مؤسس حريده المقطم القوام .

الا غرباء اسماجرهم الانكليز لخدمة سياسهم • واذا كانوا مصريين فهم من طبقه الموظفين الدين باعوا الآخرة بالدنيا والوطن بالوظيفة وهؤلاء ليسوا والحمد لله كبيرين ولا بد أن يمحو الزمان أثرهم شيئا فشيئا أو يوبوا الى رشدهم عندما يقع الظلم على رؤوسهم فان الانكليز بسفبدون على الدوام من الحساة ولكنهم أعداء الخائنين منى فضوا منهم مآربهم وأطماعهم •

أنى أقول لك الحقيقه كما هي • فاذا أردت أن تؤمن عليها أو تتأكد منها فسل من سئت من الوطنين الاحرار الذين لا علاقة لهم بالحكومة ولا بالاحتلال وهم يفصون عنك ما سمعه منى حرفا بحرف •

فقال المكاتب : ان الانكليز يشترون فى العالم من حين الى حين انهم رفوا مالية البلاد ووضعوها على أضمن أساس أليس كذلك ؟

– نعم لا أنكر انهم اكتسبوا نعة أوروبا بعد أن كانت مفقودة ولكن بمادا اكتسبوها ؟ انهم اكتسبوها بهذه الأرقام التى ننتشر حبرا على ورق لا يحاسب عليها نأشرها اذ لا رقيب عليه ١١١

وبيان ذلك أن الانكليز زادوا الضرائب ومنعوا زراعة الدخان ليزداد دخل الكمارك بما يرد منه على مصر وضربوا للبدل العسكرى ضريبة عمموها فى كل القطر وأخلوا الأمن لبكر ايراد المحاكم وفنحوا المصارف ليرهنوا أملاك الأمة ويعمموا الاسندانة التى هي فى نظر كل الافنصادين مجلبة الدمار على الأمم •

وأنه اذا كان رقم الايرادات يزداد فى كل عام عن الذى قبله فكذلك المصروفات تزداد أيضا والفضل فى الايرادات يرجع الى ما ذكرته لك وجبه أكبر فضل على المصروفات • أما المصروفات فأغلبها يدخل فى جيوب الانكليز ولاضرب لك مثلا صغيرا •

من يدخل مدارس الحكومة لا يجد أداة بيد تلميذ الا ومصدرها انكليزى ولا يصادف وجها أبيض نعلوه فبعة الا ويكون وجه انكليزى ولا يسمع صوتا ىرن فى نظاره المعارف الا صوت الانكليزى •

ومن يدخل كننات الجند لا يجد فيها أداة غير انكليزية ولا رئيسا غير انكليزى ولم يجد سنا مصريا (الا العدس والفول وهما من غذاء العسكر) •

ومن يعرج على نظاره الأشغال لا يجد شئنا مما غلا ثمنه من أدوات البناء الا انكليزيا لأن المقاول اما انكليزى أو أجنبى غيره ممن استنرط عليه أن يستحضر أدوات انكليزية • كذلك الحال فى السكك الحديدية ومصلحة الصحة والبوليس والكمارك وخفر السواحل وغيرها ••• وغيرها • فهل لنا فائده فى هذا والدين باق كما هو وقد مضى على انكلترا وهى محنلة مصر ما يعرب من ستة عشر عاما •

ان رقما فى الميزانبة أصغر من الرقم الحالى ومصروفات تراقب فيه مصلحة الأمة لأحب البنا من هذا العدد الضخم الذى لا تكلترا فيه المظنم وعلى مصر المظرم •

فقال المكاتب : ولم لا تضعون تقارير مسببة تفصحون فيها عن أمركم هذا ليقف
الرأى العام الاوروبى على الحقيقة ؟^{٩٩}

— اننا عولنا على نشر آرائنا وخواطرننا وما نالنا وينولنا من الاجحاف على صفحات
الجرائد الأوروبية السيارة لانها أسرع مبلغ للشعوب ولأن عدد من بعروها يفوق عدد
فراء التقارير كثيرا نعم ان التقارير على قلة من يقرؤونها يقف السياسيين وهم الكل
فى مشكلة مصر على حقيقة الحال وتكون بمسابة كتب موضوعة يرجع اليها فى كل وقت
ولكن عدم اصداها فى هذا الوقت لا يمنع من أن نعلم به فرياً فحزبنا لم يتكون
الا حديثاً وهو الآن أخذ فى الانتشار ولا بد أن يجاهر يوماً بعمله بعد أن لبث الى
الآن سرياً .

— ان الانكليز يقولون ان وجودك بين المصريين دليل كبير على غرسهم بذور التربية
الصحيحة التى روحها الوطنية فى قلوب الناشئين الذين أنموا دراستهم فى مدارس
الحكومة ؟

— ولم لا تقول يا جناب المكاتب أنهم يذروا بذور الظلم مهالنا منظر نتاجها فصحننا
مستغنين بمن هم أصل هذه البلية وهذا البلاء ؟ أنسييت جنابك ان الانسان قطعة
من الأرض التى نشأ فيها فحن اليها حنو الابن البار بالأم الحنون ؟ فل لى كلف قام
المجريون فى وجهكم وأنتم على جوار يحفظ شيئاً من الشبه بين جنسيكم ؟ ألم يكن
الدافع للوطنيين الذين هم تيجان التاريخ على حب بلادهم تلك الصلة الكبيرة التى
ربطتهما من مبدأ الخليفة الى اليوم .

الا أن الطامع لا يأتى حسنة الا قسراً وليس فى الاجبار من العمل ما يسمى
حسنة . فحسنت الانكليز التى يدعون انهم أنوها فى مصر لم يكن خيرها عائدا علينا
بل عليهم كما ذكرت لك فحن نكد ونعمل ونملأ خزائن الحكومة وهم يجنون نماز أتعابنا
باسم حسنتات ظاهرها فى عين أوروبا خير عميم لمصر وباطنها شر مستطير وافتيات
كبير .

فقال المكاتب : وعلى م(١) عولت بعد الآن أنسنمر ورفاقتك فى هذا الجهاد على
هذا الأسلوب أم عولنم على اتخاذ وسائل أخرى ؟

— انى أصرح لك بأن سياستنا صريحة لا سر فيها وأن المحامى فى قضية لا يعتمد
الا على الصراحة فى دفاعه حتى يظهر الحق جلياً أمام الملاء أجمع . ومن مصلحة مسألتنا
أن نعلم على أنفسنا أولاً وأن لا نتعدى حدود السكينة والحكمة فى جهادنا وأن نضم
الينا نائياً ما نستطيع من أهل الحق وذوى الوجدانات مهما كانت أديانهم ونحلهم .
وان أوروبا التى صمت آذانها وأغضت جفونها عند احلال الانكليز لبلادنا ترتكب
انما كبيراً اذا حضرت مشهد اعدامنا على مرسح السياسة الانكليزية فلنعمل ولنعملوا
فان الانسانية والمصلحة تدعو ان الى استقلال مصر وحرية قناة السويس .

(١) وردت فى الأصل هكذا .

الحالة العمومية ★

في مصر

« أن الحالة العمومية في مصر مؤلة مبكبه . فالانكلر يعملون اليوم كل شئ »
 جهارا حتى سئم احرار المصريين الحاة ولم يعد للصبر سبيل . فهم في كل سنة
 يجلبون الى مصر من اخوانهم عددا (١) عديدا ليحسروهم في الوظائف حشرا بلا مسوغ
 شرعى وبلا علم يؤهلهم لهذه الوظائف .

في هذا العام الذى هو العام السادس عشر على وجود الاحتلال في مصر قد
 استخدموا من أبناء الباميز نحو ٤٦ انكلريا اكبرهم سنا لا يبلغ الثالثة والعشرين
 واكثرهم علما لم ينل غير الشهادة الثانوية وأقلهم مرتبا يتناول شهريا ٢٥ جنيهها .

فهل سمعتم ايها الأوروبيين الشرفاء الممدينون ان أمة بجاهر بكره الحيانة والدناءة
 وتدعى أنها تطارد اللصوص أينما وجدتم نسلب في رابعة النهار حقوق أمة تعتبر
 بلادهم قطعة من أوروبا ؟ انكم ما سمعتم وما سمعنا ولكن ها هي الأمة الانكليزية
 سمعنا في الغدو والرواح الغرائب والعجائب .

ضمنى مجلس من مجالسنا الوطنية الحافلة بذكر هذه المسائل المؤلة وقد تعرفت
 فيه الى رجل من كبار رجال الحكومة الذين كادت أعمال الانكليز تصعقهم لشدة
 هولها وبشاعة جبرونها . فسألته عن هذه الأعمال فقال وهو يناوه بين كل فقرة من
 كلامه ناوه الوطنى الصادق أمام بلاده المسلوقة المفصوبة ما نصه .

(*) معال نشره في حريدة ريتنج الألمانية في ٩ مارس ١٨٩٨ وهذا نصه .

(١) كان اللورد كرومر العميد الانكليزى في مصر هو صاحب الأمر والنهى في شئون الحكومة موضع
 الوطنيين الانكليز على رأس المصالح المهمة في الوزارات ، فالجيش تحت يادة السردار والصباط البريطانيين ،
 والبوليس تحت اشراف المفتش البريطانى العام والمالية في يد المستشار المالى ، والأشغال في يد وكيل
 الوزارة البريطانى ، والحفاية مد سنة ١٨٩١ في يد المستشار القضائى .

(عند الرحمن الرابعى - مصطفى كامل ناعث الحركة الوطنية القاهرة - ط ٤ سنة ١٩٦٢ .
 ص ٣٠ ، ٣١ .

« عن أى سىء نسألى ايها الأخ ونحن اليوم وقد حكم علينا جميعا من كبيرنا الى صغبرنا بالاعدام ننظر ساعة العفو ساعة الخلاص بإفد الصبر . أن الانكلبز كما تعلم هم القابضون على الحاتين المادية والأدبية فى الملاد وفي أيديهم معاول واشراك يتسفون بالأولى الحياة الأدبية ويصطادون بالنانية مجهودات الأمة . فانهم قد آكروا من المدرسين الانكلسر ليلقنوا العلم لقوم لغتهم العربية باللغة الانكليزية ولبنسفوا ما بقى من مكارم اسلامية وأخلاق أهلية واحساسات وطنية . انهم اذا ذكروا الوطن المصرى حمروه وأذلوه ونسبوا ما فيه من رفعة بافنة موهومة الى وجودهم والى قرائعهم واحسابهم للانسانية . مع أن الوطنين يا أخى ليسا الا أرضا وسماء حتى أن العاجز الغبى الذى لا يميز بين النهار والليل يحكم على وطنهم المجدب بالاعدام بينما يرحب بوطننا الذهبى الذى دونه جميع الأوطان فلم هذه الأعمال ؟ اليس لأنهم لو نشروا العلم الصحيح واحسنوا الى البشر أحسانهم لانفسهم يسقطون من على مجدهم حيث تعرف الأمم حقوقها فتسرد منهم بقوة العلم التى هى أكبر قوة فى الوجود ما سلبوه منها ؟ ألبس لأنهم يسعون وراء المنفعتين الانكليزيتين منفعة ما يملؤون به جنوبهم من المرببات الباهظة والمنفعة التى تعود عليهم مادمننا جهلاء ؟؟ »

أمام هذا المنظر المخيف المفزع نرى حكومتنا الاهلية ساكنة لا تحرك شفة ولا تعارض فى أمر فهم باسم الأمة يصادقون على كل سىء (١) . هذه الأمة المسكنة التى تصرف على عدوها وسالبها والحائن والمنافق من أبنائها ليعيشوا ويقووا ضدها ويحاربوها فى وجودها .

وماذا أقول لك ولو أردت أن أحصى الارقام التى نسرف من المالية باسم البيع والشراء والايجاد والانشاء لبلغ الملايين من الذهب . ولم نذهب بعيدا ؟؟ وهذا الجيش . ألم يكن فى ميزانيته أن نتمرن جنوده سنويا على ضرب النار مما قدر للانفاق فى سبيله مائة وبلاتين ألف جنيه على الأقل فأين ذهبت هذه النقود أمام هذه الحملة السودانية التى ما تمرنت فيها العساكر برصاصة واحدة منذ بدؤوا بأعمال التجريده - ألم يكن هذا البرهان وغره حفيقة ساطعة على النصرف فى أموالنا بلا حسيب ولا رقيب ؟؟ »

قال صاحبنا هذا القول ثم بكى من شدة تأثره فأمن الحاضرون على كلماته وكان

(١) كان على رأس الحكومة فى هذه الفترة « صديق الانجليز الوفى » مصطفى فهمى باشا (١٢) نوفمبر ١٨٩٥ - ١١ نوفمبر ١٩٠٨) فكانت أطول الورارات عمرا واستعملها الانجليز فى سبط بعدهم الحاسرة بارام معاهدة ١٩ يناير ١٨٩٩ وكانت بريطانيا هى التريك الأرحح فى الجنوب . كما ضعفت خلال هذه الفترة أيضا حدة دوليه المسألة المصرية خصوصا بعد خروج فرنسا من ميدان المنافسة حولها كما كان هذا ظاهرا فى مناسبات المجلس النيابى آنذاك وهو مجلس تشوى القوانين فلم تكن هناك الحركة الوطنية واضحة فى احاديث الاعضاء وهذا ما تظهره مضابطه .
(« د . يوهان لبيب وذكى : مرجع سابق ، ص ١٤٥) »

من بينهم المسيو (م) أحد أساتذة المدارس وهو رجل فرسى حدم مصر باخلاص وأخرج لها الكثير من الشباب الناعم .

فماذا يقول وراء الزيتن بعد هذه الآلام التي سببتها أوروبا لمصر والتي نساها اليوم ان نعمل في بلادنا لازالتها .

اني سرحت أكثر من مرة موقع مصر السياسي والاقتصادى مما وافقتني عليه أغلبية جرائد أوروبا ورجال السياسة فيها واليوم نرى أوروبا مفسونة بمواعيد الانكليبز الباطلة خائرة القوى أمامها صعيقة العزم في خدمة الانسان .

نعم ان أوروبا كذلك لأن في استيطانها أن نقف على حالة المصريين الحيفية من عاربر قنصلها التي أوكد أنها ملته بالحقائق ولكن لا أعلم لأى سبب نهمل هذه التقارير في زوايا الاهمال بلا عمل يذكر أو نتيجة نطمئن العالم المصرى وبوطد الثقة سنة وبين أوروبا .

ان أوروبا اذا تركت انكلترا في مصر بلا مراقبه فعلية .

وإذا أهملت منافشتها الحساب فما أخذه على نفسها من عهد قاه يأتى يوم تضيق فيه أفريقيا كلها وتأسف أوروبا حبت لا ينفع بعدئذ أسف .

ان أقرب باب لأفريقيا هو القطر المصرى ولأوروبا أملاك كسرة في هذه القارة العظيمة فالمانيا وفرنسا وإيطاليا وبلجيكا لها فيها أملاك تذكر فهل نترك هذه الدول انكلترا تحلق عليها حتى نسلبها متاعها . انى لا أظن ذلك فلتعجل ألمانيا بعمل ضمن فيه مصلحتها في الشرق بحفظ استقلال مصر وحرية قناة السويس وها هي الفرصة اليوم سانحه لهذا العمل العظيم بعد أن خرجت الدولة العلنه منصورة في حربها مع اليونان وان ضياع الفرص لا يعوض .

الدولة العلية ومصر *

ما هي احساسات المصريين الآن نحو الدولة العلية ؟

– ان احساسات المصريين نحو الدولة العلية لا تزال كما هي احساسات التابع للمنبوع وكلما مر الزمان قويت الرابطة بين مصر والدولة العلية لجملة أسباب :

أولا – أن المصريين في أغلبهم مسلمون بحسب أن العناصر الأخرى التي لم تدن بدين الاسلام لم تكن جزءاً من عشرين من تعداد المسلمين العاطنين أرض مصر • وبما أن دولة الخلافة الاسلامية هي الدولة العلية وسلطانها هو رئيسا الديني فنحن كلما زدنا عدداً أكثر نعلق النفوس بهذه الدولة المحبوبة •

ثانياً – أننا رأينا في أيامنا هذه فوق ما قرأناه في التاريخ أن أوروبا جمعاء تحارب الدولة العلية بصفتها دولة اسلامية والا فلم نجد لها تهليل وتكبر كلما انتصرت أمة مسيحية على أمة اسلامية في حين أنها تتألم وتستشيط غيظاً اذا كان الأمر على العكس من ذلك ؟؟

ألم يكن في نتيجة انتصار الدولة العلية على اليونان ما يحقق هذه النظرية وذلك من شأنه أن يزيد في بعلنا بالدولة العلية ؟؟ •

ان المصريين عن بكرة أبيهم في حاجة الى الاتحاد وأوروبا بأعمالها العدائية المتوالية ضد الدولة العلية نعلمنا كيف نتحد ونتمسك بها ونؤازرها في كل ملمة • لأن وجودنا السياسي موقوف على نصرتها • وأني أؤكد لجنابك أن الذين يهمهم سلامة العالمين المسيحي والاسلام لا يجدون دواء لهذا الداء العضال داء تعصب المسيحية غير أجبار أمهم بسلطنتهم عليها على قبول مبدأ « لكم دينكم ولي دين » لأن هذا هو مبدأنا الذي نطق به القرآن الشريف كتابنا المقدس وأمرنا باتباعه • والا فانه اذا استمرت

(*) حديث أجراه مندوب جريدة البرلنر تاغبلات الألمانية مع مصطفى كامل في ٢٤ مارس سنة ١٨٩٨ حول انتصارات الدولة العثمانية •

أوروبا على مناصبنا العداء أنتج ذلك لا محالة - ان لم يكن اليوم فغدا - أكبر البلايا وأشد الرزايا على العالم بأسره .

ان الكتاب المسيحيين الأوروبيين الذين قطعوا في نور العلم سوطا بعيدا هم المسئولون عن هذه النتائج السيئة التي تنتشر بسرعة مع انتشار العمران في العالم لأنهم وحدهم القادرون على بث المواعظ بين أمم أوروبا ليخففوا من ثوران هذا التعصب وقيموا قصورا من الاخاء بين الأمم جمعاء بما أوتوه من سعة العلم وغزارة القلم وقوة المعارضة وحجة القول وسحر البيان .

اسا هنا نلطف كثيرا بما نكتبه من وقت الى آخر بمناسبة اعنداء أوروبا على الدولة من هيجان الشعب الاسلامي ونلقى ما تحدثه الحوادث على حساب الحرق في السياسة أو مطامح السياسيين .

وأني أؤكد لقراء البرلنبرتا جبالط أن النهر يسكن مائه (١) ويقف تياره اذا بعدت عنه يد الصياد فأوروبا هي التي في قدرتها الضرب على أيدي صيادي الأمم سافكي دماء الأبرياء سالبى حقوق القصر واليتامى بعضا من حديد حتى تجلس الانسانية على عرشها المحبوب وتنشر الحب الصالح بين أبناء البشر .

انك ترى يا جناب الصحافي أن أمم أوروبا تعاون بعضها بعضا متى حلت باحداهن مصيبة أو نزلت كارثة ولا بسبب مسلم لهذه المعاونة الواجبة شيئا مما تسميه صحافة العالم المتمدين بالتعصب ولكن ما بالكم نرمون المسلمين الذين يساعدون المسلمين بهذه النعت الشائن ! انه ما التهمت نار الحرب بين الدولة العلية واليونان حتى دفعت الحمية الوطنية والغيرة الاسلامية أبناء مصر ليد المساعدة للجيش العثماني الظافر ولكن الذين يرون في الشرق قبيحا ما يرونه في الغرب حسنا قد رمونا بالتعصب وقالوا فئنا ما قال مالك في الحمر ! فلم هذا ؟ السنا ذوى عواطف تشعير ويتألم ؟ ألم تكن مساعدة المصريين للدولة العلية كمساعدة الايطاليين وغيرهم من أمم أوروبا اللذين تطوعوا في الجبش اليوناني لمحاربة اخواننا العثمانيين ؟ أليست مساعدتنا للدولة ونحن أبناءها وأخواتها كمساعدة فرنسا للولايات المتحدة يوم جاهرت بخلع النير الانكليزي وهي بعدة عنها ولم يكن بينهما رابطة شرعية تحتم هذه المساعدة ؟

أنه بالرغم من توجيه التهم اليها ازاء علاقتنا بالدولة العلية أؤكد أن هذه الرابطة تقوى على ممر الأيام وليس ثمة ما يحلها أو يؤثر في عقدتها المتينة .

ثالثا : انها الدولة الاسلامية الوحيدة التي لها أملاك في أوروبا وآسيا وأفريقيا وأغلب هذه الأملاك اسلامي .

ونحن أبناء دين يحرم علينا أن نكون كالبنان المرصوص يشد بعضه بعضا وان تعامل ذوى الأديان بالرفق والانسانية وأن نجادلهم بالتي هي أحسن .

(١) وردت هكذا في الأصل وصحتها « ماؤه » .

هل رأيت أوروبا من الدولة العلية عداء للمسيحيين المستظلمين برايتها كعداء أهل هولندا! المسيحيين المنمدين لأهل جاوه (١) المنوحشين على رأيكم؟ هل صادرت الدولة عليه أموال الكنائس العائمة في بلادها كما صادرت المسما أوقاف اليوسنة والهرسك وصادرت الروسية أموال مسلمي فزان واسرائيلي موسكو؟ ألم يكن عدد عظيم من المسيحيين بشعل أهم الوظائف في دائرة الحكومة العثمانية بينما نرى الهندي والجزائري والنري وعدهم من أبناء الأمم الاسلاميه أو السرقبة والمحكومة بدول مسيحية محرومين من مراكز بلادهم العالية؟ ألم يحضر الدولة العلية من بن رحالكم القواد والأطباء والعلماء وكفاءهم بن أبنائها كما فعل محمد علي في مصر؟ فلم يقولون بعد ذلك أن ميل الأمة المصرية للدولة العلية لم يكن الا شعلة من لهب العصب الديني؟ اننا اذا كنا متعصبين كما يقول الساخرون بشعور الأمم الراغبون في هلاك العالم ما عاش بنينا مسيحي واحد الى اليوم * ولكن الغرض بعنى ويصم *

فسأله المدوب : واذا كان هذا الارتباط منسنا الى هذا الحد بين أمسى مصر والدولة العلية فهل هو كذلك بن الخديو والسلطان ؟

— ابنى تكلمت على هذه النقطة المهمة كبرا ولكن أعداء مصر والدولة أو بعبارة أخرى سياسة الانكليز لا يودون أن يروا الاتفاق سائدا بين الخديوية والسلطنة العثمانية بل يودون من صمم أفئدتهم أن يحل الشقاق محل الوثام والحصام محل السلام . ولذلك فهم يسيعون في الدوائر العثمانية على الدوام بواسطة حواسيسهم ومأجوريهم أن سمو الخديو يسعى لتشديد خلافة اسلامية يكون على رأسهما . كما يشيعون في مصر أن جلالة السلطان ناظم على سمو الخديو حى انهم يقلبون الحقائق الظاهرة للعيان . خذ مثلا على ذلك أنه عندما يسافر سموه الى الاستانة ويظهر حاله السلطان مزيد التلطف وعظيم الرعاية عند استقباله بسارع الانكليز على لسان سماسرتهم وأبواق احتلالهم الى نشر مثل قولهم « وان الخديو قوبل بالازدراء وهى اهانة للأمة المصرية » . الى غير ذلك من الكلمات المهيجة .

وهذا السلاح الذى يستعمله الانكليز اليوم لايجاد فتور في العلائق العثمانية المصرية الشاهانية الخديوية قد سجل عليهم من زمن بعيد حتى أطلق عليهم الكثيرون منا لقب « حواسيس أوروبا » وهو حقيقة لاننا رأينا لانكلترا اليد الفعالة في كل خلاف قائم بين الشرق والغرب لتفضى هي من ورائه لوائتها .

— وماذا تظنون في ألمانيا ؟

— أنا اعتقد فيها الى اليوم اعتقادا حسنا بيد أنها لم تعمل في مصر عملا يذكر واذا كانت مصالحها اليوم في مصر قليلة ازاء مصالح غيرها من الدول ففي استطاعتها

(١) اسد الاستعمار الهولندي الى حرر حوب شرق آسيا وكانت معاملته للأهالي معاملة قاسية .

اكتارها بما نشته من مصارف نزاحم المصارف الانكليزية وما يؤسسه من مدارس
لنشر العلم بين الطبقات المصرية حتى يقف أبنائنا واخواننا على درجة الوطنية الألمانية
ومبلغ مدارس الألمانين من العلم . وأنى أؤكد لجنتك أن ألمانيا تبيع كثيرا اذا كانت
ساسنها في مصر مصرية أكثر منها انكليزية لأننا نرى أن العلائق بين وكيلكم السياسى
في مصر ومعتمد انكلترا على تمام الوثام في حين اننا نجدنا فائرة بين الأمتين الألمانية
والانكليزية . وليس هناك سبب لذلك إلا قلة مصالحكم في مصر . ولكن لا تنس
مصالح التحالف اللانى في مجموعه فسجارة المسما في مصر تكاد تكون أكثر من كل
بحارة سواها وكذلك ايطاليا فان لها في بلادنا المقام الأول بين دول هذا التحالف
فالكبر من ابنائها يفتنون مصر ومنهم عدد غبر قليل من الموظفين بمصالح الحكومة
المختلفة

التهم الكاذبة ★

« ما هي آخر أمينة تريد أن يصل مصر إليها ؟ » .

— ان عاية أمانينا أن نرى مصر مصر العلم مصر الحرية مصر النعيم أخرى . .
لأنه اذا كانت مصر قد بلغت في زمن من الأزمان من الحضارة والعلم ما لم تبلغه أمة
في الوجود فقد كان ذلك من عمل أبنائها الأولين . ولما كنا نعتقد أننا من سلالة أولئك
الذين افتخر بهم التاريخ وعدوا في زمنهم أساندة العالم بذلنا كل ما في وسعنا
للتشبه بهم والنسج على منوالهم .

ولما كانت العقبة الكؤود في طريق رقينا وجود انكلترا في بلدنا رأينا أن أول
واجب علينا العمل صباح مساء لنشر الحقيقة في العالمين حتى يتحول الذين ظنوا فينا
السوء الى أصدقاء يعطفون الينا عطف العادل على المظلوم .

ان الانكليز عقبه أمامنا أي عقبة . لانهم طامعون والطامع لا يرتاح له بال ولا يكل
له عزم الا اذا استعمل كل الوسائل لنخدير أعصاب المطموع فيه حتى يسلبه علمه متى
أراد ويغتصب منه داره ومتاعه متى شاء .

فقد جاءوا الى بلادنا مفسمين أغلظ الأيمان آخدين على أنفسهم الموافق بألا يمكننا
في مصر الا رينما ينمون العمل الذي دخلوها من أجله وهو بوطيد عرش الحديوية
المصرية بنشر الأمن لئامن الدائنون على ديونهم .

ولكن ماذا عملوا ؟ ايهم سلبوا العرش الحديوى سلطه وأخلوا بالأمن في البلاد
والقرى بما بشروه من حرية كاذبة وخمور قنالة . وهاهم الدائنون لم يأخذوا فرشا
من ديونهم بعد سنة عشر عاما على احلالهم وبعد أن كثرن الضرائب ونما ايراد
الحزينة . .

ان الأوروبيين المقيمين منهم في مصر المعيدين عنها يجهلون تمام الجهل حالتنا

(★) حديث أحرار مراسل حريدة لاكويبرى الايطالية مع مصطفى كامل وهذا تعريه .

السياسة الاقتصادية فهم لا يفرون سنا عنها وإذا قرؤوا فما يغشهم ويغير معالم الحقيقة أمام أبصارهم كنقير اللورد كرومر . وعندى أن أحسن طريقة لسير الممالك الكبيرة سبرا عادلا مع الحكومات الصغيرة أن ننشر تقارير كافة الوكلاء السياسيين حتى يقف الرأى العام على الحقيقة بحذافيرها . لانه لو كان الوكلاء السياسيون فى مصر ينشرون عنها تقارير سنوية مناسبة اقتصادية لكان اللورد كرومر يتأدب فى تقاريره ولا يصف الاحتلال بالملك الكريم والأمة المصرية بالشيطان الرجيم .

ان علة خذلان الأمم الصغيرة التنافر القائم بين أفرادها وتخيم الجهل على ربوعها . وقد أدركنا هانين النقطنين الأساسيتين فى رقى الأمم والتفتنا حول أميرنا وها نحن أولاء مجدودون فى نشر المدارس الأهلية (١) لنبلغ بها ما نريده من حضارة وعمران .

نعم انه لو كانت حكومتنا أهلية لجلعنا كل المنازل مدارس ولأرسلنا الارماليات لأنحاء المعمورة ولاعتنينا بالأحوال الصحية ليزداد عددا ولوضعنا حدا لهذه القوضى المالة النى يسمونها رقبا وكنزا ووفرنا نحو ثلث المصروفات التى تذهب سدى فى موارد غالة أو فى تجربة يظهر بطلانها بعد أن تتكبد الخزينة من ورائها الآلاف من الجنهات .

ان الله لم يخلق أمة بليدة فى أرض طيبة لأنه جل شأنه لم يكافىء البلداء والحاملين بل هو يحسن على الدوام الى العاملين النابهين فبلادنا من أخصب بلاد العالم تربة ومن أعدلها جوا وأحكمها موضعا وأيسرها طريقا والأمة المصرية من أذكى أمم الأرض عقلا وأحسنها معاملة وأقربها الى الحر سببلا ولذلك كانت حقيقة بأن تملك أرضها وتمتع بخيراتها .

ان التاريخ قد سجل على الانكليز جنائيات كبرة ولم يسجل علينا الى اليوم جنائة واحدة . انهم أقسموا وحننوا ووعدوا وما أنجزوا وأخذوا وما أعطوا . كل ذلك على مسمع من العالم وهم لا ينجلون .

أما نحن فقد عاملنا الغرب معاملة القريب وأحسننا الى من أساءوا الينا وفتحنا ديارنا للنازلين بيننا وتمسكنا على الدوام بمبدأنا « أحرار فى بلادنا كرماء لضيوفنا » فقل لى بالله عليك أتوجد أمة كهذه الأمة التى أغاثت الفنيقيين ورحمت الاتيونيين وكانت مقبرة الطاغين حتى جاءت جماعة تظلمها من الاوروبيين ؟؟

(١) كان مصطفى كامل أشد المحمسين لنشر التعليم وتقوم فكره الأساسية بسدد ذلك على أساس احراح التعليم من دائرة الرماة الحكومية سوسيع نطاق التعليم الأمل ، وقد بدأ الأفراد والجماعات يسابقون لانشاء المدارس الوطنية الأهلية ليموصوا النص والنصير الذى صند الاحلال ، وقد تناولت هذه الجهود الوطنية التعليمية جميع مراحل التعليم .

• حرجسي سلامة • أثر الاحتلال البريطانى فى التعليم القومى فى مصر ، القاهرة ١٩٦٢ ص ٢٨٩ .

اننا لم نعوّل الى الآن على الدم في تحرير بلادنا بل عولنا وسنعول مادام في الوجود انصاف على القلم واللسان (١) لتكون خدام الحقيقة واقفين أمام عهود الانكيز وفقه الساهر على مصلحة الراغب في اصلاح حاله . واليوم الذي نرى فيه - ولعله لا يكون - آذان أوروبا المتمدينة قد صمت عن سماع شكوانا وتلبية ندائنا نكون مضطرين الى تغيير خططنا والترقي في اتخاذ وسائل أخرى فعالة أساسها الاعتماد على عقلنا ومالنا وساعدنا .

هناك نخرج الأمة المصرية للعالم عملا من أعمال الأمم المستميتة في التمسك بحقوقها في العالمين .

هناك تشهد الانسانية منظرا من أبشع المناظر منظر مصر الجميلة وحولها حللها وخليلها يتعطلان في حبها . هذا في عذره وذاك في حقه ولا بد أن يكون النصر حليف الأول لأن يد الله في معونته والله يتولى الحقوق .

هناك تندم أوروبا وتقول ليتني سمعت ليتني فعلت ليتني أمددت أمة مظلومة سألتني نصرتها ورد حقوقها اليها !

هناك لا تنفع لبنتي بعد أن تلبس الانسانية الأوروبية ثوب الحداد وتلبس مصر المظلومة ثوب العدل وحلة الاستقلال .

هناك تكتب الدماء البرينة « اننا لم نظلم أنفسنا ولكن الانسانية ظلمتنا فحاربناها لخلاص أمتنا من جورها وقدمنا أرواحنا فداء عنها » .

ليشهد العالم ذلك اليوم اذا دامت أوروبا في صمم وانكلترا في تعد وافنيات ومصر في عذاب أليم .

فسأله المكاتب « انهم يقولون انك مهيج وانك أتلفت على الطلاب أمرهم وقلبت حالهم من سكينه الى ثوران ؟ »

... ليقولوا ما شاءوا فانهم أعداء ظاهرون ونحن أمة في ديارنا مهاجمون مسلوبون ! نعم أنا مهيج لأنى أذكر الوطن . بل مجرم لأنى أقول بلادى . بل سفاك لأنى أشهر بالغايبين بل أفاك لأنى خاطب الحق !!! الا أننا في زمن لا يستحي فيه معتد أليم ! .

كان الأجدر بهؤلاء الانسانيين أن يقولوا انى هائج لضاع الاستقلال ! لسرقة الأموال ! لقتل ذكاء الأطفال لتعس الحال ! للاخلاف في اليهود والأقوال ! .

أمهيج أنا لأن الطلاب اجتمعوا في عيد سمو الامير ودعوني لحفلتهم فأجبت بكل ارتباح ؟ كيف يدعون أنهم ما دخلوا مصر الا لتوطيد عرش الخديوية حتى اذا ما التفت الأمة حوله قاموا يدعون أننا مهيجون ؟ ألم يكن في هذا الادعاء ما يثبت دعوانا من

(١) وهذا يشير الى انتفاء نية الثورة في دفاع مصطفى كامل عن قضية البلاد .

انهم يكرهون كل متقرب من العرش وأنهم كاذبون فيا أدعوه عند احتلالهم هذه البلاد ؟ أيريدون أن يلتف حول الوكالة البريطانية والراية الانكليزية باركين الحديوية المصرية والراية العنابية ؟ أيريدون أن سخذ العدو حبيبا والسعاك طيبيا ؟ اننا لم نكن معتوهين الى هذا الحد حتى لا تميز بين العدو والصديق والغريب والقريب .

أمهيح أنا لاني أحاسب الانكليز على تصرفاتهم السيئة في بلادنا بينما كل منهم يحاسب حكومته بحق وبصوت عال على تصرفاتها الحسنة ويريد لها أن نبسلج حد الكمال ؟

أمهيح أنا لاني مصرى أحب مصر وعلى يمينى وشمالى ببوت خربها الظلم ونفوس كادت بباع في الأسواق ضحية الاهواء والغايات ؟

أمهيح أنا لاني اعتقد أن الدولة العلية روح مصر ومصر قلبها وأنه لا سلامة لكلنهما ما لم ترتبط بالأخرى ؟

أمهيح لاني أبكى نور العلم الذى كاد يرحل من ديار وحل محله الجهل الممقوت والظلام الحالك ؟

أمهيح لاني وفعت على ما وصلت اليه الأمم من الحضارة والعمران بهمة حكومتها الأهلية وأريد لبلاد أنسب اليها وأمة أنا أحد أبنائها تلك الحضارة وذلك العمران ؟

ألهم أن كان المهيج في نظركم من يوصى بالغريب خيرا ويحض على العلم واخراج العدو من دياره ونقل أمة من حضيض الذل والفاقة الى أوج الشمم والسعادة فاني أول المهيجين -

دعهم يقولوا عنا ما شاؤوا فانا منهم سآخرون .

- انى أرى انك محق في كل ما قلته ولكن ألم يعمل الانكليز حسنة واحدة في مصر يستحقون عليها ثناءكم ؟

- ان ما يسمونه حسنة أو حسنات لم يك الغرض منه تقديم الثمرات اليها ولكنها البهم فظاھرھا لنا لانها تعمل باسم الحكومة الحديوية ولكنها في الحقيقة لهم لانها لابنائهم وأدوانهم ومصالحهم ؟

(١) كانت المشكلة المألوفة هي أول مشكلة واجهت اللورد كرومر عند تعيينه عميدا للاحتلال في مصر . إذ كان يريد مواجهة النفقات التي استلزمها الاضطرابات التي نشبت في السودان الى جانب نفقات جيش الاحتلال والتعويضات التي طالب بها الاحاب بسبب حريق الاسكندرية وكذلك النتائج المترتبة على انتشار وباء الكوليرا واختلاف منسوب النيل سنة ١٨٨٣ ، لهذا رأى كرومر أنه لا بد النظر في قانون التصمية التي وضع في أوائل عهد بوفيق وذلك بأن يسولى الحكومة المصرية على ما خصص لصندوق الدين ونسند الى احتياطيته ، ولذلك دعت الحكومة البريطانية الى عقد مؤتمر دولي في لندن سنة ١٨٨٥ لبحث الوسائل الواجب اتخاذها لتلافي افلاس مصر والنظر في تعديل قانون التصمية ، والتمهي المؤتمر بقصد -

ان المسئلة الوحيدة التى يمىون عليها بها مسئلة المالية (١) وهى مسئلة واضحه ظاهرة فالمالية المصرية ما كانت فى فوضى الا فى آخر أيام اسماعيل ولكنها كانت فى أيام من كانوا قبله من الولاة حسنة سلبة حتى كان الاقتصاديون يعدون حكومة مصر أول حكومة مالية لبعدها عن الدين والاستدانة • فهل وجود رئيس حكومة مبذر واحد يدل على أن مصر لا تحسن التصرف فى ماليتها الى الأبد وهل حكومات أوروبا خلقت على هذا الرقى المالى وحافظت على محاسنه الى اليوم أما كانت انكلترا نفسها فى أكبر فوضى مالية فى القرن الثامن عشر ؟

واذا قال قائل ان زيادة الايرادات فى ميزانية الحكومة يدل بصراحة على تحسين النظام المالى نقول له مجاهرين بهذه الحقيقة ولو ألمب الكاذبين • ان زيادة الايرادات لا يدكر عند المالين اذا كانت تصرف كلها لانه على قدر الايرادات كانت المصروفات ولكن يقال ان المالية المصرية تحسنت وانتقلت من أدوارها السيئة الى النظام الكافى للدلا سعادتها متى زادت الايرادات عن المصروفات زيادة محسوسة يسد منها الدين شيئاً فشيئاً • ولكن هل هذه الزيادة التى تستنزفها المصروفات العائدة الى مصادر 'نكلبزية مع بقاء الدين على ما هو عليه يعد عملاً نافعاً وتحسيناً مالياً ؟

ومع ذلك فان زيادة الايرادات لا نعد من عمل الانكلز الا فى أمر واحد وهو زيادة الضرائب على الأطينان والعقارات وأما بقية الزيادة فراجع الى زيادة عدد الأمة الذى يستلزم زيادة التجارة والصناعة وهو ما يزيد دخل ايرادات الكمارك والبوستة والنلغراف والسكك الحديدية كما يزيد دخل المحاكم من كثرة احتكاك الناس فى معاملة بعضهم بعضاً وكذلك نمو عدد الأمة يقضى بأزدياد كمية الأراضى المنزرعة وهذه الكمية الزائدة تطلب مجارى ترويتها مما يضاعف عمل مصلحة الرى •

هذه يا جناب المكاتب النظرية الطبيعية فى تحسين مالبتنا من حيث زيادة الايرادات • ولكن قل لى لماذا تزيد المصروفات اذا كان عدد الموظفين المصريين فى وفر مستمر أليس لأن المباني الضخمة التى تستنزف جزءاً كبيراً من المصروفات يدخل جنوب أبناء التاميز ومرتببات الروساء الانكليز التى بلغت اليوم ٩٢٣ ألف جنيه بعد ان كانت قبيل الاحتلال ٧٢٦٠ فقط • هى التى ابتلعت الميزانية لحما وعظماً ؟؟

أرجو أن تبلغ العالم الايطالى مصائبنا وتذكرهم بأن الطامع لا يكون مصلحاً رحماً •

= اتفاقية بين الدول السبع التى حضرت المؤتمر (ألمانيا - النمسا - فرنسا - بريطانيا - إيطاليا - روسيا - الدولة العثمانية) فى ١٧ مارس ١٨٨٥ لتحسين مالية مصر ، وقد تمكنت مصر باسترضاض اسجلت لروسيا وألمانيا من الحصول على رضى مقداره ٩ ملايين حيثما ضمنان الدول الكبرى بعائلة ٣٥% وقد عملت قرارات مؤتمر لندن على تحسين أحوال مصر المالية ، وتم دفع التعويضات وسد عجز السنوات من سنة ١٨٨٢ الى سنة ١٨٨٥ ونفى للحكومة فائض مليون جنيه وجه لأعمال الرى ، عمر عبد العزيز عمر • مرجع سابق • ص ٣٠٢ الى ص ٣٠٤ •

الفلاح المصرى *

« انى لم آكن من المزارعين المصريين الذين عاشروا الفلاح ووففوا على أحواله ولكنى أعرف الكثير منها بما وففت عليه من أهلى وعشيرتى »

لا يخفى على القراء ان مصر بلاد زراعية من عهد بعيد وكانت اصناف الفول والعدس والبصل والقمح والذرة والارز وأصناف كثيرة وغيرها نزرع فى أرض مصر وهى لا تزال نزرع الى اليوم ولكن الصنف الذى رفع أسعار الأراضى ونقل مصر الى درجة تحسدها عليها البلدان الأخرى الزراعية هو القطن فقد جلبه محمد على باشا الى مصر كما جلب اليها دودة الحرير وعنى بتعميم زراعة شجر التوت وقد نجح ذلك الرجل العظيم فى كل أعماله .

ان مواهيت الزراعة المصرىة نخلف باختلاف الفصول وهى ترجع الى التاريخ المصرى القديم (التاريخ القبطى) الذى ينفق تماما مع التاريخ الشمسى وهو التاريخ الذى يبتدىء تقريبا بعد تاريخ ميلاد المسيح بنحو مائتين وثمانين سنة .

ان الفلاح المصرى مجد فى غيظه نشيط فى عمله فهو لا يؤخر عمل اليوم الى الغد يعنى كبرا بتربية المواشى والطيور المنزلية ويحافظ عليها كمحافظته على نفسه .

وليس الفلاح المصرى أقل من غيره من فلاحي العالم علما بما يجب عليه نحو أرضه ولكن الذى ينقصه وجود مرشدين رسميين يلقنونه الطرق الزراعية الحديثة حسبما قرره علماء الزراعة من أن طريقة زرع الأرض تحتاج الى تغيير كلما مر الزمان لتغيير الجو ولضعف الأرض وتحمل المياه التى ترد اليها وعلى الأخص متى كانت مياه أنهر بما لا يوافق نماء الزرع فى بعض الأحيان .

ويرجع التقصير فى هذا العمل المهم الى الحكومة المصرية الحاضرة لانها لم تبد أقل

(*) مقال كتبه مصطفى كامل بناء على طلب المجلة الزراعية الإيطالية حول الفلاح المصرى ، ونشر بتاريخ أول أبريل سنة ١٨٩٨ .

عناية رسمية بترفية الحالة الزراعية في البلاد . الأمر الذي كان يجب أن يكون موضع عنايتها قبل كل أمر ، فإذا سأل سائل عن كمية القمح أو القطن أو الذرة أو غيرها مما أنتجته الأرض في عام لا يستطيع الوقوف على رقم صحيح يعول عليه . بينما ترى الحكومات الزراعية كأمريكا مثلا لها نظارة خاصة بالزراعة وتصدر في كل عام تقريرا مفصلا حاويا لكل ما يهم علماء الزراعة .

وقد اهتمت الجرائد الوطنية هنا بهذا الأمر المرة بعد المرة ولكن الحكومة لم تعرها اذنا صاغية وليس هناك من سبب الا أن أكسرية الأراضي ملك للاهالي والاعتناء من قبل الحكومة بشؤونهم الزراعية يزيد من المحاصيل مما يملأ جيب الفلاح ذهباً وهو ما لا ترضاه حكومة الاسم لها والفعل للاحتلال الانكليزي الذي ألقى على العالم أكبر درس من أعمال حكومته بأزاء بلاد الهند (١) .

ومن هذا الحال الذي فيه الزراعة المصرية السى لا نزال على حالها الأولى من بذر وبقليب وسقى ودرس وغيرها فان الضرائب المضروبة على الاطيان ثقيلة جدا . فمثلا اذا زرع الفلاح قمحا وأراد بيعه في الأسواق فانه يدفع نصف ما يربحه حتى يوصله اليها لأنه ينقل كل شيء على الدواب الى السكة الحديدية وهناك يجد التأخير الشائن والأجر الباهظ . وادا نعله في النسل فلن يأمن عليه نأثيرات الجو لعدم صلاحية سفن النقل وان أمن فطول الزمن الذي تستغرقه السفن في آلامه وربما هبطت الاسعار بعد مضي زمن طويل كهذا .

انه كان يجب على الحكومة المصرية ان كانت حكومة اهلية ببذل كل جهدها في نجاح حال الفلاح ومساعدته وهو منها ومن خزينتها الكل في الكل ان تعنى بتعميم السكك الحديدية في كل بلد وقرية من بلاد وقرى مصر حتى يوفر على الفلاح نفقات كثيرة ينفقها بلا جدوى وكانت هي تربح أيضا الأموال الطائلة . وليست فائدة السكك الحديدية مقصورة على نقل البضائع بل تنقل أيضا المسافرين والموانى وغيرها من المنتجات الحيوية الأخرى ! ولكنها وهذا ما نأسف له كبرا حكومة أجنبية عن البلاد !

ان الفلاح المصرى يعرف كيف يستثمر أرضه بكل الوسائل وقد زاد اهتمامه باقتناء الأرض والتعلق بها من يوم ان تولى سمو خديوينا المحبوب عباس باشا فانه لما رأى الاحتلال قد استولى على كل ادارة في البلاد غصبا حول نظره الى استغلال

(١) عملت إنجلترا على استغلال الهند على نطاق واسع فأرسلت اليها الانجليز الاكفاء للعمل بها ، وعملت على نشر زراعة الناي والادار واشاء السندود للرى ومد السكك الحديدية فعمد السندود عندما اقتصاديا واسعا ، وكاتب اصلاحات الحكومة الانجليزية اما هي لعائده المستعمرين فالسندود للزراعة السى تحكروا انجلترا ، والطرق الحديدية سبت لغايات حرية ولم تشجع بشر الصناعات الحديدية حثيه بحطيم الصناعة الانجليزية ، والمسافقات للوطائف في الهند أيضا بحرى في لندن وهكذا كاتب سياسة انجلترا دائما في المناطق المحتلة ان تحكر امصاديات البلاد لنفسها ولصالحها لهذا حدد استثمارها اقتصاديا نور الرفاعي - شاكى مصطفى ، مرجع سابق ص ٤٢٩ - ٤٣٠ .

الأراضي وقد أصبح سموه بين الفلاحين المل الذي يضرب في الفلاحة والنشاط وهي
همة أكسبت الكثيرين من الذين كانت ثروتهم لا تذكر أرضا واسعة تقدم اليهم ثمرا
يانعا جنيا .

والفلاح المصرى لم يكن منعلميا تعليما يأمن معه على حقوقه مع الآخرين من الاغتيايل
ولكنه بطبيعته ذكى يحسب ويعامل ويبيع ويشترى كل ذلك غير مستعين فيه الا
بأصابع يديه العشرة فهي آلة عدده وأستاذ ميقانه . ان انسانا كهذا الانسان ما كان
يلقى بحكومة كحكومتنا في أواخر القرن التاسع عشر أن لا تهتم بشؤونه وتهمله
بلا علم حتى ولا القراءة والكتابة بينما نجد حياة الزارع العلمية في البلاد الراقية
أصبحت في هذا الأوان مما لا يستهان به .

ان الكثيرين من أعيان البلاد قد أسسوا كتاتيب من زمن بعيد ولكنها في الغالب
لا تكون الا في البلاد الأكثر عمارا من غيرها أما القرى الصغيرة والعزب الكبيرة فالنادر
منها ما يجد فيه السائح كتابا .

ان الفلاح المصرى لم يكن منعصبا الا لثلاثة اشياء من اعتدى على أحدها فكانه
اعتدى عليه نفسه وهي امرأته وزراعته وماشيته ومن يراجع تقارير القضاء السنوية
عندنا يجد أسباب جميع الجرائم الكبيرة ترجع الى واحد من هذه الثلاثة . أما ما يقال
عن الفلاح المصرى المسلم من انه متعصب نعصبا دينيا فهو بهتان كبير واخلاق ممقوت
لأن الأقباط وهم المصريون المسيحيون يعيشون مع المسلمين في قرية واحدة حتى تكاد
تكون عيشتهم واحدة وما سمعنا مرة أن مصريا مسلما اعتدى على مصرى مسيحي
بسبب مخالفته له في الدين ولا لمجادلات دينية .

ولو قال قائل أنهما من جنس واحد وربما رجع أصلهما الى دم واحد مما لا يدع
للشفاق بينهما سبيلا فما قول أولئك الذين اتهمونا بالتعصب ضد الأجانب المسيحيين
في اليونانيين الذين ليسوا مصريين وها هم يجولون في البلاد شرقا وغربا متجربين
بالربا والخمر وهما محرمان في الدين الاسلامى ! فلو كان هنا تعصب اما كان يوجه
الى هؤلاء الذين اذا سئلوا أثنوا على معاملة المصريين لهم أحسن من معاملة بنى جنسهم
أنفسهم !

واذا كان الفلاح المصرى المسلم متعصبا كما يقولون فهل هناك شك في أن العلم
أول فادر على ازالة هذا العيب من نفسه فلم لا تهتم الحكومة بنشرة وتشجيع الذين
يؤسسون المدارس بمساعدتهم وتسئ قانون تعميم التعليم الابتدائى مجانا !

ان في استطاعة الحكومة أن تتخذ من عقول المصريين علماء ومن قلوبهم جنودا كما
تأخذ من أرضهم ذهبها ولكنها لم تفعل ولن تفعل ما دامت حكومة انكليزية غاصبة !

إن الكرم العربى لا يزال بكل معانيه عند الفلاح المصرى فإينما سرت نجد الأبواب مفتوحة للضيوف والموائد منصوبة والفرح عاما عند قدوم غريب مهما كان دينه أو جنسه وسبب تأصل هذه العادة فى المصريين بعد أن كانوا من ألف سنة مشهورين بالبخل والحرص على المال أن الدم العربى امتزج بهم وأصبحت مكارم اخلاقه سائدة فيهم • حتى أن الرجل يعديك بحياته اذا التجأت اليه أو احتجيت فى جأه الى غير ذلك من الصفات العربية العالية المشهورة •

ان الفلاح المصرى الذى ما كان يعرف من أحوال ادارة بلاده شيئا فى الزمن السالف أصبح اليوم يدرك الحالة السيئة التى هو فيها ويكره الاحتلال الانكليزى بكل جوارحه والسبب فى ذلك راجع الى انشمار الجرائد الوطنية التى تفصح له كل يوم عن جرائم الانكليز بمصر حتى أن الأمة بأسرها كادت تلهب قلوب ابنائها شوقا لقراءة أنباء الحرب الأخيرة بين الدولة العلية واليونان مما آلم الانكليز كثيرا ونسبوه للتعصب المزعوم •

وسبب تعلق الفلاح المصرى بالدولة العلية لم يكن نعصبا أعمى كما قال الانكليز بل هو ناشئ من احترام هذه الدولة المحترمة للحالة السياسية التى رسمتها لنفسها بأزاء مصر فى حين أن الانكليز قد برهنوا على أنهم لم يحترموا اقسامهم ولا وعودهم • وان الذين يقولون ان الفلاح المصرى راض عن الاخلال مخطئ كل الخطأ • نعم ان الفلاح المصرى ما كان يعنى أبدا بالمسائل السباسبية ولكن أليس الاجحاف بالحقوق وعدم احترام الأهم الفاصبة للأمم المفصوبة يعلم هذه كيف ننقم على تلك وكيف يصبح كرهها وراثيا فى النفوس •

ان الذين يقولون ان الفلاح المصرى محب لكنز الذهب ويضربون الأمثال به يضعون لذلك ما شاؤوا من الروايات والقصاص كاذبون ولم يكن قولهم صحيحا لانه كيف يمكن الجمع بين حب المال وحب اقتناء الأرض •

والفلاح المصرى يسجل كل يوم فى المحاكم المختلطة ما يدل على انه ميال لامتلاك الأرض كلما توفر لديه شئ من النقود ؟ نعم انه يوجد بعض المصريين من تزيد أرباحهم من أرضهم زيادة كبيرة على نفقاتهم وانمان احتياجاتهم ولكن هذا البعض لا يعتد به •

ان الفلاح المصرى سواء كان كثير الروة أو قليلها لم يكن عالما بطرق الاقتصاد لانه ورن حياة اليسر وورخاء المعيشة عن آبائه وأجداده • ولذلك أصبح واجب الاغنياء والحكومة معا أن ينشر بينه التعليم ليكون مقتصدا فى مقتبل الأيام حتى يتبقى نتيجة التزامهم الشديده الذى سيلاقيه فى غده • فان الأمة المصرية يزداد عددها زيادة محسوسة ولذلك فانه لا بد أن يأتى يوم تصعب فيه الحياة على الكبريين عندما تضيق الأرض بسكانها وليس لهم متكل يتكلون عليه فى ثروة البلاد غير الزراعة • وكذلك أصبح من واجب الحكومة والأهالى معا أن يهتموا بنشر الصناعة حتى ترتقى التجارة

ولو بمقدار حاجات سكان مصر وما جاورها من البلاد الأفريقية المتأخرة • لأن الأمة التي تعتمد على مصدر واحد من مصادر الحياة لا بد أن تصادقها إزمات معاشية مؤلمة بالرغم من أن تاريخها لم يذكر مشكلة واحدة من هذا القبيل •

وبالجملة فإن حالة الفلاح المصرى العلمية والصناعية والاقتصادية تعسه للغاية ولا يمكن اصلاحها الا باصلاح الحكومة وتحويل دفتها الى الطريق الأهلى وذلك لا يكون الا بجلاء الانكليز عن مصر •

★ ما بعد عطبرة

« ان الفرخ كان يعمنا والسرور يشملنا اذا كان وراء هذا الانتصار نصر لنا ولكن الحقيفة التي ان لم يظهر اليوم للعيان فستظهر غد متى اتم الانكليز عملهم في هذه الحملة وفبضوا بأيديهم التي لا ترحم على منابع النيل الذي فيه حياة مصر بأسرها .

ان الجيش المصرى قد انتصر انتصارا باهرا وهو ما يملأ قلب كل مصرى سرورا بصفته جيش البلاد وقونها واليه نرجع عظمتها وسلطانها . ولكن النتائج التي ستعود علينا من وراء هذا النصر واضحة مما يقوله اليوم مأجورو الانكليز ومروجو سياستهم من أن الفخر عائد الى الانكليز بصفقتهم قوادا والى جنودهم الذين اشتركوا في الحملة . وسواء كانوا صادقين أو غير صادقين فما لا شك فيه أن دماء المصريين وأموالهم قد بذل في سبيل فتح السودان وهو ما يجعل لهم الحق الأول في إدارته والاستيلاء على خيراته . فهل الانكليز الذين تعودنا منهم الطمع المتناهي يتركون لنا السودان متى فتحناه بدمائنا وأموالنا ووضعنا يداً عليه برمته ؟ هذا ما أنرك الجواب عليه للأيام . غير انى أقرر هنا حقيقة مرة وهي أن الانكليز لا يعملون لغيرهم بل كل أعمالهم منحصر في فائدهم حتى ولو كان فيها قتل شعوب الأرض قاطبة .

أنه عندما أعلنت بجريدة السودان صرحت برأى في هذه الحملة وقلت ان الانكليز لا يريدون بها الا فتح باب من اثنين أما القضاء على الجيش ليجلدوا جيشا غيره

(*) هذه المقالة رد على أسئلة وجهها الى مصطفى كامل جريدة الاكلير الباريسية الشهيرة في ١٩ أبريل سنة ١٨٩٨ بعد انتصار الجيش المصرى في موقعة العطبرة .

كان كلفتر قد استولى على شندي في ٢٦ مارس سنة ١٨٩٨ وكانت مركز الدراويش بعد تفهقهم امام جيش السردار عطب هريمتهم في أبو حمد . ولامى الجيشان في واحة العطبرة في ٨ أبريل سنة ١٨٩٨ والهزم الدراويش هزيمة ساحقة وقتل من الدراويش حوالى ثلاثة آلاف كما يلح عدد الأسرى حوالى ألفين وقد كان هذا النصر تمهيدا لفتح السودان .

د . محمد لؤاد شكرى : مصر والسودان . تاريخ وحدة وادى النيل السياسى في القرن التاسع عشر من ١٨٢٠ - ١٨٩٩ ص ٥١٥ ، ص ٥١٦ .

وهو ما يدعو لاطالة أمد الاحتلال وأما فتح السودان وهو ما يدعو لاطالة أمد الاحتلال أيضا بحجة استناب الأمن فيه زمنا طويلا . فضلا عن أن بلاد السودان ثائية واسعة وليس في وسع الجيش ان يسولى عليها في زمن قصير بل لا يشك الكثيرون في أنه في حاجة الى عسراب من السنين لبصل الى هذه الغاية .

مضى على الجيش المصرى دمانية أشهر وهو يستعد لهذه الواقعة بعد واقعة أبى حمد (١) وقد لقي أشد الصعوبات في هزم جنود الأمير محمود الذى هو أكبر قائد يذكره التاريخ بين جنود السودانيين .

ففى حرارة السودان المحرقة نقلت العساكر المصرية كل حاجات الجيوش وشيدت الحصون ثم انتهى الأمر بانتصارها فهل بعد هذا يقال ان المصرى غير كفء لأن يكون اسانا ككل اسان يدير حركة بلاده بنفسه ؟ وهل الانكليز الذين في الجيش المصرى هم الذين نقلوا وأقاموا ؟ وهل الكمية القليلة من جنود الانكليز التى كانت تسير فى ظل الجنود المصرية والتى ما لعت سنا من متاعب الجيوش هى التى سببت هذا النصر الكبير ؟؟

لا بد أن الجرائد الانكليزية سيزيدهم فخرا ونرفع من قدرهم بينما تحط من قدرنا أو لا نذكرنا فقد عودنا هذه الحملة كلما لاح لها بارقة من أعمال الانكليز فى مصر .

ان السودان كما لا يخفى على الفراء قطعة من مصر وقد سلخ منها بلا حق شرعى لأن الحكومة الحديوية المصرية ليس لها أدنى حق فى التنازل عن أى شبر من أرضها أو من أملاكها للعبر . فالسودان على هذا الاعتبار باق ملكا لمصر ولبس للانكليز حق فى الادعاء بانه ملك جديد انضم اليها فاذا فتحته اليوم العساكر المصرية فقد أعادت اليه السلطة الحديوية التى اعتدى الدراويش عليها عشرين سنة تقريبا واذا كانت الجنود الانكليزية استركت معا فى فتحه فاننا ما كنا فى حاجة اليها وقد كان جيشنا بل وأقل منه كافا لبلوغ هذه النتيجة .

انه كما يقول رجال الجندي هنا ليس أمام الجيش الا عاصمة السودان التى بفتحها يعود لمصر ما كان لها . وانى لا أظن أن ذلك يكون بعبد المنال بل أنه قريب لأن الضربات الكثيرة التى توالى على رؤوس السودانيين لا بد أن تكون قد أزعجتهم وهزت قلوبهم أمام قوة مصر وسواعد أبنائها .

(١) عادر كسسر القاهرة فى ٨ يولية سنة ١٨٩٧ ليولى قياده العمليات العسكرية فى السودان فسلح مروى واتخذ منها مركزا له ، وفى ٢٩ يولية سنة ١٨٩٧ اتجه الى تخوم أبى حمد لطرود الدراويش منها ووقعت معركة أبى احمد فى ٧ أغسطس سنة ١٨٩٧ وفيها انهزم الدراويش وأسر مائهم وأخلى الدراويش بربر متقهقرين الى شندي .

د . محمد فؤاد شكرى . المرجع السابق ص ١٥ ، ص ٥١٦ .

وقد حققنا اليوم انه أصبح من مصلحة انكلترا أن لا تترك ضابطا انكليزيا في السودان بعد فتحه لأن الأمة السودانية شديدة التعصب فقد بلغ من نفس ابنائها حب الدين مبلغا كبيرا . والضباط المصريون ورجال الادارة المصرية قادرون على ادارته أحسن ادارة ونشر الوية الأمن في ربوعه باسم جلالة السلطان وسمو الحديو والا لو دفعت المطامع انكلترا الى دعونها القديمة من وجوب مرافقة نشر الأمن في السودان خوفا على مصر فاننا نخاف على مصر أكثر منها ومصر لا تخاف الا بقاء الاخلال فيها .

ان الانكليز هم الذين أناروا نائرة السودانين في الأول مما هو معلوم مشهور وذهبت ضحية سيااتهم الآلاف المؤلفة من نفوس المصريين وها هم اليوم يسندونه نابيا بدماء وأموال المصريين فليس لهم حق في احتلاله بل يجب عليهم أن يرحلوا عنه وعن مصر اذا كانوا من أهل الشرف الذين يردون الأمانات الى أهلها .

نعم ان الانكليز قد عرفوا كيف يشغلون أوروبا عن مسئلة مصر بهذا السودان الذى سيكون حجتهم البالغة كلما قامت زوبعة سياسية حول مصر فبأسمه يهددون مصر في مصالحها ومصلحة الأجانب ويرجعون على أنفسهم بالمسؤولية في وجوب المحافظة على هاتين المصلحتين .

وانه اذا كانت هناك مسئولة عن ترك انكلترا تعمل كما نشاء في وادى النيل فهي لا ريب عائدة على أوروبا التى كان في يدها مناقشتها الحسب على المواعيد الرسمية التى حددتها للجلاد ولكنها وقد تركتها ستلقى الماعب الجمة في وقوفها عند حدها . واني أرى أن الفرصة أصبحت ضائعة أمام هذا السودان الذى أوجد لانكلترا حججا قوية عملية ؟

ان السياسة الفرنسية كانت في الازمان السالفة سياسة حزم وعمل ولكننا نراها اليوم سياسة تردد وتسويق وهذه السياسة العقيمة أضاعت الكثير من نفوذها في الشرق ولعل البقية الباقية في مصر تعيد ولو شيئا من تلك الذكرى التى لا ننساها .

وفي الختام فاني لا أزال متمسكا برأى من أن التجربة الحاضرة وبال على مصر احتلالا ودما ومالا . . .

مصر والاحتلال *

• جناب المدير •

قرأت في جريدكم مقالة لرجل مجهول الاسم ولا أظنه الا من الانكليز الذين لا عرض لهم الا ابتلاع بلادنا أو من صائغهم المأجورين قال ذلك الكاتب ان الاحتلال دخل البلاد وهي على أبواب الافلاس فأخذ بيدها وزفعا من اليسر مكانة عليها فليقل لنا أن كان من الصادقين • ابن هذا اليسر وديون الامة أصبحت أربعة أمثال ما كانت قبل الاحتلال وديون الحكومة لا تزال كما هي والضرائب زادت وكل شيء أصبح في البلاد غاليا ؟

أيقصد بهذا اليسر خلق الوظائف لرجال الانكليز بالمربيات الباهظة ؟ أيقصد التصرف في أموال الحكومة بلا مرافة ؟ أيقصد بصرف كل انكليزي رأس مصلحة في ما ربط لمصلحته من المال بلا معارض واذا سئل عن مبلغ مهما كان قدره كان جوابه كيف أسأل وأنا ربكم الاعلى ؟ أم يقصد بهذا اليسر انتقال هيئة الحكومة من القرن التاسع عشر الى القرن الأول بينما تجد كل ما فيها انكليزيا ؟ أنه ان كان يقصد ذلك كله فله الحق أن يكسب المجلدات الضخمة ومن مقالات الاطناب ما شاء فان الانكليز ما احتلوا مصر الا وقد احتلها الشقاء وما دخلوا مصالحها الا وقد دخلها الطمع ولن يبقى الطمع مما كان وما سيكون شيئا •

الم تكن الصورة التي ذكرها دسبسة من دسائس انكلترا ؟ ألم ترسم الحكومة الانكليزية هذه الحطة المحزنة من قرن (١) مضى ؟ ألم تعند على مصر مرة قبل هذه المرة وقد طردتها جنود مصر ؟ ألم تثر دراويش السودان بدسائسها وضعف عزيمته بعد الذين استغفوتهم لبلوغ مآربهم ؟ ألم تكن هي الدولة التي كذبت على العالم بأسره

(*) أرسل مصطفى كامل هذا المقال الى جريدة الليبرية الفرنسية الشهيرة ردا على ما نشرته الجريدة المذكورة تنهم المصريين ساكرى الجليل للاحتلال مسترسلة في سرد افضال الانكليز على مصر والمصريين • على فهمي كامل • (مصطفى كامل في ٣٤ ربيعا) ج ٦ ص ٢٢٢ •
(١) حملة مريزر سنة ١٨٠٧ م

فكيف لا تكون الحافزة لهذه المكيدة ببدها الانسة ؟ ألم تكن هي الدولة التي اشتهرت بأثارة حرب الدهاء كلما بدرت لها بادرة أمل او مطمح ؟ ألم تكن هي التي احتلت مصر لأشهر فقضت سنين ؟ ألم تكن هي الدولة التي نسلب باسم الانسانية والمدنية ؟ ألم تكن هي الدولة التي بركتنا نعمل لتجني بمر مجهودانا ؟ ألم تكن هي الدولة التي خانت نابليون . ألم تكن هي الدولة التي لقبها التاريخ بالغادرة ؟ ألم تكن هي الدولة التي تقفل أمة بأسرها لنصل الى بغبتها بن ربوعها ؟ فكيف يقول مراسلكم انها نشرت الأمن بعد الثورة وكانت رسول سلام لا شيطان خصام ؟ ان الذي يريد أن يزف الى انكلترا الثناء العاطر والشكر الجزيل يلام لوما شديدا اذا كذب على الحقيقة والتاريخ وجعلهما من حقها في مصر . فانها في مصر غاصصة خادعة أثارت نائرة الجهاد والخائنين لتستفيد شأنها في كل أمر .

واني لفي غاية الدهش من جريدة فرنسية قرأ محرروها التاريخ وهم مع ذلك يقبلون نشر مثل هذه المقتريات ويقدمون لقرائهم نظريات غير معقولة وعلى الاخص قول هذا الكاتب أن الانكليز دخلوا مصر في وقت كان فيه غاية الجهل مخيما على عقول أبنائها . أنسبتم أن محمد علي الكبير لصداقته للويس فيليب مكن عقدة الارتباط بين مصر وفرنسا وجلب الى وطننا العزيز من علمائكم في كل علم وفن من شهد لهم التاريخ بطول الباع وسعة الاطلاع فوضعوا للعلوم الحديثة أمتن الاساس وللصنائع والفنون المصانع العديدة وأخرجت مصر في أيامهم من ابنائها من اذا ذكروا اليوم اهتز الفخار لذكرهم ورددت ارجاء مصر الثناء على فضلهم وجلب أعمالهم ؟

أنسيم مدرسة الطب ومؤسسها فرنسي ومدرسة الحربة ومؤسسها فرنسي ومدرسة الحقوق ومؤسسها فرنسي وغيرها من المدارس العالية والثانوية والابتدائية ؟ أنسيم أن الاحتلال دخل مصر و فيها نحو سبعة آلاف تلميذ يتعلمون مجانا أو بأجور قليلة جدا فأصبح اليوم فيها بعد ستة عشر عاما ثمانية آلاف تلميذ يتعلمون جميعا بمصاريف ثقيلة يدفعها آباؤهم وبذلك حرم الكثيرون من أبناء الفقراء من العلم ؟ أنسيمت الارشاليات التي كانت تذهب في كل عام من مصر الى بلادكم بعد أن يؤدي أفرادها الامتحانات النهائية فيقضون أعواما بستكم يردون فيها موارد العلم حتى اذا ما ثقفوا عقولهم وهذبوا نفوسهم عادوا اليها علماء ليفيدوا بعد أن استفادوا ؟ ألم يكن رجال الحكومة الذين يقومون الآن بكل الاعمال المنسوبة للانكلز من أولئك الذين وضعوا لبان العلم في فرنسا ونالوا أكبر الشهادات الناطقة بفضلهم منها ؟ ألم تكن طرق الري في مصر التي يتباهى بها الانكلز اليوم من غرس ارشادات كبار المهندسين الفرنسيين والتي سار على منهجهم فيها المهندسون الوطنيون ؟ ألم يكن عدد الأساتذة الفرنسيين الذين كانوا في مدارس الحكومة عندما دخل الانكليز بلادنا نحو ٤٢ أستاذًا فأصبحوا اليوم ستة بينما صار عدد الانكليز فيها ٢٨ معلما ؟ وعلاوة على ذلك لو فحصتم شهادات الفرنسيين الذين كانوا يوظفون في مدارسنا كمعلمين

وشهادات هؤلاء الانكليز لوجدتهم فرقا هائلا ففرنسا ما كانت ترسل لمصر الا كل رجل يشرف سمعتها ويخدم البلاد خدمة نافعة ولكن انكلترا غير ذلك على خط مسنقيم . وسببه أن فرنسا كانت تعمل بسبة خالصة عن طامعة في مصر . أما انكلترا فممن مصلحتها أن يعيش المصريون كما خلفوا لا يعرفون من العلم شيئا حتى يستنزف أموالهم بلا معارضة ولا ممانعة .

وبالجملة فاني لو أردت أن أفصح لكم عما وصلت اليه حاله التعليم بعد ما أفصحت في كنباتي وخطاباتي لاحتجت الى صحف كثيرة دون أن أوفي الموضوع حقه لان الحقيقة فيه ساطعة سطوع الشمس في رابعة النهار وكل من خالفها كان عدوا للحق أو مأجورا في خدمة الانكليز .

أما العرش الحديوي الذي ادعى الكاتب أن الانكليز وطدوه بعد أن كانت تعبت به أيدي السائرين فهو قول باطل مردود وفيه الحفيظة معكوسة . فبجانب الاحتلال تكاد تكون سلطة الخديو اليوم خيالا . فالخديوية المصرية التي هي سلطة شرعية معترف بها من جميع الدول والتي هي تابعة مباشرة لسلطة جلالة السلطان أصبحت في مصر اسما بلا روح فالأوامر العالمة يجبر سمو الخديوي على إصدارها بموافقة وزارته التي أغلب افرادها من صنائع الاحتلال والتي أقامها الاحتلال نفسه ولعلكم تذكرون ما كان من معارضة اللورد كرومر وحكومة اللورد روزبري عند ما أراد سمو الخديو تعيين وزارة توافق مشربه مما يترتب عليه تهديده بجميع الوسائل وتم لانكلترا ما أرادت .

أنه لو كان الانكليز كما يقول عميدهم في مصر يقصدون بسلب سلطة الخديو أن نمتع بها الأمة لحولوها حتى مراقبة أعمال حكومتها . ولكن الحال على العكس من ذلك فمجلس الشورى الذي وضع أساسه اللورد دوفرين لم يكن فيه رائحة السلطة الدستورية ولم تجبه الحكومة الى طلب واحد من طلباته العديدة التي برهن بقوة على صحتها مدة وجود الاحتلال .

أن الاحتلال سلب سلطة الخديو لتكون سلطته فهو في مصر عدو الأمة عدو الخديوية عدو رقي المصريين طامع في كل شيء حتى أنه لو استطاع أن يطرد جميع الأوروبيين ليستأثر بكل شيء لفعل بلا تردد . ولذلك يسعى اللورد كرومر بكل ما في وسعه ليقرب نظام المحاكم المختلطة حتى لا يكون في مصر أثر دولي بعد أن ذهبت المراقبة الثنائية بذهاب المراقب الفرنسي وبعد أن ذهبت الدائرة (١) السنبة وبعد أن

(١) تستخدم كلمة الدائرة للمصر عن إدارة الامطاعات الخديوية المحلفة على عهد اسماعيل كانت هناك سبع دوائر من هذا النوع أكبرها وأهمها الدائرة الخاصة وهي الدائرة التي يسميها الخديوي بمخصصاته المالية والدائرة السنبة وهي تمثل أملاك الخديوي الشخصية . والمعروف أن اسماعيل عقد فرسا سنة ١٨٦٦ لمدة ١٥ سنة فاقبلة ٧/ معاين رهن إيرادات الدائرة الخاصة والدائرة السنبة وقد عقلت عنه قروض أخرى خلال الفترة من سنة ١٨٦٧ الى ١٨٧٧ حين صدر الأمر العالي في سبتمبر سنة ١٨٧٧ لتسوية ديون الدائرة الخديوية (السنية) على أن يكون دء هذه الديون شهريا وبلغت =

ذهب بفؤذكم من المصالح . وانى أعقد أن الانكلير أمام سلامة نيتكم وعيركم من ذى المصالح فى بلادنا سيعملون ضدكم فى كل شىء .

وأما الأوروبيون القاطنون فى مصر فابهم قبل الاحتلال كانوا أسعد حالا منهم اليوم . فقد كانوا على الأقل يعاملون أمه بغير مزاحم لهم . ولكنهم والانكليرى قد أصبح قابضا على كل مصادر السروة فى البلاد بعس حالهم حى أن الكير منهم أصبحوا يجدون الإقامة فى مصر مما لا يطاق .

نعم أن الأوروبيين الدين كانوا فى مصر زمن النورة خافوا على أنفسهم كثيرا فركوا البلاد راحلين وأهلهم الى بلادهم ولكن هذا لا يدل على أنهم كانوا غير آمنين على أرواحهم وأموالهم قبل الاحتلال . لأنه فى أى بلد قامت أو تقوم فيه نورة يكون الحال كذلك من الخوف لعدم وجود النظام الشامل للأمن العام .

أن فى فرنسا الكيرين من أبنائها الذين عاشوا فى مصر قبل الاحتلال والذين يكذبون قول كاتب تلك المقالة التى كلها افتراء وما على جريدة الليبرتية أن تتحسر الحقيقة منهم لندرك أننا مع الانكلير بائسون وإن حالنا يرثى اليها .

ألم يكفنا ما نحن فيه من ذل وهو أن منتظرين ساعة الخلاص معتمدين على أنفسنا ونصراء الحق حتى نقرأ ما قرأنا من اتهام شائن وقول عقيم .

أن الأمة المصرية من أرفى أمم الأرض أخلاقا إن لم تكن أرفاها لا نعتدى بغير حق ولا نسلب متاعا لنزيل ولا نرتكب انما حبا فى الآتام ولا نشوه صحف تاريخها البيضاء بسيات المتمدنين بل ولا تكذب على العالم كما كذبت انكلترا .

أن الرجل الذى يماطل فى المعاملة لا يعامل فما بالكم تنقون بانكلترا وقد ماطلت كثيرا وكذبت طويلا وها هو تاريخها بعبد نفسه . وتتهمون أمة لم يكن ذنبها الا أنها شرقية اسلامية بهذه التهم التى هى بريئة منها .

إننا لم تكن ناكرين الجميل ولكن الحق هو الذى يملى علينا ما نقوله فإن كانت انكلترا تريد أن تحسن إلينا وتنال اعترافنا بالجميل فلتترك بلادنا فإن فى تركها إياها سعادتنا وفى بقائها شقاءنا ولا يقبل الشقاء الا أهل الشقاء ومن يسكت عليه أو يطنبه كان خائنا كبيرا . . .

== ديون اسماعيل ٨١٥٤٣٠ رجبيا سميت بدين الدائرة السنية وقد أدى استبعاد لجنة المراقبة المالية الثنائية الى عرض أراضى الدائرة السنة الخديوية للبيع سنة ١٨٨٦ وفاء لسد الدين وفوائده .
 حون مارلو : تاريخ النهب الاستعماري سنة ١٧٩٨ الى سنة ١٨٨٢ . ترجمة عبد العظيم رمضان .
 القاهرة ١٩٧٦ ص ٢٣٣ ، ٢٦١ ، ص ٥٠٤ الى ص ٥١١ .

ذكرى ١١ يوليو ١٨٨٢ *

انى أشعر بالمرسيد وسخط لى عليه من مرير ، كلما جاء هذا اليوم الذى يذكرنا بجميع مصائبنا ، فهو لمصر ادا بذكر حزن وحداد لبريطانيا العظمى ، عنوان العار والشعار ، وأى غضب يوم بالاسنان أكبر مما بعيريه لى بلاوه ناربخ ضرب الاسكندرية ، اذ لا يستطيع أن يصور أن دولة أوربية ممددة ، وبصدي للمدينين غيرها ، ترتكب مثل هذا الالم القظيع .

من الذى يستطيع أن يروى ناربخ هاته الدولة الكبرى الى بعة أن البطربات المصرية هددت أسطولها دمرب مدينة عامرة ، وأهرقت فيها الدماء ، ومع ذلك فقد كان ميناء الاسكندرية اذ ذاك سمن فرنسوية ونمسوبة لم نر نفسها أبها مهددة من القلاع المصرية .

أن يوم ١١ بولة يجب أن بمل فى مخرله السياسيين الذين يقومون باداره سئون أوروبا وواحباهم بحر انكلترا فى المسئلة المصرية ، فلعد مضى على الانكلز فى مصر ١٦ عاما(١) بحجة توطند النظام وعزير مركز الخدبوية ، ألم يكن هذا الوقت كافيا لأداء مأموريتها واعادة وطننا ، الننا ، أو بالأحرى ألم يآزف الوقت الذى ينبغى فيه على أوروبا أن نحتم ارادتها على انكلترا ، لا بصرح عن ذهن أحد فى أوروبا الآن أن انكلترا تبغى أخذ مصر عسمة باردة .

فهل ترضى الدول الأوربية أن نترك للانكلز هذا الطريق الذى لابد منه لجمعها ، لأنه الممر الوحيد لجمع الأمم وملئقى طرق المواصلات بأسرها(٢) .

(*) حدث صحى أدلى به مصطفى كامل الى حرية الاكلير الفرنسية بمناسبة ذكرى صرب الاسكندرية ١٨٨٢ ، ونشرها المؤيد فى ٢١ يوليو ١٨٩٨ ، العدد ٢٥٢٥ ، وقد سبق الحديث عن هذه الواقعة .

(١) أ، منذ احلالها فى عام ١٨٨٢ .

(٢) لعله هنا يسمو، الدول صاحبه المصالح فى المنطقة ، الى طر أبها صديعة كاتانيا وفرنسا .

أورانى مصطفى كامل - ٣٠٥

ونحن على أى حال نعلم ما هو الواجب علينا ، وهو العمل لمصلحة بلادنا ، اد
بذلك نتوصل بالتأكيد بحل المصيرين رحالا عارفين بحقوقهم ، وواجباتهم نحو
الوطن ، ومبغضين من صميم أفئدتهم لمن يظلمهم ويسلب حقوقهم ، فإذا ما أتى اليوم
الذى فيه لا يكون للأمة المصرية سوى قلب واحد وإرادة واحدة ، مال الى مساعدتنا
جميع الناس ، واكسبت مصر حريتها المفقودة .

والفرنسيون الذين فكروا في مصر ، والذين يعلمون أن الانكليز يدمقون
الآن في أرضها (١) أعمال فرنسا الجليلة فيها ، يجب عليهم أن يذكروا أن ضرب
الاسكندرية والحوادث التي أعقبت الى الآن نكون منها أكثر فسل أصابها في هذا
الجيل ، وهم يعلمون أنهم لا يستطيعون أن ينالوا مرسهم السابقة وفوذهم الماضي
في الشرق الا اذا أحلوا الانكليز عن الفطر المصري ، ولهذا السبب لازلنا ننتظر نجات
كثرة من الوطنية الفرنسية .

— وما الذى يفكره أهالى مصر في الجناح الحديوى ؟

— لا يزال الجناح العالى محبوبا من الأمة المصرية ، وهو يمثل نجاتنا الوطن
والمطالب الوطنية ، ونحن نعلم علم اليقين مقدار حرج مركزه ، ولكننا نعجب بشرف
خصاله وقوة عارضه وصدق وطنيته ، وكل مصرى يقول لكم هذا القول ، بالنسبة
لسجود ، واننا جميعا مسعدون للدفاع عن مسند الخديويه الى آخر لحظة من حياتنا ،
لان مصالح الخديوية مرتبطة تمام الارتباط بمصالح الأمة (٢) ، وضم الى هذا مركز
شخص الجناح الحديوى من قلوب الأمة بأسرها . ولا شك أن الانكليز يعملون
لتقويض نفوذ الخديو وسطرته ، ولكن نفوذ الأدي لا يزال عظيما ، وفي استطاعة
أوروبا اذا ساعدته وأيدته ، أن تعزز مصالحها لأنه ما دام الجناح العباسى خديويا
لمصر ففي سعة الأوربيين القاطنين بالقطر المصري أن يعتمدوا على مروءته وشهامته ،
وحيلة القول أن مصر بلا خديو يكون مملها بدون نرلاء أوربيين من غير انكليز بل
يكون بها موت النفوذ الأوروبى على ضفاف النيل .

(١) شرع مصطفى كامل يسير العوى العظمى لصره العضية المصرية ، فعرف لكل منها النعمة
الى نحلها . فكان يصيب فرنسا منها هو يذكرها بالأعمال التى عملها أساؤها لمصر ، ويعتبره لها
بعوله والأعمال الجليلة ، منها آثارها فى العلم والاعمال والعكر والأمر العسكرية والامصادة .

(٢) يمكن الرجوع الى تاريخ الحرسى ، أمى سامى ، نفوس النيل ، ٢٠٠٠ القاهرة ١٩١٨ ، ثروب
عكاسه مصر فى عيون العرباء القاهرة ١٩٨٥ ، رسة فطاوى وجورح فطاوى محمد على وأوربا القاهرة
١٩٥٢ ، عمر طوسون ، السمات العلمية ، ٠١ نواسم رزق ، العلامات الثقافية من مصر وفرنسا فى النصف
الأول من القرن ١٩ دراسة فى كتاب بدوه مصر وعالم البحر المتوسط ، القاهرة ١٩٨٥) .

(٢) كان مصطفى كامل حصيفا فى ساوله الدفاع عن العصية ، فهو بعدد ما كان نسجت العوى
العظمى فى الخارج ، كان يدافع عن واحده الأمة نفسها ، واننا كل صديق فيها فى عملبه نوارى اعلامى
واصح .

الجناب العالى الخديوى *

- ما هو العرض من رباره الحيات العالى لباريس ؟

- الذى أعلمه أن سموه حصر الى أوربا مراعاة لصحته ، فان ما اخص به جنابه العالى من الدأب على العمل والاهتمام بمصالح الوطن ، قد جعله فى حاجة الى الراحة ، والرياضة فبره من الرمن ، وهذا ما دعا سموه للمتابعة فى السكر والاختفاء وفواعد الأدب واللفظ . نفصى بعدم الذهاب الى للشرف بمقابلته ما دامت رغبته منصرفة الى المعيشة بضعة أيام ، كما بعنن الخاصة ولذلك لم بطمح المصريون المقبمون فى باررس الى نوال هائه الخطوة ، وان كانوا فى شوى شديد للشرف بمقابلة سموه ، ونقدبهم الى عبارات الاخلاص وصدق الولاء ، وهم بهذا المسلك قد احترموا ارادة جنابه وحافظوا على رغائبه .

- وهل الشعب المصرى مشارك فى الأفكار والأمبال لسمو أمره ؟

- أن الجناب العالى الخديوى محترم شخصيا من الشعب المصرى الذى يجمل مقامه ، ويعجب بصفاته العالبة وفضائله ، بالرغم عما يعمل الانكلز كل يوم ضد هذا الأمير الكريم ، فان الأمة المصرية بأسرها لا نزال مرتبطة بروابط الاخلاص والولاء له ، وهذا الارتباط هو الذى جعل نفوذه يكبر شيئا فشيئا فى نفوسهم ، وجميع الذين زاروا القطر المصرى ، قد شعروا بالرابطة الوثيقة ، ولا غرامة فى ذلك فان ارتقاء الجناب العالى الخديوى الى الأربكة المصرية قد كان عنوانا لفظة مصر من سباتها الطويل ، وبه ابتدأت الحركة الوطنية التى لازالت تجعل وثوقنا بالمستقبل وطبدا ، ما دام سمو الخديوى قائما بالأمر فسا ، ولا ند للأجنى أن بعش زمنا ما بالقطر المصرى ، ليتمكن من الوقوف على مقدار شهرة الجناب العالى بين الأمة المصرية ، فان سموه اذا أراد التوغل فى داخل القطر تقاطر الأهالى من جميع الطبقات بن شىخ

(*) حديث سبائى لمصطفى كامل مع محرر حريدة « الليبرارول » الفرنسية ، عندما أراد الوفوف على سرحىء الخديو الى باريس فى نفس العام ، وقد نشرته المؤبد ، العدد ٢٥٣٩ ، فى ٩ أغسطس عام ١٨٩٨ .

وساب وعنى وقعر وعامل وفلاح للسلام عليه والسبب به والهيل له ، ولكى يرفعوا الى عامه أن لا ولى لأمرهم سواء ، وكم يكون هذا المنظر حملا وموجبا لاعتفاف القلب ، لا سيما اذا افكر الانسان أن الشعب المصرى بحدافه ، الذى كان فى عهد الحركة العربيه عدوا ألد للمعمور له الحدبو السابق ، وهو بعينه الذى يظهر الآن بلك العواطف الشريفة للجناب العالى عباس باشا ضد الانكسر ، واذا كان المصريون الآن ملارمين للسكنه والصمت ، فما ذلك الا بارادة الحجاب العالى ، الذى يرى أن مصلحه مصر يعنى عليها ملازمة الهدوء ، واسطار الانصراف من أوروبا ، ومن الواجب المفروضه علينا سرعا أن نطع أولياء أمورنا ، ورسد أفكارهم ، ونهتدى بهديهم ، وأن نبغى على الدوام محلصين لهم ، ومربطين بمسندهم .

– وكيف كانت نربه الجناب الخديوى ؟

– أن الجناب العالى الخديوى بلعى نربه عظمه (١) مبهية ، وهو يجبد الكلم باللغات الفرنسية والانكليزية والالمانه والايطاليه والتركى والعربية ، ويعرف علوما كنبه ، ويبافش فيها زائريه ، نم هو – فضلا عن ذلك – سامى الادراك ، واسمح العقل ، كبير المشاط ، بعد الهمة ، وفى اعباريه أن الأمير يتنزل من الأمه مبرلة الرأس من الجسد ، ولذلك براه محنا لشعبه ، مصغيا لشكواه ، وعالما بحقيقة حاله ، وفضلا عن هاه الصغات العالمة والفضائل الرفيعة ، اسنهر سموه بالتواضع والطف ولين العريكة ، واذا ما راره أحد نسى أنه حضره الأمر ، وما ذلك الا لكثرة انعطافه لحلاوة طماعه ، نم هو باعبار كونه مسلما يبالغ فى احترام الأديان الأخرى ، ولذلك نرى غير المسلمين، من رعاياه يحبونه كما يحبونه المسلمون ، ومما حجب فيه النزلاء الأوروبيين المقيمين فى مصر على اخلاف نزعاتهم وتباين مشاربهم ، شدة تساهله وزيادة مبله الى التمدن الأوروبي .

– وما هى عواطفه نحو فرنسا ؟

– عواطفه معلومة هنا لديكم ، انه يحب بلادكم ويعجب بها ، وليس بنسى أحد بمصر سواء كان من العائلة الخديوية أو من عامة الأمة أن فرنسا وحدها هى التى شددت أزر محمد على باشا فى عام ١٨٤٠ وساعده على نشر أنوار العلوم والمعارف والتمدن فى القطر المصرى ، وفى ١١ نوفمبر ١٨٤٠ كتب مؤسس العائلة الخديوية الى صديقه لويس فيلبس (٢) ، صاحب فرنسا فى ذلك العهد رسالة جاء فيها ما يأتى :

(١) بلعى علومه فى معظمها فى كلية برناتوم فرنسا .

(٢) عن شأنه يرجع الى الموسوعة العربية الميسرة ، عند الرحمن الرافعى مصطفى كامل ٠٠ وغيرها .

(٢) لويس فيليب (١٧٧٣ – ١٨٥٠) بملك ناصبة الحكم فى فرنسا من ١٨٣٠ – ١٨٤٨ ، عمل فى الجيش الفرنسى وهرب منه عام ١٧٩٣ وعاش فى انجلترا وأمريكا حتى عوده أسرة البربون ، احب =

« انى أرحو من حلاله الملك ان نادى لى بالاعراب عن سكرى لحلاله وللأمة
الفرسويه ، سكرى يدوم فى قاسى مدى العمر ، وببصل مى الى الأبناء
والأحماد ٠٠٠٠ » .

وفد اصلى هذا الشكر فعلا من الأب للابن ، وأصبح واجبا مقدسا ، لا سيما فى
نظر الجناب العالى حفيد ساكن الجنان محمد على باشا دائما ، بسقى أن تلك الجملة التى
فاه بها مؤسس العائلة الخديوية ، بردد صداها الآن فى فرنسا ، وأن تقوم الجمهورية
الفرنسية بدعوه انكلترا الى احترام حقوق مصر وسمو أمبرها المقدسة .

ملكا لفرنسا ، وقد تخلق بالأحلاق النورجوارده ، وعرف (بالملك المواطن) وسيرب منه حكمه بالوسع
الاستعماري حسب استعمار الجزائر ، وبالحره السياسيه . الا انه ظهرت فى عهده الحركة الراديكالية ،
ولما نشبت الثورة فى فبراير ١٩٤٨ ، سارل ارسى عن العرش وعاد فرنسا الى احتلها .
محمد شفيق عربال وآخرون . (الموسوعة العربية الميسرة) (مجلد) ، ص ١٥٨٦ .

اتحاد الكلمة ★

يمم مولانا العباس دار السعادة وعاصمه الخلافة ليؤكد لجلاله سلطاننا الأعظم من جديد صدق الولاء وخالص الوفاء ، وبقطع بهذا السعى الجليل السنة الأعداء ، وبرد للسامنين بمصر والدولة العلنه سهامهم في صدورهم ، ويؤيد الأمة المصريه العريزة في نعلفها بالعرس الحمدي وارباطها بصاحب السلطنة السببة والخلافه المقدسه ، فشكرا لك أبها الامر المحبوب وحيدا بم حمدا •

هذه الريارة يسفيلها كل مصرى يمرى الارباط وعظيم اشراح ، لأنها بيعت الآمال في القلوب وبحيط مساعى الأعداء ودسائس الدخلاء ، فكم دبروا من دسائس ، وكم أشاعوا من أكاذيب لزرع العداوة والشحناء بين مصر والأساسة • ولما نحققوا أن سمو العباس فاصدا الاستانة بلا ريب أحدوا يطعنون الطعن السافل البذى على المحلصين لسندته والمدافعين عن حقوقه الشرعية • وانا لقبيل هذه المطاعن من الدخلاء بصنعها آخر دسائسهم ضد مصر والاساسة ، ودليل عجزهم عن بلوغ مآربهم واعرافا منهم بأن لا استنطاعة لهم ولا لغيرهم على تكدير العلائق بين التابع والمتبوع ، فليطعن علبنا جريده الدخلاء ما استطاعت فما مطاعها الا اعلان لنجاح سياستنا واعلان للدويى بين بلدز(١) وعابدين •

ولقد كان سمو العباس أول المناهضين لاتحاد الكلمة ، وجمع المصريين حول الرايه السلطانيه الرقبعة ، فاستحو وحده سرف هذه السياسة القويمة وحق للأمة أن تسله في كل ظرف وفي كل وقت أن يكون امامها في اسهار عواطفها نحو السلطنه السسه والمجاهرة باخلاصها لجلاله السلطان الأعظم ، وقد كان العلق بالدوله العلنه احساسا كاملا في النفوس ، فبل جلوس العباس على أريكة الخديوية الجليله ، مظهرها للوجود عند سفر العربى لأول مره الى دار السعادة ، وأحد هذا الاحساس الشريف ينمو شيئا فشيئا حتى عم الامه كبرها وصغرها ورأينا ورأى الناس كافه

(★) نشرت في المؤيد العدد ٢٥٨٤ في ٢ أكتوبر ١٨٩٨ •

(١) مصر السلطان في الاساسة •

هذا السعيب الكريم قائما أيام الحرب (١) - الحرب العثمانية واليونانية - بتأديس الواجبات ، وسأهدنا بعد الناس عن السياسة ينظر أحبار النصر والطفر بشعف جريل وسهاد طويل ، وما العصل الأول في ذلك الا لسمو العباس .

وأن سياسته العباس من أول كلمه الى اليوم تدور على مبدأين حطيرين ، وهما احترام رغبة الأمة المصرية ، والارتباط بالدولة العلية ، فلهذا رأينا سموه يجمع بين الأمرين في سائر الظروف واحصها بالذكر الاعانه العسكرية الساهابه ، فان سمو العباس افننح هذه الاعانه بدانه السريعة ، وقام فيها على رأس الأمة على حين أن حكمه سموه كانت تصدر الاوامر يوم الاكساب وكانت تعلق عصبها على كل موظف يسررك في هذا العمل المبرور ، مع أن الواجب عليها كان . اما ادباع سمو الأمر في خطه أو اعترال الأعمال .

ورأينا سمو العباس - خطه الله - في مسئلة الحج السريف (٢) مخترما بالرعم عن قرارات وزارته لرعنه ولاوامر الدين السريف ، فجاهد وأى جهاد ، ودافع وأى دفاع ، وببت وأى ببات ، حتى نال مبغاه ، ونال من المسلمين كافة - والعمايين الصادهين - المكاه الساميه ، والحب الحاصل لدانه السريعه ، وعرف له الدولة العلية هذه المهمه السجاعة ، وهذه العزيمة القويه .

وها هي مسئلة السكك الحديدية السودانية (٣) ، لا تزال حاضرة في الأذهان ، ولا يزال العارفون ببواطن الأمور يؤكدون أن سمو العباس خاطب « السدر بالمر (٣) » في مجلس المطار فائلا « انى حالس على أربكه الحدونه لاعلاء شأن أمى ، والعمل في صالحها ، واحترام رعنها فاذا سعرب من نعسى بعدم القيام بالواجب ، أو

(١) وقعت عام ١٨٩٧ سيجه بوره نصح الماطعات النوبانه على الحكم التركى . وناسبت جميعات سره في أنيا برعاه اليونانى والكريس ، حتى بدأ السلطان عند الحمد الثانى بمسهم الحكم الداتى .

(٢) أنور الرفاعى ، ساكر مصطفى - مرجع سابق ص ٢٨٥ ، ٢٨٦) .

(٣) تدخلت انجلترا في أمور سعر الحجج المصريين ، فان حاولت بحدود عددهم ناره ، ووقع رسوم الحج ناره أخرى ، ثم لجأت الى الاعبار للحكومة المصرية فان يكون السعر على سعر النوسه الحدونه ، بهدف معرفة هونه المسافرين ، وهى بهذا اما كانت تريد أن يقطع الصلات بين الوطن العربى حتى يبعد نأجراه هامة منه ، وعدم توصل الأفكار العدميه الى أنحائه وخصوصا أفكار المصريين الذين سواوا فيها آتدك .

(لتفصيل يمكن الرجوع الى ما نشره اللواء ساعا من سائر ١٩٠٣) .

(٣) اهمم الاحتلال بيد الخطوط الحديدية في السودان لخدمة الاستعمار البريطانى هناك ، وأدرك الانكلس على مد تلك الخطوط في عام ١٨٩٩ ولكنهم جعلوها أصبق من تلك التى في حوب مصر بمقدار ثلاث بوسات ونصف حتى لا يفكر مصر في توصل خطوط بها وبهذا يقطع السودان عن مصر .

(شوقى الجبل - تاريخ كسف الفرنسا واستعمارها ، ط ٢ ، ص ٧١٩ - ٧٢٠) .

(٤) المسسار المال للحكومة في تلك الفترة .

أحسب بأن أمي عمر راضيه عني ، فاني لا أحلس على هذه الأريكة ، وهو قول كله سرف وكله سمم ، وليس بعريب ان يقوله العباس ، ويدكر كذلك العارفون ببواطن الامور أن سمم العباس ارسل للمرافة للحصرة السلطانية يجبرها بعاصبل المسئلة، ويسألها أمرها في الامر ، فلما جاءه الرد مؤبدا له في خطه موافعا على مقاومته ، أجاب سمو العباس جلالة السلطان قائلا « ما دام جلالة السلطان مساعدا لى معضدا فاني أقوم بواجباتي نحو الله والملة والدولة أحسن مقام » . وأى دليل بعد ذلك على أن المبدأ الاول والمبدأ الأهم في سياسة العباس هو المصلح بحلالة السلطان الأعظم والعمل بأوامره وارسادانه . ولذلك كله ولما تعلمه من أن الشقاق داعى الدمار والانحطاط وأن الاتحاد روح القوة والعلاج ، كما أول من يحى رياره العباس لجلالة الخليفة الأعظم ، ونسنعلمها بصدور ممثلة بالسرور .

وبنهما عمل الدخلاء على تفريق الكلمة ، فلا يجدون ما الا عمالا للاتحاد ، حداما أوفاء للدولة . ننادى في كل وقت وفي كل آن ، أن سائر العثمانيين وكافة المسلمين بالنشبه بالجندى العثماني الفخيم الذي يبادى بأعلى صوته في ساحة القتال والجراح على حسنه كالبحوم في السماء » ليحيى حلالة السلطان » .

التعليم *

خطب أحد سياسيه فرنسا أمام جمهور من الشعب فقال : « المستقبل بيد معلم الدائمه ، وهى حكمة جديده بأن تكون محل نظر المصريين الراعبين فى اعلاء شأن وطنهم وبنرقية مدارك أممهم ، وإستعداد المستقبل ، فقد تغيرت الأحوال فى نظارة المعارف ، وأصبح التعليم محفواً بالذكاء (١) والمصاعب ، وأمسى المعلمون المصريون يعلمون وهم معبون من حالهم ، ويشنكون من سوء معاملتهم ، ولو استطاعوا أن يعيشوا خارج نظارة المعارف لعرفوها اليوم قبل العدم فرحى مسرورين وهو أمر يدل على أن التعليم فى مصر انحط انحطاطاً هائلاً ، فإن روح التعليم فى المعلم ، ولو نظرت إلى اللامذه لوجدتهم أسوأ حالا وأسفل حالا من المعلم فهم يذهبون إلى المدرسة وكل منهم ينتفع طرده أو رقبته إذ أصبح الطرد موقوفاً على أهل شيء ، كيف لا وقد رأينا بطارة المعارف هذه الأيام العجيب والعريب ، بعد نقل الينا نقه لا ريب فى صحة قوله ان ناظر المدرسة الحديويه طرد تلميذاً من المدرسة لأنه كان عابس الوجه ، فاعلم المصريون من الآن فصاعداً أن قوانين المدارس نصت بأن العابس الوجه يطرد من المدارس ، وأن هذا الناظر الانجليزى طرد تلميذاً لأنه كان مبسماً ، وأظن ان هذا المسكين حسب أن التيسم يفربه من الناظر بعدد ما نال العابس الوجه من النصاب - وأنه أنزل تلميذاً فربه ، لأنه كان حاملاً الكتب وسقط منه كتابان وهكذا من أمثال هذه المضحكات المبكيات .

(*) سرب فى المزيد ، العدد ٢٥٨٩ تاريخ ٨ أكتوبر ١٨٩٨ .

(١) تدخلت انجلترا فى أمور التعليم العام فى مصر باعتبار أن التعليم يعف على قدم المساواة مع الاقتصاد ، يستطيعون منه الصنع على قدرات مصر ، تدخلت فى احسان المواد وتعيين المدرسين ، وكان عدد كبير منهم من الانجليز ، وطبع الكتب ، أما الاسراف العام فى بطاره المعارف فكان للمبششار الانجليزى الذى كان يد مسعره فوة داخل البطاره ، أودى تكرامه المدرس المصرى الوطنى ، ورفع الآخر البريطانى مكرراً وأحرأ .

(عن هذا الموضوع يمكن الرجوع الى . جرحس سلامه . اثر الاحتلال البريطانى فى التعليم العومى فى مصر ، ١٨٨٢ - ١٩٢٢ ، القاهرة ١٩٦٦ ، حسن العفى : مرجع سابق) .

وطالما فلما وكررنا أن مقصد الانكسار في نظارة المعارف قبل العواطف الوطنية واعتماد كل احساس شريف عند الباسنيين - فقد وصفت هذه النظارة مادة في قانون مدارسها فالت فيها ما معناه . « كل تلميذ يسير في احيال أو مطاها أو اكساب يطرد من المدرسة » فما معنى هذه المادة وما سبب وضعها ؟ اليس معناها أنه لا يجوز للطلاب الاكساب للاحتفال بعيد جلوس سمو الحديو المعظم ، أو ليس سبب وضعها أن تلاميذ المدارس عقدوا في ٨ يناير من هذا العام احتفالا سائعا بمناسبة عيد جلوس الحضرة الفخيمة الحديوية ، وأعلنوا فيه مع مريد الاحرام حبهم الخالص لسمو أميرهم وعلقهم الصادق بذاته الشريفة ، وإذا كان أساس التعليم في المدارس قبل العواطف الوطنية ، فيا معسر المصريون « أرسلوا أبناءكم الى مدارس الحكومة » أريدون أن يكونوا حذاما للانكسار وعبادا لأعداء الوطن ؟ أم يسيغون جعلهم آلات ضد الوطن العزيز ؟ ليت شعري اذا كان التعليم حاليا من التربية الصحيحة والعصيلة الوطنية بل أساسه التربية اللاصحيحة والفضيلة اللاوطنية فما فائدة التعليم ؟ وهل ينكر أحد من الناس أن المتعلم السيء التربية هو أضر على نفسه وعلى قومه وعلى وطنه من الجاهل .

وإذا كان نحى الناشئين في البلاد الأخرى بالعواطف الوطنية مما يكافأ عليه ، فلماذا تسير مصر على عكس هذه القاعدة ؟ وإذا قام الباسنيون في انكسار بعمل مطاها وطنية يوم عيد جلالة الملكة فهل يكون حراؤهم اللوم والنفريق ووضع مادة في القانون تحرم عليهم مثل هذه المظاهرات ؟

فاتل الله الغرض ! فإنه يعنى وبصم ولا يصح لعافل أن يؤمل حرا من نظارة المعارف ، بعد أن عملت وبلغت ما استطاعت في التضييق على الباسنيين وطلاب العلوم .

ولقد كانت مصر في الماضي مشرفا لانوار العلوم والمعارف مفتوحة مدارسها للطلاب والراغبين ، بل كانت الحكومة تأخذ الالامدة حتى بالرغم عن آباءهم ونعلمهم ونهذبهم ليكونوا خداما للوطن الحرير وعمالا نجباء على اسعاد الأمة وبرقية شؤونها واليوم أراد الزمان وأراد سوء حظ مصر أن يعكس الحال ونقلب الأمور ، فمادا يجب أن يعمل المصريون ؟ أليس أول واجب عليهم أن يقوموا ويؤسسوا المدارس الأهلية (١) لتعليم أبنائهم على الأخص لتربيتهم لأن التعليم سيء والتربية سيء آخر ،

(١) في مقال عمل الانكسار هدم التعليم القومي في مصر ، نادى مصطفى كامل بتأسيس تعليم أهل يتحرر من رقة الاشراف البريطاني ، وذلك بتأسيس شركات للتعليم تقوم على الجمعيات الحرية والأهالي ، كل حسب قدرته فاسهم الموسرون أمثال حسن بك فره حولى ، والجمعيات الحرية ، كجمعية العروة في الاسكندرية ، والمسامي المشكورة في المنوفية ، وغيرها من الجمعيات بالاستحانة لدعوة ، وكان لنشاطهم في مجال التعليم أثره .

(عن الدعوة يمكن الرجوع الى عند الراحين الراحى . مصطفى كامل ناحت الحركة القومية)

وقد أهملت التربية بالمرء من مدارس الحكومة ، فيجب أن تكون الأساس الاول في مدارس الامة .

ومن عريب أمر مصر أنه لما كانت الحكومة تأخذ الأبناء فهدا لتعليمهم وتربيتهم ، كانت الامة معارضة للحكومة في ذلك ، ولما بدلت الحكومة جهدها في النضحية على المتعلمين انجحت رعائب الاهالى نحو التعليم والتربية ، وصار الفقير كالعنى يسعى لتربية أبنائه ، ويحمل نفسه المصاريف الباهظة لبلوغ هذه الغاية ، وانا نعلم جيدا أن في مصر رجالا يحبون وطنهم حبا صادقا ، ويودون له كل سعادة وكل هناء ، ولذلك جئنا نسألهم بلسان الوطن الأسبب أن يهضوا لتأسيس المدارس الأهلية لا سيما وقد ظهرت هممة دوى الهمم عند نشر المؤيد لأول مرة رساله فاصلى بعهد كل منهما بدفع جسيهين في الشهر اذا أسبب نظاره معارف أهلية .

نعم ان تأسيس نظاره معارف أهلية أمر مرغوب ، وسىء خطر ، ولكن اذا كان هذا الأمر صعبا أو مستحيلا اليوم ، فهل نقعد عرائم الدين بعهدوا بدفع مبالغ لتربية أبناء الامة ؟ ان حر سبيل يجب على ذوى الهمم سلوكه الآن هو تأسيس مدارس معرفه فاذا استقامت أحوالها وسارت في طريق النجاح ، اجتمع هاته المدارس كلها تحت ادارة مشرکه ، ولزياده الايصاح نقول : أنه لو اجتمع عشرة من الناس ويسبرع كل منهم بدفع جسيهين في الشهر ، لأمكنهم أن يؤسسوا مدرسه ابتدائية نعلم الفقراء من أبناء الامة ، وبؤدى خدمه جليله ، ولدينا جمعية العروة الوثقى بالاسكندرية (١) تقوم ملا على ذلك ، فهذه الجمعية ليست من الجمعيات الفنية ، ولكنها وصلت الى تأسيس ثلاث مدارس سائرة في طريق العلاج والحسين ، فالاراده وحدها كافيه لعمل أكبر الاعمال ، فما بالك لو أجمع عديد من الناس على ارادة واحده ورغبة مشرکه .

على أننا نرى المدارس الاجنبيه في مصر زاهيه زاهره ، غمبة بأموال التلاميذ ، نبني القصور وتشبيها المباني الفخيمة لمدارسها ، فجا على الراغبين في تأسيس المدارس الأهلية ، الا أن يبدؤا في العمل وهم يجدون من الامة أكبر اقبال ، ولا يخشرون في عملهم المبرور سيثا .

وقد علم الفراء أن صاحب العرة والعضل « حسين بك فرة جولى » (٢) عزم

(١) ظهرت فكره جمعه العروة الوثقى - أول الأمر - في فكر كل من جمال الدين الأماني ومحمد عده في باريس سكل سرى ، وأسا حريده بحمل هذا الاسم لاثاره الرأى العام في الامطار الاسلامية ، وبدعو للابحاد ضد الاستعمار الاجبى ، ثم ما لبث أن شكلت جمعة بهذا الاسم في الاسكندرية .
(عبد العظيم رمضان) تطور الحركة الوطنية في مصر من ١٩١٨ - ١٩٣٦ ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، عباس المعاد محمد عده، ص ١٣٦) .

(٢) أحد أعيان القاهرة ، من أصل تركى ، أول من استجاب لدعوة مصطفى كامل .
(الرافعى مصطفى كامل ، ص ١٣٩) .

غزما أكيدا على اساء مدرسه أهله ويريدهم الآن أن كبرا من فصلاء الأمة فدموا
لهذا الفضال شكرهم وثناءهم ووعدهم بمعاونته في العمل ومساعدته ، ونحن نعلم أنه
صادق العزيمه ، قوى الاراده ، حى الاحساس ، ولذلك نتظر منه نحقق أمسه
الناس ، ويشوف من اليوم الى مدرسه التي لا سك في أنها ستكون عامره بالمعلمين ،
زاهرة كثيره الفوائد على الأمة والوطن . وما رأياه في سعادته فره جولي بك أيام
الاعانة العسكرية الصمابه من الهمة والعزم يحق لنا أنه سينعد مشروعه الجليل
بعد قليل من الأيام .

وجملة القول أن الوطن في أسد الحاجات لوحود مدارس أهليه حرة نعلم
فيها الأبناء والبنات وكل مصرى يقوم بأسيس مدرسه أهليه يكون قد خدم وطنه
أجل خدمة ، وأسمها ويحق له أن يفاخر قومه بعمله ويصبح وبمس على الرأس
مرتاح الضمير .

أوروبا والاسلام ★

حاشا للاعترافات العمومية أمس بنى مدهش ، وهو أن جلالة السلطان الأعظم ، قبل انسحاب الجنود العثمانية من كريد اجاة لطلب فرنسا واسبانيا والروسيا وإيطاليا ، وقد اسهز أعداء الدولة فرصه ورود هذا الاعتراف فأخذوا يشنعون به ويطعنون على جلالة المنوع الأعظم ، ولو كان عندهم شيء من العدل والاصناف لقضوا على أوروبا ومدسها سر فضاء ، اذ أى لوم بسطع عاقل أن يوجهه لجلالة الخليفة الأعظم ودول أوروبا كلها منحزبة ضد دولنا العلية ، عاملة جهدها فى هجرة الثوار والعصاة ؟

وأن المصعب القبح صد الدولة العلية ورعاياها المسلمين لواضح لكل ذى عينين ، والا فتأى حق سوغ الدول لنفسها الداخلى فى شئون الدولة ، ولماذا تداخلت فى كريد ولم تتداخل فى كوبا والهند مثلا ؟ أليس لأن أساننا دولة مسيحية كانت تفك بالكوبين ، وانكلترا دولة مسيحية تفك بالهند مسلمين وعبر مسلمين ؟

ومن الأمور البديهية التى لا يصح النافسة فيها أن جلالة السلطان الأعظم من أكبر رجال السياسة فى هذا العصر ، وأنه باعتراف (غلادستون) (١) نفسه لا يرضى أبدا الرضوخ لمطالب أوروبا ورعائب المسيحية ومصلحة الأرمن (٢) لا نزال كلها براهين

(★) سرت بالمؤيد العدد ٢٥٩٠ فى ٩ أكتوبر ١٨٩٨ .

(١) ولم ايوارت غلادستون (١٨٠٩ - ١٨٩٨) سياسى بريطانى من حزب الأحرار برأسه من ١٨٦٨ - ١٩٨٤ دخل مجلس العموم عام ١٨٣٣ ، ووكيل وزارة الحرب والمستعمرات ١٨٣٤ - ١٨٣٥ ، من وزيرا للمالية من وزارات الأحرار التى ألغى كل من إيرل أيردين ومارستون ورسيل ، عين رئيسا للوزارة البريطانية أربع مرات ١٨٦٨ - ١٨٧٤ ، ١٨٨٠ - ١٨٨٤ ، ١٨٨٦ ، ١٨٩٢ ، ١٨٩٤ .

(٢) محمد شفيق عرنال وآخرون الموسوعة العربية الميسرة ، ج ١ ، ١٩٥٩ ، ص ٦٣٥ ، ٦٣٦ .
(٢) كانت روسيا دائمة على تشجيع الدلائل المسحقة ضد الدولة العثمانية المسلمة ، وبدأت جندور هذه المشكلة منذ عام ١٨٧١ ، الى أن وصلت الى حد مدسحة من العنصرين فى الرومل الشرعى قبل فيها عدد كبير من الأتراك ، ولم تحرك بريطانيا الا عندما بدأت تركيا تهيق وضرب أعداءها وتكسب الحولة الشاية .

(لمزيد من المعلومات يمكن الرجوع الى : اسكندر سعيد عموى : مرجع سابق ، ص ٢٧ - ٢٨)

على هجمات السياسة الأوروبية واعراضها في كل ما يخالف مصلحة الدولة العلية ، فادا كان حلاله السلطان الأعظم قبل خروج الجنود العنابية من كربد ونسلم الحزيرة بصفة نهائية الى أوروبا - وهو ما يرال مرناين فيه - فان ذلك يكون من اعتماد جلالته بأن أوروبا سوى السوء والشر للدولة ، وأنه لا نصبر لها بين الدول الأوروبية ، والعبره التي يجب اذا على كل مسلم أن يعتبر بها هو أن لا سلامه لنا الا بالاتحاد حول راية السلطنة السنية تميزها بكل استناعتنا وعدم الاعتماد على أوروبا في شيء ما .

والدى عرر بنا الى اليوم هو اعتمادنا بأن مدنيه أوروبا غرضها المساواة الحقة والعدل الصحيح ، وكنا نهدف ذلك عن سلامة نية ، ولذا احفنا طول هذا القرن بالاوربيين وأكرمنا منواهم ، ولقبنا بحاليمهم وارساداتهم بمزيد الارساج وصرا بنافس بعضنا البعض الآخر في تقليدهم والتشبه بهم ، ولكنا ضرعنا وسبلنا الكثير من عزنا ومجدنا ، ولم يبق الا أن نعتبر بالماضي ونعمل للمستقبل .

وقد كاد ينهي القرن التاسع عشر وبعد قليل بحاسب كل أمة نفسها عما كسبت ، وعما خسرت ، واذا حاسبنا نحن كذلك أنفسنا بحسنا الحسرات بعد الحسرات ورأينا هذا القرن في ضيائه وسنائه أعدى العرون للشرق والاسلام وأكبرها ضررا ، وما ذلك الا لأننا فرطنا فيه كل العريط ، وخالفنا أوامر الشريعة المطهرة ، فكان جزاؤنا ما كان .

أما الآن وقد أسمعنا الحوادث والأيام أن سلامه مصر والدولة العلية في الانشام والاتحاد والحذر من العدو والدخيل ، فلتنتنه للخطر المحدق بنا ، ولنعمل على اصلاح أمورنا ، ولم شملنا ليعود لنا مجدنا القديم وعزنا السالف .

التربية الوطنية ★

كتبنا أول الامس فى المؤيد معاله على التعليم ، أننا فيها الحالة السئنة السى وصلت اليها المعارف فى مصر ، وضروره اساء مدارس أهلية سعن عليها ، وعلم أبناءها ، واليوم نعود لهذا الموضوع نفسه ، لأنه موضوع حيوى يجب البحث فيه والكلام عنه حتى يظهر للوجود المدارس المعصوده ، ونسب الغابة المرغوبة . وقد لاحظنا أن كل مره نقرر فيها المؤيد أو غيره من الجرائد الوطنيه نصائح سأل الأمة اتباعها أو أظهر لروم انشاء سىء ما استحسن الناس كافة رأيه ، وقال كل واحد ، ولكن من الذى يعمل بهذا رأى ، ومن الذى بحسب هذا الداء ، ولاحظنا أن كل فرد يعتبر نصيحة الناصح موجهة لغيره ، لا له فذلك بلوم الآخرين على علم اتباعها ، وهو أول مقصر فى اتباعها .

ولذلك كانت نصائح الصباح عقيمة فى أغلب الظروف ، فيما أيها القارىء عود نفسك من الآن فصاعدا على اعتبار ما تقرأه من النصيحة أو اللوم موجهة اليك ، ولا تنتهم غرك بالنقص ، فأنت مسئول عن خدمة الوطن ، ككل مصرى وأنت مشترك فى جريمة انحطاط الوطن ان كنت مع المقصرين .

وإذا عرف كل فارىء من فراء المؤيد أن النصيحة موجهة اليه ، وأن الوطن ينادى أبناءه فردا فردا بلا تمييز فى الدرجة والرغبة والروية استلقتنا أنظار كل مصرى الى حالة الوطن الاسف وما وصل اليه فى هذه السنين من التقهقر والانحطاط على حين تقدم البلاد الأخرى ، وافئذ كل وطن برجاله وكل رجل موطنه ، وليس لداء مصر من دواء سوى فى التربية الوطنية الصحيحة القاضية بث روح الفضيلة فى نفوس الناشئين وتفهم كل واحد منهم تاريخ بلاده وواجباته نحوها وحقوقه الوطنية ، حتى اذا شب كل رجلا شهما ووطنا حرا يأتى الضيم لبلاده والاستعباد لقومه فينهض لاعتلاء شأن الوطن ورفعة الأمة سمعنا أطفال النزلاء هنا

(١) نشرت فى المؤيد العدد ٢٠٩١ بتاريخ ١٠ أكتوبر ١٨٩٨ .

ينتشدون الأناشيد الوطنية أمامنا ويهتفون بالدعاء لبلادهم وممالكهم على بعد المرات
فيستوفوا هذا المطر المؤثر ، ويملاً قلوبنا أسفاً على فقدان السيرة الوطنية من بلادنا .

ولقد أضاع البأس عند بعض النباه قوة الارادة وصدق العزيمة فنراهم يصيحون
كسالى وبمسون ولا ينشطون لعمل شئ من الأشياء ، مع أن حس الاعتقاد في الحال
حل سانه ، هو روح كل العائد وعماد سائر الأديان ، فكيف يجعل للبأس علينا
سلطاناً .

وما هو الباربع قائم بأحاديثه ، بينها الى أن كل أمه عمله لحريتها واحدهد
في سبيل الحصول على استقلالها بلغت مناسها وأدركت أحقيتها ، فلم لا نعمل نحن
كعبة الأمم التي كانت مستعبدة ، واستغلب ، فحن موت الوطن ينفي حما وعمه نا
في هذه الحياة قصيرة ، ولكن الوطن الطويل العمر محدود الأجل ، ولقد سمعت مرة
المسيو (ساري ديبوي) رئيس وزراء فرنسا سابقاً يخطب على سكان قرية فرنسية
بمناسبة اقامة نمنال لالحد أبنائها الذين أخلصوا للوطن الفرنسي وخدموه بأمانه
وفاء ، فالتفت الخطيب بعد أن أتمنى خطبه بالسنة على فرنسا نحو بلامذه هذه
القرية ، وقال « علموا هؤلاء الناشئين أن فرنسا أول البلاد وأسرفها وأن أمسا أحل
الأمم وأكرمها واملؤا قلوبهم وطنية لفرنسا ، فربما خرج منهم رجل رفع الراية
الفرنسية الى أعلى مزار وسار فالوطن في طريق السعادة والفرح » .

والنوم أنا أفق أمام أمني هذا الموقف وأناذى أبناءها بصوت الصعيق « ان
كسم لا يؤملون لمصر حراً وأنتم أحماء مع أر ، المسنفل بيد الله وحده – فربوا أبناءكم
واتركوا لهم الراية الوطنية ، مبرانا وعلموهم أن مصر حر الأوطان وأسرفها وأن
أمننا العريضة أعرض الأمم في المدينة وأكرمها وأن الموت خير من الحما بفد الحربة
والاستقلال ، فنبشون على محنه مصر ، وبهصون وهم رجال لتخلصها واسعادها » ،
وأن أساس التربية الوطنية هي تقوية ملكة اللغة الوطنية عند الناشئين أي نعلم
اللغة العربية الجلية جيداً ، وندرس كل العلوم والمعارف باللغة العربية وقد أدرك
الانكسر ذلك ، فمهموا اللغة العربية بما لهم من القوة والحلول ودكوا أساسها وفضوا
بنانها ، فأصبحت غريبة في ربوعها ، كما أصبح الناطقون بها عرباء في ربوعهم
رأجاب في بلادهم .

ومادنا مضطرين لتلقى العلوم والمعارف بالامات الأجنبية ، فكيف نرقى الى
أوج الكمال ونبلغ درجة الأمم الأخرى ، وما تقدمت هذه الأمم الا بعوية ملكة لعنها ،
وتدريس كل العلوم بها ، بل بلغت عناية الأمم الحبة بلغاتها أنك اذا مررت في شوارع
مدائنها لا تجد كلمة واحدة مكتوبة على حوائنها أو محلات التجارة فيها بلغة أجنبية .

وأذكر بهذه المناسبة ما قصه لي صديق من المجر ، من أن رجلاً محرباً دخل مرة
مطعم فوجد فيه خادماً صغيراً يجهل اللغة المجرية ، فنادى صاحب المطعم ووبخه
أمام الناس كافة قائلاً له : « كيف نكون مجرياً ويجهل خادمتك اللغة المجرية ؟ » .

ثم وعد الخادم بإعطائه فلوريو (أى عشرة مروس صاع بقرىبا) على كل كلمة يحفظها
من اللغة المجرية .

وبجد لكل أمه حبة أملا سعلق باللغة يعضد بها نشريف اللغة الوطنية على
غيرها من اللغات كهولهم فى المجر مثلا « اللغة المجرية لغة الخالق » .

أما نحن . فعند سلمنا أولادنا لنظاره المعارف النى فقلل فيهم كل عاطفة شريعه
وتمبت اللغة العربية بقدر استناعتها على أن اللغة هى العامل الأول لحياء الأمم
واستقلالها .

فيا أصحاب الهمم من بنى مصر . ويا ذوى العزائم أجيبيوا استغاثة الوطن
الحزين ، وانهضوا لتأسيس المدارس الأهلية ، ويكفى الواحد منكم أن يؤسس فى
بادىء الأمر مكتبا فى قريته أو بلده فأول القتب قطر ثم بنهمر .

الداء والدواء ★

امتلات الارض بأخبار فتسوده (١) ، وشاع في كل الأنحاء أن الحرب أصبحت بين فرنسا وانكلترا قاب فوسين أو أدنى بسبب هذه المدينة الأفريقية المصرية ، وقد أخذ الحب منا مأخذه بسبب ذلك ، وأخذنا نسأل كيف أن دولتين عظيمتين تعرضان أساءها الإبطال للنساء والدمار بسبب بلد أو قرية تركناها نحن غير آسفين ، وإذا كانت هاتان الدولتان نعان الى هذا الخدم فسوده ، فكيف أهملنا نحن أمر السودان ، بل كيف أهملنا أمر بلادنا العريضة كلها ، بل كيف نمر علينا الحوادث المزعجات ونحن بغير حراك ننفرح عليها كأنها واقعة على عرنا لا علينا .

اللهم ان الجواب على هاته الأسئلة كلها بسيط ، وهو أن الأمم الأوروبية أهم حجة عرفت قيمة الحياة وعرفت أن دعامة المجد والنسرف هي الوطنية الحقة والعمل على خدمة الأوطان ببسالة وإقدام ، فظهر في أبنائها كل شجاع معدها مقتحم الأخطار ، بعد الأخطار ، ويرجع ممن الأسفار في البحر والبر طالبا للملاحة عزاء حديدا ومجدا نلندا ساعيا في توسيع نطاق أملاكها ، ونشر سطوتها وحكمتها ، ولذلك ارتفعت الأمم الأوروبية شأنها ، وسمت قدرا وانتشرت سيطرتها على الشرق والشرقيين .

ومن ذا الذي لا يعجب برجل كمارشال (٢) قصي السنين هو ورحاله من بران الحر والجوع والعذاب والسهر والألم حتى وصل الى بغبته ورفع الراية المسلمة الألوان

(★) شرت في المؤيد العدد ٢٦٠٢ ساريح ٢٤ أكتوبر ١٨٩٨ .

(١) فاسوده (كودوك) مره سودانية حدث بها معركة في يولي ١٨٩٨ من القوات الفرنسية الزاحمة من العرب بقيادة القائد الفرنسي (مارشان Marchand) بهدف الضغط على العود البريطاني الذي بدأ يستمر داخل أفريقيا ، وقد أنهت إنجلترا هذه المعركة بقوة معطها حدود مصريون بقيادة كنسر رافعة سمار أنها أرض مصرية تدافع عنها إنجلترا الصديقه ، ولكنها كانت بداية صراع سياسي بينهما فيما بعد (للفصل يمكن مراجعه محمد فؤاد شكرى مصر والسودان ، عند الرحمن الراجحي ، مصطفى كامل) .

(٢) جان نابيسب مارسان (١٨٦٣ - ١٩٣٤) مكسب وصابط فرنسي حارب في فاسوده ، ثم اشترك في معارك الملاكين عام ١٩٠٠ في الصين ، كما اشترك في الحرب العالمية الأولى في صفوف بلاده (محمد شعيق عربال وآخرون الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٦١٥) .

على فشوده ، بل من ذا الذى يستطيع أن يكر على رجال كهؤلاء الرجال سحاعهم
وأفداهم ووطيسهم ، ومن ذا الذى منا معاصر المصريين الشاعرين بخطارة الحال
ونعاسة الوطن ، لا يبكى السقاء السديد ويحسر من صميم فؤاده عندما يرى أبناء
الأسم الأخرى متعاضدين متحدين عاملين فى الليل والنهار لسعادة أوطانهم على حين
أناء مصر فى شعاع وافراى ، لا تحرك الا نعوطف الحسد والشحناء ولا نهر لدمار
بلاد هى بلادنا ، وسعاء وطن هو وطننا وخراب معاهد الآباء والأجداد وهى هى وحدها
مجدنا وفخارنا •

وانا مع عظيم كراهنا لهم فى كل وقت وفى كل بلد بأنهم معصبون على
ناكون للعهد والمساى معجب عابة الاعجاب بعانهم فى خدمة الوطن البريطانى
واتحادهم فيما بينهم لاعلاء شأن بلادهم ، وغاية آمالنا أن توجد فى المصريين هذه
العواطف السامية التى سدد الملك البريطانى وسدد السلطة البريطانية •

وفد بحب كتاب مصر كثيرا فى أسباب اضمحلالها وتأخرها ، وذهب كل منهم
مذها فى شرح العلل والأسباب ، أما أنا فقد فلت من أول يوم اشتغلت فيه بمسئلة
بلادى ، وقمت () وتأخرها وابعدام الرربة الوطنية الجنسية من بيننا
وجهل كل فرد لواحيانه نحو الوطن وحقوقه فى هذا الوطن ، فمتنسا عن ذلك ظلم
القادر للضعيف وسكوت الضعيف عن حقه ضد القادر واستقال كل فرد بنفسه وعدم
اشتغال أحد بالوطن ومصالحه الكبرى ، واصلت بهذا السبب ذاه عروة الاتحاد
بين أفراد الشعب لأن أصل الاتحاد فى كل أمة شعورها بايجاد مصالحها ، واتحاد
واجباتها نحو الوطن المشترك ، وطالما اعتقدت أمسا ولا برال فى أمائنا من يعتقد
أن الحكومة هى المسئولة وحدها عن كل شئ يعبد البلاد ، وأن لاحق للأمة فى عمل
شئ بغير اذن الحكومة ، وأمرها ورسخ هذا الاعتقاد فى النفوس حتى اننا لا نزال
نرى فى مصر رجالا يقدسون خدمة الحكومة وبرون العار منهى العار فى الكسب
خارجا عنها ، فاذا اسبجى المصرى كل أسباب الانحطاط ، وأدرك أن جهل الأمة أولا
واستعدادها بأنها آلة فى يد الحكومة ثانيا وانحلالها ثالثا ، وفقدان العقيدة رابعا
واستبداد الحكام خامسا ، وقبول كل شئ من الأجبنى سادسا ، وطمع الأحتبى قبنا
سابعا • كيف نأحرنا وكيف صارت هذه البلاد العزيرة تحت تأثير الانكايز الثقيل •

فهذه أدواء مصر بل هى بعينها أدواء كل بلاد المسلمين ، فما هو الدواء وأين
يوجد هذا الدواء وما ثمن هذا الدواء ؟ •

أما الدواء ففى التعليم الصحيح وفى الرربة الصحيحة ، فهما اللذان برلان
الغباوة من الشعب ويهرمان حوش الجهالة وهما اللذان يعلمان الأمة أنها صاحبة
الكلمة الاولى فى بلادها وأن رجال الحكومة ليسوا الا عمالا لها وحدها لمصالحها ان
رصىت عنهم ، حفظوا مراكزهم ، وان سخطت اغنرلوا الاعمال ، وهما اللذان يجمعان
كلمة الأمة ويوحدان رابطة مسه من سائر الأفراد وبعضها حتى اذا حل بالوطن
أمر جسام قامت الأمة كلها كأنها رجل واحد وهما اللذان يوحدان عند الأمة عفة

دينية صحيحة بها ننصلح أحوالها (١) كما أهما يوجدان عندنا
عقيدة وطنية نهز لها الجبال نفسها ويسهل أمامها كل صعب وكل عسر وهما
(أى العلم والتربية) اللذان يردعان الحكام عن الاستبداد وبهما فى الأمة
قسطاس العدل والاصاف وهما اللذان يرفعان من شأن التجارة الوطنية والصناعة
الأهله ، فلا بشرى الفرد الا من تجاره وصناعة بى حسه ، ولا يترك الماخر
والمصانع الاحسنة تقبل المهاجر والمصانع الوطنية ، وأحبرا هما التعليم والتربية
واللذان يعفان أمام الأجنبى كاسدين كاسرين يدفعان عن الوطن هجماته واعداه
ويحفظان للراية شرفها وللعلم مجده وحلاله .

فها هو الدواء أبها المصريون ان أردتم لبلادكم حرا ولوطنكم برا ولأنفسكم
عادة ، ولأننا نكم من بعدكم مجدا وسؤدا بعلكم فيه ، وما هو عزيز عليكم بل
هو عندكم وفى بيت كل واحد منكم وما يحبه الا همه من الأغنياء وهمة من النبهاء ،
فان فصرنم فأنتم وجدكم المستولون عن مصائب هذه البلاد الخالصة ، والآتية وعار
على المصرى أن بعضى حباته فى الطعن على أمته وبلاده بدون أن يخدم وطنه وخدمه
جديرة بالذكر مع أن الأجنبى يعدم حياته وفوته بل وعمره ضحية للوطن وقرانا .

وإذا كان الأورسوس مع فوه أوطانهم وسعاده بلادهم يفتحون الآقطار الواسع
دائرة سلطانتها وزيادة عدد مستعمراتها ، فكيف لا نهتم نحن معاشر المصريين باتخاذ
الوطن العزيز واعادة قوته ومجده اليه ، بل كيف نعتبر الاوروىي بوسيع أملاك
بلاده فرضا مفدسا عليه ولا يعتبر المصرى اعادة مصر لنفسها واحدا محنما وأول
القروض .

اللهم هب أمة مصر العريزة رحالا من أبنائها ينهضون بها ويرفعون شأنها ويردون
للوطن حياه واستقلاله ويجعلون لراية مصر بين رايات الأمم المحل الأول والمقام الأعلى .

(١) عباره لم نقرأ فى الجريدة .

شرف الراية ★

يرى العالم الآن منظرا من أغرب المناظر وأعجيبها وهو منظر أمين عظيمتين (١) الأولى منهما واقفة بطالب بابلعها مصر ووادي النيل ويدعى حقوا على السودان لا بدري من الذي أعطاهما إياها ولا بدري ما هي تلك الحقوق والسودان فائض بدعاء المصريين السعساء ، ومال مصر الأسيفه • والباية واقفة ندافع عن سرف رايتهما الماسه الألوان الجامعة على فنسوده بجيب انكلترا على مطالبها بأبلغ جواب ، ويرد عليها بأحكم رد ، بقول لها ان كان السودان لمصر والسلطان () معي وان كان لأول فانسح مانا فنحب فبيلب ومصر سطر الى هابين الدوليين العظيمين بعير الاستغراب بل بعين ملؤها عيرات منمنطرة السبيجه وما وراء السبيجه •

يطن قوم ان الحرب بين فرنسا وانكلترا فاب فوسين أو أدبي ، ويطن آخرون ان جلاء فرنسا عن فنسوده فريب لاريب فيه • ولكن الذي يجب أن يانعت اليه المصري ويعنبر به هو أن فرنسا بدافع عن سرف رايته وانكلترا بدافع عن آمالها وأطماعها وحكومة مصر الأسيفه تسبال انكلترا أن ترد اليها السودان كله أي أن تطرد فرنسا من فنسوده •

ولو قرئ خطاب الحكومة المصريه هذا على رجل بعينه عن مصر غريب عنها جاهل بأموالها ومركزها السياسي لقال : و أنعم بحكومة مصر من حكومة محافظة على حقوقها غيرة على آملاكها وأنعم بحكومة انكلترا من حكومة سفوفه على مصر رحيمة بالضعفاء ، عدوة لكل معادل ••• ولكن المصريين الذين عرفوا حالة بلادهم ومجرى سياستها فر-وا خطاب الحكومة المصريه للحكومة الانكليزية بمزيد من الكدر وعظيم الألم ، اذ أنهم يعلمون كما يعلم حصرات الوراء الفخام أن مصر لا سلك نفسها فكيف أكون عنيدا وأطلب أن أسنري بل كبف بطالب وزارة مصر انكلترا أن ترد اليها السودان فهل انكلترا هي الدولة العليا ؟ أو ليس هذا الخطاب في هذه الظروف من أكبر

(*) نشرت في المؤيد العدد ٢٦١١ بتاريخ ٣ نوفمبر ١٨٩٨ •
(١) الجلترا وفرنسا •

المجالات ، وأى خجل يسبب على المصرى منا . اذا اجتمع الفريسيون يقول « بلادى
يدافع عن رايها » وانكبرى يقول « بلادى يطالب بما أرادته لنفسها من الاملاك
ويدافع عن آمالها ومطالبها . . . عندئذ ماذا يستطيع المصرى الحزين أن يقول لأقوال
له غير اللهم هب مصر وزراء يعرفون أنهم أبناء مصر وانهم وزراء مصر وأن مصر
وطن لهم ولآبائهم من قبل ولآبائهم من بعد وأن أول واجباتهم المحافظة على سلامتها
والموت فى الدفاع عن حقوقها المقدسة .

★ الأمة والأمير

يُعود المصريون من أول يوم ظهر فيه سمو العباس بمظهر الأمير المحب لشعبه المطالب بحقوقه العصور . على الوطن وبنيه ، باصطهاد الانكسار للمخلصين لسيدته واشتهارهم أعداء للمصلحين بأريكتيه ، وكلما التفت الأمة بأميرها المعظم وبأجبه ونأجها رأينا الغل يملأ صدور المحلّين . ورأيناهم يحلقون الحوادث المكدره لهباء المصريين المنسوسه لأذهانهم وكان الانكليز في أمينا المصريه العريزه كما يقوله عنها خصومها وأعداؤها أنها أمة لا شعور لها ولا احساس عند أبنائها ، وأنها تحترم الحاكم لأنه صاحب السبلطه وبحيى الأمير لأنه القابض على رمام الأمور . فكانوا يحسبون أنهم باضطهادهم المخلصين للسيد العباسيه يفعلون العواطف الوطنيه في مصر ، ويردون المصريين عن أبواب الأمر المعظم . ولكن ساء حالهم وحابت مساعيهم وجاءت النتيجة بعكس ما كانوا ينتظرون وبغير ما كانوا يؤملون ، فلهذا ارداد نعلق الأمة بأميرها ، وباردياد جرحهم لعواطف الشعب وأمياله .

ولابدع اذا كان نعلق المصريين بسمو العباسي في هذه الظروف من أسرف الاربعيات التي يهتز لها العاقل طربا ويباهي بها المصري . عجبا نعم هي عواطف سامية وأريحية سريفة تدل على ان الأمة المصريه أمة ذات شعور وإدراك يقول لها المحتلون : « اننا أصحاب السبلطه والكلمه والنفوذ والحل والعقد ، ومن احمل بالحدود ورفع له الرايات والأعلام عافيه أسفه عفا ، ومن جارانا على أُميالنا وابعد عن العباس ساعدناه وفربناه وجعلنا له الشرف الأعلى » فنجيبهم الأمة بصوت واحد وما هو الا ترجمان ما في القلوب « قولوا كما أردتم أن تقولوا وهددوا ما استطعتم أن تهددوا فاسا لا نحاف التهديد والوعد » وان كان لكم سلطان على الاجسام فما لكم من سلطان على القلوب والأرواح ، نحن نحب العباس لأنه أمير شريف الاحساس رفيع العواطف يحب الشعب حبا صادقا وأول آماله بل كل آماله أن يرى وطنه

(*) نشرت في المؤيد العدد ٢٦١٢ تاريخ ٥ نوفمبر ١٨٩٨ .

وقد قصد مصطفى كامل بهذا المقال التعبير عن حب الشعب للخديو سيد ثمره طالما استعملها الإحتلال وهو إحلال الضعيفه بين الحاكم المصري والشعب محل الحب والمآل لها مرحه تستعمل لوجوده .

حرا مسنهدا عزيزا قويا ، وان اردتم ان يعرفوا قوى ذلك من أسباب بعلنا يعزير مصر فلنا لكم اننا نجبه لانكم لا نجبونه ولأنا لا نجبكم . وكان الأجدر بالانكليز أمام اجتماع القلوب في محنة العزيز أن سحولوا عن هذه الحطة الدنيئة التي ساروا عليها مع الشعب والأمير . ولكن امصبت سياسه الاسهام العبيج أن يكون رجال الأمة البريطانية . التي أفسمت بسرفها وسرف ناحها أن تؤيد الكرسي الحديوى ، وبخط اصحاب النيل ملكه وسرف مقامه أن يكونوا هم بأنفسهم المعبدن على هذه السلطة الشرعية والمعارضين للأمة في نمسكها بعرض أميرها وولى أمرها .

أين اليوم سرف بريطانيا ؟ أين اليوم سرف الباج الانكليزى ؟ وأن اليوم العهد والمواثيق بل أين رجال السياسه البريطانىة أنفسهم ، ما بالهم لا يبهرون ما يجرى بهر ، وكيف يقوم المحبلون وآلات المحتلين باحترام العهد والوعود . ما بالهم لا يسمعون ضجيج الأمة المصريه ضد المحتلين وبهليلها لأمرها المعظم ، أما من سبيل لسماعهم هذا الضجيج وهذا الهليل لندموا على الأقل على ما فرط منهم من الوعود والأقسام .

احفلت الأمة بالامير المعظم في العام الماضى ، مما عاد لعاصمة بلاده حتى أوعز صنائع المحتلين الى سفله لا أخلاق لهم بالطعن على الحصره الحديوية ، فكانت قصيده السفهاء ، وكان ما كان في أمرها ، وفامب الأمة هذا العام بأكرم مظاهره لأكرم أمير وسافوا مدير البحيرة (١) للمحاكمة ، كأنه جنى جباية لا تعسر أو أتى دنبا كبيرا .

وكان المحتلين سعروا بأن ميل الامه لأميرها المعظم في ارداد فأرادوا أن يكون اعتداؤهم هذا العام ينسبه انعطاف الأمة بحر أميرها ، فجعلوا فيسبهم سعادة المفضل أحمد خيرى باشا . بعد أن كانت العريسة في العام الماضى علما نأبى العفضيلة ذكره ، واننا لا تهما نتيجة المحاكمة اذا عرص المحتلين من الحاكم ظهر وبان سواء أعلنت المحاكمة براءة المدير أو أنكرت براءه . فقد أصبح في عداد الشرفاء الأجلء الذين اضطهدهم الاحتلال ليضطهد في أسخاصهم الأمة والامير ، وما أكبر هذا الشرف في أعين العقلاء بل ما أعظم هذا الينسان الذى أهده الاحلال لسعادة المفضل خيرى باشا .

(١) وهو أحمد خيرى باشا الذى سعل منصب ناظر المعارف في ٢٨ أغسطس ١٨٨٢ ، ثم الداخلية في مايو ١٨٨٣ ، وفي ١٨٩٨ عين مديرا للبحيره ، وقد جعل مرور الحديو بمديريه لدى عودته من المصيف في ٢٥ أكتوبر ١٨٩٨ ولم يرق هذا في عين الانكليز ، فطلبوا محاكمه بجهة ارفع الأهل على اعادة الزيئات ، ورغم تكذيب الشعب لهذا الادعاء الا أنه عقد له مجلس نأديت في ٥ نوفمبر ١٨٩٨ وحكم باحالة الى المعاش .

(أحمد شوقي : مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ القسم الأول . ص ٢٧٣ ، ٢٧٤ ، فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصريه ، القاهرة ١٩٦٩ ص ١٢٤) .

أما أنت أينما الأمة المصرية العزيزة مسيرى فى خطبك نحو أميرك ، وابقى
على عهدك وكلما زادوك اضطهاد اردادى ولاء واحلاص ، وما بى فى التعليق بصاحب
النيل وسيد مصر الشرعى تلك من الوطن العرير حريل الحمد وجميل الشكران ،
وهادامت هذه خطتك وهذا احساسك مسيرى نفسك بالسلامه والنجاء وعرب بحقيه
الآمال والله على ما يشاء قدير .

شماتة وتهويل *

ما أعلى جبر جلاء فرنسا عن فشودة حتى صاحب أبوا الضلال بالشماتة في مصر والمصريين، وهددت المصريين المحبين لبلادهم المبادئ بحريتها المطالبين باستقلالها المذكورين لانكلترا بعهودها ووعودها وأقسامها وكان جريدة المقطم حسيبت الفرصة مناسبة لإعلان هذا التهديد فأعلنه بشكل يعهم منه السدج أنها مكلفة أو مأمورة من الانكليس بنسره مع أن جريدة المقطم تعلم كما يعلم سادها ومعبوداها أن المصري للعلو ببلاده لا يخاف التهديد والوعيد لأن احساسه الوطني فوق كل احساس ، ومن كان قوى العفيدة باب الفكر والرأى فلا الوعيد يرهبه ولا المدافع برعجه فليقل المقطم ما شاء أن الانكليس لا يحملون معارضتنا لهم أكثر مما احتملوا ، فتجن نؤدى الواجب علينا نحو الوطن العزيز بكل رزانة وبكل نبات وبدون أن تموت في نفوسنا الآمال أو يضعف عندنا الرجاء فالمستقبل ببد الله وحده وبدبره كيف يشاء .

أما ما بقوله جريدة المقطم من أن الانكلز لا يحرجون من مصر أبدا فهو قول العدو الشامات والدجيل الكافر بالعممة ، فليعمل أفراد المصريين الذين يعرفون هذه الصحيفة الشماتة معنى هذه الشماتة ومعنى هذا التهويل وقد كانت هذه الصحيفة نفسها تشير على المصريين بالمسالة ، ونقول لهم « ان سالمتم الانكليز حرجوا من دياركم » فلما جاء الوراة العهمة ، وسالمت بل وسلمت كل ما سلمت رأى المصريون أن المسالة ليست الا استسلاما وموتا وهوانا ، فسخطوا على هذه الخطة السخط الشديد وحضرات النظار أنفسهم يعرفون ذلك جيدا ، فلما رأى فلاسفة السوء والضلال أن نتيجة نصيحتهم لم تكن الا خرابا ودمارا لم يخجلوا من أن يقدموا النصيحة نفسها قائلا « ان لم نسالموا أيها المصريون لآتنم كل أنواع العذاب » وهكذا شأن العدو والمذلس والكذاب الخداع .

وقد انتشر سماسة السوء يشيعون في كل مكان أن خروج فرنسا من فشودة

(*) نشرت في المؤيد العدد ٢٩١٤ في ٩ نوفمبر ١٨٩٨ .

جر على مصر البلاء العظيم ، وحديا ، ولا يبيع انكلترا من اعلان الحماية على مصر .
 الا رمن قليل ، وعبر ذلك من الحرجات والأكاذيب التي لا يعقلها عاقل ولا تصدقها
 الاطعان فضلا عن الرجال ، فاستجاب فرنسا من فسوده لا يدل على ان الكلمة الاخيرة
 في المسئلة المصرية قد قبلت أو أن فرنسا قبلت بقاء الانكلترا في مصر الى ما شاء الله ،
 وان كاتب فرنسا جعلت حلاها عن فشوده صحيحة لسلام أوروبا فهل نعمل اعلان
 الحماية على مصر وامانه كل مصالحها الحالية والمستقبلية في مصر وافريقه والشرق
 الأقصى ؟ وعلى فرض أن مصر فقدت من فرنسا كل عضد وكل نصير . فآين الدولة
 العلية حتى تعلن انكلترا الحماية على مصر ؟ وآين المانيا التي مهمات انكلترا في
 احتلالها لمصر لتكند لفرنسا - تعلم علم اليقين أن مصر من السلطنة السسه روحها من
 الخلافه مؤادها ، وان اتفاقها مع تركيا واحادها نفسها لا تكون له أساس بل لا يكون
 لها وجود اذا ضاعت مصر من يد الدولة العلية ؟ وهل يظن المصريون أن جلالة
 السلطان الأعظم الذي شهد له العالم كله بالدعاء السياسي والحرص الشديد على
 سلامة الدولة وسرك مصر لبحرج من فضسه . على حين أن ألمانيا هي المساعدة
 على ذلك .

لا تصبروا أيها المصريون بأفوال الأعداء المدلسين ولا تجعلوا للأوهام عليكم
 سنطانا . بل اعمدوا بالله وبوكلوا عليه واعلموا أن الدال حبالى وادا كان اليوم
 لب بطاننا فقدا لكم ولتذكروا قول الرسول الكريم عليه الصلاة والسلام . (مصر كانه
 الله في أرضه من أرادها بسوء قصمه الله) .

مدرسة مصطفى كامل ★

حضره مدير جريدة المؤيد :

علم فراء جريدكم العراء أن المدرسة المسماة باسمي بباب الشعريه قد آل
أمرها الى وأصبح شيعي المدير لها .

واني أعلم أن حمل المدرسة ثقل ، وأنسابها كيرة ، ونفقاتها طائلة ، ولكني
قبلها بكل ارنياح ، أملا مني في خدمة أباء الوطن العزيز ، ونرفيه
مدارك الناشئين .

واني أشرف اليوم باعلان الجمهور أن التعليم في هذه المدرسة مفرون بالنربية
الاسلامية المحضة ، لأن أساس النربية الدين ، وكل أمة نربي أبنائها على غير قواعد
الدين تكون عرصة للدمار والانحطاط ، وقد رأيت بنفسي في أغلب مدارس أوروبا
اهتماما فائقا ، بتعليم الدين المسيحي للناشئين ، لذلك عولت على جعل الغرض الأول
من المدرسة نرفيه الملكة الاسلاميه عند النلاميذ ، وتمكين مبادئ محبة الوطن والاسحاد
والائتلاف من نفوسهم ، وتقديم اللغة العربية ثم اللغة التركية على كل لغة مع نرك
الحربة التامة لأباء التلامذة في الاخسار لأبنائهم بين اللغة الفرنسية واللغة
الانكليزية . ورغبة مني في نفع أبناء العقرات فررت قبول ثلاثين في المائة منهم
مجانا . أما مصاريف المدرسة فهي كمصاريف المدارس الأميرة الابتدائية ولا يكلف
آباء التلامذة بشئ الكتب والأدوات ، بل بصرفها المدرسة ، لجميع التلامذة
على السواء .

(بلا) لفرق في جريدة المؤيد ، في ٢٨ مارس ١٨٩٩ .

وانى أسأل الحق سبحانه وتعالى أن يوفىنى وجميع المصريين لخدمه الوطن
العزیز ، الذى أرى السعاده الكبرى فى التعانى لأجل سعاده .
هذا ، وأرجوكم أن تفضلوا بنشر هذه الكلمات فى محلات حريديكم ، وأن
تقبلوا الخ ...

المراجع

باللغة العربية :

- إبراهيم عبده (دكتور) . جريدة الأهرام - ناريج مصر فى ٧٥ سنة
الفاهرة ١٩٥١ .
- أحمد أمين : زعماء الاصلاح فى العصر الحديث ، القاهرة ١٩٢٨ .
- أحمد حسين سرف الدين : المس عبر التاريخ ، القاهرة ١٩٦٤ .
- أحمد شفيق :
- ١ - مذكراتى فى نصف قرن ، الجزء الاول ، القاهرة ١٩٣٤ .
- ٢ - أعمالى بعد مذكراتى ، القاهرة ١٩٤١ .
- أحمد صادق سعد : ناريج الدين المصرى العام - المالى والساسى ١٩٤١ .
الفاهرة ١٩٤٤ .
- أحمد عبد الرحيم مصطفى (دكتور) . كامل جرجس : أورنا المعاصرة ،
الفاهرة ١٩٥٠ .
- أحمد نجيب هاسم ، محمد مأمون حنا . أطلس القرن التاسع عشر ،
الفاهرة ١٩٣٨ .
- اسكندر سعيد عمون . الامتازات الأجنبية والأقلبات المركبة ، الفاهرة د.ت .
- السيد مصطفى سالم (دكتور) . بكوبس البس الحديث ، ١٩٠٧ - ١٩٤٨ .
الفاهرة ١٩٧١ .
- السيد رجب حرار (دكتور) . أفريقيا الشرقية والاستعمار الأوربى ،
الفاهرة ١٩٦٨ .

- الباس زاحورة . مرآة العصر في تاريخ ورسوم أكابر مصر ح ١ .
القاہرة ١٨٩٧ .
- أمين سامي :
- ١ - المعلم في مصر ح ٣ . القاہرة
- ٢ - تفويم السبل ح ٢ . القاہرة ١٩١٨ .
- أنور الرفاعي ، ساكر مصطفى . العالم الحديث . دمشق ١٩٥٠ .
- سير زوفان : تاريخ العلاقات الدولية ١٨١٥ - ١٩١٤
عرب جلال يحيى (دكتور) ط ٢ . القاہرة ١٩٧١ .
- سودور رودستين :
- ١ - تاريخ المسألة المصرية ١٨٧٥ - ١٩١٠
ترجمة عبد الحميد العبادي ومحمد بدران ط ٢ . بيروت ١٩٨١ .
- ٢ - تاريخ مصر قبل الاحتلال وبعده . القاہرة ١٩٢٧ .
- ٣ - فصول من المسألة المصرية . ترجمه عبد الحميد العبادي ، محمد بدران
القاہرة ١٩٥٦ .
- روت عكاشة (دكتور) مصر في عنون الغرباء . القاہرة ١٩٨٥ .
- حرانت أ.ج . هارولد مبرلي . أوربا في القرنين التاسع عشر والعشرين ،
ترجمة محمد علي أبو دره ح ٢ ، القاہرة ١٩٦٧
وترجمة أخرى لبهاء فهمي ، القاہرة ١٩٥٠ .
- حرجس سلامة (دكتور) .
- ١ - أثر الاحتلال البريطاني في المعلم القومي في مصر ، القاہرة ١٩٦٢ .
- ٢ - تاريخ المعلم الأجنبي في مصر ، القاہرة ١٩٦٢ .
- الجمعية المصرية للدراسات التاريخية : مصطفى كامل - مجموعه بحوث ألفيت
بمناسبه مرور مائه عام على مولده . القاہرة ١٩٧٦ .
- جوليب آدم . انحسار في مصر - عرب علي فهمي كامل ، القاہرة ١٩٠٨ .
- حون مارلو : تاريخ المهبط الاستعماري لمصر . عرب عبد العظيم رمضان
(دكتور) . القاہرة ١٩٧٦ .
- ...- حنري براون : المدنيه الأوربية في القرن التاسع عشر ، ترجمة محمد أحمد علي
مراجعة محمد أببس (دكتور) . القاہرة ١٩٦٦ .

- حسن العمى (دكتور) : التاريخ العفاى للعلفم ، القاهرة ١٩٦٦ .
- رسبد رضا : تاريخ الأساذ الامام ج ١ ط ١ القاهرة ١٣٢٤هـ .
- رؤوف عباس حامد (دكتور) : مذكرات محمد مربد القسم الأول ، القاهرة ١٩٧٥ .
- رفسه فطاوى ، جورج فطاوى : محمد على وأوربا ، نعرب ألفرفد فلوذ ، القاهرة ١٩٥٢ .
- زكرفا سلفمان بومى (دكتور) :
- ١ - النبارات الساسنة والاجتماعفة بن المجددفن والمحافظفن ، دراسة تاريخفة فف فكر الشفبف محمد عففه ، القاهرة ١٩٨٣ .
- ٢ - الحزب الوطنى ودوره فف السفاسة المصرفة ، القاهرة ١٩٨١ .
- سامى عزفن (دكتور) الصبابة المصرفة وموقفها من الاحتلال الانفلزى ، القاهرة ١٩٦٨ .
- سمفرة بفر (دكتور) : الأقباط فف الحاة السباسبة المصرفة ، القاهرة ١٩٧٩ .
- شوقى الجمل (دكتور) :
- ١ - تاريخ كشف أفرفبا واسعمارها ، القاهرة ١٩٧٥ .
- ٢ - قضاة رودبسا بن الأمم المتحدة والمنظمة الأفرفقة ، القاهرة ١٩٧٧ .
- صبرى أبو المجد : محمد فرفد ، ذكربات ومذكرات ، كئاب الهلال العدد ٢٢٣ .
- طارق البشرى : المسلمون والأقباط فف اطار الجماعة الوطنية ، القاهرة ، ١٩٨٠ .
- عباس العفاد : محمد عففه ، أعلام العرب ، العدد الأول ، القاهرة د.ب .
- عبء الراففم الراففى :
- ١ - عصر اسماعفل ج ١ ، ٢ . القاهرة ١٩٤٨ .
- ٢ - عصر محمد على ط ٣ ، القاهرة ١٩٥١ .
- ٣ - الثورة العرافة والاحتلال السرفطافى ، القاهرة ١٩٦٦ .
- ٤ - مصطفى كامل ناعث الحركة الوطنية ، القاهرة ١٩٦٢ .
- عبء القدوس الأصارف : تاريخ ماسة حففه . حاة ١٩٦٣ .
- عبء المفعم الجمبفى (دكتور) . الحدفوى عباس حلمى الثانى والحزب الوطنى ١٨٩٢ - ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٨٢ .

- عبد المنعم النمر (دكتور) كهاج المسلمين في تحرير الهند : القاهرة ١٩٧٤ .
- عبد العزيز سلبمان نوار (دكتور) : التاريخ المعاصر لأوروبا ١٨٧١ - ١٩٤٥ ، القاهرة ١٩٧٧ .
- عبد العظيم رمضان (دكتور) :
- ١ - الجبش المصرى ودوره فى السياسة ١٨٨٢ - ١٩٣٦ ، القاهرة ١٩٧٧ .
- ٢ - تطور الحركة الوطنية من ١٩١٨ - ١٩٣٦ . القاهرة ١٩٦٨ .
- على فهمى كامل : مصطفى كامل فى ٣٤ ربيعا (نسعة أجزاء) (الطبعتان) ١٩٠٨ .
- على محمد بركات (دكتور) . السياسة البريطانية واسرداد السودان ، القاهرة ١٩٧٧ .
- عمر عبد العزيز (دكتور) . دراسات فى تاريخ مصر الحديث ١٧٩٨ - ١٩١٤ ، القاهرة ١٩٧٤ .
- عمر طوسون (الأمير) : المعنات العلمية فى عهد محمد على وعباس وسعد القاهرة ١٩٣٤ .
- فاروق عثمان أباطة (دكتور) :
- ١ - عدن والسباسة البريطانية فى البحر الأحمر ، القاهرة ١٩٧٦ .
- ٢ - الحكم العثمانى فى اليمن ١٨٧٢ - ١٩١٨ ، القاهرة ١٩٧٥ .
- فتحى رضوان : مصطفى كامل ، القاهرة .
- فؤاد كرم : النظارات والورارات المصرية ، القاهرة ١٩٦٩ .
- فبشر هـ أ . تاريخ أوروبا فى العصر الحديث ، تعريب أحمد نجيب هاشم ووديع الضبع ط ٤ ، القاهرة ١٩٦٤ .
- ماكولى ، نوماى بابنجتون : لورد كلايف ، ترجمة محمد منير ، القاهرة ١٩٢٢ .
- مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر : أوراق مصطفى كامل (المراسلات) ، اشراق شوقى الجمبل (دكتور) ، القاهرة ١٩٨٢ .
- محمد أنيس (دكتور) ، السيد رجب حراز (دكتور) : مذكرات فى تاريخ العرب الحديث والمعاصر ، القاهرة ١٩٦٦ .
- محمد أنيس (دكتور) : الدولة العثمانية والمشرق العربى ، القاهرة ١٩٦٢ .
- محمد فؤاد شكرى :
- ١ - مصر والسودان . القاهرة ١٩٦٣ .

- ٢ - مصر والسيادة على السودان ، القاهرة ١٩٤٦ .
- محمد لطفى جمعة (المحامى) : حياة الشرق ، القاهرة ١٩٣٢ .
- محمد محمد حسنين (دكتور) : الانحاضات الوطنية فى الادب المعاصر ج ١ ، القاهرة ١٩٦٢ .
- محمد مسعود . مصر والاحلال الانكليزى . القاهرة ١٣١٢هـ
- محمود نجيب أبو الليل (دكتور) : الاحلال البريطانى والصحف الفرنسية ، القاهرة ١٩٥٣ .
- يواقيم رزق مرقص (دكتور) :
- ١ - تطور نظام الادارة فى السودان فى عهد الحكم العثماني الاول ١٨٩٩ - ١٩٢٤ ، القاهرة ١٩٨٤ .
- ٢ - أوراي مصطفى كامل (الخطب) ، القاهرة ١٩٨٤ .
- ٣ - العلاقات الثقافية بين مصر وفرنسا فى النصف الاول من القرن التاسع عشر ، بحث سبب الطبع بكلية الآداب جامعة القاهرة ١٩٨٥ .
- يونان لبيب رزق (دكتور) . تاريخ الوزارات المصرية ١٨٧٨ - ١٩٥٣ ، القاهرة ١٩٧٥ .

مراجع باللغة الانجليزية :

Gray, R. · A history of the eastern Sudan, 1839-1899, Oxford 1961.

Fox, Bourne : The other side of Emin Pacha Relief Expedition, London 1891.

موسوعات ودوائر معارف :

(أ) باللغة العربية :

١ - الموسوعة العربية المبسرة ، طبعها ١٩٥٩ ، ١٩٦٥ .

٢ - دائرة معارف القرن العشرين ، بيروت ١٩٧١ .

(ب) باللغة الانجليزية :

— Chamber's Encyclopedia Vol. 6.

— Encyclopedia Britanica, Vol. 3

دوريات :

• المؤيد

• الأهرام

• الفلاح

• المصرى

رسائل علمية غير منشورة :

— نوفيق على برو : العرب والترك في العهد العثماني ، رسالة ماجستير ،
معهد الدراسات العربية ١٩٦٠ .

— يواقيم رزق مرقص (دكتور) : تطور نظام الادارة في السودان في عهد الحكم
العثماني الاول ١٨٩٩ - ١٩٢٤ ، جامعة عين شمس ١٩٨١ .

کشافی الاعلام

- (ا)
- ۱ - ابراهيم « باشا »
۲۷۲
 - ۲ - ابراهيم مصطفى « بك »
۱۵۳
 - ۳ - احمد صادق « افندي »
۸۲
 - ۴ - احمد عرابي
۲۳۸ ، ۱۹۳ ، ۱۸۲ ، ۱۳۴ ، ۲۴۵
 - ۵ - ادوارد شيننزر « امين باشا »
۲۱۳ ، ۱۱۸
 - ۶ - اربين « باشا »
۱۷۷ ، ۱۶۴ ، ۱۴۷
 - ۷ - اسماعيل « الخديوي »
۱۴۴ ، ۲۳۷ ، ۲۷۲ ، ۲۷۳ ، ۳۰۴ ، ۳۰۳
 - ۸ - الطهطاوي « رفاة رافع »
الطهطاوي
۱۷۷
- (ب)
- ۱ - بالمر « السير »
۱۴۷
 - ۲ - بريسون
۱۷۵
- (ج)
- ۱ - جرانميل ، جورج « اللورد »
۱۳۳ ، ۱۴۰ ، ۱۴۱ ، ۲۰۷ ، ۲۰۸
 - ۲ - جلادستون
۱۳۳ ، ۱۳۵ ، ۱۵۵ ، ۱۸۳ ، ۳۱۷ ، ۲۲۷
 - ۳ - جمال الدين الافغاني
۳۱۵ ، ۲۶۷
 - ۴ - جوبير
۲۰۰
- (ت)
- ۱ - توفيق « الخديوي »
۲۶۴
 - ۲ - توفيق كيرلس
۲۶۰
- (ث)
- ۳ - بسمارك
۸۵ ، ۲۱۶ ، ۲۲۴
 - ۴ - ابن احمد « السلطان »
۱۷۰
 - ۵ - بورجوا ، لير
۲۰۲ ، ۲۰۳ ، ۲۰۴
 - ۶ - بولتجيه « جنرال »
۱۱۱

٥ - جوس
٢٠٠

(ح)

١ - حسين القرشولي « بك »
٣١٤ ، ٨٢

(د)

١ - دربي « اللورد »
١٩٩ ، ١٣٥
٢ - درومندولف ، هنري
١٥٥ ، ١٩٤ ، ٢٠٧ ، ٢١٧ ،
٢٢٤ ، ٢٥١
٣ - دميرين
٨٥ ، ٨٨ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٦ ،
١٣٤ ، ١٩٩ ، ٣٠٣
٤ - دلونكل ، فرانسوا
١٤٦ ، ٢٠٤
٥ - دي ميشيل « البارون »
٢٠٠

(و)

١ - رودس ، سيسيل
١٦٨
٢ - روزبري
١٧٨
٣ - رياض « باشا »
٢٠٧ ، ٢٢٠
٤ - ريبو
٢٠٣

(س)

سالسبورى
٩١ ، ١٣٥ ، ١٤٠ ، ١٥٥ ،
١٩٥ ، ١٩٩ ، ٢٠٧

٢ - سبيك
٦٨

٣ - سبائلي
١١٧

٤ - سليمان العرنساوى « باسا »
١٩٣

(ش)

١ - ساكر « باشا »
١٩٣
٢ - ساهين مكارپوس
٧٣ ، ٧٩ ، ٩٢
٣ - شريف « باسا »
١٣٠ ، ١٤١ ، ١٩٣ ، ٢٠٦
٤ - شينيل « المسيو »
١٢٧

(ع)

١ - عباس « الاول »
٢٧١ ، ٢٧٢
٢ - عباس حلمي
١٢ ، ٥٠ ، ٦١ ، ٧٣ ، ٧٤ ،
٧٥ ، ٧٩ ، ٨٩ ، ١٢٨ ، ١٣٩ ،
١٤٢ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ،
٢٣١ ، ٢٤١ ، ٢٥٣ ، ٢٥٦ ،
٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٦٧ ،
٣٠٨ ، ٣٢٧
٣ - عبد الحميد « السلطان »
٥٠ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٨١ ،
١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٩١ ، ١٩٢ ،
١٩٣ ، ٢٣٧ ، ٢٤٨ ، ٢٥٧ ،
٣١١ ، ٣١٢

٤ - عبد الرحمن الكواكبي
٨٦

٥ - عبد الله التديم
٨٦ ، ٧

١٢٩ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٤ ،
١٩٣ ، ٢٨٦ ، ٢١٩ ، ٢٣١ ،
٢٣٣ ، ٢٩١ ، ٣٠٣

٨ - كلن ، أوكلاند
١٩٩

(ج)

١ - لوجارد ، مردريك
١٣١

٢ - ليوبولد
١١٥ ، ١١٢

(م)

١ - مالكوم ، كلايف
٩١

٢ - محمد سعيد التونى « أفندى »
٨٢

٣ - محمد عبده « الشيخ »
٢ ، ٧٧ ، ٧٨ ، ٨٦

٤ - محمد على « باشا »
٩٥ ، ١٣٩ ، ١٧٦ ، ٢٢١ ،
٢٢٨ ، ٢٣٧ ، ٢٧١ ، ٢٧٣ ،
٢٩٣ ، ٣٠٨ ، ٣٠٩

٥ - محمد فريد
١٧٧ ، ٢١٨

٦ - محمد أبو النصر « الشيخ »
١٤٧ ، ١٤٨ ، ١٧٩

٧ - محمود سكرى
٧٨

٨ - محمود الفلكى
١٧٧

٩ - مخنار « باشا »
١٩٤ ، ٢٠٨

١٠ - مصطفى دروبش « باسا »
١٩٢

٦ - عبد المجيد حان « السلطان »
٨٧ ، ١٨٢

٧ - عثمان بورى « باشا »
١٢٧ ، ١٩٥

٨ - على مهمى كامل
٩ ، ٧٤

٩ - على يوسف « الشيخ »
٥٠ ، ١٨٣ ، ٢٦٠

١٠ - غوردون
٢٥٦

(ف)

١ - فارس نمر
٧٣ ، ٧٩ ، ٩٢ ، ١٤٦ ، ١٨٩

٢ - فرانكلين ، بيامين
١٧٥

٣ - فيعيا « اللورد »
٢٠٠

٤ - فيليب ، لويس
١٤٩

(ك)

١ - كارل - بيترز
١٣٠

٢ - كارنافون « اللورد »
١٣٦

٣ - كارنوسادى
١١١

٤ - كافينياك
٢٠٣

٥ - كتشنر
٢٣١ ، ٢٦٠ ، ٢٧٦ ، ٢٩٩

٦ - كروجر
٢٥٢

٧ - كرومر
٧٣ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٨ ،
٧٩ ، ٩٢ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٨

- ۳ - نامق « بك »
۱۹۶
۴ - بويار « باسا »
۱۶۴ ، ۱۴۲ ، ۱۳۰

(هـ)

- ۱ - هاريس [كاتب اسجلىرى]
۱۹۶
۲ - هانوبو
۲۰۳
۳ - هكس
۲۰۶ ، ۱۴۱
۴ - هوجو ، فيكتور
۱۲۴

(و)

- ۱ - وادينجنون
۱۳۶
۲ - ولسلى ، جارنت
۲۰۶

(ى)

- ۱ - يعقوب صروف
۹۲ ، ۷۹ ، ۷۳
۲ - يوسف شهلى « باشا »
۹۰

۱۱ - مصطفى كامل

- ۵۰ . ۳۵ ، ۱۱ ، ۹ ، ۸ ، ۷
۷۸ ، ۷۶ ، ۷۵ ، ۷۳ ، ۷۲
۸۳ - ۸۲ ، ۹۱ ، ۹۳ ، ۹۲
۹۹ ، ۱۰۸ ، ۱۳۲ ، ۱۲۸
۱۲۵ - ۱۴۷ ، ۱۶۲
۱۶ ، ۱۶۸ ، ۱۷۲ ، ۱۷۶
۱۹۸ ، ۱۱۵ ، ۲۱۸ ، ۲۲۰
۲۲۳ ، ۲۳۲ ، ۲۳۶
۲۳۸ - ۲۴۴ ، ۲۴۸ ، ۲۵۵
۲۵۹ ، ۲۶۹ ، ۲۷۱ ، ۲۷۴
۲۷۸ ، ۲۸۸ ، ۲۸۹ ، ۲۹۰
۲۹۳ ، ۲۹۸ ، ۳۰۱ ، ۳۰۵
۳۰۶ ، ۳۰۷ ، ۳۱۴ ، ۳۲۷
۳۳۲

۱۲ - مصطفى فهمى

- ۷۸ ، ۷۹ ، ۱۴۲ ، ۲۱۹
۲۲۰ ، ۲۸۲

۱۳ - موجيل « بك »

- ۱۴۷ ، ۱۴۸ ، ۱۷۸ ، ۱۷۹

۱۴ - ميل فو « المسيو »

- ۱۲۷

(ن)

۱ - نابليون

- ۱۰۷ ، ۱۲۴ ، ۱۵۹ ، ۱۷۱

۲ - نابليون « الثالث »

- ۱۴۹

كشاف البلاد والشعوب والقارات

| (أ) | |
|---------------------|---|
| ١ - اسبانيا | ١٢١ ، ١٤٩ ، ١٦٩ ، ٣١٧ |
| ٢ - آسيا | ١٠٩ ، ٢١٨ |
| ٣ - استراليا | ٣٨ |
| ٤ - افريقيا | ٢٠٨ ، ٣٨ |
| ٥ - الانجليز | ٧٣ ، ٨٠ ، ٨٢ ، ٨٩ ، ٩٠ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٥١ ، ١٦٣ ، ٦٩ ، ١٨٢ ، ١٨٨ ، ٢٠٥ ، ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٥ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٢٧ ، ٢٢٨ ، ٢٣١ ، ٢٣٦ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ ، ٢٤٤ ، ٢٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٥٤ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ ، ٢٥٩ ، ٢٦٠ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ ، ٢٦٦ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٧٩ ، ٢٨٢ ، ٢٨٦ ، ٢٩٨ ، ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٦ ، ٣٠٨ ، ٣١٤ ، ٣٢٨ |
| ٦ - البرتغال | ١٦٨ ، ١٢١ |
| ٧ - البوسنة والهرسك | ٢٨٦ |
| ٨ - الجزائر | ٣٨ ، ١٦٨ |
| ٩ - الحبشة | ٦٨ ، ٦٩ ، ٢٧٠ |
| ١٠ - الخرطوم | ٦٨ ، ٦٩ ، ١٤١ ، ١٦٧ |
| ١١ - السنغال | ١٢٩ |
| ١٢ - السودان | ٢٣ ، ٦٨ ، ٧٠ ، ٩٠ ، ٩١ ، ١٣٠ ، ١٤١ ، ١٥٩ ، ١٩٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢٢٢ ، ٢٣٨ ، ٢٦٠ ، ٢٧٤ ، ٢٧٥ ، ٢٧٦ ، ٢٧٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٨ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣١١ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥ |
| ١٣ - الصرب | ٩٤ |
| ١٤ - الصين | ٣٨ |
| ١٥ - ألمانيا | ٨ ، ٨٤ ، ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٦٩ ، ١٩٧ ، ٢٢٠ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٢٦ ، ٢٥١ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢ ، ٣٣١ |
| ١٦ - المجر | ١٢٠ ، ١٦٥ |

- ١٧ - النمسا
٨ ، ١٠٩ ، ١٢١ ، ١٣٤ ،
١٣٥ ، ١٦٥ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ،
٢٢٠ ، ٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٨٦ ،
٢٨٧ ، ٢٩٢
- ١٨ - الهند
٣٨ ، ٥١ ، ٨٠ ، ١٢٦ ، ١٦٣ ،
١٧٠ ، ١٨٠ ، ١٨١ ، ١٨٢ ،
٢٣٢ ، ٢٩٤ ، ٣١٧
- ١٩ - اليابان
٣٨ ، ١٢٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥
- ٢٠ - اليمن
١٩٦
- ٢١ - اليونان
٦٩ ، ٩٤ ، ١٤١ ، ١٦٠
- ٢٢ - أمريكا الشمالية
٣٧ ، ٥١ ، ٨٤ ، ١٤١ ، ٢١١ ،
٢٧٤ ، ٢٩٤
- ٢٣ - إنجلترا
٣٠١ ، ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٥ ،
٣٠٩ ، ٣١٣ ، ٣٢٢ ، ٣٢٥
- ٢٤ - تونس
١١٦ ، ١١٩ ، ١٤٩
- ٢٥ - اورشليم
١٧٢
- ٢٦ - اوغندا
٩١
- ٢٧ - إيطاليا
٤٨ - ٥٠ ، ٨٤ ، ١٣٤ ، ١٤١ ،
١٥٠ ، ١٦٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٨ ،
٢١٥ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ،
٢٨٣ ، ٢٩٢
- ١ - باريس
٤٨ ، ٥٠ ، ١٠٦ ، ١١٣ ،
١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٥ ، ١٤٦
- ١ - روسيا
٣٨ ، ٩٤ ، ١١٠ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ،
١٤٠ ، ١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٦
- ٢ - بلجيكا
١١٢ ، ١١٣ ، ١٢١ ، ١٤١ ،
١٦٠ ، ١٦٨
- ٣ - بلغاريا
٩٤ ، ١٢٠
- ٤ - بروكسل
١١٣ ، ١٢٤ ، ١٢٥
- ٦ - بومباي
١٦٣
- (ت)
- ١ - ترابيا
١٣٤
- ٢ - تركيا
١١٠ ، ١٣٩ ، ١٥٦ ، ١٨٥ ،
١٩١ ، ١٩٢ ، ١٩٧ ، ٢١٦ ،
٢٢٧ ، ٢٣٣ ، ٢٤٤ ، ٢٤٥ ،
٢٤٧ ، ٢٥٧
- ٣ - تونس
٣٨ ، ١٠٨ ، ١٦٨
- (ج)
- ٤ - جده « ميناء »
١٧١
- (د)
- ١ - دنقلة
٢٠٦ ، ٢٠٨ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ،
٢١٦
- (هـ)
- ١ - باريس
٤٨ ، ٥٠ ، ١٠٦ ، ١١٣ ،
١٢٣ ، ١٢٧ ، ١٢٥ ، ١٤٦

٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ .
٢٢٠ ، ٢٣٠ ، ٢٣١ .

٢ - فيينا
١١٣

(ك)

١ - كريت
٢٥٧

٢ - كسلا

١٣١ ، ١٢٠ ، ٢٠٨ ، ٢١٥ .

(ل)

١ - لندن

١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٥٥

٢ - ليون

١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٧

(م)

١ - مراكس
٢٨

٢ - مصر

٧٠ ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٨ ، ٨٠ ،
٨٢ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٩٠ ، ٩١ ،
٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ،
١١٧ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٣١ ،
١٣٣ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ١٣٦ ،
١٥٥ ، ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٦٠ ،
١٣٩ ، ١٤٠ ، ١٤٦ ، ١٥١ ،
١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ،
١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٣ ،
١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٨٤ ،
١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٢ ، ١٩٤ ،
٢٠٠ ، ٢٠٤ ، ٢٠٦ ، ٢٠٧ ،
٢٠٨ ، ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٥ ،
٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢٢٠ ،
٢٢١ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥

١٦٣ ، ١٧٢ ، ١٨٧ ، ١٨٩ ،
١١٠ ، ١٩١ ، ١٩٣ ، ١٩٧ ،
٢٠٣ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢٢٤ ،
٢٢٥ ، ٢٣٢ ، ٢٥١ ، ٢٥٦ ،
٢٩٢ ، ٣١٧

١ - رومانيا

٦٢ ، ١٢١

(س)

١ - سواكن
٢٠٩

٢ - سويسرا

١٢١ ، ١٦٠

٣ - سيباي

١٨١ ، ١٨٢

(ش)

١ - شيكاغو

٣٧ ، ٣٨

(ط)

١ - طرابلس

٣٨ ، ١٩٧

(ع)

١ - عطبرة

٦٩ ، ٢٩٨

٢ - عمان « سلطنة »

١٧٠

(ف)

١ - فرنسا

٢٠٧ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ،
٢٢٠ ، ٢٣٥ ، ٢٥١ ، ٢٧٢ ،
٢٧٦ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٩٢

. ۳۰۶ , ۳۰۳ , ۳۰۲ , ۳۰۱
. ۳۱۴ , ۳۱۳ , ۳۱۱ , ۳۰۹
. ۳۲۹ , ۳۲۵ , ۳۲۴ , ۳۲۰
. ۳۳۱

(۹)

۱ - واترلو
۱۲۴ , ۱۲۳

. ۲۳۲ , ۲۲۸ , ۲۲۷ , ۲۲۶
. ۲۴۰ , ۲۳۸ , ۲۳۷ , ۲۳۳
. ۲۴۹ , ۲۴۵ , ۲۴۲ , ۲۴۱
. ۲۵۴ , ۲۵۳ , ۲۵۱ , ۲۵۰
. ۲۶۴ , ۲۶۳ , ۲۵۹ , ۲۵۶
. ۲۷۴ , ۲۶۹ , ۲۶۸ , ۲۶۶
. ۲۸۳ , ۲۸۱ , ۲۸۰ , ۲۷۶
. ۲۹۱ , ۲۸۸ , ۲۸۶ , ۲۸۴
. ۳۰۰ , ۲۹۹ , ۲۹۴ , ۲۹۲

كشاف الحوادث ، المواقع ، المعارك ، الأماكن (١)

(ف)

١ - فرينزر « حملة »
٢٢٨

(ا)

١ - الأزهر
٢٦١ ، ٧٧

(م)

١ - ماجتا « موقعة »
١٤٩

(د)

١ - دولسينيو « حادث »
١٩١

(ن)

١ - نوادين البحرية « معركة »
١٤٩

(ص)

١ - سولفرينو « معركة »
١٤٩

(١) « ا » التعريف لم تلح اثناء الترتيب الايجلى .

المحتويات

| صفحة | |
|------|--------------------------------------|
| ٥ | تصدير |
| ٧ | مقدمة |
| ١١ | مجلة المدرسة : الجزء الأول |
| ١٩ | الجزء الثاني |
| ٢٧ | الجزء الثالث |
| ٣٣ | الجزء الرابع |
| ٤١ | الجزء الخامس |
| ٤٧ | الجزء السادس |
| ٥٥ | الجزء السابع |
| ٦٣ | الجزء الثامن |
| ٦٧ | الجزء التاسع |
| ٧٢ | مقالات مصطفى كامل : |
| ٧٣ | نصيحة وطني |
| ٧٧ | الحق يعلو ولا يعلى عليه |
| ٨٢ | المدنية وتعميم التعليم |
| ٨٨ | الأعمال بمقاصدها |
| ٩٣ | الجامعة |
| ٩٥ | المعلمون والتعليم في مصر |

| صفحة | |
|------|---|
| ١٠٠ | الرسالة الأولى ، البحر |
| ١٠٤ | الرسالة الثانية ، معرض ليون |
| ١١٣ | الرسالة الثالثة ، بلجيكا وعاصمتها |
| ١١٦ | الرسالة الرابعة ، معرض أنفوس |
| ١٢٣ | الرسالة الخامسة ، وانرلو والمذبحة البشرية |
| ١٢٦ | الرسالة السادسة ، الاحتفال بعيد جلالة السلطان |
| ١٢٩ | ختم تجاهرون بعكس ما تظنهم |
| ١٣٣ | الوعود الصريحة |
| ١٣٨ | حديث ذوشان |
| ١٤٤ | خطاب الى مدير تحرير الأهرام |
| ١٤٦ | التهديد الباطل |
| ١٥١ | صواعق الاحتلال |
| ١٥٤ | الشرق الأقصى ، رسالة من باريز |
| ١٥٨ | من أين يأتي الخطر |
| ١٦٢ | مصر والسياسة الفرنسية |
| ١٦٥ | حديث مع جريدة الاكسترا بلاط بفيينا |
| ١٦٦ | أخطار الاحتلال الانكليزي |
| ١٧٤ | كلمة الى المدلسين |
| ١٧٦ | القاء الارشالية المصرية بفرنسا |
| ١٨٠ | انكلترا والاسلام |
| ١٨٦ | تحالف بتحت (السلطان وأوروبا) |
| ١٩٨ | حديث لجريدة الجولوا |
| ٢٠٢ | الوزارة الفرنسية الجديدة |
| ٢٠٦ | في الحملة الدنقلية |

| صفحة | |
|------|--|
| ٢١١ | يوم ٢ يوليو |
| ٢١٥ | مصر وفرنسا |
| ٢١٨ | حديث مع مصطفى كامل |
| ٢١٩ | تذكّار دحول الانكلير مدينة القاهرة |
| ٢٢٣ | حديث مع جريدة برلينزنا جيلاط |
| ٢٢٦ | مصر وانكلرا |
| ٢٣٠ | المسئلة المصرية |
| ٢٣٤ | حديث عن المسئلة المصرية |
| ٢٣٦ | كشف الغطاء عن دسائس الانكلير |
| ٢٤٠ | دعوة للأمة الألمانية |
| ٢٤٤ | مصطفى كامل في برلين |
| ٢٤٦ | اعانة المصريين للدولة |
| ٢٤٨ | نحن واليونان |
| ٢٥١ | مصر والدولة العلبة |
| ٢٥٥ | الاحوال في مصر وبركيا |
| ٢٥٩ | خطة الانكلير في مصر |
| ٢٦٤ | الحدوية المصرية |
| ٢٦٩ | حديث مع مدير حريده لوربان |
| ٢٧١ | الجيش المصرى |
| ٢٧٨ | الاحوال المصرية |
| ٢٨١ | الحالة العمومية في مصر |
| ٢٨٤ | الدولة العلية ومصر |
| ٢٨٨ | التهم الكاذبة |

| صفحة | |
|------|---------------------------------|
| ٢٩٣ | الفلاح المصرى |
| ٢٩٨ | ما بعد العطبرة |
| ٣٠١ | مصر والاحتلال |
| ٣٠٥ | ذكرى ١١ يولييه ١٨٨١ |
| ٣٠٧ | الجناب العالى الخديوى |
| ٣١٠ | اتحاد الكلمة |
| ٣١٣ | التعليم |
| ٣١٧ | أوروبا والاسلام |
| ٣١٩ | التربية الوطنية |
| ٣٢٢ | الداء والدواء |
| ٣٢٥ | شرف الراية |
| ٣٢٧ | الامة والأمير |
| ٣٣٠ | شماعة ونهويل |
| ٣٣٢ | مدرسة مصطفى كامل |
| ٣٣٤ | المراجع |
| ٣٤١ | كشاف |

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٦/٤٥٦٤

ISBN ٧ - ١٠٧٨ - ٠١ - ٩٧٧

وبعد أن برّ مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر بوعدده في نشر تراث زعيم مصر الراحل مصطفى كامل – بأن أخرج المراسلات ثم الخطب . يقدم في هذا الكتاب الجزء الأول من المقالات التي دبرجها راحلنا في الفترة من بداية إمساكه بالقلم لينشر رأيه إلى عام ١٨٩٩

تناول فيها خطوط الوطنية ، نافضاً عن النفوس التي أوشت ربح الضياع أن يقصف بها غبار اليأس ، راسماً المستقبل ، وباعثاً الأمل – مقدماً مصر المستقبل ، صورة حية نابضة من خلال كل كلمة خطها قلمه .

وأمام هذا العمل الوطني ، قدم المركز جهداً علمياً مناسباً له ، وهو إيضاح ما كان ظاهراً أيام كتابتها وأصبح في ذمة التاريخ الآن من مواقع أو شخصيات أو معاهدات

فضلاً عن تحليل بعض المواقف – وبذلك استطاع أن يضع لهذه اللوحة الوطنية إطاراً أكاديمياً يخدم دارس تاريخ مصر الحديث من هذه الزاوية .